شـــوارتز كوف فـــي الخـــليج

النص الكامل لمذكرات (نورمان شوارتزكوف)
مع الوثائق والصور النادرة

بقـــلم: نورمـــان شـــوارتزكوف
ترجمة: حسام الدين كساب متولى

إسم الكتاب : شوارتزكوف فى الخليج

النص الكامل لمذكرات نورمان شوارتزكوف

ترجمة : حسام الدين كساب متولى

الناشر : مكتبة مدبولى

الطبعة : الأولى ١٩٩٣

قبل أن تقرأ
هذه المذكرات المهمة

* نود من القـارىء العربى الذى يطالع تـرجمتنا هذه لمذكرات شوارتـزكوف التى سبق نشرها بالانجليزية تحت عنوان «الأمر لا يحتاج إلى بطل»، الآتى:

أولا : إننا لم نقم بترجمة الجزء الخاص بقصة حياة نورمـان شوارتزكوف، ومعاركه فى بنما وجرينـادا، وهو جـزء يصل إلى ما يقـرب من نصف المذكـرات، ولكنه لا يعنينا كثيرا، ولذلك فقد اكتفينـا بترجمة الجزء الخاص «بأزمة الخليج» وبحرب الخليج التى لعب فيها شوارتزكوف الدور الرئيسى والخطير.

ثانيا: تعمـدنا لكى تكـون ترجمتنـا جـديدة ومنفـردة بين الترجمات المختلفة لكتاب شوارتزكوف، أن نضـع تبـويبا جديدا وعناوين لكل باب مـن أبواب الكتاب، هذا مع لغة أدبية سـهلة لعقل وثقافة القارىء العربى.

ثالثاً: ولقـد تعمدنـا أن نقدم لهذه المذكـرات بتقديم مـوسـع أسميناه «مقدمة الطبعـة العربيـة»، وأرفقنا فى النهاية مجمـوعة من الملاحق والوثائق الجديدة والهامة، فضلا عن ملحق الصور النادرة.

إنها ترجمة أمينة ودقيقة، حاولنا أن نقدمها بشكل جديد ومتميز آملين أن تفيد وأن تسد نقصا فى المكتبة العربية.

«المترجم»

فهرس بالمحتويات

الموضوع

مقدمة الترجمة العربية

الخليج: أزمة.. كل الأطراف

كانت حـرب الخليج الثانية هى قمة الصراع الـدرامى بين القوات الغربية والعـربية المتحـالفة معهـا، وبين قوات صـدام حسين الغـازية للكـويت منفردة. وكـان للصراع الدرامى أبعـاده وانعكاساته المؤثـرة على مجمل انحاء المعمورة وليس فى عالمنـا العربى فقـط، رغم أن هذا العـالم العربى قـد عانى – منفـردا – بما قيمته « ٦٢٠ مليار دولار» خسائر من هذه الحرب. ولأن الحرب والأزمة الخليجية برمتها قد أحدثت اثارا مزعجة، لـذا رأينا أن نسبق الترجمة العـربية الكـاملة لمذكـرات شـوارتزكـوف بتقديم مطـول نستعرض فيه أبعاد ودلالات وحقيقة ما حدث فى هذه الحرب وقبلها وبعدها، وذلك من خلال المحاور التالية:

أولا: موقف أبرز الدول العربية من الأزمة والحرب: سوريا وليبيا كنموذج.

ثانيا: موقف أبرز القوى الغربية من الحرب: الولايات المتحدة وبريطانيا كنموذج.

ثالثا: حرب الخليج وتلوث البيئة.. حقائق مذهلة..

رابعا: حقيقة أوضـاع الكويت بعد عامين من الغزو.

وبتفصيل هذه المحاور(١) يستبين الاتى:-

أولا: موقف أبرز الدول العربية من الأزمة والحرب: سوريا وليبيا كنموذج.

(١) سوريا:

ذكرت وكالة الأنباء السورية الرسمية (٢٠/١) ما يأتى:

---

(١) استندنـا فى تغطية هذين المحورين على مـا تناولته وكـالات الانباء والصحف العالمية والعـربية، فضلا عن التقارير الصادر عن الهيئة العامة للاستعلامات.

– لن يستطيع أحد استدراج الأمة العربية نحو الهاوية ونحو الانتحار بدون داع، وبخاصة حاكم بغداد الذى تكشفت أكاذيبه للشعب العراقى كله وللشعب العربى.

إن العروض الكاذبة للنظام العراقى تستهدف تضليل العرب وستر جريمة غزوه للكويت تحت لافتات تحرير فلسطين. ولكن العرب لن تنطلى عليهم هذه الأوهام، لأن من يرغب فى إعادة حقوق الشعب الفلسطينى لا يقوم بتشريد الشعب العربى.. ولا يطعن التضامن العربى فى ظهره.

– ندد رشيد اخترينى – عضو القيادة القطرية لحزب البعث السورى ورئيس مكتب المنظمات بالقيادة – بمواصلة النظام العراقى لتعنته واستهتاره بكل القوانين والمواثيق الدولية ومواصلته حربه، التى تعتبر أخطر حرب وقعت فى العالم بعد الحرب العالمية الثانية من حيث حجم القوات وجنسيتها ونوعية العتاد والأسلحة المستخدمة، وحجم الدمار والضحايا البشرية التى تخلفها هذه الحرب. وقال المسئول السورى فى كلمة نيابة عن الرئيس حافظ الأسد فى حفل افتتاح المؤتمر العام السابق للاتحاد العام للجمعيات الحرفية فى سوريا (٢٣/ ١):

أ – «أن السلوك المشبوه للنظام العراقى والذى أسفر عن إنهاك الوطن العربى وتبديد طاقاته فى معارك مفتعلة، يثير الفرقة على الساحة العربية ومستقبلها».

ب– إن هذا النظام أشعل من قبل الحرب العراقية الإيرانية التى دامت ثمانى سنوات، فبدد طاقات مالية وبشرية هائلة للعراق والأمة العربية في غير موضعها الصحيح، حيث تركت أسوأ الآثار على القضية الفلسطينية وخلقت شروخا عميقة فى بنيان الأمة.

جـ– إن حاكم بغداد الذي وصل إلى طريق مسدود، لم يوقظه هول الكارثة بعد، وبدلا من أنّ يتحمل وحده ثمن ما جنت يداه يحاول توسيع دائرة النار لتلتهم بلدانا عربية أخرى، وليورط الأمة العربية جمعاء في حرب لم تختر زمانها ومكانها ولا أهدافها.

– نقلت وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية عن نائب الرئيس السورى عبد الحليم خدام (٢٣/١) قوله: «إن الحرب ضد إسرائيل لن تقع إلا في حالة وقوف الجيش العراقى بأكمله إلى جانبنا في مواجهة العدو الصهيونى، وفى الوقت الراهن فإن العراق مشغول بالكويت».

– أكد محمد سلمان وزير الإعلام السورى أن القرار فى موضوع الصراع العربى الإسرائيلى هو قرار عربى، وليس من حق أى بلد عربى الانفراد بأى عمل يتعلق بهذه القضية القومية، وأضاف الوزير السورى (٢٤/١):

– «إنه إذا كانت الحكومة العراقية جادة فى أن يكون لها دور فى الصراع العربى الإسرائيلى فقد كان عليها تجنب غزو الكويت والمساهمة فى الجهود التى كانت تبذل لإزالة الخلافات العربية للتوصل لتحقيق تضامن عربى».

– قال الدكتور محمد زهير مشارقة – نائب الرئيس السورى – في مقال نشرته صحيفة البعث السورية (٣-٢):

أ – إن الحرب المدمرة فى الخليج دخلت أسبوعها الثالث بينما لايزال طاغية بغداد رافضا لكل نداءات السلام، ضاربا عرض الحائط بكل القيم العربية والإسلامية والإنسانية التى يحلو له أحيانا التشدق بها.

ب – إن طاغية بغداد لو كان معنيا بقضية فلسطين، لما بدد إمكانيات عسكرية واقتصادية وبشرية للعراق وإيران فى حرب قذرة، لم تخدم سوى مصالح أعداء الأمة العربية، ولما غدر بشعب الكويت واستباح حرمات بلد مسالم.

٢ – رؤية الحرب من جانب التحالف:

– قال رئيس البرلمان السورى (٢٣/١): إن العراق رفض كل مساعى السلام وأصر على دفع شعبه إلى الدمار. وأضاف: إن سوريا وكل الدول لا يمكن أن توافق على احتلال دولة لدولة أخرى وضمها إليها.

- أعلن وزير الخارجية السورى فاروق الشرع عقب لقائه بوزير الخارجية اليونانى أن ما يجرى حاليا هو حرب فى الخليج وليس نزاعا عربيا إسرائيلياً (٢٦ / ١).

- أكد السيد محمد سلمان وزير الإعلام السورى لمراسلي عدد من الصحف الأوروبية (٢٧ / ١) أن الحرب الدائرة فى الخليج هى بين العراق ومجلس الأمن وليست بين المسلمين وغير المسلمين، مشيرا إلى أن القوات المسلحة هى التى تنفذ الآن قرارات الأمم المتحدة، وأن الجامعة العربية لن تستطيع القيام بأى دور فى حل الأزمة الراهنة مالم يغير العراق موقفه وينسحب من الكويت.

- أعلنت القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية السورية برئاسة نائب رئيس الجمهورية زهير مشارقة (٥ / ٢) أن سياسة التعنت والمكابرة وعدم الاستجابة لجميع المبادرات والابتعاد عن الشعور بالمسئولية تجاه شعب العراق وجيشه، أدت إلى هذه الحالة.

المشاركة العسكرية السورية:

١ - أهداف سوريا من المشاركة العسكرية:

قال محمد سلمان وزير الإعلام السورى (٢٣ / ١) فى مقابلة مع راديو مونت كارلو ما يلى:-

* إن هناك قرارا لمجلس الأمن الدولى يسمح للطرف المعتدى عليه والدول الأخرى بأن تزيل العدوان.

* إن سوريا ملتزمة بقرارات القمة العربية والأمم المتحدة.

- قال فاروق الشرع وزير خارجية سوريا فى مؤتمر صحفى (٧ / ٢):

* إن القوات السورية متواجدة الآن فى السعودية للدفاع عنها وهى تحت القيادة السعودية وتحت قيادة الملك فهد، وأن اللجنة السعودية السورية المشتركة سوف تجتمع فى دمشق بعد عشرة أيام.

* إن وقف إطلاق النار على ساحة العمليات العسكرية بين العراق ودول التحالف الدولى لن يتم إلا بعد انسحاب العراق الكامل وغير المشروط من الكويت.

أدلى العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السورى بحديث لصحيفة النجم الأحمر الناطقة بلسان وزارة الدفاع السوفيتية (٢/٨) جاء فيه:

إن الهدف الوحيد للقوات السورية - ضمن قوات الحلفاء - هو الدفاع عن السعودية، حيث توجد الأماكن الإسلامية المقدسة.

- أكدت سوريا مجددا موقفها الثابت بشأن رفض الاحتلال العراقى للكويت، والمطالبة بضرورة انسحاب القوات العراقية منها كخطوة أساسية لتحقيق السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط.. جاء ذلك على لسان السيد عبد الحليم خدام نائب الرئيس السورى خلال اجتماع عقدته القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم فى سوريا، وهو الحديث الذى ألقى فى (٢/١١) وتضمن ما يلى:

أ - إن صدام حسين ارتكب جريمة احتلال الكويت ضاربا عرض الحائط بكل المواثيق والأعراف الدولية، مشيرا إلى أن ضم الكويت بالقوة يعطى المبرر لإسرائيل لمواصلة نهجها العدوانى والتوسعى ضد الشعب الفلسطينى.

ب- إن أى حل للأزمة الجالية فى الخليج لابد وأن يتضمن انسحاب العراق من الكويت وعودة الشرعية إليها.

جـ- إن سوريا أرسلت قوات إلى منطقة الخليج استجابة لنداء الأشقاء، مشيرا إلى أن هذه القوات تقوم بواجبها القومى دفاعا عن الأشقاء فى الخليج.

٢- حجم القوات السورية:

بلغ عدد القوات السورية المشاركة فى حرب تحرير الكويت ١٩ ألف جندى، تضم عددا من القوات الخاصة، وينتمى معظمهم للفرقة المدرعة التاسعة التى قوامها ١٥ ألف جندي، وتدعمهم ٢٧ دبابة (تى-٦٢) بالإضافة إلى ألفى جندى بدولة

الإمارات العربية المتحدة أرسلتهم سوريا ضمن القوات العربية المتواجدة هناك.

٣- مشاركة القوات السورية فى الحرب البرية لتحرير الكويت:

- صرح العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السورى فى حديث لصحيفة الفيجارو الفرنسية (١٨/ ٢) بأن الحرب البرية لن تستمر فترة طويلة، وأضاف أنه مقتنع بأن القوات السورية التى تعمل مع قوات المملكة العربية السعودية يمكنها هزيمة العراق.

- أجرى الرئيس حافظ الأسد (٢٨/ ٢) اتصالا هاتفيا مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، واتصالا هاتفيا مع الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت، ودار الحديث خلال الاتصالين حول المرحلة السابقة والتطورات التى جرت خلالها. وجرى التعبير عن الارتياح لعودة الكويت وانتهاء القتال، كما جرى التعبير عن الأسف الشديد للخسائر التى وقعت والتى كان يمكن تفاديها، وجرى التأكيد على ضرورة استخلاص الدروس والعبر مما جرى والإتعاظ بها فى المستقبل، وقدم الرئيس الأسد التهنئة إلى الشيخ جابر الأحمد.

- أكد محمود الزعبى رئيس مجلس الوزراء السورى خلال استقباله الشيخ ناصر صباح الأحمد الجابر وأحمد عبد العزيز الجاسم سفير الكويت بدمشق، أكد أن سوريا - بقيادة الرئيس الأسد - تنطلق دائما من منطلقات قومية ومبدئية ثابتة، وفق رؤية سياسية صائبة فى جميع مواقفها على الساحتين العربية والدولية، وهى تعمل دائما وفي جميع الظروف على تعزيز التعاون والتضامن العربى فى سبيل تجسيد المصلحة العليا للأمة العربية.

٤- التحرك السياسى السورى إبان الحرب:

أ- تحرك داخلي:

- أعلنت وزارة الأوقاف السورية فى بيان (٢٠/ ١) باسم العلماء والحطباء السوريين أن موقف النظام العراقى وما سببه من اشتعال الحرب المدمرة فى

الخليج، لا يمت إلى الإسـلام بصلة بل هـو الجاهلية بعينهـا. وأضاف البيـان أن لجوء الرئيس العراقى إلى اتخاذ الشعارات الإسلامية كمسوغ لفعلته التى يدعيها على أساس دينى، ما هو إلا محاولة مفضـوحة يستنكرها ديننا الحنيف ويبرأ من فـاعلها، وهى لعبـة إجراميـة وخاسرة جـر النظام العـراقى من خلالها العـراق وجيشه وشعبه إلى أتون حـرب ظالمة لا يريد من ورائها إلا تـورط الأمة العربية والإسلاميـة وإصابتها بأفدح الأخطـار والويلات التى لا تمت إلى القيم الـوطنية والقومية والشرعية بصلة.

- استعـرض مجلس الوزراء بـرئاسة محمـود الـزعبى (١/٢٩) آخر التطـورات السياسية المتعلقة بأزمة الخليج والعمليـات الحربية الدائرة فيه. وقد أكد المجلس من خلال هذا الاستعراض على مسئولية الرئيس العراقى - بتعنته المستمر وعدم انسحابه من الكويت - عن كل ما يصيب الشعب العراقى من معاناة ودمار.

- عقدت القيـادة المركزية للجبهـة الوطنية الديمقـراطية اجتماعا (٢/٣) بـرئاسة الدكتـور محمد زهير مشارقـة نائب الرئيس السـورى، استعرضت خلالـه آخر التطـورات المتعلقـة بـالحرب المدمـرة فى الخليج، ووجـدت أن سيـاسـة التعنت والمكـابرة التى ينتهجهـا النظام العـراقى، وعدم الاستجـابة إلى جميع المسـاعى العربية والإقليمية والدولية التى بذلت لتجنيب العراق هذه الكارثة، والابتعاد عن الاحتكام إلى المنطق والعقل، والشعور بالمسئولية تجاه شعبنا وجيشنا فى العراق، وعدم التجاوب مع قرارات المجتمع الـدولى القاضية بضرورة الانسحاب العراقى من الكويت، هى التى أدت إلى هذه الحالة التى يـدفع ثمنها عراقنا الحبيب- شعبا وجيشا- من طاقات اقتصادية وقـدرات عسكرية كان يمكن أن توضـع فى مكانها الصحيح على طـريق التصـدى لـلاحتـلال الإسرائيلى وسيـاسـاتـه العـدوانيـة التوسعية.. ووجدت القيادة المركزية فى هـذه الكارثة التى حلت بالعراق ما يدمى قلب كل مواطن عـربى، وناقشت القيـادة مجمل المبادرات السياسيـة التى بذلت مؤخـرا - ومازالت تبـذل - من جهات متعـددة، إنقاذا للعـراق وصونـا لجيشه

وشعبه. ووجدت أن إخفاق المبادرات إنما يعود إلى استمرار النظام العراقى فى سياسته القائمة على المغامرة بمقدرات العراق والأمة العربية، والاستهتار بكل القيم الوطنية والقومية، وعدم الاستجابة لصوت العقل والحكمة والشعور بالمسئولية، الذى تجسد فى المبادرة التى أطلقها الرئيس الأسد، والتى كان يمكن - فيما لو وجدت عقلا قادرا على استيعاب معانيها القومية - أن تمنع وقوع الكارثة. وحللت القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية النتائج التى ترتبت على هذه السياسة الخرقاء التى ينتهجها النظام العراقي، وركزت على المكاسب الكبرى التى حققها العدو الإسرائيلى على جميع المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ووجدت فى هذه المكاسب مخاطر حقيقية تهدد الأمن القومى العربى، وحذرت القيادة من مغبة استغلال اسرائيل وبعض الجهات الدولية لسياسة النظام العراقى بما يؤدى إلى استفحال الأخطار التى تتهدد الأمة العربية.

- عقد مجلس الوزراء السورى اجتماعا (٥/٢) تم فيه استعراض الموقف السياسى العام وتوضيح اخر التطورات السياسية والحربية المتعلقة بأزمة الخليج، وأدان المجلس سياسة النظام العراقى اللامسئولة، مشيرا إلى أنها تؤدى إلى تعميق جوانب المأساة المؤلمة التى يعيشها الشعب العراقى الشقيق. وأكد المجلس أن استمرار النظام العراقى فى سياسته المتعنتة واستهتاره بالقيم الوطنية والقومية إنما يؤدى - بالإضافة إلى الكارثة التى يجرها على الشعب العراقى - إلى تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية وعسكرية كبرى لإسرائيل.

- عقد حزب البعث العربى الاشتراكى (١٠/٢) اجتماعا برئاسة الدكتور سليمان قداح- الأمين القطرى المساعد للحزب- حضره المحافظون ورؤساء وأعضاء المكاتب التنفيذية للمنظمات الشعبية والنقابات المهنية، عرض فيه عبد الحليم خدام - نائب الرئيس السورى - مواقف سوريا من الأحداث الجارية على الساحتين العربية والدولية، وقال إن العرب واجهوا في العصر الحديث مأساتين:

الأولى إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين، والثانية: الاجتياح العراقي للكويت، وأكد على موقف سوريا الرافض بشدة للغزو العراقي للكويت.

ب- تحرك عربي:

- تلقى الرئيس حافظ الأسد اتصالا هاتفيا من الرئيس حسني مبارك (١/٢٠) تم فيه تبادل وجهات النظر حول أحداث أزمة الخليج.

- تسلم الرئيس الأسد رسالة من الرئيس مبارك (١/٢١) خلال استقباله لوزير الخارجية المصرى الدكتور عصمت عبد المجيد، وحمله رسالة خطية إلى الرئيس مبارك.

- بعث عبد القادر قدورة - رئيس مجلس الشعب السوري - برسالة إلى رئيس مجلس النواب الأردنى (١/٢٢) أكد فيها أن الرسالة التى وجهها الرئيس الأسد للرئيس العراقى كانت مبادرة لإنقاذ الموقف، دافعها حب العراق والقلق على مصير شعبنا وما يتهدده من أخطار كبيرة مدمرة. وأشار فيها إلى أن المشكلة لم تبدأ يوم اجتياح الكويت وإنما بدأت عندما أعلن صدام حسين الحرب على إيران. وأضاف أن القيادة العراقية كانت تطرح وجوب مواجهة التهديدات الإسرائيلية، وتتحدث عن تحرير فلسطين وعن حرق إسرائيل، وإذا بنا نفاجأ باجتياح الكويت. وأكد أن سوريا لا تستطيع أن تقبل بمبدأ الاجتياح والضم، فهى دولة تواجه الاحتلال والضم من قبل العدو الإسرائيلى، وأن عالم اليوم لا يمكن أن يقبل هذا النهج. وتساءل رئيس البرلمان السورى قائلا: إذا كانت الحكومة العراقية جادة فى مواجهة العدو الإسرائيلى، فهل تكون الجدية بوضع الجيش العراقى فى الكويت، وتوجيه بضعة صواريخ إلى فلسطين تجنى منها إسرائيل ثمارا. وأضاف أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن نفعله جميعا هو بذل الجهود لإقناع الحكومة العراقية بالانسحاب من الكويت.

- قال عبد القادر قدورة -رئيس مجلس الشعب السورى (٢/٨)- فى رسالة

وجهها لرئيس المجلس الوطنى الجزائرى:

أ – إن سوريا جاهدت فى شتى الميادين قولا وفعلا، ومنذ بداية أزمة الخليج – التى نجمت عن غزو العراق للكويت – كى لا تقع الكارثة المدمرة، إلا أن النظام العراقى لم يستجب إلى أى نداء، واستمر فى سياسته المغامرة الطائشة التى أوقعت بالأمة العربية عدة كوارث متتالية، فأشعل حربا فى الخليج لا هدف لها ولا قضية، فالكارثة الأصل هى غزوه للكويت والكارثة النتيجة هى وجود القوات الأجنبية فوق الأرض العربية، الذي يعتبر من الكبائر.

ب – إن المستفيد الأكبر مما يجرى الآن فى الخليج هو العدو الإسرائيلى، وإن المتضرر الأكبر هو الأمة العربية برمتها، والشعب العراقى فى المقدمة.

– عقد وزراء خارجية كل من الدول الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجى وسوريا ومصر اجتماعا يومى ١٥و ١٦ فبراير، استعرض فيه الوزراء جميع أبعاد عملية تحرير دولة الكويت الشقيقة، وأكدوا مجددا تمسكهم بتنفيذ مقررات الشرعية العربية والإسلامية والدولية من أجل استعادة الأمن والاستقرار فى المنطقة، والتى تقضى بما يلى:

١ – انسحاب العراق دون قيد أوشرط من كل أراضى دولة الكويت الشقيق.

٢ – عودة الشرعية إلى الكويت.

٣ – الالتزام بالتنفيذ الكامل لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة.

٤ – الالتزام بمبادىء تسوية النزاعات بين الدول بالوسائل السلمية.

وقد أصدر الوزراء بيانا تحدد فيه موقف دولهم من بيان مجلس قيادة الثورة العراقى، ولكنه يتعارض مع المبادىء والمقررات التى تبناها الوزراء فى اجتماعهم.

– عقب استقبال الرئيس الأسد للرئيس السودانى عمر البشير (٢/٢١) قال المتحدث الصحفى باسم الرئاسة السورية ما يلى:

أ- إن الحديث تناول الوضع فى الخليج والجهود المبذولة لمعالجته.

ب- إن الرئيسين أكدا حرصهما على إنقاذ ما يمكن إنقاذه فى الوقت الحاضر من العراق.

جـ- إن الرئيس الأسد قال للرئيس السودانى إن الموقف القومى والتضامن العربى الحقيقى يتمثلان حاليا فى دعوة العراق إلى الانسحاب من الكويت دون أى تأخير حتى لا يقع العراق فى التهلكة.

د- إن الأسد قال للرئيس السودانى إن سوريا وجهت دعوات قومية كثيرة إلى العراق للانسحاب من الكويت، ولو كان حكام العراق استجابوا لهذه الدعوات لما وصلت الأمور إلى ما هى عليه الان.

جـ- تحرك إسلامي:

- أجرى نائب الرئيس السورى عبد الحليم خدام (١/٢٤) محادثات مع على أكبر ولاياتى فى طهران تناولت أزمة الخليج، وقد حمل خدام عند عودته رسالة خطية للأسد من رافسنجانى.

- استقبل الرئيس حافظ الأسد (١/٢٤) رئيس وزراء باكستان وبحث معه الحرب فى الخليج.

د- تحرك دولى:

- تسلم الرئيس السورى حافظ الأسد (١/١٩) رسالة من الرئيس السوفيتى ميخائيل جورباتشوف.

- استقبل الرئيس الأسد (١/٢٦) وزير خارجية اليونان وناقش معه أزمة الخليج وانعكاساتها.

- أعرب الرئيس الأسد للرئيس بوش في اتصال تم بينهما (٢/٦) عن ارتياحه لعدم استهداف المدنيين والأماكن الدينية. وأكد أنه أمر جوهرى أن يجرى

العمل على تحقيق سلام عادل وشامل فى المنطقة بعد أزمة الخليج.

- استقبل فاروق الشرع - وزير خارجية سوريا- وزير خارجية تركيا (٢/١١) وصرح عقب اللقاء بأن هناك اختلافا بين النظام العراقى والشعب العراقى الذي يعد ضحية للسياسة المغامرة لقيادته السياسية.

- استقبل وزير الخارجية السورى وزير خارجية ألمانيا (٢/١٤) وناقش معه أزمة الخليج.

سوريا وتداعيات الحرب

١- سوريا وضرب إسرائيل بالصواريخ العراقية:

- نفى مسئول عسكرى فى القوات المسلحة السورية المتواجدة فى لبنان الخبر الذي أذاعه راديو مونت كارلو، والذي يقول إن مجموعتين من الطائرات الحربية الإسرائيلية عبرتا (١/١٧) سماء لبنان الجنوبى باتجاه الشرق، أى باتجاه كل من سوريا والعراق.

- أوضح وزير الإعلام السورى (١/١٩) أنه إذا قامت إسرائيل بالهجوم أولا على الأردن، أو إذا هاجمت إسرائيل العراق، فإن سوريا ستقف إلى جانب أى بلد عربى يتعرض للعدوان.

- صرحت وكالة الأنباء السورية الرسمية أن النظام العراقى لا يستطيع أن يخدع العرب بتوجيه حفنة من الصواريخ إلى فلسطين المحتلة، لأن هذه اللعبة لن تحرر أرضا ولن تعيد شعبا مشردا، ولكنها سوف توسع نطاق الحرب وتستدرج الدول العربية إلى الحرب، وتخدم بذلك مصالح العدو «إسرائيل» (١/٢٠).

- حذر السفير السورى فى الجزائر عبد الجبار بهاء فى حديث لصحيفة جزائرية من أنه إذا قامت إسرائيل بعمليات حربية ضد الأردن ستقف سوريا إلى جانب الأردن، وقال: إن القوات السورية منتشرة على الحدود مع إسرائيل ومستعدة لمواجهة أى مؤامرة إسرائيلية ضد الأردن (١/٢٠).

- ذكر عبد الحليم خدام نائب الرئيس السورى (٢٨/ ١) أن سوريا تعى وتدرك أهداف لعبة النظام العراقى لجرها إلى الحرب وتوسيع نطاقها، وأوضح أن دمشق لن تجر إلى هذه الحرب التى يقصد منها النظام العراقى التغطية على جريمة احتلال الكويت.
- نفى مسئولون عن نائب الرئيس السورى قوله (٢٩/ ١) إن إسرائيل تسعى لاستغلال حرب الخليج لابتزاز الغرب، وأن تدفق المعونات على إسرائيل سيعوق مساعى السلام فى الشرق الأوسط.
- أكد وزير الإعلام السورى فى حديث لصحيفة الديار اللبنانية (١٩/ ١) أن إطلاق عدد من الصواريخ على إسرائيل لا يهدف إلى تحرير فلسطين بل إلى جر العرب إلى مذبحة كبرى، وتقديم المبررات لإسرائيل لتكديس المزيد من السلاح فى ترسانتها الحربية وممارسة الابتزاز السياسى والمالى والمعنوى على دول العالم.
- أكد فاروق الشرع وزير الخارجية السورى فى حديث لصحيفة لوموند الفرنسية (٢/٧) أن الفرحة التى شعر بها العرب عند إطلاق صواريخ سكود العراقية على إسرائيل ستتبدد، وسيحل محلها شعور بالإحباط والحزن المرير عندما سيتبين لهم بمرور الوقت - ومع بعض التفكير والتعقل - أن العراق قد أسدى خدمة لإسرائيل بأن حولها إلى ضحية.
- قال نائب الرئيس السورى عبد الحليم خدام فى اجتماع عقدته القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم فى سوريا (١٠/٢) «إن الصواريخ التى يطلقها النظام العراقى على إسرائيل قد حققت لإسرائيل كل ما كانت تسعى إليه من دعم بالمال والسلاح والتأييد الدولى.

٢- سوريا وتزويد الأردن بالنفط:

- وافقت سوريا على تزويد الأردن بالنفط (٣/٢) بعد توقف استيراد الأردن للنفط من العراق عقب القصف الجوى الأمريكى لصهاريج النفط الأردنية.

٣- سوريا وعلاقاتها مع بريطانيا:

- كشفت مصادر دبلوماسية (٤/٢) أن بريطانيا وسوريا ستعلنان عودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بينهما فى القريب. وقالت المصادر إن السفير البريطانى

الجديد «اندروجـرين» سيغادر متوجهاً إلى دمشق قريباً، وقـد تم لقاء بين وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانى (٤/٢) مع القائم بالأعمال السورى فى لندن الدكتـور توفيق سلوم، وذكرت الخارجيـة البريطانية أن اللقـاء تم بناءً على طلب «هوج» للتباحث فى تطورات الوضـع فى الخليج والعلاقات الثنائية بين البلدين.

- تمت عودة العـلاقات الدبلومـاسية الكاملـة بين سوريا وبريطـانيا فى (٣/١٥)، وكــان أول إعــلان رسمى عن عــودة العـلاقــات بين البلــدين قــد أعلن فى ٢٨/١١/١٩٩٠، كأول قرار تتخذه حكومة «ميجور» فى بريطانيا.

٤- سوريا وآثار الحرب على العلاقات الفرنسية العربية:

- قال العماد مصطفى طلاس وزيـر الدفاع السورى لصحيفة الفيجـارو الفرنسية (٢/٨): إن احتمال خسارة فرنسا لجزء من العالم العربى قائم بسبب اشتراكها فى الحرب، إلا أن هذا الاحتمال مؤقت.

٥- سوريا ولجوء الطائرات العراقية لإيران:

- قال وزير خارجية سوريا فاروق الشرع فى مؤتمر صحفى بنادى المراسلين بلندن (٢/٧): إن إيـران لن تفـرج عن الطـائرات العـراقيـة إلا بعـد أن تضـع الحرب أوزارها.

٦- سوريا ووحدة الأراضى العراقية:

- أعـربت سوريـا على لسان مصـدر مسئول (١/١٧) عن استغـرابها الشديـد لما نسبته الصحف التركية - الصادرة يوم ١/١٧ - مـن أقوال لرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء التركى أمام مجلس النواب التركى حـول وجود أطماع خارجية لدى بعض الـدول فى اقتطاع أجـزاء من العراق خـلال الحرب أو بعدهـا. وأكدت سـوريا أن شعب العـراق - كما يعـرف الجميع - هو بـالنسبـة لسوريـا شعب شقيق، وأن وحدة أراضـى العـراق هى قضية مقدسـة بالنسبة لسـوريا لا تقبل المساس بها من قبل أى جهة وفى أى ظرف من الظروف.

- نقلت وكالة أنبـاء الجمهورية الإسلامية فى إيران عن نائب الـرئيس السورى عبد الحليم خدام (١/٢٣) قوله: إن سـوريا وإيران متفقتان على ضرورة منع تمزيق العراق.

سوريا والمبادرات السلمية:

١- سوريا والبيان الأمريكى السوفيتى:

- ذكرت صحيفة الثورة السورية الرسمية (٢/١) أن البيان الأمريكى السوفيتى حول حرب الخليج يشكل مبادرة عقلانية وموضوعية، ودعت العراق إلى الاستفادة من هذه الفرصة. وذكرت الصحيفة فى أول تعليق سورى على البيان الذى صدر عن وزيرى خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، أن المبادرات السلمية - وخاصة تلك التى جاءت فى صيغة البيان السوفيتى الأمريكى المشترك - هى كلها مبادارات عقلانية وموضوعية تفتح الطريق وسط دمار الحرب أمام التسوية من جديد، وبالتالى إنقاذ العراق.

٢- سوريا وبيان مجلس قيادة الثورة العراقى بالانسحاب من الكويت:

- شككت سوريا فى نوايا الرئيس العراقى صدام حسين بالانسحاب من الكويت، ووصفت البيان العراقى بأنه غير جدى وأشبه بورقة ابتزاز مقابل مطالب تعجيزية. وقال راديو دمشق الذى يعبر عادة فى تعليقه السياسى عن الموقف السورى الرسمى (٢/١٦) ما يلى:

١- إن البيان العراقى أبعد ما يكون عن الجدية، وطغت عليه السلبية، وهو أشبه بورقة ابتزاز يلوح بها صدام حسين من خلال إمساكه بالكويت كرهينة للمساومة على إطلاقها مقابل مطالب تعجيزية... وذلك كان هو الموقف السورى العام من الأزمة والحرب وما بعدها.

(٢) ليبيا والحرب:

١- بدء الحرب:

- بعد ساعات قلائل من اندلاع الحرب وجه الأخ العقيد الرئيس القذافى برقية عاجلة (١/١٧) إلى كل من بيريز دى كويار الأمين العام للأمم المتحدة، ورئيس مجلس الأمن الدولى جاء فيها: «إن الغارات الجوية على العراق يجب أن تتوقف وأن تقتصر العمليات العسكرية على أراضى الكويت وحدها، وأن الواجب والمسئولية الدولية يحتمان بذل الجهود لكى لا تتعدى العملية استرجاع الكويت، وهو ما نصت عليه بالتحديد قرارات مجلس الأمن، ويجب ألا تتعدى العمليات العسكرية

حدود الكويت، وأن تتوقف الغارات الجوية على العراق من أجل الحفاظ على السلام العالمى وتجنيب شعب العراق نتائج أعمال هو غير مسئول عنها، ومنعا لاتساع رقعة الحرب. وعلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن أن يتحملا مسئولياتهما لكى لا يستغل الموقف فى تحقيق أهداف خاصة».

- وفى ١/١٧ دعا الزعيم الليبى إلى إنهاء صراع الخليج على الفور، قائلا إنه قد يسمم العلاقات بين العرب والأمريكيين، وربما أدى إلى نشوب حرب عالمية ثالثة. وأضاف فى تصريح لشبكة تليفزيون (سى. إن. إن) الأمريكية أنه يخشى من انعكاسات العواقب الخطيرة للصراع على العرب والأمريكيين فى المستقبل، وأن الكويت يجب أن يحررها الشعب الكويتى وليس من حق القوات الأجنبية التدخل فى هذه المنطقة. وأضاف أنه يخشى من احتمال تدخل الاتحاد السوفيتى فى أى وقت، إذا عبرت قوات التحالف خطاً أحمر فى الخليج. وربما يؤدى القتال حتى إلى نشوب حرب عالمية ثالثة تستخدم فيها أسلحة نووية وكيماوية. ودعا دولا مثل تركيا إلى الكف عن دق طبول الحرب.

٢- التحرك الليبى بشأن حرب الخليج:

أ- تحرك داخلى:

- فى ١/١٩ قاد الزعيم الليبى مظاهرة ضخمة اشترك فيها مليون متدرب على السلاح، جابت شوارع طرابلس وقرى ومدن الجماهيرية الليبية، وطالب المتظاهرون بوقف القصف على بغداد وضرورة إيقاف الحرب فورا، والسماح للشعب الكويتى بتقرير مصيره، واستفتاء الشعوب فى تقرير مصيرها، ونادت المظاهرات بالسلام.
- أكد الزعيم الليبى خلال لقاء مع شباب الجامعات الليبية (٢/١) أن العراق كان يحضّر لاحتلال الكويت منذ عشر سنوات، وأن الرئيس العراقى استغل بلايين الدولارات التى حصل عليها من دول الخليج خلال حربه مع إيران من أجل تحقيق هدف احتلال الكويت. وقال إن إسرائيل الآن أقوى من العرب ولكن الوحدة العربية والقوة الاقتصادية والتكنولوجية كفيلة بجعل العرب قادرين على تحرير فلسطين، والجبان هو الذى يهرب حينئذ من الحرب.

– فى ١/٢٦ قال الأخ العقيد «لو تعرض العراق إلى هجوم من أمريكا وهو داخل حدوده بسبب أنه يقوم ببناء نفسه، لكنا وبدون نقاش قد اصطففنا إلى جانبه ظالما أو مظلوما. وأضاف خلال لقائه مع أمناء النقابات والاتحادات والروابط المهنية «أنه عندما تقف الآن مع العراق فإنك تقف ضد شعب الكويت وضد مصر وسوريا وضد المغرب والسعودية والبحرين وقطر والإمارات، الذين هم جميعا يقاتلون فى صف واحد مع الكويت».

– كذلك أكد الزعيم الليبى من جديد خلال اجتماعه بشرق ليبيا مع قادة ثلاثة أحزاب تونسية (٢/٧) – كما ذكرت مجلة الحقائق التونسية – أكد معارضة بلاده المبدئية لضم العراق للكويت بالقوة ، موضحا أنه يعارض الرئيس صدام فى شن هذه الحرب. واتهم القذافى بعض الدول العربية بأنها تحاول الاستفادة من حرب الخليج، مشيرا إلى أن الملك حسين ملك الأردن يريد السيطرة على الأماكن المقدسة. وقال إنه كان يسعى لتحقيق موقف مغاربى خلال قمة الاتحاد المغربى العربى التى كان مقررا عقدها فى أواخر يناير الماضى إلا أن القمة تأجلت إلى أجل غير مسمى.

ب– تحرك عربى:

– بعث الزعيم الليبى برسائل إلى الملوك العرب والرؤساء العرب، تتعلق بضرورة العمل المشترك والسريع لوقف الحرب فى الخليج. وقد اقترح فى رسالته – التى نقلها الرائد عبد السلام جلود خلال استقباله للسفراء العرب المعتمدين لدى ليبيا – على الملوك والرؤساء العرب أن يخاطبوا مجلس الأمن بشكل جماعى –أو من يوافق على هذه المبادرة– ليتبنى مجلس الأمن وقف الحرب فورا وإعطاء الفرصة للحل السياسى (١/٢٠).

– وفى ٢/١٣ بحث الأخ العقيد مع الرئيس مبارك بالقاهرة مضمون الأفكار العراقية الجديدة التى أبلغها المسئول العراقى سعدون حمادى إلى الأخ العقيد بطرابلس، وتضمنت هذه الأفكار عدة نقاط، أهمها: وقف القتال فورا ودون أية شروط مسبقة، ووقف الاعتداء الأمريكى الصهيونى على الأراضى العراقية، وانسحاب جميع القوات الأجنبية من المنطقة، وإحلال قوات عربية من دول

المغـرب العربى محل هـذه القوات لحين البت فى المسـائل المتعلقة بأزمـة الخليج، وطرح الحلـول من خلال إطار عـربى محض، على ألا يكون هنـاك حق لأى قوى دولية فى التدخل فى الحلول العربيـة المقترحة، وعلى أن يترك العراق للدول العربية الاتفاق على الأسلوب الملائم لتنفيذ هذا الحل، سواء من خلال قمة عربية موسعة أو قمة عربية مصغرة. وتضمنت الأفكار كذلك استعداد العراق للتقدم فى خطوات سلام إذا مـا وافقت القوى الدوليـة على حل جميع مشاكل المنطقة، وفى مقـدمتها قضية فلسطين.

جـ - تحرك إسلامى:

- اتصل الـزعيم الليبى هـاتفيـا بالـرئيس التركى فى (١/١٩)، وتنـاول الاتصـال ضرورة عدم السماح باستخدام الأراضى التركية فى الحرب الدائرة فى الخليج.
- وفى إطـار التحرك الليبى على المستـوى الإسـلامى - لمنع تـوسيع دائرة الحرب - دعـا الأخ العقيـد فى (١/٣٠) - أيضـا - الشعـب التركى إلى تنظيم مظـاهـرات احتجاجا على استخـدام طائرات حلف الأطلنطى لأراضى تركيا. وقـال فى حديث لصحيفة تـركية إنـه يطلب من الشعب التركى إخراج بـلاده من حلف الأطلنطى، وأن يوطد علاقاته مع العرب والاتحاد السوفيتى، وأن أمن تركيا مرتبط بجارها الاتحاد السوفيتى. وأضاف أن تركيا ارتكبت خطأ جسيما على جميع المستويات، سواء بالنسبة للسلام العالمى أو علاقاتها مع الأمة العربية أو مصالحها القومية، وذلك عنـدما فتحت أراضيهـا لطائرات حلف الأطلنطى. وأضـاف أن الحكومـة التركية تتحمل مسئولية تدمير مصالحها فى ليبيا، وأن أزمة الكويت قضية عربية وليس من حق تركيا التدخل فيها أو السماح بـاستخدام أراضيها كجبهة جديدة، وأن معـركة الخليج ليست معـركة من أجل تحريـر فلسطين، ففلسطين يجب أن يحررها الفلسطينيون وليس العراق (١/٣٠).
- وقد دعا أيضا وزير خارجية ليبيا تركيا إلى مراجعة موقفها من جديد من الحرب واتخاذ مـوقف الحياد على الأقـل، وقال إن الموقف التركى يـؤدى إلى تأجج نـار الحرب واتساع رقعتها (٢/٢).
- وفى ٢/٩ أجرى رئيس وزراء بـاكستان «نواز. شريف» محادثـات مع المسئولين

الليبيين فى طرابلس، حث فيهـا الليبيين على مسانـدة دعوته لعقـد اجتماع لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الإســلامى من أجل إنهاء الحرب، وتبادل الجانبان الآراء بشأن السبل السلمية لإنهاء الحرب.

د- تحرك دولى:

- فى حديث لمحطة التليفـزيون البريطانية المستقلة فى (٢٠/١) قـال الأخ العقيد «إنه ليس بوسعى أن أتـوقع أن يبقى العراق فى الكـويت زمنا طويـلا فى مواجهـة هذا التحالف، ولكنه سيلحق خسائر فادحة بهذا التحالف إذا خسر الكويت. وردا على سؤال عما سيفعله صدام، قال الزعيم الليبى: لا أستطيع التفكير فيما سيفعله على وجه التحديد، ولكنه سيفعل مـا يمكن أن يعمله أى شخص يتعرض للهجوم من قـوات أجنبية، وسيقـاتل لصد هـذا العدوان لأنـه يعتبر هذا عـدوانا على بـلاده، والشعب العراقى شعب شجاع وسيقاتل بشجاعة وشراسة. وردا على سؤال عما إذا كان سيدعم صـدام عسكريا قال: كلا.. كلا، أعتقد أن العـراق ليس بحاجة إلى مساعدة عسكريـة من أى جهة، فلديه قدرة عسكرية كـافية. وعما إذا كانت ليبيا ستدعم الإرهاب تأييـدا لصدام قال: لا..لا إننى ضد الإرهـاب بكل أنواعه، ولكن هناك فرقاً بين الإرهاب والنضال العادل من أجل الحرية والكرامة.
- وفى حديث مع شبكة آى.بى. سى الأمريكية فى ٢/١ قال الزعيم الليبى «إنه يعتقد أن الحرب فى الخليج ستمتد إلى حدود الاتحاد الســوفيتى وإيران، وأن هذا سيثير مشاعر الـدول الإسلامية، وأن ذلك سيؤدى إلى حـرب عالمية ثالثـة. وأعرب عن اعتقاده بأنه لايرى سببا لهذه الحرب.
- وفى رسالة بعث بها الزعيم الليبى فى ٢/٧ إلى سكـرتير عام الأمم المتحدة، أكد على «أن تدفق السلاح والمال على الإسرائيليين يشكل إخلالا بـالسلام العالمى وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط، وأن هذا يعد سياسة عـدوانية ضد جهود السلام التى تبـذل فى الوقت الـراهن، وأن التدفق المالى والعسكـرى على إسرائيل يأتى فى وقت تحتل فيـه فلسطين وأراض عـربيـة أخرى، وتستمـر فى انتهـاك مبـادىء الأمم المتحدة.

٣- رؤية القيادة الليبية لطبيعة حرب الخليج:

أ- الحرب من جانب القوات الحليفة

ترى القيادة الليبية أن مهمة قوات التحالف يجب أن تنحصر داخل أراضى الكويت وحدها لاسترجاع الكويت، ويجب ألا تتعدى العمليات العسكرية حدود الكويت، بغية تجنيب شعب العراق نتائج أعمال هو غير مسئول عنها، وهذا ما نصت عليه قرارات مجلس الأمن، ويجب ألا يستغل الموقف فى تحقيق أهداف خاصة. ويرى الزعيم الليبى أن على القوات المتحالفة عدم البقاء بالمنطقة أو الاستمرار فى القتال بعد تحرير الكويت. فردا على سؤال من محطة التليفزيون البريطانية المستقلة فى ٢٠/ ١ قال الزعيم الليبى «إن جميع العرب قد يساندون صدام حسين إذا بقيت القوات المتحالفة فى المنطقة أو واصلت القتال بعد تحرير الكويت.. وفى هذه الحالة ستدعم جميع الدول العربية العراق بكل الوسائل.

ب- الحرب من جانب العراق:

ترى القيادة الليبية أن العراق فى الحرب الدائرة - وبما يتعرض له من هجوم وغارات جوية - فى حالة دفاع عن النفس، ولكن القيادة الليبية ترى أن القيادة العراقية تسببت فى هذه الحرب عندما احتلت الكويت. وفى لقاء الزعيم الليبى مع شباب الجامعات الليبية فى ١ / ٢ أكد على أن العراق كان يحضر لاحتلال الكويت منذ عشر سنوات، وأن العراق وضع برنامجا ويريد أن يقحم العرب فيه دون استشارة أو مناقشة أحد، فى الوقت الذى لم يعد العرب فيه أنفسهم لهذه الحرب. وأعلن الأخ العقيد عن استغرابه لدعوة صدام له لدخول الحرب معه. وتساءل: كيف ندخل المعركة؟ هل الحرب لعبة؟

٤- ليبيا وتداعيات الحرب:

أ- فى حديث لمحطة التليفزيون البريطانى المستقلة ١٧ / ١ قال الأخ العقيد «إننى أعارض احتلال صدام حسين للكويت، ولكننى أعارض هذا التحالف الدولى وهذا العدوان على أناس أبرياء، ولقد سرت فى مقدمة مظاهرة شارك فيها مليون مواطن ليبى للاحتجاج على الحرب والعدوان والمطالبة بحق الشعب الكويتى فى

تقرير مصيره».

ب- وفى ٢٨ / ١ أكدت فرنسا لليبيا أن طائراتها تهاجم أهدافا عسكرية عراقية فحسب، وأن باريس ضد تدمير البنية الأساسية للعراق، وأن العمليات الفرنسية العسكرية داخل الأراضى العراقية كانت محصورة فى أهداف عسكرية ولم يتم ضرب أى أهداف اقتصادية أو مدنية.

٥- ليبيا والمبادرات السلمية لوضع حد لحرب الخليج:

أ - حول رد الفعل الليبى على المبادرة العراقية بالانسحاب المشروط من الكويت، رحب الأخ العقيد ١٥ / ١ بعرض العراق للإنسحاب من الكويت، إلا أنه حذر من أن العراق قد يبقى فى الكويت حتى يتأكد من أن القوات الأجنبية لن تأخذ مكان القوات العراقية. وقال الزعيم الليبى إننى أرحب بأية مبادرة سلام، وأشعر بالراحة، وبذلك يمكن للشعب الكويتى أن يقرر مصيره.

ب- وفيما يتعلق برد الفعل الليبى حول المبادرة السوفيتية الأخيرة، قال الأخ العقيد فى مقابلة مع شبكة التليفزيون الأمريكية سى . إن. إن (٢٣/ ١) - بعد ساعات من إنذار الرئيس بوش للعراق - ما يلى:

- أنه يجب علينا العودة ثانية لمجلس الأمن الدولى.

- إنه ينبغى للمجلس أن يقرر الوسيلة الأمثل لمعالجة المشكلة وهى هذه الحرب، وكيفية انسحاب القوات العراقية ومعالجة الموقف كله. وأنه يؤيد خطة السلام السوفيتية التى تنص على انسحاب عراقى بعد وقف إطلاق النار وخلال ٢١ يوماً، أى ثلاثة أمثال المدة التى حددها الإنذار الأمريكى. إن العراق قرر الانسحاب وهذا يكفى. وأنه حالما توقف الولايات المتحدة إطلاق النار سيبدأ الانسحاب.

- إن تفاصيل الانسحاب العراقى يجب أن يقررها مجلس الأمن وحده، لا بوش ولا صدام حسين ولا أحد اخر، وأن ندعو إلى تدخل مجلس الأمن المباشر فى عملية الانسحاب لتفادئ مزيد من الدمار والخسائر والإصابات.

- ذكرت وكالة الأنباء الليبية ٢٣/ ١ نقلا عن العقيد القذافى قوله «إن الموقف الراهن يعكس تنفيذ خطة انتقامية ضد العراق نرفضها تماما، وإن هذا الموقف قد يؤدى بنا

إلى إعلان الثورة من المحيط إلى الخليج، مؤكدا أن جميع القوى الثورية العربية وقوى القيادة الإسلامية الدولية وقوى التجمع الدولى ضد الامبريالية، لا تنتظر سوى إشارة لخوض الحرب.

- وأضافت الوكالة أنه يحذر الأنظمة العربية التى تواصل الاعتماد على أمريكا وتنتقم من العراقيين وقال إن هذه النظم ستجد نفسها معزولة يوما ما وستأسف لمواقفها، لأن الحليف الذى اعتمدت عليه لم يكن يليق بها.

- أعلن الرائد عبد السلام جلود لصحيفة السفير اللبنانية ٢/٢٣ ما يلى:

* إن الولايات المتحدة الأمريكية - والغرب بصفة عامة - لا يهتمان بالكويت أو بالعراق، بل كل ما يهمها هو مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية.

* إنه برغم انفراد العراق بإعلان الحرب وحده دون تشاور مع القوى القومية، فذلك لا يمكن أن يكون مبررا لتدمير العراق بواسطة آلة الدمار الغربية. إننا ندعو الاتحاد السوفيتى إلى إدراك أهمية مصالحه فى المنطقة قبل فوات الأوان. إن الجماهير العربية فى ليبيا ولبنان وفى فلسطين المحتلة -عبر الانتفاضة الشعبية- هزمت الولايات المتحدة وجعلت منها نمرا من ورق.

* وأضاف الرائد عبد السلام جلود إن النظام العالمى الجديد الذى يتحدثون عنه أكذوبة كبرى فى ظل انهيار القطبين العالميين الذى نرجو أن يكون انهيارا مؤقتا.

- دعت ليبيا رسميا فى ٢/٢٧ إلى وقف إطلاق النار فورا عقب تحرير الكويت.

ثانيا: مواقف أبرز القوى الغربية من الحرب: الولايات المتحدة وبريطانيا كنموذج:

١- الولايات المتحدة الأمريكية وأزمة الخليج:

أولاً: رؤية الولايات المتحدة لأزمة الخليج:

١- حددت الإدارة الأمريكية رؤيتها لاجتياح القوات العراقية للكويت فى الثانى من أغسطس بأنه عمل عسكرى، وعمل عدوانى سافر وفاضح، وغير شرعى، ويناقض المبادىء الأساسية التى يتضمنها ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى (البيانات

الرسمية الأمريكية). ووصفه الرئيس بوش بأنه «عمل ينتمى إلى عصر الحرب الباردة، وأنه يتجه إلى الخلف إلى زمن آخر، وأنه أثر مظلم من عصر مظلم. وقال عنه أيضا «لقد نهب الكويت وأرهب مدنيين أبرياء، واحتجز حتى الدبلوماسيين رهائن». ووصفه وزير الخارجية بيكر بقوله: «لقد اجتاح صدام حسين جارا عربيا مسلما وعذبه من أجل تعظيم نفسه» (بيكر ١٧/ ١٠).

ويرى الرئيس بوش أن هذا السلوك العدوانى الخارجى استمرار للسلوك الداخلى: «إن هذا التجاهل الفاضح لحقوق الإنسان الأساسية يجب ألا يكون مفاجأة كاملة، فآلاف العراقيين قتلوا لأسباب سياسية ودينية، وأكثر منهم قتلوا عبر مجازر حرب الغاز التى شنت ضد سكان القرى الكردية» (١/ ١٠). باختصار ترى الإدارة الأمريكية التصرف العراقى تصرفا لديكتاتور مستأسد يستولى على دولة مجاورة (١٦/١٠).

٢- وتحدد الإدارة الأمريكية طرفى المواجهة فى الخليج بأنهما العدوان العراقى من ناحية والمجتمع الدولى من ناحية أخرى. «إن الولايات المتحدة تشارك جهدا جماعيا يشغل غالبية الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة، من أجل تنفيذ قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالسعى إلى الانسحاب الفورى وغير المشروط للقوات العراقية من الكويت، وعودة حكومتها الشرعية، وتأمين الاستقرار فى منطقة الخليج، وحماية الرعايا الأمريكيين. إن ما هو على المحك - كما يقول الرئيس بوش - هو ثقة أصدقاء الولايات المتحدة وحلفائها بالتزاماتها، وما سيكون عليه العالم بعد انتهاء الحرب الباردة ومعارضة العدوان، ومنع سيطرة العراق على مصادر الطاقة الحيوية جدا للعالم» (٣٠/ ٨).

وقال بوش فى خطابه أمام الجمعية العامة: «يجب أن ينصت قادة العراق لأن العراق هو الذى يقف ضد العالم» وقال كذلك: «إن نزاع العالم هو نزاع مع الديكتاتور الذى أمر بالغزو» (١/ ١٠).

ثانيا: أهداف الولايات المتحدة فى الخليج:

١- حدد المسئولون فى الإدارة الأمريكية أهداف بلادهم فى الخليج بصورة متكررة على

لسان الرئيس بوش منذ تفجر الأزمة فى الثانى من أغسطس، فقد قدم الرئيس بوش المبادىء التى تسترشد بها السياسة الأمريكية فى مواجهة الأزمة فى ٨/٨، وحدد فى ٨/١٩ أهداف الولايات المتحدة فى المرحلة الراهنة، وأعاد تأكيد هذه الأهداف فى رسالته إلى القوات الأمريكية فى الخليج فى ٨/٢٩. وكرر الرئيس الأمريكى فى كلماته ومؤتمراته الصحفية وأحاديثه الانتخابية أهداف بلاده فى هذه الأزمة.

٢- أما الأسباب التى دعت الرئيس بوش إلى إرسال القوات الأمريكية إلى الخليج، فهى كما قدمها فى رسالته الرسمية إلى كل من رئيس مجلس النواب وزعيم الأغلبية فى مجلس الشيوخ فى ٨/٩:

أ- اجتياح العراق للكويت.

ب- تواجد القوات العراقية فى الكويت باعتباره «يشكل تهديدا مباشرا للدول المجاورة وللمصالح الحيوية الأمريكية» فى منطقة الخليج.

٣ - وأوضح الرئيس بوش أهداف الولايات المتحدة فى ٨/١٩ كالآتى:

- خروج القوات العراقية من الكويت.

- عودة الحكومة الشرعية إلى الكويت.

- ضمان سلامة السعودية وأمن منطقة الخليج ككل.

- الحفاظ على أرواح الرعايا الأمريكيين فى الخارج وضمان سلامتهم.

٤- ويبين وزير الدفاع الأمريكى - فى مؤتمر صحفى فى ٩/١٤ - أهداف عملية نشر قوات أمريكية فى الخليج، لردع أى عدوان عراقى جديد وللدفاع عن السعودية ودول المنطقة الأخرى.

- العمل على تنفيذ العقوبات الدولية التى فرضها مجلس الأمن على العراق منذ احتلاله للأراضى الكويتية.

٥- وفى لقائه بمجموعة من الأمريكيين من أصل عربى فى ٩/١٥، تحدث الرئيس بوش عن أهداف الولايات المتحدة قائلا.

«إن عملنا فى الخليج هو لإظهار تصميمنا على الوقوف مع الدول الأخرى ضد العدوان، وللمحافظة على سيادة الدول. إنه يتعلق بالمحافظة على تعهداتنا ووقوفنا إلى جانب أصدقائنا». وأضاف أن سياسيته تتعلق أيضا «بمصالحنا القومية والأمنية الحيوية، وضمان السلام والاستقرار فى العالم».

وأضاف الرئيس بوش إلى ذلك هدفا آخر هو:

«قيام نظام دولى تعيش فيه دول العالم شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا معا، وتزدهر».

وقد تحدث الرئيس بوش – فى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى أول أكتوبر – باستفاضة عن هذا النظام الدولى الجديد، وكرر أهداف التواجد الأمريكى فى الخليج.

ثالثا: الولايات المتحدة وحرب الخليج:

الولايات المتحدة واللجوء إلى الحرب:

١– أسباب اللجوء إلى الحرب:

أ – وجه الرئيس بوش بيانا إلى الشعب الأمريكى (٦/ ١/ ٩١) ذكر فيه أسباب اللجوء إلى استعمال القوات المسلحة ضد العراق وهى:

* أن العقوبات الاقتصادية التى فرضتها الأمم المتحدة لم تكن كافية وحدها لإخراج صدام حسين من الكويت.

* اطرار (القوات الحليفة) إلى استخدام القوة لتعنت الرئيس صدام حسين.

* لم يكن هناك من سبيل آخر بعد أن فشلت كل المحاولات الأخرى.

ب– أرسل الرئيس بوش تقريرا إلى الكونجرس الأمريكى (١٦/ ١)، أخبر فيه المشرعين الأمريكيين بالظروف التى تبرر قراره باستعمال القوة ضد العراق، وهى:

* أن الولايات المتحدة قد استخدمت كل الوسائل الدبلوماسية وغيرها من الوسائل السلمية لتحقيق امتثال العراق لقرارات مجلس الأمن ٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٢ و٦٦٤ و٦٦٥ و٦٦٦ و٦٦٧ و٦٦٩ و٦٧٠ و٦٧٤ و٦٧٧ و٦٧٨.

* إن هذه الجهود لم تحقق هذا الامتثال ولن تحققه.

* أوضح التقرير أن العقوبات الاقتصادية قد أوقفت ٩٧٪ من صادرات العراق وأكثر من ٩٠٪ من وارداتها، ومنعت العراق من جنى ثمار ارتفاع أسعار النفط وسيطرتها على حقول النفط الكويتية، غير أن هذه العقوبات - حتى لو استمرت ستة شهور أو اثنى عشر شهرا إخرى - لن تجبر صدام على الانسحاب من الكويت، أو تتسبب فى استياء شعبى يهدد نظام الحكم فى العراق.

* أشار التقرير إلى أن التأخير فى استخدام القوة يعنى أن العراق سيظل بقواته البرية والجوية الكبيرة القوية، مما يجعل أى عمل عسكرى ضده أكثر كلفة من الناحية المالية والإصابات، ويؤدى إمهال العراق إلى زيادة وتقوية تحصيناته فى الكويت وعلى حدوده مع السعودية، وتطوير ما لديه من أسلحة الدمار الشامل. وقد يؤدى كذلك إلى خفض استعداد القوات الحليفة.

جـ- أوضح الرئيس الأمريكى فى خطابه عن حال الاتحاد (٣٠/١/٩١) مبررات استخدام القوة، فقال:

* لقد عملنا جاهدين لتفادى الحرب، ولأكثر من خمسة أشهر جربنا - بالاشتراك مع الجامعة العربية والمجموعة الأوروبية والأمم المتحدة - كل سبيل دبلوماسى، وقد عمل من أجل التوصل إلى حل للأزمة كل من الأمين العام للأمم المتحدة بيريز دى كويار والرؤساء جورباتشوف وميتران وأوزال ومبارك وبن جديد والملكين فهد والحسن ورئيسا الوزراء ميجور وأندريوتى من بين آخرين، وفى كل مرة كان صدام حسين يرفض صراحة

طريق الدبلوماسية والسلام.

* «يعرف العالم جيدا كيف بدأ هذا الصراع ومتى؟ بدأ فى الثانى من أغسطس عندما غزا صدام ونهب جاراً صغيرا لا يملك مقومات الدفاع عن نفسه، وأنا متأكد من الكيفية التى سينتهى إليها هذا الصراع، إننا سنسود حتى نمكن السلام من أن يسود».

٢- الإعلان عن بدء العمليات العسكرية:

أ- أعلن الرئيس بوش للشعب الأمريكى فى بيانه إليه (١/١٦): «لقد أصدرت أوامرى إلى جميع القادة بعملياتهم العسكرية»، مضيفا أن «عملية عاصفة الصحراء قد بدأت بهجوم جوى».

ب- أوضح ريتشارد تشينى وزير الدفاع الأمريكى فى مؤتمره الصحفى الذى عقده عقب توجيه الرئيس بوش بيانه إلى الشعب الأمريكى (١/١٦) كيف بدأت العمليات:

«بدأت القوات المسلحة للولايات المتحدة فى الساعة السابعة الليلة بالتوقيت الشرقى الثالثة فجر الخميس فى الخليج- العملية بتوجيه الرئيس لإجبار صدام حسين على سحب قواته من الكويت وإنهاء احتلاله لها».

«ووفقا لأمر الرئيس وقعت الأمر التنفيذى بعد ظهر أمس لتنفيذ هذه العملية». وأكد وزير الدفاع أن هذه العملية لم تكن لتقع لو تحققت أى جهود دبلوماسية أساسية حتى اللحظة الأخيرة.

جـ- استمرت الضربة الجوية الأولى ثلاث ساعات، واشتركت فيها ١٣٠٠ طائرة، منها ١٠٠ طائرة سعودية و١٠٠ طائرة بريطانية، نفذت ٤٠٠ غارة ضد ٦٠ موقعا، مستخدمة ١٨ ألف طن من القنابل والصواريخ، وكانت الدول التى اشتركت فى هذه الضربة الأولى هى: الولايات المتحدة، بريطانيا، والسعودية،

والكويت.

د- حرص الرئيس بوش (بيانه فى ١٦/١) على التأكيد على أنه «لن تكون هناك فيتنام أخرى، وأن القوات الأمريكية ستحصل على أكبر دعم من العالم كله، وأنها لن تكون مقيدة (وهو ما يعنى أنه لن يكون هناك تدخل من غير العسكريين فى سير العمليات العسكرية ذاتها كما كان يحدث فى حرب فيتنام). وتنبأ الرئيس الأمريكى بأن «المعركة لن تكون طويلة وأن الإصابات ستكون قليلة». وقد أعاد نائب الرئيس (فى مقابلة مع الشبكة التليفزيونية سى. إن. إن ٣/٢) تأكيده بأن هذه الحرب لن تصبح فيتنام أخرى «ذلك أن حرب فيتنام استغرقت خمسة عشر عاما، أما هذه الحرب فلن تستغرق سوى أسابيع».

٣- أهداف الولايات المتحدة فى الحرب:

أ- حدد الرئيس بوش (١٦/١) أهداف العمليات العسكرية كما يلى:

- «إن هدفنا واضح: سنخرج صدام حسين من الكويت وستعود حكومة الكويت الشرعية إلى مكانها الصحيح، وستعود الكويت حرة مرة أخرى».
- «ستؤدى (هذه العمليات العسكرية) إلى أن أيّة دولة لن تفكر ولن تستطيع فى المستقبل أن تقف أمام عالم متضامن ومتحد، كما أن أية دولة لن تهدد بعد الآن جارة لها أضعف منها».

ب- ذكر الرئيس بوش فى تقريره إلى الكونجرس (فى ١٦/١) أهداف الولايات المتحدة منذ بداية أزمة الخليج كما يلى:

(١) الانسحاب العراقى الفورى الكامل غير المشروط من الكويت.

(٢) استعادة الحكومة الشرعية للكويت.

(٣) حماية المواطنين الأمريكيين فى الخارج.

(٤) أمن واستقرار المنطقة التى تعتبر حيوية للأمن القومى الأمريكى.

جـ- كرر الرئيس الأمريكى، فى خطابه عن حال الاتحاد (٣٠/١) أهداف الولايات المتحدة فى حرب الخليج بقوله: «إن هدفنا فى الخليج الفارسى يظل ثابتا: إخراج العراق من الكويت، وإعادة حكومة الكويت الشرعية، وضمان الاستقرار والأمن فى هذه المنطقة الهامة».

وفسر الرئيس «الاستقرار والأمن» بقوله:

«دعونى أوضح ما أعنيه باستقرار وأمن المنطقة: نحن لا نسعى إلى تدمير العراق أو حضارته أو شعبه. إن ما نسعى إليه هو عراق يستخدم موارده العظيمة ليس للتدمير أو لخدمة طموحات طاغية، وإنما لبناء حياة أفضل له ولجيرانه. نحن نسعى من أجل خليج فارسى لا يكون فيه الصراع هو القاعدة، حيث لا يجهر فيه القوى بإغراء وإرهاب الضعيف، أو أن يكون قادرا على ذلك.

لابد أن نتأكد من أن السيطرة على موارد العالم النفطية لن تقع فى يدى (صدام حسين) لكى يقوم بتمويل عدوان آخر».

د- عبر وزير الدفاع الأمريكى، من ناحيته العسكرية، عن أهداف بلاده فى حرب الخليج (٢ فبراير ٩١) كما يلى:

(١) إخراج صدام حسين من الكويت، وهو ما يتطلب ملاحقة قواته البرية وخاصة قوات الحرس الجمهورى.

(٢) إزالة قدرات العراق العسكرية الهجومية وأسلحة الدمار الشامل التى يمتلكها والصواريخ متوسطة أو طويلة المدى، عن طريق توجيه الضربات للأهداف الاستراتيجية فى العراق.

وأضاف «تشينى» أن هذين الهدفين أصبحا ضرورة لاستعادة الاستقرار والأمن فى المنطقة.

هـ- أعاد الرئيس بوش فى كلمة له أمام رجال الأعمال الأمريكيين - بعد ٣ أسابيع من بدء العمليات العسكرية - الإشارة إلى أن القوات المتحالفة ماضية فى طريقها «من أجل تدمير قدرة العراق على شن الحرب» (٦/٢).

و- أعلن النائب الديمقراطى «لى هاملتون» - رئيس اللجنة الفرعية لأوروبا والشرق الأوسط فى مجلس النواب الأمريكى - فى كلمته أمام نادى الصحافة القومى الأمريكى فى ٢٤/١/٩١ أن تصريحات الرئيس بوش والأعمال العسكرية الجارية تشير إلى أن الأهداف الأمريكية قد توسعت، لتشمل - إضافة إلى تحقيق

الانسحاب العراقى الكامل وغير المشروط من الكويت - استسلام العراق وتدمير جيشه.

ومن جهة أخرى، أعرب «ليس أسبن» رئيس لجنة القوات المسلحة فى مجلس النواب - فى مقابلة له مع شبكة إن. بى. سى التليفزيونية - عن خشيته من توسيع أهداف الحرب، وقال إنه يجب التقيد بالأهداف الأصلية، وهى إخراج القوات العراقية واستعادة الحكومة الكويتية الشرعية (٢/٣).

ز- صرح وزير الدفاع الأمريكى - فى حديث مع شبكة سى. إن. إن نشر فى ٣/٢ - بأن هدف الولايات المتحدة هو إخراج القوات العراقية، وليس لدينا أى خطط بشأن بغداد، كما أنه ليست لدينا أية رغبة فى تدمير دولة العراق. ويتفق هذا التصريح مع ما طالب به برزنسكى - مستشار الأمن القومى الأمريكى فى عهد الرئيس كارتر - فى صحيفة النيويورك تايمز، «من الاقتصار على الأهداف التى حددتها الأمم المتحدة والمتمثلة فى إعادة الشرعية إلى الكويت» (٢/٣).

٤- عملية عاصفة الصحراء:

أ- يصل عدد القوات الأمريكية فى عملية عاصفة الصحراء إلى ٥١١ ألف جندى من القوات الأمريكية، بينما يصل عدد القوات الحليفة إلى ٢٠٥ آلاف جندى، وقد أعلنت القيادة العسكرية الأمريكية فى السعودية فى ٣١ يناير ١٩٩١ أن هذه القوات تتوزع على النحو التالى:

٢٨٠ ألف جندى من سلاح البر

٨٠ ألف جندى من البحرية.

٥٠ ألف جندى من سلاح الجو.

٩٠ ألف جندى من مشاة البحرية (المارينز).

حوالى ألفين من خفر السواحل.

ب- توقع كبير موظفى البيت الأبيض جون سنونو (٩١/١/١٧) - فى حديث له مع شبكة ايه. بى. سى التليفزيونية الأمريكية - أن تتكلف الحرب ما بين ٤٠ و٥٠

بليون دولار فى السنة المالية الجارية، وأن يتحمل حلفاء الولايات المتحدة معظم النفقات، مما يجعل تكاليف الولايات المتحدة ١٥ بليون دولار فى فترة الاثنى عشر شهرا المقبلة والتى تنتهى فى ٣٠ سبتمبر المقبل. ويصل مقدار ما التزمت بدفعه ألمانيا واليابان وكوريا والكويت والسعودية والإمارات إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩٩٠ إلى ٩٧٠٧ بلايين دولار و٤١٧٨٠ بليون دولار فى عام ١٩٩١، مشاركة منها فى تحمل نفقات عملية «عاصفة الصحراء»، ومن قبلها «درع الصحراء» وفقا للجدول التالى*:

جدول (١) الاسهامات المالية الرئيسية المقدمة للولايات المتحدة لعملية تحرير الكويت- الالتزامات الأجنبية للولايات المتحدة فى عام ٩٠ (بملاين الدولارات الأمريكية).

(٢) المرحلة الثانية تتمثل فى تدمير خطوط المواصلات: من سكك حديدية وطرق ومستودعات ذخيرة ووقود، ومواقع الإمداد والتموين الأخرى. وتستهدف المرحلة الثانية عزل القوات العراقية التى تحتل الكويت وقطع خطوط الإمداد والتموين عنها

(٣) المرحلة الثالثة تتمثل فى توجيه الضربات الجوية إلى القوات البرية العراقية وبخاصة ثوات الحرس الجمهورى فى الكويت وجنوب العراق، وهدف هذه المرحلة هو إضعاف المقاومة التى يمكن إن تواجه الهجوم البرى التالى.

(٤) المرحلة الرابعة هى مرحلة الهجوم البرى على الكويت بهدف تحريرها من القوات العراقية.

جـ- سارت العمليات العسكرية الميدانية على وتيرة قريبة مما ذكرته الواشنطن بوست فى ١٧/١/١٩٩١:

(١) قامت قوات التحالف بهجوم جوى فى السابع عشر من يناير بقصد تدمير المواقع العراقية الاستراتيجية، وبهدف تدمير القدرات الهجومية العراقية ومنشآت التحكم والسيطرة والاتصالات والمنشآت النووية والصناعية.

* انظر الملاحق المرفقة بالكتاب

(٢) أعقب ذلك التركيز على الطرق وخطوط المواصلات الحديدية والبرية والجسور، ومواقع خزانات الوقود، ومباني الوزارات الهامة، وقوات الحرس الجمهوري في العراق والكويت، والبحث عن مواقع منصات إطلاق صواريخ سكود الثابتة والمتحركة غرب وجنوب العراق. وقد ساعد القوات الجوية الحليفة على أداء مهامها تمتعها بالسيطرة الكاملة على الأجواء العراقية، وتمتعها بالتفوق التكنولوجي وبالقدرة النيرانية الهائلة، وبما يتوافر من طائرات بأعداد هائلة جعلها تقوم بأكبر هجوم جوي في تاريخ الحروب حتى الآن، وهو ما أدى إلى فقدان القوات العراقية للغطاء الجوي والقدرات البحرية وخطوط الاتصال.

د- يأتي عقب الاستعمال المكثف للقوة الجوية والصواريخ، الاستعداد لخوض معركة برية بهدف تحرير الكويت. وقد توجه كل من وزير الدفاع الأمريكي ورئيس الأركان إلى المملكة العربية السعودية بغرض التعرف على سير العمليات وإمكانية شن الحرب البرية. وقد صرح الرئيس بوش عقب اجتماعه في ١١ فبراير بكل من وزير الدفاع ورئيس الأركان - بعد عودتهما من السعودية - بأنه سيتخذ قراره بشأن الموعد المحدد للحرب البرية في الوقت الملائم.

هـ- بدأت القوات الحليفة منذ أواخر النصف الأول من فبراير في الاقتراب البري من الحدود العراقية والكويتية، وبدأت في ضرب حقول الألغام في الكويت قرب الحدود الكويتية - السعودية، والقيام بهجمات كوماندوز ومدفعية داخل الحدود الكويتية، إلى جانب العمليات الجوية والبحرية، وهو ما جرى النظر إليه كمؤشر على قرب المعركة البرية لتحرير الكويت.

و- بدأت العمليات العسكرية البرية في ٢/٢٤ بهدف تحرير الكويت بالقضاء على أي وجود عراقي عسكري بها، وإزالة أي مصدر تهديد للقوات المتحالفة في الكويت يأتي من القوات العراقية داخل العراق. وقد أعلن العراق انسحابه رسميا من الكويت الساعة الأولى من يوم ٢/٢٦، الأمر الذي رفضه التحالف، ذلك أن

الـرئيس الأمريكي اعتبر خطـاب صدام حسين فى ٢٦ / ٢ «ادعـاء النصر من قلب الهزيمة»، وأدرك ما يستهدفه على النحو التالى: «انه لا يتخلى عن الكويت طواعية، بل هـو يسعى إلى إنقـاذ مـا تبقى لـه من قـوة وسطـوة فى الشرق الأوسط بكل الوسائل الممكنة، وهنا - أيضا - سيفشل» (خطاب بوش فى ٢٦ / ٢).

وزير الدفاع الأمريكي ودروس حرب الخليج:

قال وزير الدفاع فى شهادة له أمام لجنة فرعية خاصة بالدفاع فى ١٩ فبراير:

أ- إن السبب فى نجاحنا حتى الآن «هو أن الولايات المتحدة قد جندت ودربت أفضل قوة حشدنـاها من قبل، وأن النتـائج التى رأيناهـا هى الدليل على ذلك. فـالمعدات تعمل بصورة طيبة لأن لدينا أفرادا يعرفون كيف يصونونها ويستعملونها».

ب- إن أحد الدروس التى تمت البرهنة عليها بصـورة وافية في عمليات الخليج هو قيمة تكنولوجيـا طائرة ستليث (الشبح).. فهذه الطائرة هى العمود الفقـرى لجهودنا فى الخليج.

جـ- لقد أظهـرت الحرب أيضا الحاجة إلى مبادرة الدفـاع الاستراتيجى، «فالقدرة على الدفاع عند الحاجـة إلى الدفاع ضد الصواريخ البـاليستية، تعتبر ضرورية بصورة مطلقة، وليس من الولايات المتحدة فقـط. وكل ما عليكم أن تفعلوه هو أن تنظروا إلى معارك صـواريخ سكود على تل أبيب والـرياض فى الأسابيع القليلـة الماضية، حتى تعـرفوا إلى أى مـدى تعتبر قدرة الصـواريخ البـاليستية تهديـدا لقوات ولمصـالح الـولايات المتحـدة». من هنا طـالب تشينى بالاستمـرار فى إنتاج طـائرات ستليث، والتقدم فى مبـادرة الدفاع الاستراتيجى، مستنـدا إلى نتائج حرب الخليج، وهـو ما يعنى أن حرب الخليج ستؤدى إلى زيادة الميزانية العسكـرية الأمريكية للإنفاق على برامج الأبحـاث العلمية والتطوير، التـى تقوم بها وزارة الدفاع، لما أثبتتـه من قيمة هائلة للتكنولوجيا العسكرية المتقدمة.

الولايات المتحدة وتداعيات العمليات العسكرية:

(١) الموقف الأمريكى من ضرب إسرائيل بالصواريخ:

أ - وصف الرئيس الأمريكى إطلاق صواريخ عراقية ضد إسرائيل بأنه هجوم إرهابى ضد السكان وليس ضد أهداف عسكرية (١٧/١/٩١). وأوفد الرئيس بوش مساعد وزير الخارجية الأمريكى -لورانس ايجلبرجر- إلى إسرائيل للتفاهم حول كيفية الرد على الهجوم العراقى، كما اتصل الرئيس بوش برئيس وزراء إسرائيل لحثه على ضبط النفس.

ب- زودت الولايات المتحدة إسرائيل ببطاريات من نظام الدفاع الصاروخى «باتريوت» المضاد للصواريخ (٢٠/١/٩١) لتعزيز دفاعاتها ضد الصواريخ العراقية. كما أعلن وزير الخارجية الأمريكى أن بلاده ستنظر فى أى طلب من إسرائيل لحصول على معونة مالية إضافية.

جـ- ضاعفت القوات الأمريكية جهودها من أجل إزالة خطر الصواريخ العراقية بضرب منصاتها الثابتة والمتحركة.

د- أدان مجلس النواب الأمريكى فى ٢٣ يناير - بالإجماع - الهجمات العراقية على اسرائيل، وأشاد بإسرائيل لما أبدته من ضبط النفس، وتضمن قرار المجلس اعترافه بحق إسرائيل فى الدفاع عن نفسها، وتأكيده على التزام الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بالوسائل الكفيلة بالحفاظ على أمنها.

هـ- ينفى المسئولون بوزارة الدفاع الأمريكية ما أذيع من أن الولايات المتحدة قد وافقت على تزويد إسرائيل بالشفرة الألكترونية للطائرات الحليفة، لتمكين طائراتها من مهاجمة منصات إطلاق الصواريخ العراقية.

(٢) رد الفعل الأمريكى على معاملة العراق لأسرى الحرب:

أ- قامت وزارة الخارجية الأمريكية بإبلاغ القائم بالأعمال العراقى بأن الولايات المتحدة ستلتزم بنصوص اتفاقية جنيف فيما يتعلق بمعاملة أسرى الحرب، وأنها تنتظر من العراق أن يحذو حذوها فى حالة ما إذا وقع فى قبضته أسرى من

القوات المتحالفة (١٩/١).

ب- أعرب الرئيس الأمريكى (٢١/١/٩١) عن غضب أمريكا من المعاملة الوحشية التى يلقاها أسرى الحرب التابعون للقوات الحليفة، رغم أن هذه المعاملة لن تقلل من المجهود العسكرى لهذه القوات ضد العراق. ووصف وزير الدفاع الأمريكى (٢١/١) استخدام أسرى الحرب كدروع بشرية لرد الهجمات بأنه «جريمة حرب» وأنه يعتبر مخالفة صريحة لمعاهدة جنيف الخاصة بمعاملة أسرى الحرب».

جـ- تقدم مندوب الولايات المتحدة الدائم لدى الأمم المتحدة برسالة إلى مجلس الأمن فى ٢٢ يناير، أوضح فيها أن اعتزام حكومة العراق وضع أسرى الحرب التابعين للولايات المتحدة وأطراف التحالف الأخرى فى المواقع الاستراتيجية – التى قد تكون عرضة للهجوم – يعد انتهاكا لاتفاقيات جنيف، وستعتبر الولايات المتحدة أيضا حكومة العراق والضباط العراقيين – كأفراد – مسئولين عنه.

د – أصدر الكونجرس الأمريكى فى ٢٣ يناير قرارا بإدانة الحكومة العراقية لإساءة معاملة أسرى الحرب الأمريكيين وغيرهم من القوات الحليفة، ولاعتزامها نشر الأسرى في المواقع العسكرية، ولعدم سماحها لممثلي اللجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارة هؤلاء الأسرى، وهو ما يعتبر انتهاكا لاتفاقية جنيف الثالثة.

٣- رد الفعل الأمريكى على صب البترول الخام فى مياه الخليج:

أ- اتهمت الولايات المتحدة العراق في يناير ٩١ بنشر بقعة زيت كبيرة في مياه الخليج، واعتبرت ذلك كارثة بيئية تهدف – كما قال المتحدث باسم البيت الأبيض – إلى عرقلة الأنشطة البحرية التى تقوم بها القوات المتعددة الجنسية.

ب- أشار الرئيس بوش فى مؤتمر صحفى فى ٢٥ يناير إلى أن إهدار هذه الكميات من النفط فى مياه الخليج لن يكون له أى عائد من الناحية الحربية. وأكد وزير الدفاع الأمريكى – بدوره – على أن تسرب الكميات الهائلة من النفط الخام فى مياه الخليج قد جاء نتيجة عمل متعمد من العراق.

جـ- قامت القوات الأمريكية بضرب منصات ضخ البترول بالقرب من شواطىء

الكويت، فى محاولة لوقف تدفق البترول إلى مياه الخليج (فى ٢٦/١/٩١).

د- أمر الرئيس بوش فى ٢٦ يناير ٩١ فريقا من خبراء الحكومة الأمريكية فى شئون التلوث البترولى والبيئة بالتوجه إلى السعودية لتقديم الخبرة اللازمة، لمساعدة السعوديين فى التقليل من الضرر البيئى الناجم عن بقعة البترول.

رابعا: الولايات المتحدة ومستقبل المنطقة بعد الحرب:

١- الولايات المتحدة وإعادة إعمار الكويت بعد التحرير:

- تكون فى واشنطن فريق عمل لإعادة بناء الكويت - فى أكتوبر ١٩٩١ - لوضع خطة لاستبدال ما دمره العراقيون فى الشهور الستة التى احتلوا فيها الكويت وإعادة تشييدها. وتضم هذه المجموعة حوالي ٥٠ كويتيا يمثلون مجالات الاتصالات والنفط والكهرباء والمياه والنقل والتعليم والصحة والغذاء والمطارات والموانىء والمرافق العامة والإعلام والقطاع القضائى. يعمل على رأس هذه المجموعة المهندس المعمارى إبراهيم شاهين الذى كان يعمل مديرا سابقا للإسكان.

- ويعتمد فريق العمل الكويتى على معاونة سلاح المهندسين الأمريكى ومسئولى الشئون المدنية، ووزارتى التجارة والخارجية، وهيئة إدارة الطوارىء الفيدرالية، وبعض رجال الأعمال الأمريكيين.

- وقد وضع فريق العمل خطتين للإعمار، أولهما خطة طوارىء قصيرة المدى، والثانية هى خطة إعمار طويلة المدى. أما الخطة الأولى فتمتد تسعين يوما ابتداء من يوم العودة إلى الكويت، ويتوقع أن تستمر الخطة الثانية لمدة من عامين إلى ٥ أعوام.

- ذكر رئيس فريق العمل الكويتى فى ١٠/٢/٩١ أن شركات عالمية منحت ١٧١ عقدا تبلغ قيمتها ما بين ٧٠٠ - ٨٠٠ مليون دولار لتنفيذ المهمات المحددة فى الخطة الأولى، وأن الشركات الأمريكية قد حصلت على نحو ٧٠ فى المائة من تلك العقود. ويتوقع فريق العمل أن يبلغ عدد سكان الكويت بعد الاحتلال ١,٣

مليون بعد أن كان ٢,٢ مليون قبل الغزو، حيث كان العمال الأجانب يشكلون غالبية سكان الكويت. ويقول رئيس فريق العمل الكويتى إنه من المتوقع أن الشركات التى وقعت عقودا لإعادة البناء ستجلب عمالها معها.

٢- الولايات المتحدة ومستقبل المنطقة بعد الحرب:

أ- شكل البيت الأبيض لجنة أمريكية برئاسة «روبرت جيتس» - نائب مستشار الرئيس للأمن القومى - للبحث فى الخيارات الأمريكية والدولية لفترة ما بعد انتهاء حرب الخليج. وتضم اللجنة ممثلين عن الوزارات والوكالات التى تعمل فى مجال السياسة الخارجية والمالية والطاقة. وقد وصف رئيس اللجنة عملها بقوله: «إن ما نبحثه الان هو بعض ما لدينا من أفكار حول البنية الأمنية للمنطقة، من أجل وضع ترتيبات أمنية وسياسية واقتصادية تؤدى إلى قيام وضع يعم فيه السلام، وخفض شامل للتوتر»، وأضاف «لدينا بعض الأفكار - ولاتزال فى مرحلة تكوينها - لكننا سنجري مشاورات مع شركائنا فى التحالف بشأنها، وسنعمل معهم على تطويرها خلال الحرب وبعدها».

ب- ألقى النائب الديمقراطى «لى هاملتون» - رئيس اللجنة الفرعية لأوروبا والشرق الأوسط فى مجلس النواب - أمام نادى الصحافة القومى (١٤/١/٩١) كلمة تعرض فيها لمستقبل المنطقة بعد الحرب.

١- توقع «هاملتون» أن تواجه الولايات المتحدة كثيرا من المشاكل فى العالم العربى بعد انتهاء الحرب الحالية، فليس مستبعدا أن يتعمق الانقسام داخل العالم العربى، وأن يستمر العراق ومؤيدوه فى إحداث مشاكل للولايات المتحدة وأصدقائها فى العالم العربي. وألمح إلى إمكانية نمو التطرف الدينى.

٢- رأى «هاملتون» أن الولايات المتحدة لا تريد أن تلعب دور الشرطي فى المنطقة، بل يجب أن تلعب دور الداعم والمساعد لدولها فى الدفاع عن نفسها.

٣- إن الوجود البحرى الأمريكى الصغير في المنطقة - والذى كان قائما لمدة ٤٠ عاما - لن يكون كافيا لحفظ الاستقرار، وأن المطلوب توسيعه وزيادة عدد التسهيلات العسكرية فى المنطقة، وتقوية دفاعات دول الخليج، واستعمال

قوات عربية وإسلامية ودولية لحفظ السلام فى المنطقة.

٤- عندما يتوقف القتال علينا أن نعمل على تنظيم مؤتمر دولى عن أسلحة الدمار الشامل فى الشرق الأوسط، وعلى كل الأطراف المشاركة فيه - بما فى ذلك إيران وإسرائيل - أن تطرح مصير كل أنواع الأسلحة أمام المؤتمر، وأن يكون هدفه إلغاء كل هذه الأسلحة.

٥- إن الدول المصدرة للأسلحة تواجه ضرورة فرض حظر على بيع الأسلحة المتطورة إلى كل دول المنطقة، وأن المطلوب هو تفادى العودة إلى سياسة التسليح التى اتبعتها الدول المنتجة للأسلحة.

٦- تشكك «هاملتون» فى سياسة الاعتماد على الدول الإقليمية لضمان المصالح الأمريكية، وفى سياسة تقوية إيران علي حساب العراق أو العكس. وأضاف «أشك أيضا فيما إذا كانت لدينا مصلحة فى تدمير أى دولة، بما فى ذلك العراق، لأننا لا نريد قيام فراغ قوة أو تدمير ميزان القوى».

٧- شدد «هاملتون» على ضرورة إعادة بناء الجسور بين الولايات المتحدة والأردن وتونس واليمن، وتحسين العلاقات مع إيران وحل المشاكل العالقة معها، والمساعدة على تضميد الجراح، وتفادى اعتماد السياسات الانتقامية ضد أولئك الذين وقفوا على الحياد أو أيدوا بغداد فى هذه الحرب.

٨- إن ثمة حاجة إلى إقناع الدول المنتجة للنفط بتقديم المساعدات الاقتصادية للدول الفقيرة، وتشجيع حلفاء الولايات المتحدة على المساهمة فى عملية الإعمار بعد الحرب.

٩- إن على الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب أن تعمل على حل النزاع العربى الإسرائيلى. «وقد يكون من الأيسر تبنى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى محادثات لحل المشكلة».

جـ- تعرض وزير الخارجية الأمريكى - فى شهادته أمام لجنة مجلس النواب (٦/٢/٩١) ولجنة مجلس الشيوخ (٧/٢) - للموقف بعد الحرب والتخطيط للمستقبل على النحو التالى:

١- أوضح بيكر أن الحرب والطريقة التى ستنتهى بها ستؤثر بصورة كبيرة على أمن الخليج وباقى المنطقة، وأنه ينبغى إعلاء احترام سيادة شعوب الخليج والشرق الأوسط، وأن التاريخ الحديث يوضح أنه لا يمكن لدولة واحدة أن تفرض إرادتها على الشرق الأوسط أو تعيد تشكيله وفقا لتصورها، وأن الولايات المتحدة ستعمل بالتشاور مع الدول المهتمة على وضع مسار لتحقيق الأمن للجميع، وهو ما يحقق السلام الدائم.

٢- طرح بيكر مجموعة من التحديات التى ستتعامل معها الولايات المتحدة:

التحدى الأول: أمن الخليج:

يقول بيكر «تحتاج هذه المنطقة - بعد حربين فى عشر سنوات - إلى ترتيبات أمنية جديدة ومختلفة. نرى أن هناك ثلاث مسائل أساسية يجب حلها هى:

أولا: أغراض أو مبادىء الترتيبات الأمنية، ثانيا: دور الدول المحلية والتنظيمات الإقليمية والمجتمع الدولي، ثالثا: المتطلبات العسكرية التى يحتاجها تحقيق الاستقرار المحلى، وما يمكن أن ينشأ عقب ذلك من متطلبات عسكرية

أ - تشمل المبادىء: ردع العدوان من أى طرف، والسلامة الإقليمية لكل الدول وعدم قابلية الحدود بينها للاختراق، وحل الخلافات بالطرق السلمية، وحل مشكلات الحدود وغيرها من الخلافات ذات التاريخ الطويل بالوسائل السلمية وفقا لميثاق الأمم المتحدة.

ب- أن يكون لدول الخليج والمنظمات الإقليمية، كمجلس التعاون الخليجى، الدور القيادى فى بناء شبكة قوية من الروابط الأمنية الجديدة.

جـ- لا ينبغى استثناء أية دولة إقليمية من هذه الترتيبات، ويمكن أن يكون للعراق بعد الحرب إسهام هام، وكذلك يمكن أن تكون إيران كقوة كبرى إقليمية فى الخليج.

د- هناك دور للدول الخارجية والمجتمع الدولى - بما فيها الولايات المتحدة - لتشجيع مثل هذه الترتيبات ومساندتها.

هـ- «وبالنسبة للـولايات المتحدة، فقد نشرنا قوة بحـرية قصيرة فى الخليج منذ إدارة «ترومان» فى ١٩٤٩، وكـان لدينا - ولايزال لنا - روابط ثنائيـة قوية جـدا مع السعـوديـة والـدول المحلية الأخـرى. وعلى مـدى سنـوات، قمنـا بتدريبات مشـتركة مع أصدقائنا فى المنطقـة وزودناهم بمعدات عسكرية. لقد قال الرئيس إنـه ليس لدينا نية الاحتفاظ بوجـود برى دائم فى شبه الجزيرة العربية بمجرد إخـراج العراق وزوال التهديد. ومع ذلك، فقبل ضمان الأمن ينبغى الإجابة على أسئلة هامة، فسوف نمر بمرحلة انتقالية هامة بعد الحرب مباشرة ونحن نحاول إقامة الاستقرار».

و- والأسئلة التى أثارها بيكر هى: «هل ينبغى تواجـد قوات برية تواجدا دائما، تتكون من قوات محلية تحت إشراف الأمم المتحدة أو إشراف مجلس التعاون الخليجى؟ وكيف يمكن للمجتمع الـدولى أن يـدعم الـردع فى الخليج، سـواء بالإسهام بقـوات أو من خلال ترتيبـات سياسية، كالقـرارات أو الالتزامات الأمنية؟ وأوضح بيكر أنه ليس لدى أحد إجابات لهذه الأسئلة أو غيرها، وأنه سيستمر فى القيـام بمشاورات مكثفة بين كل الأطراف المهتمـة بأى من هذه الترتيبات.

التحدى الثانى: هو الحد من الأسلحة الإقليمية، وتشمل الأسلحـة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل

أ - إن الترسانة التقليدية لدول عديدة فى الشرق الأوسط تمتلك من الدبابات ما يزيد على ما تمتلكه المملكة المتحدة أو فرنسا.

ب- حان الأوان لمحـاولة تغيير نمط التنافـس وانتشار العسكريين فى هـذه المنطقة، وخفض تدفق الأسلحة إلى منطقة تحوى تسليحا يزيد عن الحد.

جـ- إن الـولايات المتحدة وغيرهـا - داخل وخارج المنطقة - لابـد أن تتشاور فيما

بينها بشأن كيفية التعامل الأمثل مع الأبعاد العديدة للمشكلة، وكيفية التعاون على كبح قدرة العراق بعد الحرب على الاحتفاظ بأسلحة الدمار الشامل والأسلحة التقليدية وقدرتها على إعادة تصنيعها، وكيفية التعامل مع الاخرين لتشجيع اتخاذ خطوات من أجل كبح إقليمي واسع لإحراز واستعمال كل من الأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل، وما هو الدور الذى يمكن لإجراءات بناء الثقة التى قللت من الصراع فى أوروبا أن تلعبه فى الخليج والشرق الأوسط.

التحدى الثالث: يتعلق بإعادة التعمير الاقتصادى:

أ- إن المستقبل الأمنى المزدهر الذي يطلب الجميع رؤيته فى الخليج ينبغى أن يشارك العراق فيه.

ب- إن معظم الموارد لإعادة البناء ستأتى من الخليج. وفى هذا الخصوص يحض بيكر على التفكير فى إقامة «بنك شرق أوسطى للإعمار والتنمية».

جـ- إن أى جهد اقتصادى لابد أن تحتل فيه تنمية الموارد المائية مكانة خاصة.

د- نحن نريد أن نتشاور مع حكومات من الشرق الأوسط ومن أقاليم أخرى حول ترتيبات معينة يمكن أن تخدم أغراض التعاون الاقتصادى واسع المدى، فمثل هذا التعاون سيكون معنيا فى تدعيم هدفنا الكلى، وهو التقليل بصورة تدريجية من مصادر الصراع، والإزالة التدريجية لعوائق الأمن والرخاء فى المنطقة كلها.

التحدى الرابع: يتعلق باستئناف البحث من أجل سلام عادل ومصالح حقيقية بين إسرائيل والدول العربية والفلسطينيين:

أ- يقول بيكر: «أعنى بالمصالحة ليس السلام وحده فحسب باعتباره غياب الحرب، وإنما السلام القائم على الاحترام الدائم للتسامح والثقة المتبادلة».

ب- فإذا ما رغبت حقيقة فإننا ملتزمون بالعمل معهم لرسم عملية سلام أكثر فاعلية.

جـ- يثير بيكر مجموعة من المسائل التى تنطوى عليها مشكلة الشرق الأوسط:

- كيف تتحقق المصالحة بين الإسرائيليين والفلسطينيين؟
- ما هى الأفعال المحددة التى يمكن أن يتخذها كل طرف؟
- ما هو دور الدول العربية فى تيسير هذه العملية وما تنطوى عليه من مفاوضات من أجل التوصل إلى السلام مع إسرائيل؟

كيف سيكون لترتيبات ضبط التسلح الإقليمى تأثيرها على هذه العملية؟

ما هى أفضل وسيلة اقتصادية لتحقيق هذه العملية؟

وينتهى بيكر إلى أن الولايات المتحدة ستتشاور وتعمل عن كثب مع أصدقائها وكل الأطراف الذين لهم دور بناء يقومون به فى تسوية هذا الصراع.

د- قامت الولايات المتحدة بالتشاور مع كل من بريطانيا وألمانيا وفرنسا حول أوضاع ما بعد حرب الخليج. وقد أشارت المتحدثة باسم الخارجية الأمريكية (٢/٢٦) إلى أن وزير الخارجية «جيمس بيكر» قد حدد موضوعات: الترتيبات الأمنية، وضبط التسلح، والعملية السلمية فى الشرق الأوسط، وقضايا اقتصادية وإنمائية، باعتبارها موضوعات النقاش من قبل دول التحالف، وقد التقى مع وزير الخارجية البريطانى (٢/٢٧)، ووزير الخارجية الألمانى (٣/١) ووزير الخارجية الفرنسى، لبحث هذه الموضوعات قبل توجهه إلى الشرق الأوسط للتشاور مع الدول المعنية حول ما يجب عمله بعد انتهاء الأزمة.

بريطانيا واللجوء إلى الحرب:

١- الإعلان عن بدء العمليات العسكرية:

أ- تم تشكيل مجلس حرب فى بريطانيا (١٩٩١/١/١٥) برئاسة رئيس الوزراء جون ميجور، ويضم المجلس كبار الوزراء مثل وزراء الخارجية والدفاع

والداخليـة والطاقة، ويختص بـاتخاذ القرارات أثناء الحرب ومتابعـة تطورات الأوضاع فى الخليج.

ب- أعلنت وزارة الدفـاع البريطانية (١/١٧) أن القوات البريطانيـة دخلت عمليات عسكريـة فى الخليج ضمن قوات التحالف الـدولى الذى تقوده الولايـات المتحدة ضد العراق.

٢- **أهداف بريطانيا من الحرب:**

أ- رئيس وزراء بريطـانيا جـون ميجور حـدد أهداف بلاده مـن الحرب من خلال أقواله وتصريحاته الآتية:

- قال رئيس وزراء بريطانيا (١/٢١): إن الغارات الجوية الحالية ستستمر لبعض الوقت، ولن تتوقف العمليات العسكريـة إلا بعد أن يتم طرد العراق من الكويت. وصرح لصحيفة تايمز البريطانية (١/٣١) بما يلى:

- إنه لا يستبعد مواصلة حرب الخليج داخل العـراق بعد طرد القوات العراقية من الكويت، إذ لو أن صدام حسين ظل داخل العراق يطلق الصواريخ فإن الحرب لن تكون قد انتهت، وسنحكم على الموقف فى حينه وفى ضوء قرارات مجلس الأمن.

- أكد رئيس الـوزراء البريطانى (٢/١٠) على أن الهدف الرئيسى الآن أمـام قوات التحالف الدولى هو تحرير الكويت بأقل الخسائر الممكنة.

- وأثناء زيارته لألمانيا قال (٢/١١): إن أهدافنا لاتزال كما كانت دائما. إننا وضعنا أهدافنا فى قرارات الأمم المتحدة، تلك هى أهدافنا وليس لنا أهداف أخرى.

ب- وزير خارجية بريطانيا دوجلاس هيرد حدد أهداف بلاده من حرب الخليج من خلال تصريحاته وأقواله الآتية:

- صرح لصحيفـة «لومـونـد» الفرنسيـة (١/١٧) بأن العمليـات العسكريـة التى تشارك فيها بـلاده فى الخليج تستهدف تحرير الكويت، وأنه ليس لـدينا أهداف أخرى كإحداث تغيير فى حدود العراق أو فرض حكومة جديدة على هذا البلد.

- وقـال (١/١٨) إن القـوات العراقيـة ستتعـرض لعمليـات قصف لا مثيل لها فى التاريخ العسكرى التقليدى.

- وصرح (١/٢٠) بأن الهجوم البرى لقـوات التحالف لتحـرير الكـويت يستمر فى تقدمه إلى العراق لمنع المزيد من الهجمات على الكويت.

– كتب وزير خارجية بريطانيا مقالا لصحيفة الجارديان (١/٢٤) قال فيه: إن الحرب فى الخليج هى حرب بشأن المبدأ والنفط معا، وأن النفط أحد العوامل، والمبدأ لا يتوقف عن كونه مبدأ لمجرد أنه يتصادف مع مصلحة مشروعة. وأكد فى مقاله على:

* أن تلك الحرب هى حرب عادلة للحد من طموحات صدام حسين وتحديه لجميع الأعراف الدولية.

* أن صدام حسين يهدف باحتلاله الكويت إلى السيطرة على سوق البترول وتهديد الاقتصاد الدولى.

* أن استمرار احتلال الكويت يعنى القضاء على سلطة وهيبة الأمم المتحدة فى عهد ما بعد الحرب الباردة.

– صرح وزير خارجية بريطانيا (١/٣١) بأنه ليس من أهداف الحرب التى حددها مجلس الأمن إحلال حكومة جديدة فى بغداد محل صدام حسين بعد انتهاء الحرب.

– وصرح (٢/٩) بأنه لا رغبة فى تغيير حدود العراق، وأن وحدة أراضيه أمر بالغ الأهمية، ولا رغبة أيضا لدينا فى تحديد من يحكم العراق.

– أعلن فى إيطاليا (٢/١٢) ما يلى:

* أن القصف المكثف للعراق يهدف إلى التمهيد لتحرير الكويت فقط.

* أن الإطاحة بالرئيس صدام حسين ليست من أهداف دول التحالف، لكنه يصعب تصور بقاء صدام فى السلطة بعد انتصار التحالف، وأن أى دولة فى التحالف لا تريد توسيع أهداف الحرب لتقرير من يجب أن يحكم العراق.

– صرح وزير الخارجية البريطانى فى (٢/١٣) بأن التحالف ضد بغداد لا يسعى إلى تدمير العراق، وأن العمل العسكرى يستهدف الاستعداد لتحرير الكويت بإضعاف الآلة العسكرية العراقية التى تحتل الكويت.

جـ – وزير دفاع بريطانيا «توم كينج» حدد أيضا أهداف بلاده من الحرب فى التصريحات الآتية:

– صرح وزير الدفاع البريطانى (١/٢٠) بأن الحملة الجوية التى تقوم بها قوات

التحالف فى بدايـة عملية تحرير الكويت، لا تزال تتركز على مـراكز الصواريخ والمواقع البرية وعلى المطارات وآلة الحرب العراقية فى العراق.

– وصرح لإذاعة لندن (٢٨ / ١) بما يلى:

* أن حكومـة بلاده تشعـر بأن إخراج العـراق من الكويت لن يكـون وحده كـافيا لضمان السلام والأمن فى المنطقة.

* أنه لن يتم تحقيق أهداف الأمم المتحدة إذا سمح للـرئيس العراقى وقواته بمجرد الانسحاب إلى الحدود العراقية الكويتية.

* أنه مع استمرار الحرب تتطـابق وجهات نظر بريطانيا والـولايات المتحدة بشأن ضرورة الإطاحة بالرئيس العراقى، وتدمير مقدرته على شن الحرب على المدى البعيد.

– أعلن فى مقابلة مع التليفزيون الأمريكى (٣١ / ١) الآتى:

* أنه لا يستبعد مواصلة حرب الخليج داخل العراق بعد إخراج القوات العراقية من الكويت.

* أننا لا نريـد فقط النجاح فى تحرير الكويت، وإنما التأكـد تماما من أنها سنحتفظ بتحريرها.

د – أما رئيس الأركان البريطانى فقد حدد هو الآخر أهداف بلاده من الحرب بقوله (١٨ / ١) «إن الحملات الجوية مستمرة بكثافة من أجل تدمير الأهداف العسكرية فى العراق»

هـ – وأخيرا أكد الجنـرال «بيتر دى لا بيليير» قـائد القـوات البريطانيـة فى الخليج (٧ / ٢) على تصميم القوات المتحالفة على القضاء على جميع المعدات العراقية من دبابات ومدفعية حتى آخر بنـدقية لدى العراقيين يمكن أن توجه ضـد جندى واحد من القوات المتحالفة.

٣ – بريطانيا وعملية «عاصفة الصحراء»:

أ – حجم وتكاليف القوات المشاركة فى الحرب:

– بلغ عدد القوات البريطانية ٣٥ ألف مقاتل وفى حوزتهم الأسلحة الآتية:

الدول المساهمة	الولايات المتحدة		بريطانيا	
	اسهامات تم تقديمها	اسهامات ستقدم فى ١٩٩١	اسهامات تم تقديمها	اسهامات ستقدم فى ١٩٩١
الكويت	١,٣٢	٧,١١٠	–	–
السعودية	٨٥٠	٧,١١٠	٣٠٠	–
اليابان	٥٦٤	٤,٧٤٠	٢٦,٣	–
المانيا	٥٦٤	–	٢١,١	–
الامارات	٥٣٦	–	–	–
كوريا	٥٠	–	–	–
إجمالى	٣,٨٧٤	١٨,٩٦٠	٣٤٧,٤	–

٢٤ مدفعا قتاليا – ١٩٢ دبابة – ٦ بطاريات صواريخ – ١٢ طائرة هليوكبتر – ١٦ قطعة بحرية – ٧٢ طائرة مقاتلة – ٦ طائرات أنذار مبكر.

– أوردت صحيفة «الجارديان» (١/٢٦) البيان التالى للمقارنة بين ما حصلت عليه كل من الولايات المتحدة وبريطانيا من مساهمات فى تكاليف حرب الخليج (بالمليون جنيه استرلينى)

– أعلن وزير الدفاع البريطانى (١/٢٧) أن اشتراك القوات البريطانية فى الحرب سيضيف ٧٨٠ مليون جنيه استرلينى إلى أعباء الميزانية للدفاع حتى نهاية شهر مارس، ويزيد هذا المبلغ بمقدار ٢٦٠ مليون جنيه استرلينى عن التوقعات التى أعلنها الوزير فى ديسمبر ١٩٩٠.

– صرح وزير خارجية بريطانيا (٢/١٠) بأن الكويت سوف تمنح بريطانيا ٦٦٠ مليون جنيه استرلينى (١,٣ مليار دولار)، مساهمة منها فى الأعباء التى تتحملها بلاده فى حرب تحرير الكويت.

– أعلن وزير المالية البريطانى (١٢/٢) أن تكلفة نشر القوات البريطانية فى الخليج هى ١,٢٥ مليون جنيه استرلينى (٢,٥ بليون دولار) للسنة المالية التى تنتهى فى أبريل المقبل، وأعلن أيضا أن دولة الإمارات العربية ستقدم ٥٠٠ مليون دولار لبريطانيا مساهمة فى المجهود الحربى، وتعهدت ألمانيا بدفع ٥٥٠ مليون دولار مساهمة منها فى تكاليف بريطانيا الحربية.

ب – دور القوات البريطانية فى الحرب:

*** المشاركة فى القصف الجوى:**

– قالت مصادر وزارة الدفاع البريطانية (١٧/١) إن الطائرات البريطانية هاجمت فى مدينة الفالوجا مصنعا يعمل على تطوير صوارخ سكاد وتحويلها إلى صواريخ الحسين، ومصنعا اخر لإنتاج الأسلحة الكيماوية. وصرح المصدر بأنه قد يكون بعض المدنيين قد قتلوا عن طريق الخطأ من جراء هذا القصف.

– وافقت الحكومة البريطانية (٣١/١) – مؤقتا – على إمكانية قيام القاذفات الأمريكية من طراز (ب – ٥٢) بمهام فى الخليج بالذخيرة التقليدية على أهداف استراتيجية وعسكرية عراقية، انطلاقا من القواعد البريطانية.

– أعلن المتحدث العسكرى البريطانى فى الرياض (١٤/٢) أن سلاح الطيران البريطانى قام بقصف أهداف عراقية حيوية، منها مدرج طائرات ومواقع مدفعية وصواريخ ومخازن ذخيرة، وقال إن سلاح الطيران البريطانى استخدم بنجاح باهر سلاحا جديدا هو الصاروخ (آلارم)، وهو صاروخ يطلق من الجو ومضاد للرادارات.

*** المشاركة فى التمهيد للعمليات البرية:**

– صرح مصدر عسكرى فى لندن (١٦/٢) بأن وحدات كوماندوز بريطانية وأمريكية دخلت الى داخل الكويت لتحطيم خطوات الدفاع الأمامية للقوات العراقية، وللتمهيد للقيام بعملية برية.

*** المشاركة فى العمليات البرية:**

– أعلن رئيس وزراء بريطانيا جون ميجور (٢٤/٢) الآتى:

* أن قوات الحلفاء شنت هجوما بريا مكثفا لطرد القوات العراقية من الكويت، وأكد على أن قوات بلاده ستلعب دورها بالكامل فى هذه الحرب.

* أن المعركة البرية التى تخوضها القوات المتحالفة لن تنتهى حتى تخرج القوات العراقية من الكويت.

* أن بدء الحرب البرية كان مواجهة هائلة لن تتوقف قبل طرد العراق من الكويت.

* أن الحرب البرية لن تكون طويلة، لكنها ستكون ضارية، ولا يساورنا الشك فى أنها حرب لها ما يبررها.

- أعلن رئيس الوزراء البريطانى (٢/٢٥) أن الأيام القادمة من الحرب البرية هى أيام صعبة ولكنها ستحسم المعركة.

- قال وزير الدفاع البريطانى (٢/٢٤) إن الهجوم البرى للقوات المتحالفة فى الخليج لم يواجه حتى الآن سوى الجنود العراقيين الأقل مقدرة، وقد يواجه مقاومة أشد فى الأيام المقبلة.

ثالثا: حرب الخليج وتلوث البيئة: -

أسفر غزو العراق لدولة الكويت عن نتائج سيئة على مختلف الأصعدة، كان فى مقدمتها تلوث البيئة الناجم عن ضخ كميات هائلة من البترول فى مياه الخليج، واحراق آبار البترول الكويتية فى أكبر كارثة بيئية شهدها العالم.

النتائج غير المباشرة لحرب الخليج على البيئة: -

١ - شهدت البيئة تغيرات فى درجة الحرارة والبحيرات والبقع النفطية والضباب والمطر النفطى.

٢ - يمكن أن يؤدى التلوث النفطى الذى وصل إلى النباتات فى مناطق عديدة إلى منع نموها وانتاجيتها، والقضاء عليها بصورة نهائية.

٣ - أدى التسرب النفطى قرب الآبار والحرائق إلى تدمير البنية العضوية الحية فى مناطق شاسعة حول الآبار المحترقة.

٤ – حملت سحب الدخان الكثيف التى امتدت فوق مناطق واسعة من الكويت والدول المجاورة كميات كبيرة من الملوثات الى الجو.. جنوبا فى الخليج.

أ- ذكر مسئول سعودى أن بحر النفط الذى تغذيه بضع مصادر، يحوى ستة ملايين برميل على الأقل وعلى الأرجح ثمانية ملايين.

ب- ذكرت مصادر عسكرية أن النار اشتعلت فى منصتى نفط بحريتين أحاطت بهما البقعة، إضافة إلى حريق فى جزيرة فيلكه.

جـ- أشارت التقارير إلى أن التلوث البيئى امتد على طول ١٥ كيلو متر شمالى الخليج، انطلاقا من مرفأ الأحمدى الكويتى.

د- بادرت دول الخليج إلى تدابير وقائية لحماية شواطئها ومحطات تحلية المياه فيها.

هـ- أشارت بعض التقارير إلى أن آلاف الطيور التى لا تتواجد بعض الأنواع منها إلا فى هذه المنطقة هى أول ضحايا التلوث.. كما أشارت التقارير إلى تعرض ملايين من الطيور المهاجرة للخطر، بالإضافة إلى الأضرار فى الشعب المرجانية.

و- قالت سلطات ميناء الجبيل بالسعودية إنه يجرى إقامة حواجز فى الميناء لحماية المياه التى تستخدمها محطات التحلية.

٢٧ / ١ / ١٩٩١م:

أ- أكد مسئولون بوزارة الدفاع الأمريكية أن العراق مستمر فى ضخ البترول من ناقلات متواجدة منذ عدة أشهر فى ميناء الأحمدى بالكويت، إضافة إلى أنابيب النفط فى الجزيرة الصناعية.

ب – أعلنت إيران عن هطول أمطار سوداء على أجزاء منها.

جـ – أرسلت قوات التحالف طائرات (إف – ١١١) لتدمير صمامات الأنابيب التى

تغذى المرفأ الواقع على بعد ١٣ ميلا قبالة مياه الأحمدى.

٢٨/١/١٩٩١م :-

أ - حذر مدير عام منظمة الصحة العالمية من خطر التلوث النفطى فى الخليج على صحة سكان المنطقة.

ب - أعلن الأمير عبد العزيز سلمان بن عبد العزيز - المستشار بوزارة البترول والثروة المعدنية السعودية - أن الإجراءات اتخذت لمنع تسرب بقعة الزيت فى باقى منطقة الخليج.

جـ - بدأت صناعة البترول فى مد جسر جوى لنقل المعدات، وذلك فى محاولة لمنع البقعة من تلويث منشآت استراتيجية فى السعودية.

٢٩/١/١٩٩١:-

أ - أعلن رئيس لجنة الحفاظ على الحياة البرية فى السعودية أن بقعة الزيت وصلت بالفعل إلى الشاطىء السعودى فى بعض المناطق المحدودة.

ب - ذكر مسئول عسكرى أمريكى أن الخبراء الذين تجمعوا لمواجهة البقعة سوف يتعين عليهم محاربة بقعتين منفصلتين بدأت إحداهما بالفعل فى تلويث الساحل السعودى.

جـ - عرضت الدول الأوربية مساعداتها لمكافحة التسرب البترولى.

د - قدمت ألمانيا اقتراحا لدولة قطر بتجهيزات لمكافحة التلوث بقيمة ٣,٣ مليون دولار.

هـ - أعربت اليابان عن استعدادها لتقديم ٢٠ كيلو مترا من حواجز النفط الطافية.

٣٠/١/١٩٩١م :-

أ - ذكرت مصادر عسكرية أن العراق بدأ فى ضخ المزيد من النفط إلى مياه شمال الخليج لإيجاد بقعة زيت أخرى.

ب - أعلنت مصادر عسكرية أمريكية أن البقعة تتزايد رغم عملية القصف الأمريكية

التى أوقفت تدفق النفط.

١/٢/١٩٩١م :-

قال مسئول عسكرى كندى إن البقعة تفككت إلى عدة بقع صغيرة تحت تأثير الرياح والمد والجزر.

٣/٢/١٩٩١م

ذكر بعض الخبراء أن أكبر بقعة زيت فى التاريخ وصلت إلى الساحل الشمالى الشرقى للسعودية بطول ١٠٠ ميل وأنها ستلوث أميالا من الشاطىء الرملى.

٤/٢/١٩٩١ م :-

ذكر رئيس لجنة إدارة منطقة الجبيل الصناعية العربية السعودية أنه يجب إعلان الخليج منطقة كوارث دولية.

٥/٢/١٩٩١م :-

أوضح مركز الاستجابة للتلوث بالزيت التابع لمصلحة الأرصاد وحماية البيئة السعودية - أن تضافر الجهود لا يزال مستمرا فيما يختص بالبقعة.

٩/٢/١٩٩١ م:-

يتوقع رئيس لجنة حماية البيئة السعودى ازدياد انتشار البقعة النفطية بالقرب من منطقة الجبيل خلال يومين أو ثلاثة.

١١/٢/١٩٩١ م :-

ذكر وزير البترول السعودى أن بلاده نجحت حتى الآن فى حماية محطات تحلية المياه ومرافق أخرى من بقعة الزيت.

١٢/٢/١٩٩١ م :-

ذكر بعض المسئولين أن تكاليف التغلب على آثار البقعة يتوقع أن تصل إلى مليار دولار فى غضون ١٦ شهرا.

٢٢/٢/١٩٩١م :-

أعلنت القيادة العسكرية الأمريكية أن النظام العراقى دمر أكثر من ١٤٠ بئرا من آبار النفط الكويتى خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية.

٢٣/٢/١٩٩١م :-

ذكر مركز الاستجابة للتلوث السعودى أن سحب الدخان الناجمة عن حرائق الآبار قد امتدت من الكويت إلى «الهفوف»، مما تسبب فى تدنى الرؤية الأفقية على معظم المناطق الساحلية.

٢٤/٢/١٩٩١ م :-

أ - غطت السحب السوداء البحرين وقطر لليوم الثانى على التوالى.

ب - جرت اتصالات مع هيئات دولية للحد من آثار التلوث على صحة السكان.

٢٥/٢/١٩٩١م :-

أ - أعلنت طهران أن غيوم الدخان الأسود التى غطت السماء فوق الحدود الايرانية العراقية، تنتقل حاليا نحو اقليم إيلام الايرانى جنوب غرب البلاد.

ب - أعلنت منظمة حماية البيئة فى إيران أن جميع المناطق الساحلية فى الخليج مهددة بتلوث لم يسبق له مثيل.

٢٦/٢/١٩٩١م :-

أعلنت تركيا هطول أمطار سوداء على مقاطعة «أخنه».

١٠/٣/١٩٩١ م :-

أكد معظم الخبراء أن حرب الخليج الناجمة عن الغزو العراقى أدت إلى كارثة حقيقية على البيئة فى الشرق الأوسط وفى قسم كبير من آسيا، واعتبروا أن إزالة آثارها تتطلب سنوات عديدة ووسائل كبيرة.

١٩/٣/١٩٩١م :-

ذكر وزراء البيئة فى المجموعة الأوربية أنهم يريدون من صناعة النفط فى أوروبا مساعدة خبراء أمريكيين فى مكافحة الحرائق.

٢٨/٣/١٩٩١م :-

أ - قال خبير فى الأمم المتحدة إن التأثير البيئى لمئات من آبار النفط المحترقة قد يتساوى مع كارثة مفاعل «تشيرنوبيل» النووى.

ب - ذكر مسئولون كويتيون وخبراء من الأمم المتحدة أن قلة المعلومات الدقيقة صعبت من التكهن بنتائج الحرائق.

١/٤/١٩٩١م :-

أعربت منظمة الصحة العالمية عن خشيتها من أن يولد تلوث الأجواء بسحب الدخان مشكلات صحية، ولا سيما فى القلب والجهاز التنفسى.

٢٢/٤/١٩٩١م :-

أظهرت أولى التحاليل التى أجراها فريق فرنسى أن التلوث الخطير لأجزاء فى الكويت نتيجة للحرائق بلغ ٤٥٠ سيكرو حرام من السحب السوداء فى المتر المكعب، أى ما يعادل مثلى المعايير المعمول بها فى دول المجموعة الاوروبية.

٢٨/٥/١٩٩١ م :-

ذكر مسئولون فى كشمير وجامو أن الأمطار الحمضية الناجمة عن حرائق الآبار النفطية، يمكن أن تؤدى إلى نتائج بيئية بالنسبة لمنطقة جبال الهمالايا والأودية فى الإقليم.

١١/١/١٩٩٢ م:-

أعلنت جماعة السلام الأخضر البيئية أن ما بين أربعة ملايين وثمانية ملايين برميل من النفط تسربت إلى مياه الخليج، مما أدى إلى قتل الحياة البحرية وتلويث ٧٤٠ كيلو مترا من السواحل الضحلة.

٢٨ /٢/ ١٩٩٢م:

أعلنت منظمة السلام الأخضر البيئية أنه بعد عام من الحرب فإن المنطقة لاتزال تعانى من كارثة بيئية غير مسبوقة.. تركت آثارا خطيرة على البحر والتربة وفى الجو، وتحتاج لسنوات حتى يتم التخلص منها.

رابعا: حقيقة أوضاع الكويت بعد عامين من الغزو:

استطاعت الكويت بعد مرور عامين على الغزو العراقى لأراضيها أن تنهض من جديد وتعيد بناء ما دمره العراقيون، بل واستطاعت أيضا أن تخطو بثبات نحو إعادة ترتيب البيت الكويتى وتدارك أخطاء ما قبل الغزو، وتتضح الإنجازات التى تحققت فيما يلى:-

أولا: على الصعيد الداخلى:

١- تشكيل الحكومة:

كانت أولى الخطوات التى اتخذت بعد عودة الشرعية إلى الكويت، الاستجابة لضغط قوى المعارضة داخل الكويت وتشكيل حكومة جديدة قادرة على مواجهة المشكلات الملحة التى خلفها الغزو العراقى كالكهرباء والماء، وإطفاء حرائق آبار النفط، إلخ.

- تم بالفعل فى ٢٠ /٤/ ١٩٩١ تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة ولى العهد الشيخ سعد العبد الله السالم.
- أثار تشكيل الحكومة ردود فعل وانتقادات واسعة لدى فصائل المعارضة التى تركزت مطالبها فى:

أ- تقليل عدد أفراد الأسرة الحاكمة المشاركة فى الحكومة، وهو ما روعى بالفعل عند تشكيل الحكومة، واحتفظت الأسرة الحاكمة بخمسة وزارات فقط بدلا من سبعة.

ب- أن يتم اختيار الحكومة على أساس الكفاءة وأمانة الأداء وشعبية التمثيل، وأن يكون لها برنامج واضح.

جـ- إقصاء أعضاء الحكومة السابقة المسئولين عن الفشل الذى حدث فى مواجهة كارثة الغـزو ومقدماته، ومعـالجة الآثار المترتبة عليه، فضـلا عن محاسبة المقصرين.

- استطاعت الحكومة الكويتية الجديدة مواجهة التحديات والإمساك بزمام الأمور، وقـامت بأداء واجبها تجاه حل مشـاكل المواطنين، وإعادة البنيـة الأساسيـة من كهربـاء وماء وطـرق ووسائل اتصـال إلى سابق قـدرتها العاديـة بأسرع وقت ممكن، كما تمكنت من السيطرة على حرائق آبار النفط فى زمن قياسى.

- تبذل الحكـومة جهـودا مكثفة لحل مشكلـة احتجاز العـراق للأسرى الكـويتيين وغيرهم داخل المعتقـلات فى العراق، وقـد استطـاعت استرجاع أعـداد كبيرة من الأسرى الكويتيين، لكن العـراق مازال يحتفظ داخل سجونه بنحـو ٨٥٠ كويتيا حتى الآن.

- تسعى الحكومـة الكويتيـة لحل مشكلة أخـرى من المشاكل الملحـة والمزمنة التى يواجهها المجتمع الكويتى - حتى من قبل الاحتلال العراقى - وهى مشكلة ١٠٠ ألف شخص لا يحملون جنسية محدودة، وهم الـذين أصطلح على تسميتهم فئة بدون، وقد وعـد رئيس الوزراء الكويتى وولى العهد بحل هـذه المشكلة، وبالفعل تشكلت لجان للجنسيـة. وقد صرح وزيـر التخطيط الكـويتى بأن كل من تنطبق عليه الشروط - حسب القانون - لـه الحق فى الحصول على الجنسية، وذلك حتى لا يحصل على الجنسية أى شخص دون التحقق من هويته.

- قامت الحكومة بناء على أوامر أمير الكويـت باسقاط مديونية المواطنين المستحقة لدى البنوك التجارية وبنك التسليف والادخار، وصرف مبلغ ٥٠٠ دينار كويتى للموظفين كمنحة أميرية، الأمر الذى أثار ردود فعل سلبية لدى أوساط المعارضة الكويتية.

٢ - ترسيم الحدود الكويتية العراقية : -

- قـامت لجنـة ترسيم الحدود الكـويتيـة العـراقية يـوم ١٩٩٢/٥/١١ بـوضع العلامات المؤقتة على الحدود الكويتية العراقية.

- بوضع تلك العلامات أمكن لأول مرة القيام بعملية ترسيم فعلية للحدود بين الكويت والعراق.
- بموجب قرار اللجنة استعادت الكويت ١٠ آبار بترول كان العراق يقوم باستخدامها، كما أن هذا القرار حرك خط الحدود ٥٧٠م باتجاه الشمال، حيث أصبح نصف «أم قصر» داخل الأراضى الكويتية.

٣ – الحياة النيابية: –

- تعالت الأصوات بعد عودة الشرعية إلى الكويت بعد تحريرها، مطالبة بعودة الحياة النيابية إلى الكويت وإجراء انتخابات حرة تمهيدا لعودة مجلس الأمة لمزاولة عمله كسلطة تشريعية طبقا لمواد الدستور، وإلغاء مرسوم ١٩٨٦ الذى قضى بحل البرلمان وتجميد عدد من مواد الدستور.
- أعلن أمير الكويت يوم ٧/ ٤ / ١٩٩١ أن عام ١٩٩٢ هو عام إجراء الانتخابات النيابية.
- افتتحت فى فبراير ١٩٩٢ مراكز الانتخابات لتسجيل أسماء الناخبين، وتحدد شهر اكتوبر ١٩٩٢ موعدا لإجراء الانتخابات.
- أصدر أمير الكويت مرسوما أميريا بحل المجلس الوطنى الحالى تمهيدا لإجراء الانتخابات.

ثانيا: على الصعيدين الاقليمى والدولى: –

- انطلاقا من اعتبار ان استمرار النظام العراقى لا يزال يشكل خطرا على أمن دولة الكويت، قامت بعقد عدة اتفاقيات أمنية دفاعية لضمان عدم تكرار تجربة الغزو العراقى لأراضيها. –

أ – جاءت مشاركة الكويت فى «إعلان دمشق» – مع بقية دول مجلس التعاون الخليجى – دلالة على رغبة الكويت فى تأكيد الأمن والاستقرار للكويت.

ب – فى مجال تعزيز العلاقات مع ايران، سافر وفد كويتى برئاسة عبد العزيز المساعيد رئيس المجلس الوطنى لزيارة ايران فى فبراير ١٩٩٢، وأجرى عددا

من اللقاءات مع قادة إيران، واقترح المساعيد تكوين لجنة صداقة كويتية – ايرانية مشتركة لبحث مختلف أوجه التعاون الممكنة، وإزالة أسباب أى خلافات جزئية قد تثار بين البلدين. وقد أكد مهدى كروبى رئيس المجلس الوطنى الايرانى فى لقائه بالمساعيد أن ايران مستعدة للمساهمة الفاعلة فى اعادة إعمار الكويت، مشيرا إلى أن «الخليج الفارسى منطقة حساسة لا يمكن أن يحفظ أمنه إلا الدول المطلة عليه».

جـ – وقعت الكويت والولايات المتحدة الأمريكية فى ٩/٩/١٩٩١ اتفاقية للتعاون الدفاعى تتضمن فى بعض بنودها: –

(١) تخزين معدات أمريكية فى الكويت.

(٢) منح تسهيلات للقوات الأمريكية.

(٣) إجراء مناورات مشتركة بالكويت.

– أكدت الكويت عدم وجود أى بند فى الاتفاقية يشترط وجود قواعد أمريكية فى الكويت.

– أشار وزير الدفاع الكويتى إلى أن عدد الجنود الأمريكيين المتفق على تواجدهم بالكويت لن يتجاوز ٣٠٠ جندى أمريكى من الفنيين المختصين بصيانة المعدات.

– وفى إطار الاتفاقية، أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن سلاح المهندسين الأمريكى سيقوم بالاشراف على اعادة بناء وتجهيز قاعدتى على السالم وأحمد الجابر الجويتين، وبعد اعادة البناء سيكون باستطاعة القاعدتين المشاركة فى تنظيم وتبادل العمليات العسكرية بشكل تام بين سلاح الطيران الكويتى والقوات الأمريكية لمنع أى عدوان على الكويت.

د – خطت الكويت خطوة أخرى فى مجال الاتفاقيات الدفاعية، ووقعت مع بريطانيا مذكرة تفاهم أمنى على غرار الاتفاقية الدفاعية مع الولايات المتحدة، وقد تم توقيع المذكرة فى ١١/٢/١٩٩٢م.

– أكد وزير الدفاع البريطانى أن مذكرة التفاهم الموقعة تتضمن أساسا لاتفاقيات أخرى أكثر تفصيلا، وأنها تشمل شراء الكويت لمعدات عسكرية وبريطانية،

وإجراء مناورات مشتركة بين قوات البلدين، بالإضافة إلى تدريب القوات المسلحة الكويتية.

– أشارت بعض المصادر إلى أن المعدات المطلوبة من بريطانيا تشمل طائرات «هوك» ودبابات «تشالينجر – ٢».

هـ – سوف توقع الكويت ثالث اتفاقياتها الدفاعية مع فرنسا خلال أغسطس الجارى، وذلك تتويجا للمفاوضات الدائرة بين البلدين منذ زيارة الشيخ جابر الأحمد أمير الكويت لفرنسا فى أكتوبر ١٩٩١، حيث طلب أمير الكويت من الرئيس الفرنسى توقيع اتفاقية دفاعية مماثلة للاتفاقيتين الموقعتين مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

التشكيل الوزارى فى ٩١/٤/٢١

١ – الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح	ولى العهد رئيسا للوزراء
٢ – سالم صباح السالم	نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للخارجية.
٣ – ابراهيم ماجد الشاهين	وزير دولة للشئون البلدية
٤ – أحمد حمود الجابر	وزيرا للداخلية
٥ – أحمد على الجسار	وزيرا للتخطيط
٦ – أحمد محمد صالح العدسانى	وزيرا للكهرباء والماء
٧ – بدر جاسم اليعقوب	وزيرا للاعلام
٨ – حبيب جوهر حيات	وزيرا للمواصلات
٩ – حمود عبد الله الرقبة	وزيرا للنفط
١٠ – سليمان سعدون البدر	وزيرا للتربية
١١ – ضارى عبد الله عثمان	وزير دولة لشئون مجلس الوزراء
١٢ – عبد الله حسن الجار الله	وزيرا للتجارة والصناعة
١٣ – عبد الله يوسف القطامى	وزيرا للاشغال العامة
١٤ – عبد الوهاب سليمان الفوزان	وزيرا للصحة العامة
١٥ – عنبى صباح السالم	وزيرا للدفاع
١٦ – على عبد الله الشملان	وزيرا للتعليم العالى
١٧ – غازى عبيد السمار	وزيرا للعدل والشئون القانونية
١٨ – محمد صقر المعرشرجى	وزيرا للاوقاف والشئون الاسلامية
١٩ – محمد عبد المحسن العصفور	وزير دولة لشئون الاسكان
٢٠ – ناصر عبد الله الروضان	وزيرا للمالية
٢١ – نواف الأحمر الجابر	وزيرا للشئون الاجتماعية
٢٢ – ناصر محمد الأحمد الصباح	وزير شئون الديوان الأميرى

وبعد..

* ذلك كان هو واقع الحال قبل وبعد حرب الخليج الثانية، التى هزت أركان العالم وكان العرب كلهم هم ضحاياها وهم أول من دفع ثمنها، ما يزيد على ٦٢٠ مليار دولار.

* ترى ماذا حدث فى هذه الحرب بوقائعها وتفاصيلها السياسية والعسكرية، وبأسرارها العالمية المثيرة؟.

* ذلك ما تجيب عليه مذكرات (نورمان شوارتزكوف) التى نقدمها كاملة فى السطور القادمة.

الأمر لا يحتاج إلى بطل

(النص الكامل لمذكرات نورمان شوارتزكوف عن «حرب الخليج»)

الباب الأول

العمل فى البنتاجون والطريق إلى العراق

فى أغسطس ١٩٨٧ التحقت بالبنتاجون تحت إمرة (فونو) رئيس أركان الجيش الأمريكى. كنت أعلم من خلال خبرتى معه - عندما كان نائبا لرئيس الأركان للعمليات والخطط - أننى اضطلع الآن بأصعب وظيفة فى الجيش. ففى اليوم النموذجى، أصل المكتب فى السادسة والنصف صباحا، وأفلح فى العودة إلى البيت - إذا كنت محظوظا - بعد ٢٤ ساعة من ذلك. كنت مسئولا عن السياسات والضوابط التى تتحكم بالعمليات اليومية لعموم الجيش - وهى منظمة تقارب حجم شركة جنرال موتورز. وأهم مهماتى هى أن أحدد الأولويات للجيش، ناصحا فونو حول سبل انفاق الميزانية السنوية - ٣و٧٥ مليار دولار لعام ١٩٨٧ - وأى العمليات والمشتريات تحظى بالسبق. وهذا يفسر السبب الذى يجعل نائب رئيس أركان الجيش للعمليات والخطط، الشخصية الأولى بين أقرانه فى أركان الجيش. فخلافا للنواب الذى يحملون ٣ نجوم- والذين يرجعون إلى نائب رئيس الاركان - كنت أصل مع فونو مباشرة، ولى حق الدخول إلى مكتبه إن شئت.

ويخضع لى رؤساء خمس «مديريات» كبيرة، ضباط أركان يشرفون على الوظائف الأساسية للجيش، فمدير الخطط الاستراتيجية لا يرأس التخطيط بعيد المدى فحسب، بل كل نشاط يتولاه الجيش بالترابط مع الأسلحة الأخرى، إضافة إلى مئات الخطط التى تغطى، وكل حالات الطوارىء فى العالم. أما مدير العمليات فيدير مركز عمليات الجيش، أى مجمع غرفة الحرب والاتصالات لخوض الحرب أو لمجابهة كارثة طبيعية أو شغب فى المدن، فإنه الرجل الذى يصوغ الأوامر، ويتولى تدبير مستلزمات وصياغة جيش

المستقبل، محددا الأسلحة والتشكيلات التى يحتاجها لتحقيق النصر فى ميادين قتال القرن الحادى والعشرين، كما يتولى أيضا – وفى الوقت نفسه – إعادة صياغة جيش الحاضر استجابة للتغيرات الحاصلة فى تهديدات العدو، والقيود التى يفرضها الكونجرس على العدد والميزانية. وتتحكم المديرية الرابعة فى سياسات التدريب وضوابطه بالنسبة إلى عموم الجيش، أما المديرية الخامسة فتضع سياسة الجيش فى ميادين الأسلحة النووية والكيماوية إضافة إلى الأسلحة فى الفضاء. ذلك هو نصف المهم؟

كنت أخدم أيضا بوصفى ما يسمى نائب فونو للعمليات فى هيئة الأركان المشتركة، إضافة إلى تمثيل الجيش فى اجتماعات نظرائى، أى نواب العمليات من سلاح البحرية والقوة الجوية ومشاة البحرية. كان اجتماع فونو ورؤساء الأركان المشتركة الأخرين ينعقد مرتين فى الاسبوع فى غرفة مؤتمرات لا يتسرب منها الصوت، تعرف باسم «الدبابة»، وتقع البداية فى الطابق الأول من البنتاجون تماما فى ويفر انترانس، وتعد بمثابة مكان مقدس. كنت أشعر بشىء من خيبة الأمل. كنت قد تخيلت شيئا استعدته فى مسرحية «الخنق حبا». كانت غرفة اطلاع منحوسة، خافتة الاضاءة محشوة بخرائط ورسوم إلكترونية وامضة (مثل هذه الأشكال موجودة فى مواضع أخرى من المبنى)، إلا أن «الدبابة» كانت -ببساطة – غرفة مؤتمرات أنيقة وفارهة تحتلها طاولة كبيرة من خشب الماهوجنى، وتزين جدرانها لوحات زيتية تصور القوات المسلحة فى الميدان، ورسم بديع لويستمنستر آبى بمناسبة منح ايزنهاور لقب فارس. كان كل رئيس هيئة أركان يجلس فى مكانه المقرر ونائبه إلى جواره، أما الرئيس ونائب الرئيس ومدير هيئة الأركان المشتركة فيجلسون متجاورين سويا. وثمة مقاعد إضافية مرصوصة على جدارين لحاملى التقارير من الزوار والضباط المنفذين وكتاب الاختزال، وغير ذلك من المستخدمين. لم تكن الاجتماعات رسمية، إلا أنها كانت تتبع بروتوكولا صارما. فحين ينعقد اجتماع هيئة رؤساء الأركان المشتركة لا يتحدث أحد سواهم. فكنت أجلس صامتا إلى جوار فونو، مدونا محضرا تفصيليا بالنقاش، دافعا إليه بملاحظات مدونة على قصاصات كلما خطر لى أن هناك ما ينبغى له أن يطلع عليه أو يقوله.

كان الشرق الأوسط على رأس جدول الأعمال فى ربيع تلك السنة. أما فى الخريف السابق فإن إيران أخذت – وهى فى عامها الثامن من حرب الحدود الدامية مع العراق – تطلق صواريخ مجنحة على السفن فى الخليج العربى. رداً على ذلك عرضت إدارة ريجان تقديم سفن حراسة مرافقة لناقلات النفط العملاقة تحمل العلم الأمريكى، لحماية تدفق النفط. وتمخضت عملية الموافقة والحماية هذه – الموسومة باسم «الإرادة الجادة» – عن إرسال ٢٤ سفينة حربية رئيسية و١٦ ألف رجل. وحصل فى الأسبوع الأول من مجيئى إلى واشنطن أن ناقلة نفط عملاقة – وتدعى «برد جنون» – اصطدمت بلغم، وارتاب البنتاجون فى أن تكون إيران قد دسته فى طريق الناقلة، ويعد ذلك فى معايير الأعراف الدولية إعلاناً للحرب، ولكن لم يتوافر لنا الدليل على أن إيران هى الفاعل، واقتصرت تحركات الولايات المتحدة على إرسال طائرات هليكوبتر من الجيش مزودة خصيصاً بمعدات رؤية ليلية، ساعدت على التحرى وضبط «إيران إير»، وهى سفينة إيرانية تقوم بزرع الألغام.

و نتيجة لذلك ازدادت ضرورة ردودنا على الهجمات الإيرانية، فقمنا بشن ضربات انتقامية فى مناسبتين خلال فترة الأشهر الثمانية عشر تقريباً التى قضيتها فى الدبابة. وفى شهر أكتوبر (تشرين الثانى) أصاب صاروخ إيرانى مجنح ناقلة نفط تحمل العلم الأمريكى راسية فى ميناء مدينة الكويت،فقمنا بمهاجمة منصتى نفط إيرانيتين فى الخليج، ولتحاشى الخسائر المدنية أفسحنا المجال أمام العمال للانسحاب قبل الضربة. أما عملية «السرعوف المصلى» – وهى ثانى رد انتقامى – فقد حصلت فى أبريل(نسيان)بعد أن كاد لغم إيرانى أن يغرق الفرقاطة الأمريكية «صامويل ب. بورتس» ودمرنا فيها ثلاث سفن حربية إيرانية؛ ولما حاول الايرانيون الرد على الضربة اندلعت معركة بحرية حامية الوطيس كلفتهم المزيد من السفن والطائرات.

إن دور هيئة رؤساء الأركان المشتركة فى مثل هذه الأ زمات ،هو التوصية بعدد من الخيارات العسكرية التى يمكن للرئيس ومجلس الأمن القومى ووزير الدفاع أن ينتقون منها ، وبينما كانت هيئة رؤساء الأركان المشتركة تراجع الاحتمالات كنت أحس بالقلق من إطلاعى على مدى محدودية قدراتنا فى الخليج. لم يتغير الكثير منذ أيام خدمتى فى قيادة المحيط الهادى، فبسبب العلاقات المتحفظة بين الولايات المتحدة

والدول العربية لم تكـن قواتنا الجوية تحظى بإمكانية الهبـوط فى مطارات المنطقة، أما البحرية فكانت ماتزال تؤكـد أنها لاتستطيع إرسال حاملات الطائرات إلى مياه الخليج الضيقة.

كما كان الاتحاد السوفيتى يحتل ساعات طوال من وقت رؤساء الأركان المشتركة. كانت الصحف تحفل بأخبار العلنية (كلاستوست) وإعادة البناء (بيروسترويكا)، وكنا نتلقى تقاريـر اطلاع حـول التغيرات الدرامـاتيكية الجاريـة. وفى نقطة معينـة من عام ١٩٨٨ جرى كلام عن أربع مجموعات مـن محادثات خفض الأسلحة: محادثات حول معاهـدة خفض الأسلحة الاستراتيجية، ومعـاهدة الصـواريخ الباليستيكية متـوسطة المدى، ومفاوضات الأسلحة فى الفضاء، ومحادثات الخفض المتوازن والمشترك للقوات، الهادفـة إلى تقليص الجيوش المتجـابهة فى أوروبـا. ولم يكن أحـدنا ليصـدق قبل فترة وجيزة أننا سنرحب بجنرال سوفيتى ضيفا علينا فى «الدبابة»، ولكن المارشال سيرجى أخروبيف – وهو أعلى ضـابط فى السلك العسكرى السوفيتى– دخل الغرفـة الثانية فى السادس من يوليو (تموز) ١٩٨٨ فى إطار تبادل الزيارات مع الأدميرال كراو.

ورأيت محاربى الحرب البـاردة حول المائدة يتحـولون بـالتدريج إلى الاقتنـاع بأن الصراع مع السـوفييت كـاد ينتهى، ووجـدت نفسى أتسـاءل: كيف ستتكيف القـوات المسلحة مـع الواقع الجديـد؟ فمنذ أن التحقت بـالجيش –منذ أكثـر من ثلاثين عـاما– ومبرر وجـودنـا هـو صد الشيـوعيـة، وبتضـاؤل ذلك الخطـر، ستنخفض الأمـوال المخصصة للدفاع وسيتعين على البنتاجون أن يـواجه تحديات إعادة النظر الجذرية فى مهمته.

لم تكن سائر الاجتماعات فى الدبابة مثيرة للاهتمام على هذا النحو، وكانت مسئولية هيئة رؤساء الأركان المشتركـة أن تضمن «الكفاية العسكرية» لأيـة اتفاقية أسلحة، أى أن تكون قادرة على أن تخبر الكونجرس بأن هذه المعاهدة تتمتع بالضمانات الضرورية، ولن تترك البلاد مجردة من الدفاع، وكنا نتفحص المواقع التفـاوضية للولايات المتحدة بتفصيل دقيق. وبالطبع حين تغدو تقارير الاطلاع مملة، تشرد عيناى إلى الحائط القابع خلف الأدميرال كروانتسمران على لوحتين زيتيتين حول فيتنام: مدفعية مشاة البحرية فى حى سانـة، ودورية للجيش تشق طريقهـا فى مستنقع وسط الأحراش، وصرت كلما

عملت فى البنتاجون تخزنى اللهفة إلى قيادة جديدة.

كان مكتب فـونو فى الطابق الثالـث من الحلقة الخارجية للبنتاجـون فى الحلقة (٥)، حيث يستقـر كبار المدنيين العـاملين فى وزارة الدفـاع، إضـافة إلى كبـار حملة الـرتب العسكريـة. وكان بـوسعه أن يطـل من نافـذة مكتبه على نهر بـوتومـاك الجارى نحو الكابيتـول، وغالبا ما كـان يعقد أهم اجتماعاته فى وقت متأخـر من العصر، وبعد اتمام مـراسم التشريفـات والعمل الـروتينى، ويستبقينى بعـد إنصراف المرافقين الآخـرين ليسـألنى عن رأيى عما يـدور من أحاديث. كنـا نحب أن نتكلم، وكـانت هذه الأحـاديث تطول أحيانا إلى الليل.

وحصل فى واحد من أيـامى فى أواخر يونيو (حزيران) ١٩٨٨ -أى بعد سنة تقريبا على عودتى إلى البنتاجون- أن أشار فونـو إلى أن وظيفة جنرال بأربع نجوم توشك أن تشغـر فى القيـادة المركزيـة لقـوات الانتشـار السريع المسئـولة عن سـائر العمليـات العسكرية الأمريكية فى جنوب غرب آسيا، وأجزاء من الشرق الأوسط والقرن الأفريقى، وقال «على أن أرفع الترشيح، هل تهمك الـوظيفة؟». من الوجهة التقنيـة يمكن لأى فرع من القوات المسلحـة أن يرفع أسماء مـرشحيه لـوظيفة قائد عـام، أما القـرار النهائى فيرجع إلى وزيـر الدفـاع والـرئيس. إلا أن القيادة المركـزيـة لقوات الانتشـار السريع تراوحت تقليـديا ما بين فـرع الجيش وفرع مشاة البحـرية، فمن المؤكد -تقـريبا- أن اختيار خليفة سيترك إلى فونو.

وواصل كلامه: بالطبع هناك وظيفتـان أخريان ستشغران فى الصيف القادم فأيهما تفضل؟ كنت أعرف ما يقصـد بالوظائف الأخرى، وهى قيادة القـوات المسئولة عن كل الوحدات القتالية التابعة للجيش فى الـولايات المتحدة، وقيادة القوات الموحدة فى كوريا، المسئولة عـن سائر الوحدات الأمريكيـة وقوات الأمم المتحدة لحفظ السـلام فى كوريا، إضافة إلى مسئوليتها عن القوات الكورية الجنوبية نفسها فى حالة نشوب حرب. طلبت منه أن يمهلنى ٢٤ ساعة للتفكير فى الأمر.

فى الواقع كنت أعـرف خيارى، فقد فكـرت فى القيادة المركزيـة بهذه الصورة أو تلك طوال حياتى، ولقد كنت مسحورا ومهتما بالشرق الأوسط، فجانب كبير من حياة أسرة شوارتزكوف استثمرت فى ذلك الجزء من العـالم. وبوسعى أن أرى سلفا تزايد الأهمية

الاستراتيجية للمنطقة. ثم إننا قد انخرطنا لتونا فى حرب محدودة لحماية تدفق نفط الشرق الأوسط.

كما كنت أعرف أن فونو لايسلسل الخيارات كما أفعل أنا. ورغم أن أى جنرال سيثب ليقتنص فرصة الحصول على منصب جنرال بأربع نجوم، فإن القيادة المركزية ليست بالمنصب المرغوب كثيرا، فهى تنطوى على العديد مما يسمى بالمسئوليات السياسية العسكرية، وبالطبع ففى حالة نشوب حرب تفرد طائفة هامة من القوات للقيادة المركزية، وتتضمن هذه الطائفة الآن القوة الجوية الخامسة، قوة حملات مشاة البحرية الأولى، الجيش الثالث فى فورت ماكفرسون فى جورجيا (وهذا هو مقر قيادة التخطيط النشطة التابعة للفيلق المحمول الثامن عشر، وعناصر أخرى من جيش القيادة المركزية). أما فى زمن السلم فإن القيادة المركزية توجه عمليات التخطيط الخاصة بكل هذه القوات، فى حين أن القوة القتالية التى الوحيدة تحت سيطرتها العملياتية اليومية هى قوة مهمات البحرية فى الخليج، وهى على وشك التقليص بسبب انتهاء الحرب الإيرانية العراقية، كما كان القائد العام لهذه القوات مسئولا عن ضباط أركان قيادة المقر الذين يبلغ تعدادهم الألف، العديد منهم ينتقل مكوكيا بين مبنى مقر القيادة المؤلف من ثلاثة طوابق -الواقع فى قاعدة ماكديل للقوة الجوية فى تامبا بولاية فلوريدا- وبين منطقة مسئولياتها التى تبعد ٧ آلاف ميل. يضاف إلى ذلك أن قرابة ٣٠٠ ضابط يخدمون فى ١٠ بلدان بصفة «مساعدى أمن» أو ضباط ارتباط (تتضمن المساعدة الأمنية تقديم المعونة العسكرية وتبادل العسكريين وبرامج التدريب والإشراف والدعم التكتيكى لمبيعات الأسلحة).

وقد يكون من بين أبرز مهماتى فى أرض السلم أن أعمل كمحكم شكاوى عسكرى فى ذلك الجزء من العالم، مشرفا على عمل المستشارين وموجها شئون إنفاق ١,٦ مليار دولار سنويا فى برامج عسكرية، ومعززا العلاقات مع الحكام والجنرالات.

كان معظم ضباط الجيش ينظرون إلى الجانب الدبلوماسى من عملهم نظرة بغض،بينما كنت أستطيب فرصة الاختلاط بأناس من بلدان أخرى، سواء فى إيران أو ألمانيا أو فيتنام.

ولتكن على يقين أن المنصبين الأخرين اللذين ذكرهما فونو ينطويان على قيادة عدد

أكبر من القوات، وستكـون وظيفة آمـر قيادة القـوات حافلـة بالمرح والسفـر فى أرجاء الولايات المتحـدة كلها: زيارة الجنود، تفتيش وحدات الاحتيـاط والحرس الوطنى أيام عطلة نهاية الأسبـوع، والتمتع بتودد الناس من حـولى، إلا أن اتجاه هذه القيادة محدد بشكل مضبوط. ولم أر فى الوظيفة أية تحديـات تغرينى بالقبول، كما أننى احترزت من إمكانية أن تشغر فعلا عندما يتقاعد رئيس الأركان الحالى فى عام ١٩٨٩، فعندها تكون إدارة ريجان قد ذهبت ويكون الجنرال كولن باول مستشار الأمن القومى -آنذاك- قد عاد إلى الجيش بـاحثا عن موقع يشغله. لقـد بدت قيادة القوات الخيـار الطبيعى لكولن باول، على الأقل كطـريقة لتمضية الـوقت حتى يتقاعد الأدميرال كـراو وتختارالإدارة الجديدة الـرئيس الجديد لهيئة رؤسـاء الأركان المشتركة، وهى وظيفـة كان الكثيرون يرون أنها ستكون من نصيب باول بسبب ارتباطاته السياسية.

لم يترك لى ذلك سوى قيادة القـوات المشتركة فى كوريا، وهى مهمة بـدت لى شائكة. من الوجهة النظـرية يفترض فى مجمل المؤسسة العسكرية الكوريـة الجنوبية أن تمتثل للقائد العسكرى العام الأمريكى فى حالة حصـول غزو لبلادها. مع ذلك لم يكن لأمريكا سوى فرقة واحـدة على الأرض الكورية الجنوبية. لقد سـاهمت فى تمارين عسكرية فى كوريا عدة مـرات، وقد عاملنى جنرالاتهم معاملة رائعـة، ومع ذلك كنت ارتاب ارتيابا كبيرا فى أن خضوعهم للقـائد العام كـان مجرد تظاهـر، ولم أر نفسى سعيدا فى وضع كهذا.

فى اليوم التالى قلت لفونو أود أن أذهب إلى القيادة المركزية.

ألقى نظـرة تعبر عن القلق: هل لديك مـانع فى أن تخبرنى بالسبب؟ شرحت لـه أننى رغم حبى لقيادة الجنود فإن التحـدى الحقيقى -كما يبدو - متمثل فى الشرق الأوسط، فهاهنـا منطقة معقدة مهمـة لنا بما فيه الكفايـة، بحيث إننا دخلنا الحرب هنـاك أصلا نـزاعـة إلى الفتن إلى حـد لا يعـرف معه أحـد مـا سيحصل. ثـانيـا: إنها منطقـة يمكن -وينبغى- عمل الكثير فيها من أجل تقـوية الصلات الأمريكية. وبعـد أن عرضت عليه تحليلى للـوظيفتين الأخريين، عـدت إلى القـول بأن القيادة المركـزيـة هى الأكثر إثـارة والأكثر مفـاجأة، واختتمت حديثى بالتأكيـد التالى من بين هذه المواقع الثلاثـة: القيادة المركزية هى المكان الذى تستطيع فيه أن تصنع التاريخ.

كان فونو مـرتابا، وكدت أسمع أفكاره تقول «ها هو شـوارتزكوف يعود إلى النهج نفسه»، إلا أنه وعدنى برفع اسمى إلى رئيس الأركان المشتركة.

اتضح لى فيما بعد أننى لم أحصل على الوظيفة إلا بعد صراع ضـار، فالبحرية قامت -على نحو غير منتظـر- بتقديـم مرشحهـا الخاص، وهو أدميرال ونـائب عمليات مثلى اسمه هانك موستن. وحين صوت رؤساء الأركان المشتركة حول الترشيحات، وصلوا إلى مأزق مسدود بسبب الانقسامات التقليدية. الجيش والقوة الجوية صوتا لصالحى، والبحرية ومشاة البحرية صوتـا لموستن. أرسل «كراو» كلا الاسمين إلى وزير الدفاع مع ملحوظة دعم شخصى للأدميرال.

وأعادت معركة التسابق هذه تـذكيرى بأسباب بغضى لواشنطن، فالبحرية لم تكن قط لتكترث بـالشرق الأوسط (كـانت دائما ترى أن أسطـولها فى المحيط الهادى ومقـر قيادته فى هاواى يمكن أن يقدم حماية كافيـة لمصالح أمريكا هناك)، بل كنت على قناعة بأنها كانت ستلغى القيـادة المركزية لو استطـاعت إلى ذلك سبيلا. ومما فـاقم الوضع أكثر أن شخصا سرب كلمة عن توصية «كراو» لصحيفة الواشنطن بوست، التى نشرت خبرا يقول: إن الأدميرال موستن قد حصل على التعيين. وراح الناس يأتون إلىّ فى قاعات البنتاجون ضاحكين مازحين بـالقول: شىء مؤسف أن تغلبك البحرية، لكن لا تقلق إن عاجلا أو آجلا ستحصل على نجومك الأربع.

واستمرت الصحـة أسبوعين كاملين إلى أن قام وزيـر الدفاع «فرانك كـارلوتشى» بمقابلتنا نحن الاثنين، وحـدد الاختيار الذى أثنى عليه الـرئيس فى الحال.. لم أعرف ما الذى حدا به إلى اختيارى، ولا أحسب أن الإعـلان السابق لأوانه فى واشنطن بوست قد ساعد فى إفشال سعى البحرية.

أعلن تعيينى فى أواخر يوليو (تموز) ١٩٨٨، فسجلت نفسى فى خريف ذلك العام فى دورة مكثفـة عن الشرق الأوسط فى معهـد الخدمة الخارجيـة فى أراجـونتـون بولايـة فرجينيا، وهو المكان الذى ترسل إليه وزارة الخارجية دبلوماسييها قبل أن تعهد إليهم بالعمل فى الخارج. وعندمـا كنت أخبر أهل البنتاجون كيف كنت أتهيأ للقيـادة المركزية، كانـوا ينظرون إلى بـاستغراب متسـائلين: «لماذا؟». إن الشرق الأوسط بالنسبـة إليهم لايضم سوى ممرات بحرية وموجودات استراتيجية ونقاط ملونة على الخارطة.

يتولى التدريس فى معهد الخدمة الخارجية بيتر بيكتولد -الألمانى المولد والخبير فى شئون السودان- ورحت أدرس ثمانى ساعات فى اليوم طوال أسبوعين خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) جالسا فى الصف الأمامى، مدونا الملاحظات عن ثقافات المنطقة وعاداتها، والنفط والمياه والنزاعات الدينية فيها، وكنت أعود إلى البيت فى قاعدة فورت ماير فى المساء وكلى ابتهاج.

وفى الثامن عشر من نوفمبر (تشرين الثانى) ساعدت «بريندا» الجنرال «كارل فونو» فى تثبيت نجوم الجنرالية الأربع على كتفى، وهى أعلى رتبة فى جيش الولايات المتحدة، وشهد كل من جيسيكا وهى الآن فتاة بالغة فى السادسة عشرة من عمرها، وكريستيان وهو فتى فى الحادية عشر، مراسم الترقية فى قاعة الأبطال فى البنتاجون، حيث تزدان الجدران بصور الرجال الذين نالوا ميدالية شرف الكونجرس. لم تستطع سندى الحضور، فقد بدأت لتوها عامها الجامعى الأول فى أورجون، إلا أن شقيقتى سالى جاءت إلى الحفل شأنها شأن العديد من زملاء دراستى والأصدقاء المقربين من أمثال الجنرال توم واينشتاين والجنرال بوب ديسكاسى. كم كنت أتمنى لو أن أمى وأبى بين الحضور.. كما تمنيت لو أن روث هنا أيضا.

تسلمت مهام القيادة المركزية فى الثالث والعشرين من نوفمبر فى مقر قيادتى فى تامبا، إلا أن مراسم تغيير القيادة تلك لم تتم .. إذ فى الليلة السابقة تعرضت قاعدة ماكدويل الجوية لعاصفة استوائية مدوية اقتلعت أشجار جوز الهند التى ملأت المشهد تماما. وقد شاهدت «سندى» ذلك فيما هى تقود السيارة من أوبوزن تحت ذلك المطر المدرار، فأدلت بملاحظة نافذة: أتمنى ألا يكون ذلك نذيراً بما سيأتى.

بعد أقل من أسبوعين وجدت نفسى واقفا فى شرفة غرفة بفندق من فنادق القاهرة، ناظرا إلى النيل ومصغيا إلى صوت المؤذن يدعو إلى صلاة العشاء. كانت تلك أول رحلة لى إلى الشرق الأوسط منذ عام ١٩٤٧. وطفح خيالى بالذكريات، وفى ضوء القمر أمكن لى أن أتبين القباب والمآذن، أشكال مألوفة منذ صباى. وقتذاك كان المؤذنون يصعدون المنائر خمس مرات فى اليوم ليرسلوا الدعاء المتكرر، أما الآن فإن أبراج المآذن مزودة بمكبرات صوت توفر عليهم عناء ارتقاء الدرج. وشممت النتانة المنبعثة من النيل بروائح الحمير والثيران التى تجر العربات فى شوارع المدينة، وشممت أيضا عطر التبغ

التركى وشذا القهوة المخمرة والشاى.. فالكثير من الرجال يتجولون طوال اليوم فى شوارع القاهرة، حاملين على ظهورهم أوعية نحاسية ضخمة يبيعون منها فناجين القهوة والشاى للعابرين، ولكن ثمة تحت ألوان الروائح كلها عتق خاص: رائحة عمر الكهولة. لقد عدت لفترة كنت صبيا فى المدرسة فى سويسرا، حيث عاهدت نفسى –ولم يكن لى من العمر غير ١٤ عاما– أن أعود، وها آنذا أفعل ولكن بعد ٤٠ عاما.

لم أكن قد اعتدت على الزخارف والبهرجة التى يحاط بها القائد العام، فقد تمركزت فى الفندق زمرة حماية أمريكية ممتازة مؤلفة من ستة أفراد، إلى جانب زمرة أمن مصرية من ٦٠ فردا، لمرافقتى طوال الوقت. وهناك فى الغرفة المجاورة مشغل لاسلكى مسئولا عن إدارة الاتصال على مدار ٢٤ساعة عبر الأقمار الصناعية مع مقر قيادتى فى تامبا، فى حين تجثم طائرتى النفاثة الخاصة فى مطار القاهرة، وهى نسخة عسكرية من طائرة بوينج ٧٠٧ إلا أنها عديمة النوافذ، وقد جهزت ليكون مقر القيادة طائرا، وقد أقلتنا هذه الطائرة من فلوريدا عصر ذلك اليوم، ومضت تطير ١٧ ساعة بلا توقف متزودة بالوقود جوا. وكان لزاما علىّ فى المطار أن استقل سيارة ليموزين مصفحة، ترافقها وحدات حماية صاخبة من البوليس والعسكريين. لقد نسيت أن إصلاح المركبات هو العادة المتبعة فى شوارع الشرق الأوسط، كما تبدو باستمرار قيد شعرة من اصطدام مميت. وفى وسط المدينة وجدنا أنفسنا فى ازدحام مرور خانق، ورغم أن الصفارات راحت تعوى، ورجال الأمن المصريون يشرئبون من نوافذ السيارة ليصرخوا أو يضربوا بجميع اليد على جوانب سياراتهم، فإن السائقين الأخرين اكتفوا بالالتفاف وهم على مقاعدهم، ونظروا إلينا ولم يتحرك أحد منهم بسبب وجود عربة يجرها حمار كانت سبب انقطاع السير.

وتأملت كيف حددت وزارة الدفاع حدود الرقعة الجديدة لمسئولياتى. فى عام ١٩٨٣ أمر الكونجرس وإدارة ريجان هيئة رؤوساء الأركان العامة بإقامة القيادة المركزية كى ما يكون لدى الرئيس عصا يلوح بها فيما لو هدد عدو مثل الاتحاد السوفيتى أو ايران بتكبيل حرية العالم فى الوصول إلى نفط الشرق الأوسط. كانت مسئولية هذه المنطقة– حتى ذلك الحين– موزعة بين قيادة المنطقة الأوروبية ومقرها شتوتجارت بألمانيا، وقيادة منطقة المحيط الهادى ومقرها هاواى، برغم أن كلتا القيادتين لم تمنحا الشرق

الأوسط الانتباه الـذى يستحق، فإن القادة العسكريين فى كلتا القيـادتين احتجوا بشدة حين تحققت مخاوفهـم وصــارت بلــدان معينــة -كــانت من قبـل تقع فى دائرة مسئولياتهم- مسنودة الآن إلى القيادة المركزية.

وهذا يفسر لماذا أن سوريا ولبنان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب لم تكن فى نطاق عمل القيادة المركـزية، رغم أن العـرب يعتبرون هذه البلـدان جزءا لا يتجـزأ من العالم العربى، لقـد جادلت قيادة المنطقـة الأوروبية قائلة: بما أن الأسطـول الساحلى يحرس البحـر المتوسط، فإنها يجب أن تحتفظ بمسئـوليتهـا عن البلدان التى لها مـوانىء على سـاحـل هذا البحر. ورغـم أن ذلك لا يعد خير الحلـول من وجة نظـر القيادة المركـزية وقيادة المنطقة الأوروبية، فقد تنسق العمل بصورة وثيقة فى كل القضـايا المتعلقة بالأمم المتاخمة للقيادتين، واحتفظت قيـادة المنطقة الأوروبية بإسرائيل، وهذا مفيـد تماما من وجهـة نظـرى، ذلك أنى كنت سأجـد صعـوبـة فى إقنـاع العـرب بتقبل الـدقـائق الجيوبـوليتكية للقيادة المركـزية لو كـانت تل أبيب إحدى المحطات فى جـولتى. وتتركز قيادتى من الناحية الجغرافية على شبه الجزيرة وحواف المياه الحاسمة التى تحيط بها (الخليج العربى -خليج عدن- البحر الأحمر) إلا أنها تمتد أيضا فى قوس أكبر من ذلك، يبدأ من مصر فالسودان إلى القرن الأفـريقى، انتقالا إلى الشمال الغربى، إلى أفغانستان وباكستان التى تبعد حوالى ٤آلاف ميل.

وعـزمت على زيارة أكبر عـدد من البلـدان التى تقع فى دائرة مسئـولياتى فى أقـرب فـرصـة ممكنـة، وفى ذلك الوقت لم تكن لـدينـا علاقـات عسكريـة مع إيران والعـراق وأفغانستان وأثيوبيا او جمهورية اليمن الديمقراطية، ووضعت فى جدول رحلتى الأولى زيارة المملكة العربيـة السعودية ومصر وباكستان باعتبـار أن السعودية هى أهم قوة استقـرار فى منطقـة الخليج، ومصر وبـاكستـان هما ثـانى وثـالث أكبر المتلقين (بعـد اسرائيل) للمعـونة العسكـرية الأمـريكية. كانـت اللقاءات فى القـاهرة وفى إسـلام أباد عاصمة بـاكستان ودية وصريحة، وأمضيت ساعات فى تبـادل الحديث وتناول العشاء مع الفـريق أول صفى الـدين أبو شنـاف رئيس هيئـة الأركـان المصرية، وأحمد عبـد الرحمن رئيس قلم المخابرات العسكرية.

وفى بـاكستان استضـافنى الأدميرال افتخـار أحمد سيروهى رئيس هيئة الأركـان

- الباكستانية المشتركة، وقدم لى خلاصات الاطلاع الجنرال ميرزا اسلام بك الرجل القوى الذى تسلم قيادة الجيش بعد اغتيال الجنرال محمد ضياء الحق فى اغسطس. بعد ذلك عقدت اجتماعات مطولة مع الرئيس غلام اسحق خان ورئيسة الوزراء بى نظير بوتو.

وفى الرياض كان الاستقبال أكثر برودة، فطوال سنوات دأب الكونجرس على تقليص حرية السعوديين بصرامة فى شراء الأسلحة الأمريكية، على افتراض أن أى سلاح يباع إلى العرب -حتى العرب المعتدلين- سينتهى إلى أن يستخدم ضد اسرائيل. ولا غرابة إذن فى أن يتوجه السعوديون -رغم تفضيلهم للمعدات الأمريكية- إلى بناء قوتهم الجوية بالاعتماد على المقاتلات البريطانية، وإدارات الدفاع الجوى الفرنسية، والمدفعية البرازيلية، والصواريخ الصينية. وأيا كانت طبيعة المعونة الأمنية الأمريكية التى يحتاجها السعوديون، فقد كانوا يفاوضون من أجلها مباشرة فى واشنطن على يد سفيرهم البارع الأمير بندر بن سلطان. ولزيادة الطين بلة قامت القيادة المركزية فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٧ -أى فى مبتدأ «حرب الناقلات» فى الخليج- بإرسال جنرال بنجمتين إلى الرياض -دون دعوة- لتوجيه قوة مشتركة من الطائرات السعودية والأمريكية مما كان أمرا محققا بطرده من السعودية.

لذلك، حين وصلت السعودية وجدت أن الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود وزير الدفاع والطيران «غير متيسر»، وعقدت جلسات وجيزة رسمية مع الجنرال محمد الحمد ورؤساء القوات المسلحة. كان الحمد فى البداية فاترا معى، إلا أنه صار دافئا عندما أخبرته بأننى أطمح فى تحسين العلاقة بين بلدينا، على أن تكون علاقة منفعة متساوية للطرفين. أخيرا كان لى لقاء لمدة ٢٠ دقيقة مع الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود نائب وزير الدفاع والطيران، وكان الأمير واحدا من ٤٧ ابنا من أبناء الملك عبد العزيز آل سعود والزعيم البدوى العظيم الذى وحد المملكة العربية السعودية فى الثلاثينات. والأمير رجل جذاب طويل القامة ممتلىء الجسم، يقاربنى عمرا ويتحدث الانجليزية بطلاقة، وقدم لى مستهلا حين بادرنى بالسؤال بأدب جم: هل هذه زيارتك الأولى للعربية السعودية؟

وحين أفصحت له كيف زرت بلاده من قبل، تعجب وتضاعفت دهشته لما أخبرته

بأن زيارتى الأولى وقعت فى عام ١٩٤٧، ورحت أوضح لـه أن والدى كان يقيم فى إيران وأنه أرسلنى إلى الدراسة فى أوروبا وتوقفنـا فى مدينة الظهران، وأضفت بلهجة رسمية نوعا ما: إنها لمناسبة رائعة أن ألتقى بكم.. التاريخ يعيد نفسه.

فسألنى الأمير: ماالذى تعنيه؟

ذكرته بالعلاقات الحميمة بين الأمـريكيين والسعوديين عقب الحرب العالمية الثانية، التى كسب الرئيس روزفلت خلالها مودة الملك عبد العزيز. وأضفت: ونتيجة لذلك جاء والدى إلى الرياض عام ١٩٤٦ والتقى رسميا بوالـدكم.. لقد التقى بالملك عبد العزيز آل سعود، وأنـا الآن ألتقى بكم. إننى أعتبر ذلك تجديـدا للأواصر التى عقدتها عـائلتى مع عائلتكم. قصدت كل كلمة قلتها، إلا أن الأمير سر لسماع مشاعر عربية تجرى على لسان جنرال أمريكى.. واختتم لقاءنا بتقريعى تقريعا رقيقا على جهل الأمريكان ببلاده:

حين تأتون أنتم الأمريكان إلى المملكة العربية السعـودية، لا تغتنمون الفرصة لمعرفتها. فى زيارتك القادمة سأضع هيلكوبتر تحت تصرفك لكى تستطيع أن ترى المملكة العربية السعودية. أجبت بأن ذلك سيكون من دواعى سرورى.

وبالطبع فقد التـزمت آداب الكياسة العربية فى الحديث. فقـد سمعت بيتر بيكتولد – المدرس فى معهد الخدمـة الخارجية – يقول «فى العـالم العربى مـوقعك كفيل بفتح باب الدخول، ولكن علاقاتك الشخصيـة هى التى تجلب لك العهود من العرب». لقد نما هذا الضرب من إدارة الشؤون من تقاليد الخيمة البـدوية فى الصحراء، حيث تلقى مباحثات العمل ساعات طويلـة من سرد الحكايات فى الليل، وحين يسألك مضيفك العربى «كيف كان طيرانكم» فليس من اللياقة أن تجيب «كان حسنا.. شكرا». إن الضيف الكيس يقول شيئا من قبيل «استغرقت الرحلة ١٧ ساعـة، كان صعبا علينا خلالها أن نميز الليل من النهار، واضطـرب جسدى تمامـا. أما الآن فأشعر بتحسن، لأننـا نزلنـا فى عاصمتكم الجميلة، ولدى مرورنا من المطار إلى هنـا رأيت المشاهد وسمعت الأصوات فى مدينتكم، وأشعر كأننى عدت إلى بيتى». هذا ضرب من الدبلوماسية يمتعنى حقا.

بحلـول ربيع عـام ١٩٨٩ أنهيت ثـلاث رحـلات إلى الشرق الأوسط، ودهشت من بعض الأشياء التى اطلعت عليهـا. ففى يوليو (تموز) الماضى حين أجرى وزيـر الدفاع كارلـوتشى المقابلة معى حول التعيين فى القيـادة المركزية، أخبرته بـاعتقادى بضرورة

الاهتمام بالجبروت العسكرى العراقى. وأردت أن أقيس إلى أى مدى استطاع النصر العراقى فى حروبه مع إيران أن يغير ميزان القوى فى الخليج العربى. إن وقف إطلاق النار الذى أشرفت عليه الأمم المتحدة فى أغسطس (آب) ١٩٨٨ قد ترك العراق بجيش من مليون جندى، وباقتصاد أضعف من أن يستوعب عودة هؤلاء الجنود إلى الحياة المدنية. أجاب كارلوتشى «إننى أفكر بالشىء نفسه».

وعلى أية حال حين رحت أجوب الخليج، دهشت لأن أرى معظم البلدان: السعودية، الأردن، الإمارات العربية المتحدة، البحرين، قطر، متوجسة من إيران لا من العراق، وأن الحكمة السائدة هى أن وقف إطلاق النار مجرد فاصلة، وأنه حالما تعيد إيران تسليح نفسها جيدا ستعود إلى محاربة العراق وتهديد الجيران العرب الأخرين. أما بالنسبة إلى العراق، فإن الملك حسين – ملك الأردن – أفصح عن رأى الغالبية حين دعانى إلى الغداء فى يناير (كانون الثانى) ١٩٨٩. قال «لاتقلقوا بشأن العراقيين لقد أنهكتهم الحرب ولا يضمرون نوايا عدائية تجاه الأشقاء العرب»، وذكرنى، بأن الأردن ومصر واليمن والعراق قد أعلنت لتوها عن تشكيل مجلس التعاون العربى. وأكد لى أن الأردن ومصر ستقنعان العراق بالاعتدال فى نزعته العسكرية.

أما دهشتى الثانية فجاءت لدى اكتشافى أن الكثير من القادة العرب كانوا يتوقعون ويرحبون بالمزيد من الاهتمام العسكرى الأمريكى فى منطقة الخليج. وكان التدخل الأمريكى فى حرب الناقلات قد ترك أثرا طيبا. وقد عبر الجنرال ميزياد الصانع رئيس الأركان الكويتى عن ذلك بقوله «لم نكن نعتقد أنكم أيها الأمريكان ستأتون، ولكنكم أتيتم.. وحين جئتم اعتقدنا أنكم ستغادرون ما إن تقع إصابات فى صفوفكم، ولكنكم بقيتم، لقد بقيتم للدفاع عنا، ونحن الآن نثق أن الولايات المتحدة صديقة العالم العربى».

حتى ذلك الحين لم يحبذ أحد حضور الولايات المتحدة فى الخليج عسكريا سوى إمارة الجزيرة الصغيرة: البحرين، فلقد استضافت مقر قيادة قوة سلاح البحرية فى الشرق الأوسط منذ عهد ترومان. ورغم النقد الموجه من جانب الدول الخليجية الأخرى، بقى أمير البحرين ثابتا على التزامه، ولا ريب فى أن إمارته هى أفضل أصدقاء أمريكا فى الشرق الأوسط، وتدرك بعض جاراتها الآن أنه لو أن البحرين حرمت البحرية

الأمريكية من مينائها، لكان مآل حرب الناقلات مختلفا تماما.

لقد توليت مهام القيادة المركزية مشفوعة بأوامر من الأدميرال «كراو» بأن أقلص حجم القوات الأمريكية فى الخليج إلى المستوى الذى كانت عليه قبل حرب الناقلات (قال: أعدها إلى المستوى الطبيعى الأدنى). بيد أن كلمة «طبيعى» تعنى الاحتفاظ بقوة رمزية من أربع سفن حربية، لا تزيد مهمتها عن رفع العلم الأمريكى، وتوصلت إلى قناعة بأن هذا السبيل خاطىء، فإن كنا بحاجة إلى شىء حقا فهو زيادة تعهداتنا فى الخليج. فى أبريل (نيسان) ١٩٨٩ طرت إلى واشنطن لأحدث أعضاء لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس الشيوخ عن تخفيف القيود المفروضة على مبيعات الأسلحة إلى المعتدلين العرب، مثل البحرانيين والسعوديين والكويتيين. وشددت على أن المستشارين والتكنيكيين الأمريكان سيوافقون على هذه الأسلحة ويمارسون تأثيرا قويا حول سبل استخدام هذه الأسلحة. آخر المطاف لم أحرز الكثير، إلا أن التنازلات الطفيفة التى فزت بها ساعدت على تدعيم مصداقية القيادة المركزية فى المنطقة.

وكان العرب يرغبون باستمرار فى بحث مواقفنا تجاه اسرائيل والفلسطينيين، وهنا رحت أسير فوق حبل مشدود: فالولايات المتحدة لم تكن ميالة لتقليص دعمها لاسرائيل، ومع هذا أردت أن يعرفوا أن بوسع الأمريكيين أن يقدروا وجهة النظر العربية أيضا. وبرزت المسألة، على سبيل المثال، فى خريف عام ١٩٨٩ حين التقيت بالنائب المناوب لقائد الحرس الوطنى السعودى، الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجرى، وهو بدوى ذو حكمة، وقد سعيت إلى لقياه بالذات جزئيا لأنه موضع ثقة ولى العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، الذى كانت موافقته هامة للتعاون بين البلدين. التقينا فى منزله بالرياض، كان رجلا نحيف البنية، صغير القامة، ميالا للمزاح. وبدأ التويجرى الحديث بالنظر إلى طولا وعرضا وبالقول «إنه لشرف عظيم أن نكون بحضرة مثل هذه الجنرال الأمريكى الضخم».

فأجبته «بل إنه لشرف أعظم لهذا الجنرال أن يكون بحضرة رجل فى مثل حكمتكم».

وراح على الفور يضغط علىّ فى موضوع اسرائيل، وأصغى باهتمام فيما رحت أشرح التزام أمريكا الأخلاقى والعاطفى. وسألنى أخيرا «أليس صحيحا أنه لو خيرت الولايات المتحدة بين المملكة العربية السعودية واسرائيل لاختارت دوما اسرائيل؟»

فأجبت «ولماذا يجب أن تواجه هذا الاختيار. لا أستطيع أن أتخيل ذلك. إن الولايات المتحدة صديقة للطرفين: السعودية واسرائيل. أليس المرء ملزما بأن يكون له أكثر من صديق واحد، أم أن عليه عقد صداقة واحدة؟».

ضحك الشيخ وقال «هذا قول حسن. أحب هذا القول». ولما خرجنا من القصر كان يمسك يدى، وهى إشارة إلى المودة كنت وما أزال أحاول الاعتياد عليها.

لقد وقعت متعثرا على حدود مهلة فالسفراء الأمريكان فى المنطقة - وهم دبلوماسيون حاذقون - من طراز تشارك فريمان فى السعودية، وفرانك وايزنر فى مصر وبوب أوكلى فى باكستان، تفهموا ودعموا حاجتى إلى توثيق عرى الصداقة العسكرية، إلا أن ما جابهته فى واشنطن أفزعنى.

فالمستعمرون لم يرتقوا إلى المناصب العليا فى وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية (سى. أى. إيه)، أما فى البنتاجون فهم نادرون تماما. ولما تحدثت عن العرب مع زملائى من الجنرالات والأدميرالات ألفيت سؤالهم الوحيد هو «ما هى التزامات المعاهدة المبرمة معهم؟»، ويقصدون بذلك أنه طالما لم توقع الولايات المتحدة معاهدات فليست لديها مسؤوليات. وكان اهتمامهم متركزا على الوفاء بالتزامات أمريكا لحلف الناتو (الأطلسى) واليابان وكوريا، إلا أنهم لم ينظروا باتجاه ما كنت أرى أنه المستقبل.

ولم يكن بوسعى أن أتصور وجود منطقة أكثر أهمية. فالنفط المستورد من الخليج العربى يؤلف أصلا ثلثى ما تستهلك أوروبا الغربية، وعشر ما تستهلكه الولايات المتحدة، وتضم المنطقة ٦٥ فى المائة من احتياطى النفط العالمى المكتشف، وهذا يؤكد أن أهميتها للبلدان الصناعية ستزيد. ووقعت على تقرير فى معهد الخدمة الخارجية يبين أن منطقة الخليج ستظل تضخ النفط مدة قرنين على الأقل، فى حين أن احتياطيات النفط الأمريكى القابلة للاستثمار الاقتصادى قد تنضب فى بحر عقدين من الزمان. ولو افترضنا أن مصادر طاقة عملية جديدة لن تظهر إلى الوجود - وسجلنا فى تطوير هذه المصادر البديلة بائس - فإننا سنجد أنفسنا نتراكض متنافسين على نفط الشرق الأوسط، ليس فى الحال، بل لربما فى ظرف ٢٥ عاما، تنافسا ضاريا مع نفس البلدان التى هى الآن خير الأصدقاء.. أعنى اليابان، وانجلترا، وفرنسا، وألمانيا.

ورحنا بين سفرة وأخرى فى الشرق الأوسط، نعمل - هيئة الأركان وأنا - على إعادة

بناء القيادة المركزية من القاعدة إلى القمة. لقد ركزت القيادة المركزية كل انتباهها طوال عامين على الحرب، ليس فقط حرب الناقلات، بل أيضا الدعم الأمريكي السرى للحرب فى أفغانستان. فى غضون ذلك جرى ترك عناصر زمن السلم فى عمل القيادة المركزية – مثل رعاية العلاقات العسكرية مع حكومات الشرق الأوسط – إلى الضمور. وقد كف سلفى فى القيادة الجنرال كريست – تحت ضغط الأحداث، عن زيارة العديد من البلدان. كالأردن مثلا.

أما قسم التخطيط والسياسة فى القيادة المركزية فقد تحول إلى ورشة تخطيط حربى صرف. ولما سألت ضباط الأركان العاملين فيه ما هى أهدافنا لزمن السلم فى كل بلد على حدة، اكتشفت أننا لم نحدد أى شىء.

واتخذت أول خطوة لعلاج هذا النقص، وهى تأسيس الفرع السياسى العسكرى كملحق بقسم التخطيط والسياسة. وفى خلال ستة أشهر حددنا أهدافنا ووضعنا برنامجا لكل بلد، وشرعنا فى عقد الندوات لضباط أركان القيادة المركزية، التى حضرها أساتذة زائرون وموظفون حكوميون لبحث شؤون المنطقة. ورغم أن العديد من كبار ضباط الأركان التحقوا بالقيادة المركزية فى نفس فترة التحاقى بها، ولم تكن لهم أية تجربة سابقة بالمنطقة، فقد انسحروا بالشرق الأوسط.

كان نائبى كقائد عام هو الليوتاننت جنرال كرافن سى «بك» روجرز، وهو طيار محارب مخضرم، ويشعر فى مجال الشؤون الدولية بأنه فى بيته، وقد خدم أخيرا بصفة قائد للقوة الجوية الأمريكية فى كوريا. أما رئيس الأركان التابع لى فهو الميجور جنرال جوهوان، وهو محارب مخضرم فى مشاة البحرية من نيو انجلاند. كنت أعرف منذ البداية أن بوسعى الاعتماد عليه لخبرته فى عمليات مشاة البحرية والإنزال البرمائى، ولكنى تعلمت أيضا فى فجر إعادة تنظيم القيادة، أن أعتمد على «جو» فى كل شىء. لقد كان «جو» رجلا لامعا مندفعا ذا شخصية ساحرة، هادئا فى الأوضاع الضاغطة، وقد اعتبرته مسؤولا عن كل جزء من العمل يؤديه مقر القيادة. لقد كان يحقق من النتائج ما يتجاوز توقعاتى دوما.

وكانت بقية عناصر أركان القيادة قوية أيضا. فمدير الاستخبارات الميجور جنرال هانك دويفس وقد جاءنا حديثا من وكالة استخبارات الدفاع، وكان ذا معرفة، وثيق

الاطلاع على مجتمع المخابرات فى واشنطن. أما الميجور جنرال جيم ويكورد فهو مخضرم القيادة المركزية، فقد خدم مديرا للعمليات خلال فترة حرب الناقلات بأسرها. وكان جيم – شأن العديد من الطيارين المحاربين – شديد الجموح، وكثيرا ما ألفيت نفسى مضطرا إلى أن أكبح جماحه، لكنى لم أضطر إلى حثه قط، وأحببت تلك الخصلة فيه. أما البريجادير جنرال دان توجيل – مديرى لشؤون الاتصالات – فقد اشتهر بأنه أفضل المختصين فى هذا المجال فى القوة الجوية. وكان الميجور جنرال كريس بات مدير الشؤون اللوجستية، وهو صديق من أيام العسكرية الأولى فى فورت كامبل، وقد مضت عليه سنتان فى القيادة المركزية، وكان خبيرا معترفا به فى ميدان المعونة الأمنية. وهناك واحد أخر من الحرس القديم هو العميد البحرى بيل فوجارتى رئيس قسم التخطيط والسياسة، وقد حظى بمنزلة كبيرة فى واشنطن لتحقيقه فى الحادث المأساوى الذى أسقط فيه الطراد الأمريكى فنسنت طائرة ركاب إيرانية، وكان على وشك الاضطلاع بقيادة قوة الشرق الأوسط وقوة المهمات المشتركة للشرق الأوسط، أما بديله العميد البحرى جرانت شارب فهو قائد شديد المراس ذو ذكاء ثاقب، وكان عليه أن يواجه فى القريب العاجل المهمة العملاقة الخاصة بإعادة صياغة خطة حرب القيادة المركزية. أخيرا هناك البريجادير جنرال نورم ابهايرت المفتش العام، الذى لعب دورا أكبر بكثير مما يوحى به لقبه الرسمى. فمنذ أن بدأت القيادة المركزية توجه بهدوء سير التخطيط العسكرى الثنائى مع عدة بلدان فى المنطقة، كان هو الجنرال الذى أرسلته لصياغة التفاصيل، وسرعان ما أبدى تفهما للشئون العسكرية المتعلقة بالشرق الأوسط أعمق ممن عداه فى القيادة المركزية.

وكان تحت تصرفى طائفة من المستشارين من الوكالات فى واشنطن: وكالة المخابرات المركزية (سى. أى. إيه)، وكالة استخبارات الدفاع، وكالة الأمن القومى، وكالة اتصالات الدفاع. أما أهم هؤلاء فهو رجلنا من وزارة الخارجية، المستشار السياسى ستانلى ايسكوديرو. ولم يكن صعبا علينا أن نستدل عليه فى القيادة المركزية، فقد كان يرتدى بدلة مدنية من ثلاث قطع، ويطلق لحيته. كنا نسميه جاسوسنا فى وزارة الخارجية، إلا أن ستانلى كان دبلوماسيا من الطراز الأول ويتمتع ببصيرة نافذة فى الشئون السياسية لمنطقة الخليج، ورحت اعتمد على نصحه اعتمادا كليا.

وما إن مرت ستة أشهر حتى ذاع فى واشنطن أن القيادة المركزية تركز على منطقتها بأسلوب جديد ومثير، ولما أدلينا بالشهادة فى الكابتول هيل، بدا قدامى الأنصار المتحمسين للقيادة المركزية – وهم السناتور سام نان وجون، ووارنر تيد ستيفنس، ودانييل أينوى – فخورين، وكانت القيادة قد وقفت أخيرا على قدميها وبدأ زملاؤنا فى وزارة الخارجية يطرون على تفهمنا المتسع للعالم العربى. أما الوحيدون الذين لم يرق لهم ما أحرزناه من تقدم فهم العاملون داخل البنتاجون، ممن لديهم مصلحة قوية فى تقليص القوات الأمريكية فى الشرق الأوسط.

لم نأمل فى إقامة قواعد عسكرية فى المنطقة، فالحكومات العربية بوجه خاص كانت أحرص على سيادتها من أن تدع القوات الأمريكية تعسكر على أرضها، وبدلا من ذلك حددنا هدف القيادة المركزية بضمان حرية استخدام المطارات والموانىء والقواعد العسكرية الهامة فى حالة نشوب حرب، بل إنى لم أتوقع حتى تحقيق ذلك، خلال فترة قيادتى كنا ملتزمين بالسير قدما على نحو تدريجى، مثل إرسال فريق خبراء إلى باكستان لتعليم اللاجئين الأفغان كيف يحمون أنفسم من الألغام السوفياتية، وحفر الآبار فى الصومال، واقناع الكونجرس بزيادة المعونة العسكرية للأردن بمقدار نصف مليون دولار لدفع تكاليف إصلاح المدرجات، وغير ذلك من النفقات المتصلة بالعمليات العسكرية المشتركة. واتخذ أكبر نجاح لنا شكل مناورات عسكرية، ابتداء من مناورات التدريب الصغيرة المشتركة للقوات الخاصة الأمريكية والسعودية فى جزيرة بحجم طابع البريد تقع فى الخليج، إلى المناورات الصحراوية الكبرى فى مصر التى يشترك فيها مظليون من الفرقة المحمولة رقم ٨٢، ووحدات دبابات من فرقة المشاه الآلية رقم ٢٤. وقد بينت هذه المناورات أن هناك بلدانا أخرى مستعدة لتقبل حضور القيادة المركزية، حتى إن كان ذلك بصورة مؤقتة وعلى نطاق ضيق.

فى جولة زيارتى الثانية فى خريف ١٩٨٩ وجدت الكثير من الأبواب فى الشرق الأوسط تنفتح. والآن وقد عرف نظرائى العرب مدى افتتانى بحضارتهم، فقد صاروا يستقبلوننى بترحاب فى بعض قصورهم ومتاحفهم وجوامعهم، كما صاروا مستعدين لمكاشفة الأسرار العسكرية، فخلال زيارتى الأولى للكويت مثلا أحجم الجنرال الصانع عن الدخول فى تفاصيل خططه الدفاعية، وقلل – شأن البلدان العربية الأخرى فى الخليج

– من فكرة نشـوء خطر محتمل من صـدام حسـين. ولما عدت فى شهر أكتـوبر (تشرين الأول) أخذنى فى جولـة استطلاعية لمنشآته العسكـرية، ولم استطع أن أمنع نفسى من ملاحظة أن سائر المدافع الكويتية مصوبة شمالا نحو العراق، وأخبرنى الصانع الآن – على المكشوف – بأن العراق هـو الخطر رقم واحد على الكويت، وأوضح أن صـداما قد فشل فى إحراز واحد من أهدافه الكبرى فى الحرب مع إيران وهو استعادة منفذ الوصول إلى الخليج العربى، وفى حين اعاد العـراق سيطرته على شبه جزيرة الفـاو فانه استكمل تدمير الجائزة التى سعى إلى نيلها، فممر شط العـرب المائى – الذى لم ينظف أبدا طوال فترة الحرب – حـافل الآن بالطمى والسفن الغـارقة وقنـابل المدفعية التى لم تنفجـر، بحيث يتعذر استخدامـه لسنوات. والآن – أضاف الصـانع مبتئسا – بـات العراق أكثر اعتمادا من ذى قبل على أم قصر، أى مينـائه العسكـرى القـريب من جـزيرة بـوبيـان الكويتية، التى قد يعمد صدام حسين إلى احتلالها.

وسعت سفيرة الولايات المتحدة فى بغداد، أبريل جلاسبى إلى رؤيتى فى اليوم الثانى من زيـارتى للكويت، كما لـو أنها تسعى للتقليل من ذلك الخطـر. كـانت تقوم بمهمـة عسيرة، إذ لا يقتصر الأمر على أن العلاقات بين الولايـات المتحدة والعراق متوترة الآن، بل يتعداه إلى أنها امرأة تقوم بما يبـدو فى نظر العرب عمل رجل. ولربما أفضى ذلك إلى إثباط عزائم ضعفاء الشخصية، أما جـلاسبى فلم تكن تبالى بذلك قيد شعرة، وتحدثت بتلك الخشـونة التى يبـديها الدبلـوماسيـون الـذين يعرفـون أنهم ليسوا مضطـرين للتفاوض. لقد وصفت نظـام الحكم العراقى بأنه نظام قمعى فظيع يحرمهـا من حرية الحركة، إلا أنه أيضا بلـد أقوى من أن تهمله الولايات المتحدة «فـذلك كمن ينكر وجود السرطان». وافقتها الـرأى، وأضفت: بما أن العراق دولة عسكريـة، فإن قيام اتصالات عسكرية من خلال القيادة المركزية من شأنـه أن يكون سبيلا فعالا لتطوير الاتصالات بين الحكومتين، وأعربت لها عن استعدادى للالتقاء بالجنرالات العراقيين إن استطاعت هى توفير فرصة موائمة.

كان على جلاسبى أن تعود إلى بغداد على الفور، أمـا أنا فإن مشاغل القيادة المركزية استبقتنى ومرافقى فى مـدينة الكويـت عدة أيام أخـر، وأوجد الجنرال الصـانع سبيلا لتلطيف الجو إلى حد كبير قبل مغادرتنا، وذلك بترتيب وليمـة عشاء لى ولضباطنا نحن

الاثنين فى مطعم شهير صمم على شكل الدهو، أى على صورة مركب شراعى عربى من طراز المراكب التى كانت تمخر أمواج الخليج فى الأيام الخوالى. جاء إلى غرفتى فى الفندق قبل يوم من الوليمة ليخبرنى عن المطعم، ثم سألنى عرضا: هل تفضل ارتداء ملابس مدنية أوروبية أم ملابس كويتية؟ إن فكرة ارتداء دشداشة عربية لم تخطر على بالى من قبل، ولكنى رأيت أنه لم يكن ليطرح السؤال لو لم يرغب فى أن يرانى مرتديا إياها. أود أن أرتدى ملابس كويتية إن لم يكن ذلك مزعجا لكم.

أضاءت البهجة قسماته «لن يزعجنى ذلك إطلاقا، بل سنسر بذلك، سأجلبها لك».

وأشرت قائلا: لكننى لم أر أى أناس غربيين يرتدون الملابس الكويتية. نظر إلى وأجاب فى الصميم: كلا لم تر أحدا، ولكنك ترى الكثير من العرب فى الولايات المتحدة يرتدون الملابس الغربية. فهمت مغزى الرسالة: ننتظر منهم التكيف حين يعملون فى بلادنا، ومع ذلك لا نشعر بالتزام مماثل فى بلادهم.

فى عصر ذلك اليوم وصلنى الثوب، وهو رداء طويل الأكمام عالى القبة، معمول من نسيج قطنى أبيض، «والبشت» وهو عباءة خارجية طويلة سوداء معمولة من ياردات من نسيج صوفى ناعم متباعد الخيوط فى الحياكة، يحف مطارفه قيطان ذهبى. كما استلمت غطاء الرأس التقليدى: قماشة مربعة بيضاء من القطن هى الفترة، وقيطان أسود مجدول هو العقال ليحفظ الفترة على الرأس، ارتديت الثياب ووقفت أمام المرآة. كانت رائعة المنظر، واستدرت متأملا نفسى من هذا الجانب ومن ذلك، ولم أتمالك أبعاد نفسى عن التفكير فى فيلم لورانس العرب، حين يرتدى بيتر اوتول الثياب العربية أول مرة، ويروح يدور راكضا على كثبان الرمل معجبا بنفسه.

جاء الصانع وصحبه لاصطحابى، فنزلنا بواسطة المصعد إلى الطابق الأسفل، حيث كان مجموع الضباط المساعدين لى هنا واقفين ينتظرون دون أن يرتابوا فى شىء. ورأى نورم ايهلبرت الجنرال الصانع يجتاز ردهة الفندق مع كل أولئك العرب، فتساءل أين الجنرال شوارتزكوف إذن؟ وقال لى فيما بعد إنه على كثرة الوقت الذى أمضاه فى الشرق الأوسط لم يخطر بباله أن أمريكيا قد يرتدى ثيابا عربية.

وفى المطعم صف الجنرال الصانع ضباطه فى خط واحد للترحيب بنا، وكانت بسمة عريضة ترتسم على محيا كل ضابط منهم فيما أنا أصافحه، ذاكرا لى مدى سروره

وتشرفه بأن يرانى مرتديا ثيـابهم. قبل الجلوس إلى المائدة تجولنا قليلا على دلة مركب الـدهو الشراعـى متجاذبين أطـراف الحديث، مـرتشفين عصير الفـواكه وشـاخصين بأبصارنا على امتداد الخليج. كان مساء صـافيا تهب فيه الريح قليلا، وأنا واقف وسط الكويتيين فى مقدمة المركب وثيابى تطير، متسـائلا: ما عسى يقول عنى زملاء دراستى فى وست بوينت لو رأونى الآن؟.

إن الاسلوب الجديـد الذى اتبعته القيـادة المركزية أثمـر أيضا فى الامارات العـربية المتحدة، ففى أواخـر عام ١٩٨٨ كان ثمـة نفور وتبـاعد عملى بين حكومتينـا، فرئيس اتحاد الإمارات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وهـو بدوى حاذق ومخضرم وموحد الامارات، قد أعلن مرات عديدة أن الـولايات المتحدة ليست صديق العرب لأنها صديق اسرائيل. وكانت القيـادة المركزية قد امعنت فى زيـادة العلاقات حرارة بصفقـة أسلحة أبرمت قبل بضع سنوات. كانت القيادة المركزية تشرف على بيع حكومة الشيخ زايد ما قيمته عشرات الملايين من الدولارات من صواريخ هوك –ت ٢ (ت ٢ = التعديل الثانى) للدفـاع الجوى، دون أن تذكـر له أن البنتـاجون يـوشك أن يعلن تقادم هـذا النوع من الصواريخ والانتقال إلى صواريخ هوك – ت ٣، وشعرت الإمارات العربية المتحدة بأنها قد خدعت.

وكان نائب رئيس أركان القوات المسلحـة فى الإمارات – وهو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، الابن الثالـث للشيخ زايد – غير راض عن هذا الوضـع الـذى آلت اليه الأمور. ولما أطلعه الجنرال ايهلبرت على أن طاقما جديدا يتولى الآن مهام القيادة المركزية، دعانى إلى عرض عسكرى يقام فى العيـد الوطنى للإمارات العربيـة المتحدة فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٩. كان على أن أقـوم برحلة خـاصة إلى الشرق الأوسط لحضور المنـاسبة، وبالطبع فقد كانت تستحق ذلك كما بدا لى، فـالامارات المتحدة تحتل موقعا استراتيجيا حاسما، زد على هـذا افتتانى بـالتحديث السريع للبـلاد فى ظل قيادة زايـد، ورغبتى فى الاطـلاع عليه بنفسى. وقـد عرف محمـد بأننى أحب الخروج فى نـزهات، لـذلك جعل الدعـوة مغرية بصورة مضـاعفة بحيث لا يمكن الاعتذار عنها.. عـرض أن يأخذنى فى رحلة صيد بالصقور فى الصحراء فى اليوم التالى.

وتوافقنا – محمد وأنا – منذ مساء لقـائنا على الفور، واتفقنا فى الرأى على أن بلدينا

بحاجة إلى القيام ببداية جديدة، ووعدت بتعيين الكولونيل جاك ماك جينز - وهو واحد من خيرة ضباط مقر القيادة - كرئيس للبعثة العسكرية الأمريكية. وفى اليوم التالى ذهبنا لحضور العرض العسكرى.

وجهت الدعوة الى العسكريين من سائر البلدان، وكان هناك عدة جنرالات فى قاطع منصة الجلوس، حيث كنت جالسا مع هوار وايهلبرت، الا أنى كنت الأعلى رتبة، وكان الأخرون يأتون ويصافحون عند وصولهم باستثناء اثنين. وجلس إلى جانبنا اثنان من العسكريين العراقيين، اللذان لم يقولا لنا كم الساعة، ولما ابتسمت وقلت صباح الخير لم يردا، كما لو أننى لم أكن موجوداً. وتذكرت حوارى مع السفيرة جلاسبى قبل أسابيع مضت، وفكرت: مؤكد أن علينا أن نقطع أشواطا أخرى قبل أن نتصادق مع هؤلاء الناس.

تحددت القيادة المركزية - منذ إنشائها عام ١٩٨٣ - بوصفها قوة انتشار سريع، على أن تكون مهمتها فى زمن الحرب أن تصد الجيش الأحمر عن احتلال حقول النفط الثمينة فى ايران. وكان هذا السيناريو هو الأساس المنطقى لما يسمى خطة عمليات القيادة المركزية، والمخطط الأساسى الذى استخدمناه لتنظيم الوحدات واجراء المناورات وتكديس وخزن التجهيزات، والتنافس مع القيادات الأخرى على دولارات ميزانية البنتاجون. وكنت أعرف خوافى وبواطن الخطة بفعل تسلمى قيادة فرقة المشاة الآلية رقم ٢٤، التى كانت مخصصة للقتال تحت إمرة القيادة المركزية فى حالة نشوب حرب. والواقع أن دبابات الجيش الوحيدة المموهة باللون الصحراوى المغبر - عوضا عن اللون الغابى الأخضر - كانت هى دباباتنا.

وقد استخدمنا خطة العمليات هذه طوال تلك السنوات، إلا أن أغلب الجنرالات يعرف أن الخطة عديمة المعنى وأنها لابد من نبذها مع المهملات آخر الأمر. فى بادىء الأمر كانت الخطة انتحارية، فقد كانت تقضى بأن تزج القيادة المركزية قواتها فى جبال زاجروس شمال إيران. إن الممرات الضيقة والأراضى الوعرة هى أفضل مواطن

الدفـاع، لكننا كنا نـدرك أننا مهما أبلينا فى القتـال بلاء حسنا، فإن العـدو سيكتسحنا بتفـوقه العـددى، ونحن بعيدون عن الـوطن مسـافة ٧ آلاف ميل ومحكـومون بنفـاد التجهيزات والجنـود فى ظرف أسـابيع ولما كنا نتـدرب على الخطة فى تمارينـنـا نصف السنويـة كان الخبراء المراقبون يوقفـون التمرين قبل أن تصل المعركـة إلى تلك النقطة، قائلين لنا بغمـوض «لقد توصل الدبلـوماسيون بالتفـاوض إلى وقف إطلاق نار». ولم تكن الخطة تلهمنا كبير ثقة.

رغم ذلك استخـدمت القيادة المركزيـة تلك الخطة سنـوات وسنوات لتبريـر انفاق الملايين من دولارات دافعى الضرائب، لشراء تجهيـزات ومعـدات خـاصـة. وفى وقت تسلمى للقيادة كانت قد كدست مئات الأميـال من الأنابيب لمد خط للتزود بالوقود من ايران، وبدلا من أن تعتمـد الخطة على مصافى النفط الايرانية كانت تـدعو القيادة – كما كنا قد وضعنا خططا – لشراء أعـداد كبيرة من الحوامات والمراكب البرمائية وغير ذلك من المعـدات المتخصصة، لكى يكـون بمقـدورنا نقل سـائر تجهيـزاتنا إلى الشـاطىء. والمنطق الكامن وراء ذلك هو أن عداء الحكومة الايـرانية للولايات المتحدة لن يفسح لنا منفذا للموانىء. ورأيت أننا إذا لم نستطع تحديد هدف معقول للقيادة المركزية الجديدة التى أتولاها الآن، فإننى على استعداد لأن أوصى وزير الدفاع بالغاء القيادة.

وذات مساء من أمسيات يوليو (تموز) ١٩٨٩، بعد مضى ثمانية أشهر على تسلمى القيادة العـامة لهذه القوة، وبعـد الزيارات الأوليـة للشرق الأوسط، تمددت فى الفراش وأنـا أحدق فى السقف وفكـرة خطة جـديدة تتبلـور فى فكرى. واسترجعت فى عقلى مـا خلصت اليه. كنت متيقنـا من الأهمية الاستراتيجيـة للشرق الأوسط، ومن كون الشرق الأوسط سبب وجود القيادة المركـزية. وعدا قلة قليلـة من المتصلبين المعاندين، لم يكن أحد يعتقـد أننا سندخل الحرب ضـد الاتحاد السوفيـاتى فى الشرق الأوسط، فكل يوم يأتينا ببرهان جـديد على نجاح محادثات الحد من الأسلحـة، وتخفيف توترات الحرب الباردة. أما فى منطقة مسئولية القيادة المركـزية فإن القوات السوفياتية انسحبت فعليا

من أفغانستان بعد ثماني سنوات من القتال.

كذلك سألت نفسي: ما هو الشيء الأكثر احتمالا؟ مواجهة أخرى على غرار حرب الناقلات؟ مواجهة دخلت فيها الولايات المتحدة فى نزاع محلى خرج عن حدود السيطرة وراح يهدد تدفق النفط إلى بقية العالم. وأحصيت مالا يقل عن ١٣ نزاعا جاريا فى المنطقة: حروب حدود، حروب أهلية، حروب قبلية، حرب دينية، ومن شأن أى نزاع بعيد منها أن يهدد مصالحنا بالخطر. وعليه، يجب أن تطور القيادة المركزية خطة عمليات تعالج أسوأ هذه النزاعات بعدها فكرت فى أن بوسعنا أن نتولى أية أزمة اقليمية فى أوجها.

ما هى أسوأ الحالات؟ العراق غازيا. إن رابع أكبر جيش فى العالم يتمركز على الحافة الشمالية لحقول النفط، التى يؤلف ما تنتجه مادة أساسية للعالم الصناعى. وتذكرت الكثير من العرب الذين نصحونى بألا أقلق بصدد العراق، كما تذكرت القلة الذين نصحونى بأن أقلق، وحسمت رأيى فى أن القلق هو النهج الصائب جزئيا، لأن صدام لم يخط خطوة واحدة لتقليص حجم جيشه خلال العام الذى مر على وقف اطلاق النار مع إيران.

كنت أدرك أن الخطوة التالية التى يتعين أن أخطوها هى أن أشق طريقى عبر الجهاز البيروقراطى للبنتاجون، لكى نستطيع رسميا الامساك عن المزيد من التحضيرات بصدد غزو سوفياتى مفترض لإيران. ان قائد قطاع اقليمى لا يستطيع أن يضع على هواه خطة الحرب التى يشاء، فهيئة رئاسة الأركان المشتركة هى التى تملى عليه مهمته وفقا للاستراتيجية الوطنية الموضوعة، ويأتى ذلك فى صورة وثيقة من ورق خفيف سرية للغاية – وتسمى مرشد تخطيط الدفاع – يسلمها وزير الدفاع. ويستخدم استراتيجيو البنتاجون هذا المرشد لتطوير سيناريو خطة حية، وهى وثيقة أخرى سرية للغاية تصور مختلف تعاقبات الأحداث الأكثر رجحانا التى تقود الولايات المتحدة إلى الحرب. وتتخذ هذه الوثيقة بدورها أساسا لوضع خطة أخرى تسمى خطة القدرات الاستراتيجية المشتركة، التى توجه مختلف القادة للشروع فى وضع خطط حرب تفصيلية، وتحديد القوات

التى تعمل مع كل قيادة. ومن الواضح أن علينا السعى إلى جعلهم يعيدون النظر فى هذه الوثائق.

كنت أتوقع مقاومة فعلية، ليس بسبب كثرة المتعصبين لخطة جبال زاجروس فحسب، بل بسبب أن البنتاجون كان يتعرض لضغوط هائلة كى يقلص ميزانيته الجارية مع انتهاء الحرب الباردة. وكان الأدميرال كراو يهيىء توصياته حول الاستراتيجية العسكرية الوطنية لكى يقدمها إلى الكونجرس قبل تقاعده فى سبتمبر (أيلول)، ولم تكن مسودة التوصيات التى وزعها البنتاجون على القادة العاملين لإبداء ملاحظاتهم تحتوى على أى بند مهما كان عن الشرق الأوسط. وكان كراو يرى أن على وزارة الدفاع أن تكرس مواردها للولايات المتحدة ومهامها القارية، وحلف الناتو (الأطلسى) والمحيط الهادى. وكررت المسودات اللاحقة الشىء نفسه تماما، رغم المحاولات المتكررة -الرسمية وغيرالرسمية- من جانب القيادة المركزية لحمل البنتاجون على الاقرار بتنامى الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط. وجادلت داعما لموقفنا -وفى مناسبات عديدة- نائب الأدميرال جون هاو مساعد كراو، الذى كان يشكرنى على الدوام دون أن يفعل شيئا (وكان من الصعب جدا لقاء كراو نفسه بسبب انغماره فى عمل أسابيعه الأخيرة كرئيس للأركان). حاولت اقناع الجنرالات والكولونيلات فى مقر هيئة رئاسة الأركان المشتركة، مشيرا إلى ذلك بالقول: ما قيمة المحيط الهادى بدون نفط الشرق الأوسط؟ لقد دخلنا الحرب قبل فترة وجيزة بسبب التدفق الحر للنفط.

أقر الكثيرون أن كلامى معقول ولكنهم قالوا «أنت لا تفهم أن الأدميرال كراو كتب الوثيقة بنفسه».

درست خياراتى، لقد انحشرت وراء الطاولة فى مكاتب البنتاجون خمس مرات ولدى دراسة كافية بـ «الكونج فو» البيروقراطى تؤهلنى للمقاومة. ولو اقتضى الأمر فإن بوسعى مناشدة أنصار القيادة المركزية فى الكابيتول هيل. كنت أعرف أنى لست بحاجة إلى إقناع السناتور «نان» مثلا بأهمية الشرق الأوسط، إلا أنى لم أحبذ فكرة التحرك خارج تسلسل المراتب القيادية فى وزارة الدفاع، ولم أكن مضطرا لذلك كما اتضح لى فيما بعد. حسب المجرى العادى للعمل قدمت خطتى لإعادة النظر فى تحديد مهام القيادة

المركـزية إلى كبير الاسـتراتيجيين المدنيين عنـد وزير الـدفـاع ديك تشيني، وهو بـاول ولفوويتنر مسـاعد الوزير للشئون السيـاسية، وهنري راون سكرتير مساعـد الوزير لشئون الأمن الـدولى. لذلك حين قدم الأدميرال كـراو استراتيجيته للـوزير تشينى من أجل مراجعتها دعانى ولفوويتز وراون، وسألانى بارتياب: هل تتفق مع هذه؟

أجبت بالطبع لا، وشرحت لهما مدى ما تعرضت له من إعاقة.

عرضا القضية مباشرة على تشيني، الـذى أمر بإدخال فقرة عن الشرق الأوسط. فى هذا الفـاصل وجدت حليفا واحـدا هو كولن بـاول. لقد عاد إلى الجيش كما هـو متوقع وتولى قيادة القـوات. زرته فى مقره بفورت مـاكفيرسون حيث كنت قد زرت المخططين المسئولين عن نصيب الجيش الثالث من خطتنا للحرب. عند ذلك الحد كانت سمعة باول فى المؤسسة العسكـرية مختلطـة، فالكثير من النـاس يرون أنه نصـف جنرال ونصف سياسى، ولـم يسبق له فى مجرى تدرجه الصاعد أن قـاد فرقة، وهذه أرضية هـامة لنيل الجدارة. عوضـا عن ذلك جرى تعيينه مساعدا عسكريا لوزير الدفاع كاسبار واينبرجر أيام كـانت رتبة جنـرال بنجمتين وهى وظيفة ذات نفـوذ سياسى هـائل – ومن هناك ارتقى إلى رتبـة ثلاث نجـوم وتولى إمـرة الفيلق الخامس فى ألمانيا. وقبل أن تسنح لـه الفـرصة لإثبـات كفاءتـه فى الوظيفـة، سحب من جديـد إلى واشنطن للخدمـة فى البيت الأبيض فى ظل الرئيس ريجان، ليتولى اخر الأمر منصب مستشـار الأمن القومي. وعليه فقد كـان عمليا خـارج السلك العسكرى لعدة سنـوات، والان عاد إليـه كجنرال بأربع نجوم، وفى مـوقع قيادى مهيـب. ورغم أنه خـدم مرتين فى فيتنـام، وشـهد العديـد من الضبـاط الـذى عملوا معـه فى مهمات أخرى بقدرتـه فى المجال العسكـرى، فإن ارتقاءه السريع دفع العديد من الجنرالات الـذين تجاوزهم سريعا إلى اللغط عن افتقاره النسبى إلى الـخبرة العسكرية.

لم أكن أعرف «بـاول» معرفة كـافية للحكم عليـه، وتعاملى الوحيـد معه اقتصر على اللقاء به فى إطـار جماعى فى مؤتمرات كبار الجنرالات، حيث لفت انتبـاهى كرجل ذكى ثاقب الفكر، ويحمل نفس الرأى الذى أحمله حول العديد من القضايا الأساسية. وغالبا ما كان بـاول وشوارتزكوف وحـدهما يتصديان لآراء العديـد من زمـلائنا فى مجرى النقاشـات حـول مستقبل الجيش، وجادلنا قـائلين بوجوب إعادة التفكير فى أسلوب بناء

وتجهيز الجيش طالما أننا لم نعد نتوقع الدخول فى حرب مع الاتحاد السوفياتى.. ولكن كثرة من الجنرالات كانت ترى أن الاصلاحات سابقة للأوان.

وابتدأت نقاشا بيننا فى فورت ماكفرسون، كبادرة كياسة ضمن عادات الجيش بأن يحيى الجنرال الزائر الجنرالات الكبار فى الموقع. وكان الجيش الثالث واحدا من القوى الرئيسية تحت سلطة باول، وقد اغتنم الفرصة ليخبرنى بأنه منزعج من قيام قوات القيادة المركزية بالتدريب على سيناريو غير واقعى، أى على الحرب فى جبال زاجروس. كما كان يرى أن تكديس المعدات لتلك الحرب تبديد هائل للأموال.

قلت له: لا تقلق، إننى فى مجرى إعادة النظر جذريا باستراتيجيتنا وخطط حربنا، وأظن أن بوسعنا تقليص النفقات كثيرا، ثم أوجزت له التغييرات التى أود إحداثها. تحمس «باول» وتطوع للمساعدة بكل ما يتيسر له.

لو التزمنا بحرفية النصوص لاستغرقت إعادة صياغة وجهة القيادة المركزية – وفق ما كنت أعتزم– سنتين كاملتين، فكل فرع من فروع القوات المسلحة يجب أن يقتطع حصته من خطة الحرب الجديدة، كما يجب على القيادة المركزية أن تقيم الامكانية العملية لايصال القوات والتجهيزات الضرورية إلى منطقة الحروب. بعد ذلك يجب إعداد خطةلحرب لوجستية مرافقة تتألف من الاف الصفحات من جداول الكمبيوتر، وتحدد كيف وبأى تسلسل يتم شحن الجنود وقطع المعدات والتجهيزات فعليا. ويطلق البنتاجون على هذه الخطة اسم «قزنق»، وهى مختصر لعبارة (القائمة الزمنية لنشر القوة). ولا تستطيع القيادة عادة أن تتبنى خطة عمليات قبل إتمام كل هذه الخطوات المستهلكة للوقت، وكان علىّ الآن البحث عن طريقة لحمل العاملين فى القيادة المركزية على التفكير فى أمر المخطط الجديد بأسرع ما يمكن.

وتحدد موعد اللعبة الحربية السنوية المسماة بالاسم الرمزى «النظرة الداخلية» فى الصيف القادم، وتستغرق اللعبة التى تعرف بـ «تمرين موقع القيادة» ثمانية أيام مضنية بعشرين ساعة انهاك فى اليوم الواحد، تتدرب فيها أركان القيادة المركزية – إضافة إلى أركان الجيش والبحرية والقوة الجوية ومشاة البحرية – على إدارة حرب مبلورة، ومصدرة الأوامر، ومعدة لتقارير الميدان، وموجهة تدفقات الذخيرة

والتجهيزات، ومنسقة مناورات القوة الجوية والجيـوش والأسـاطيل باستخدام برامج الكومبيوتر بدلا من القوات الفعلية فى الميـدان. وهذا الأسلوب الذى تتدرب عليه مقرات القيادة هو المعـادل لتدريب الطيار فى غرفة تحليق وهمية. وكـان دخول السـوفييت من خـلال إيران والاشتبـاك معنـا فى حرب هـو السيناريـو المعـد، إلا أن العراق قـد خيب توقعاتنا، وبدلا من السوفييت صار هو العدو القادم لنا من مياه الخليج.

وكان أركان العمليـات التابعون لى قد بـدأوا العمل فى «لعبة النظرة الـداخلية» لعام ١٩٩٠، مهيئين تدريبا يرتكز على فرضية دخول السوفيات من خلال إيران فى سيناريو جبال زاجروس. وسـألت جيم ريكـورد: لماذا نجهد أنفسنا فى عمل منهك لمدة أسبوع فى خطة نبذت مع القمامـة؟ وشرح لى قائلا: طالما أن الخطة الجديدة لم تقـرر رسميا بعد، فإن الواجب يقضى بالسـير على الخطة القديمة. وقلت له أن ينسى جبال زاجروس، وأن يختبر الخطة التى كانت

الباب الثانى

الشرك الأمريكى للعراق

كان هدفنا هو إحداث (شرك أمريكى للعـراق)، وهذا هو ما حدث تحديدا، فلقد لعبنا مناورة النظرة الداخلية على شاشات الكـومبيوتر فى أواخر تموز (يوليو)، مقيمين مقر قيادة صوريا مجهـزا بالكمبيوتر ومعدات الاتصال فى قاعـدة ايجلن الجوية الواقعة فى اللسـان الأرضى لـولاية فلوريـدا، الذى يشبه يـد المقلاة. وبينما كان التمـرين الوهمى جـاريا، كـانت القـوات البرية والجويـة العراقيـة فى العـالم الحقيقى توازى فى الخفـاء السيناريو المتخيل فى لعبتنا. كنا قد صورنا قوة ضخمة تتألف من نحو ٣٠٠ ألف رجل و٣٢٠٠ دبـابة و٦٤٠ طائرة مقاتلة، تحتشـد فى جنوب العراق وتهاجم شبـه الجزيرة العربيـة. أما القـوة الأصغر التـابعة للقيـادة المركزيـة، فيفترض فيها أن تصـد الغزو وتوقفه قبل أن يحتل حقول النفط ومصافى النفط والموانىء السعودية الهامة.

ولإضفاء مزيد من الـواقعية على هذا السيناريو، طلبت من مركـز المراسلة فى قواتنا –قبل عدة أسـابيع– أن يبدأ سلفـا بإرسال دفق من البرقيـات الوهميـة عن التطورات العسكرية والسياسية فى العراق إلى مقر قيادة وحدات الجيش والبحرية والقوة الجوية ومشاة البحريـة، المقرر لها أن تشارك فى لعبة المناورة. ومع بـدء لعبة مناورة الحرب، راح مركز المراسلة أيضا يبعث نشرة المعلومـات المخابراتية المعتادة عن الشرق الأوسط الحقيقى، وكانت التقـارير المتعلقة بالعـراق على شبه كبير بالبرقيات المزيفـة فى اللعبة، بحيث اضطر مركز المراسلة إلى أن يختم على التقارير الوهمية بحروف بارزة: «للتمرين فقط».

قضيت الأسبوع متوترا.. قدم فى عالم التمـرين الخيالى وقدم فى عالم الواقع الفعلى، حيث الأزمـة الحقيقية تتنـامى. ففى السـابع عشر من تموز وجـه صدام حسين علنـا –وبلهجـة غاضبـة– تهديدا بـالحرب إلى الكـويت والامارات العـربية المتحـدة، واتهم

الاثنتين بغرز خنجر مسموم فى ظهر العراق بتجاوزهما حصص الانتاج المقررة فى الأوبك، مما أدى إلى خفض أسعار النفط. ومضى إلى القول بأن جشعهما قد دفعهما إلى التآمر مع الإمبرياليين الأمريكان والإسرائيليين لتخريب العراق، وكفوا عن التصرف كأشقاء عرب. وفى اليوم نفسه وصلت أولى التقارير عن وجود تحركات مريبة للقوات العراقية شمال الكويت تماما.

إن الصراع على حصص الأوبك هو بمثابة قبعة بالية، فصدام المثقل بديون حرب تناهز ثمانين مليار دولار، كان يريد منذ فترة بعيدة رفع الأسعار، أما قادة الخليج الآخرون فقد رفضوا باستمرار مجاراته فى ذلك. بل إن رجالا ذوى ثقافة عالية مثل الملك فهد عاهل السعودية والسلطان قابوس بن سعيد عاهل سلطنة عمان، كانوا يعتبرون صداما بمثابة قاطع طريق، إلا أنهم لم يكونوا قلقين تماما بسببه. فبعد كل شيء تصرف العراق كدولة عسكرية على مدى أحد عشر عاما دون أن ينقلب على جيرانه العرب (الإيرانيون آريون وليسوا عربا)، وظلوا متمسكين بالاعتقاد بأن العرب سيواصلون تسوية خلافاتهم بينهم سلما– وهو ما دأبوا على تكرار قوله قرونا– إلا أن صدام حسين صعد تهديداته الفظة إلى مستوى لم يسبق له مثيل فى العالم العربى، وتوقعت أن نرى ردود فعل سريعة من الدول العربية الأخرى.

كانت الإمارات العربية المتحدة أول من طلب العون، وتوجه الشيخ محمد –بموافقة والده– إلينا بطلب اثنتين من طائرات نقل الوقود لتزويد المقاتلات بالوقود جوا. كان محمد يبغى الاحتفاظ بقوته الجوية محلقة باستمرار وجاهزة للدفاع فورا، لمواجهة أى هجوم عراقى. كما سأل أيضا إن كان بمقدورنا تزويده بطائرة انذار مبكر تحسبا لقيام العراق بشن غارة. كان كلا الطلبين دفاعى الطابع ومعقولا، وأدركت أن الامارات تعد ذلك امتحانا صارما للعلاقة الجديدة التى وعدتهم بها، كما كنت أدرك أن طلب المعونة الأمريكية يتطلب قدرا من الشجاعة، لأن الإمارات كانت تعرض نفسها بذلك إلى الازدراء من جانب الدول العربية الأخرى. قلت: بالطبع سنفعل.

بعد ذلك تقدمت الإمارات بطلب رسمى إلى واشنطن، إلا أن وزارة الخارجية أوصت برفض الطلب وصرفوا النظر عن محمد باعتباره أميرا مانعا. جاء هذا الحكم من خبير فى الشئون المصرية لا يعرف إلا النذر اليسير عن الإمارات، ولقد أخافهم اسم الرجل،

فمحمـد الإماراتى مسلم ورع وضـابط عسكرى كفء وابن وفى مخلص لأبيـه. ولاقت احتجاجاتى آذانا صما، فالتجأت أخيرا إلى كولن باول. قلت له إن ذلك هام جدا بالنسبة لنا، إنهم لا يطلبون الكثير، ويجب أن ندعم هذا الطلب إذا كنا نريد الحفاظ على أية علاقة عسكرية مع الإمارات.

وافقنى الـرأى بحماس شأن وزير الـدفاع ديك تشينى، إلا أن تغيير مـوقف وزارة الخارجية تطلب يومين. فى غضون ذلك اتصل بى محمد وقال: هل ستدعمون الطلب أم لا؟ كما أن السفير الأمريكى فى الإمارات -الذى كان قد وعـد بتقديم العون أيضـا، وكان الآن فى وضـع دقيق وحـــرج- اشتكى إلى وزارة الخارجيـة قـــائلا: إننى أصرخ بأعلى صوتى: لماذا لا ندعم هذا الطلب؟ ما هـو فحوى الالتزام؟ مجرد طائرتى نقل وقود. إننا سنكسب ثقة هؤلاء الناس إلى الأبد.

كانت هذه المعارك نموذجا مميزا لأسلوب عملنا فى الشرق الأوسط، فليس ثمة ما هو عين أبدا.

أخيرا.. وفى حوالى أواخر تموز، أرسلنا بهدوء طائرتى نقل وقود من أجل ما أسميناه التدريبات المشتركـة مع القوة الجوية الإماراتية، كما نشرنا ثـلاثا من سفننا الخمس فى قوة الشرق الأوسط لتشكل سياج خفارة على امتداد الخليج، بحيث إذا شن العراق غارة جوية أمكن لنا التقاطها على شاشات الرادار فى الوقت المناسب لتحذير الإمارات.

أما فى الكويت، فإن صـديقى الميجور جنرال الصانع والميجور جنرال جـابر الخالد الصباح وضعا القـوات الكويتية فى حالـة الإنذار القصوى، ونشراها فى مـواقع دفاعية شمال مدينة الكويت، وهى خطة سبق لى أن اطلعت عليها فى العام المنصرم.

إلا أن أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصبـاح اعترض ملغيا القرار، وأعاد القوات إلى ثكناتها، وافترض الأمير -استنادا إلى خبرته- أن بالوسـع استرضاء صدام بالنقود. لقد أسـهمت الكويت من قبل بمليارات الدولارات دعما لمجهوده الحربى ضد ايران، فيما يزعم صـدام الآن أن الكويت قد سرقت ما قيمته ٢,٥ مليار دولار من نفط حقل الرميلة المشـترك بين البلدين، واتفق الدبلوماسيون الأمريكان على أن صداما لن يهاجم.

واستلمنـا خلال الاسبـوع الأخيرة من تموز تحليـلا للوضـع من وزارة الخارجيـة

ومن الأوساط الدبلوماسية الدولية، يقـول ما معناه أن صداما يلوح بالسيف ليس إلا، ليستقوى على الكويت فى معركـة أسعار النفط، وأنه ما من دولة عربيـة ستهاجم دولة عربية قط.

إلا أن اللــه حبانى بضبـاط مخابرات يبلغـون من المهـارة مبلغا، بحيث إن أوســاط المخابرات العسكرية فى واشنطن كانت تعطى الأولويـة لتقارير القيادة المركزية، مؤيدة تقديراتنـا للتطورات فى الشرق الأوسط. وكان ضباط المخابـرات يطلعوننى كل صباح على اخر التحـركات العسكريـة العراقية، وتوفـرت لنا معطيات مـذهلة يمكن الاعتماد عليها. فمنـذ حرب النـاقلات والولايـات المتحدة تخضع تلك المنطقـة لمراقبة متنـاسبة بواسطة البشر والمعدات المتطـورة، فكان كل يوم جديد يحمل لنا تكـدسا من المعلومات الطازجة. ورحنا نتعقب أثـر القوافل العسكرية والقطارات المحملة بـالدبابات فيما هى تتحرك من بغداد إلى البصرة جنوب العراق، ثم تنطلق من هناك إلى مناطق الحشد.

لقـد سبق للعــراق أن استخـدم الصحـراء المتـاخمة للبصرة لأغــراض التـدريب العسكرى، وحسبنا بادئ الأمـر أن الحشود الحالية قد تكون لغرض إجـراء تدريبات عسكريـة أخرى. كـانت القـوات العراقية تقيـم هناك فى خيـام، أما دروعهـا ومعداتها وتجهيزاتها فتجثم بعيـدا فى المؤخرة، أما فى نهايـة تموز فلم تعد القـوات مقصورة على منطقة التدريب، بل راحت تنتشر كالمروحة جنوب شرق وجنوب غرب البصرة ووجهها إلى الحدود الكـويتيـة، واختفت الخيم الان وتقـدمت الدروع إلى الأمـام، فيما حشـدت المعدات إلى جوار الوحدات القتاليـة التى يمكن أن تستخدمها. فالهليكوبتر تجثم بجوار الوحـدات الخاصة، والجسور العـائمة إلى جانـب مشاة البحريـة. ولم يكن ثمة سبيل للتوهم بأن ما نراه هو محض استعراض للقوة، بل هو خطة حرب تتبلور.

ولما عدنا إلى تامبا، انتقلت هيئة أركانى – دون توقف – من التوتر الاصطناعى للعبة الحرب على شاشـات الكمبيوتر، إلى التـوتر الفعلى النـاجم عن الأزمة. وحصل تغيير فى كادر الضباط الذين اعتمد عليهم اعتمادا بالغـا. فمثلا جوهران رئيس أركانى، رقى إلى رتبة جنرال بثلاث نجوم ونقل إلى مهمة فى البنتاجون تضعه على المسار السريع الصاعد إلى قيادة بأربع نجوم. كنت فخورا بأن أراه يصعد ومسرورا بالبديل الذى جاءنى، وهو الميجور جنرال بوب جونستون، الذى كان على قدر مساو من الكفاءة. وكنت قد سمعت

جنـرالات اخرين يصفـون جونستـون باعتبـاره القائد المقبل لفيلق مشـاة البحريـة، وعـرفت من أدائه فى مناورات «النظـرة الـداخلية» سبب ذلك. إن رئيس الأركـان يلعب دورا محوريـا فى تدريبـات موقع القيـادة، كما فى الأزمـة الفعلية. ورغم أنـه أمضى فى القيادة المركزية شهرا واحدا فقط، فقد نفذ وظيفته على أحسن ما يمكن أن تنفذ.

وجاءنا أيضـا الميجور بوت مور – وهـو ضـابط قوة جويـة محنك – ليعمل كمدير جديـد للعمليات عندى. وهى وظيفة لا كسب فيهـا، خصوصـا حين يكون القـائد العام حصـان حرب قـديم مثلى، يعتقد فى نفسه أنه خير ضـابط كضابط ارتبـاط للقوة الجوية بالكـونجرس، ووجـد نفسه الان على مقعـد سـاخن منـذ أول لحظة، ابتـداء بمناورات النظرة الداخلية، وانتهاء بالأزمة الفعلية، واجتاز المصاعب الناشبة بفضل خبرته كطيار مقاتل. فى هـذه الأثناء تلقى قسم المخـابرات عندنـا – وهو الأفضل فى الأمـور المتعلقة بـالشرق الأوسط أصلا – دعما بعقل جـديد، هـو الـرئيس الجديد للقسم البريجاديـر جنرال «جال لايدا». كان «لايدا» مختصـا بالشرق الأقصى، وقد عمل ملحقا عسكريا فى الصين أيام مـذبحة ساحة تيـان ان مين، وانتقل الان إلى القيادة المركزية متـوقعا فترة مستحقة مـن راحة البال. ولكـن ما إن اندلعت الأزمـة حتى سارع إلى تعليـم الضباط الشباب كيف يزيدون كفاءتهم فى ظل جبال ساحقة من العمل.

وورد إلينا من الكويتيين طلب المعلومات حول التهـديد العراقى، فأجبناهم بإرسال أحد خبراء لايدا، وهـو الميجور جون. ف. فيلى، إلى مدينـة الكويت، حامـلا حقيبة ملأى بصور فوتوغرافية سرية للغـاية. وأبلغنا واشنطن – بعد الظهر بقليل من اخر يوم من أيام يـوليو – بأن الحرب بين العراق والكويـت تبدو وشيكة، ودعم المحللون فى وكـالة مخابرات الدفاع – الذين كانوا يتابعون نفس المعطيات – استنتاجنا هذا. وأمرنى كولن باول عصر ذلك اليوم نفسـه بالمجىء إلى واشنطن، لإطلاع وزير الـدفاع تشينى وهيئة رؤساء الأركان المشتركة على الخيارات المتاحة أمامنا فيما لو بدأ إطلاق النار.

فى عصر اليـوم التالى دخلت التخـوم المألوفـة لغرفـة الاجتماعات المعـروفة بـاسم «الدبابة»، مقدما الرسوم البيانية وصور المراقبة لمواقع القوات العراقية، ومدليا بحديث مدته ٩٠ دقيقة. وسألنى تشينى وهو يشير إلى خارطة الكويت المعروضة على الشاشة، عن رأيى فيما سيفعلـه العـراق. قدمـت تنبؤا اتضح فيما بعـد أنـه ينقسم إلى نصفين:

نصف صـــائب ونصف خـاطىء، «لا ريب فى أن هــذه خطـة عسكـريــة، وأظن أنهم سيهـاجمون». هذا مـا قلته، لكنى أضفت أننى لا أعتقـد أن صدامـا سيلتهم البلد كلـه، وتوقعت أن يكتفى بنقـل مواقعه إلى الجنـوب من خط العرض رقم ٣٠، مستـوليا على الجانب الكويتى من حقل نقطـة الرميلـة، إضـافة إلى جـزيرة بوبيـان التى تسيطر على المسـار البحرى إلى الميناء العراقى الجديد «أم قصر»، والتوقف عند هذا الحد.

وقدمت عرضا بخطط تفصيلية كنا قد صنعناها حول هجمات جوية وبحرية يمكن لنا أن نشنهـا على العراق، وقدمت قائمـة بما يسمى بالأهداف الثمينة: مقـرات القيادة العسكرية، محطـات توليد الطاقـة، المصانع التى نملك أن ندمرهـا بسرعة. وفى الختام، وبما يشبـه المراجعة فى التفكير وأوجـزت خطة الطـوارىء لإرسال قـوات للدفـاع عن العـربية السعـوديـة. وانتهى الاجتماع بـدون أى إحساس بأن الـوضع يتطلب عمـلا عاجلا. ففى هرم الأزمـات العالمية كانت أزمة الخليج مجرد ومضة ثانـوية على شاشة الإنذار.

واتصلت بمقر قيـادة قواتنا فى تامبا مسبقـا، وأنا فى طريقى إليه، مبلغـا بأن جلسة الاطلاع سارت سيرا حسنا، وأمرت ضباط أركانى بالانفضاض، تاركا فريق العمل فى الأزمات فى الخفارة، وكانت تلك أول فترة راحة لأركـان فريقنا منذ اسبوعين. وشعرت بالرضا لأننا قمنا بكل ما نستطيع القيام به، إلى أن يقوم صدام بنقلة جديدة. ولما حطت طائرتى فى وقت متأخر من عصر ذلك اليوم ذهبت إلى بيتى.

بعد ساعـة واحدة فقط – وفيما أنا أركب دراجة التمارين الريـاضية متهيئا لصرف العـراق عن فكرى – رن جـرس التليفـون. كان كـولن بـاول على الخط، وقال لى مقـرا بالواقع: لقد كنت مصيبا، لقد عبروا الحدود.

هرعت إلى مركز القيادة وأنا مازالت مرتـديا بدلة الاحماء الرياضى. اطلعنى ضباط فريق الأزمـات على تقارير الاستخبـارات الأولية، التى أشارت إلى أن الهجـوم العراقى الرئيسى قد تجاوز حقل الرميلة وتغلغل فى عمـق الكويت. يبدو أن صداما سيمضى إلى أبعد ممـا توقعت، بعد ذلك انقطعت الاخبـار طوال ساعتين، وانتظـرنا سماع شىء من

فريننــا للمساعدة الأمنيــة فى الكويت أو من الميجور فيلي. أخيرا بعــد الساعة التــاسعة مساء – الرابعة فجرا بتوقيت الكويت – اتصل بنا فيلى، لقد استيقظ من النوم فى غرفته بالفنــدق على دوى انفجارات بعيــدة، فعبر الشارع قــاصدا السفــارة الأمريكيــة حيث تحتفظ القيادة المركزية بجهاز اتصال عبر الأقمار الصنــاعية يربط فيلى بمقر القيادة فى تامبــا. وكان فيلى الان على الخط يتحــدث مع الجنرال لايــدا، الذى نقــل لنا تقــريره أن الجنود العراقيين فى وسط مدينة الكويت.

من الواضــح أن ذلك ليس بالاختراق المحدود الذى تكهنت به صباح ذلك اليوم. رحت إلى التليفون الأحمر – وهو الخط السرى للغاية مع واشنطن – لأحذر الجنرال باول، إلا أنه أخــذ يرن قبل أن التقط السماعة. لقــد سمع باول الأخبار نفسهــا عبر قنوات وزارة الخارجية من السفير هــاويل فى الكويت، وقد اتصل ليخبرنى. لقــد دهش الجميع، فثمة عربى يهاجم شقيقا عربيا. أضــاف باول: قد احتاجك أن تأتى إلى هنا صباح الغد لإطلاع الرئيس.

فى غضون ذلك ارتقى الميجــور فيلى إلى سطح مبنى السفارة، وقــدم لنا وصفــا حيا لمعركة الفجر فى مدينة الكويت، فإن موقع السفارة كان ممتازا، فهو على مبعدة ربع ميل من القصر الــرئيسى: أحد الأهــداف الأساسيــة للعــراقيين. وصــف لنا فيلى الــدبابــات والمقاتلات والهليكوبترات العراقية التى رآها تهاجم، وقال إن الهليكوبترات كانت تفرغ جنود القوات الخاصـــة فى مواقع استراتيجية فى عموم المدينــة، وشاهد أناســا بملابس مدنيــة يعطون لها إشــارات فى منــاطق الهبوط. لقد أعد العــراقيون للغزو إعــدادا دقيقا، وذهبوا إلى حد زرع العملاء للعمل كمنظمين على الأرض للقوات الداخلة.

واتضحت صورة الغــزو فى الساعــات القلائل التاليــة. لم يزد الهجــوم إلا قليلا عن التقدم على الطريق العام الذى يوصل شمال الكويت بجنوبه وصولا إلى مدينة الكويت، وهنا واجهــوا مقاومة أبطأتهم. فى هــذه الأثناء التف طابور من الــدبابات حــول المدينة واتجه جنوبا نحو القاعدة العسكرية وحقول النفط الجنوبية. وفى ذلك الصباح نفسه – كما علمت فيما بعد – حاول الجنرال جابر نائب رئيس الأركان أن يحرك الجنود خارج الثكنات وينقلهم إلى مــواقع المعركــة، إلا أن وحدات الكوماندوز العــراقية دمــرت مقر

قيادته، لذلك قضى ساعات الفجر متنقلا بسيارته المرسيدس ليوجه القوات من تليفون ببطارية خلوية. فيما بعد ذهب هو وأركانه إلى مخبأ تحت الأرض، لا لشيء إلا لتوقف ثلاث من دبابات الحرس الجمهوري فوق سقفه. ولما رأى جابر أنهم سيؤسرون لا محالة قرر أن يسلم نفسه افتداء لحرية ضباط أركانه، وأرسل أحد مساعديه إلى الأعلى ليفاوض على التسليم. ولحسن الحظ فإن الدبابات العراقية فى هذه الأثناء تحركت بعيدا، ففر جابر من المخبأ وانتهى إلى توجيه بقايا الجيش لعدة أسابيع أخرى.

فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى، أبلغت مكتب كولن باول فى البنتاجون عن وجودى مستعدا لمرافقته إلى اجتماع مجلس الأمن القومى، حيث سأقوم - لأول مرة فى حياتى - بإطلاع رئيس الولايات المتحدة. رمقنى باول نظرة متفحصا التعبير الماثل على وجهى، وحذرنى من عقد آمال كبيرة على الاجتماع قائلا: إن اجتماعات مجلس الأمن القومى هى فى الأساس منبر يجمع الرئيس منه المعلومات، وسيشعر كل شخص فى الوزارة بأن عليه أن يتحدث، لذلك قد تسمع أشياء حمقاء. لا تتوقع اتخاذ أى قرار، فحين يتوجب على الرئيس أن يتخذ قرارا فإنه سيفعل ذلك بالتشاور مع مجموعة أصغر بكثير. وتصفح - بعجل - «سلايدات» تقارير الاطلاع التى عمل ضباط مقرنا بمشقة طوال الليل فى تهيئتها. نصحنى بأن أقصر عرضى للوضع على ما يمكن أن تفعله القيادة المركزية فى الحال، وبخاصة الضربات الجوية والضربات البحرية التى وصفتها لهيئة رؤساء الأركان المشتركة. ونبهنى باول بوضوح إلى أنه لا يريدنى أن أدخل فى تفاصيل خطتنا للطوارئ - القاضية بإرسال القوات - قبل أن نعرف نوايا صدام. وأضاف أن تدخل الولايات المتحدة عسكريا أو عدم تدخلها يتوقف على التالى، وهو إلى أى مدى سيمضى العراق؟ أوجز قائلا: أظن أننا سندخل الحرب من أجل العربية السعودية، ولكنى أشك أن ندخلها من أجل الكويت. أخيرا نصحنى قائلا: إننى ضيف على الاجتماع، وبصفتى هذه ينتظر منى أن أبقى على الهامش، وألا اتحدث حتى يطلب منى. استوعبت كل توجيهاته، لقد كان باول مستشارا للأمن القومى، وبصفته

هذه فقد كان يعرف ما يقول، والبروتوكول الذى وصفه يشبه البروتوكول السارى فى اجتماعات الدبابة. بعد الفراغ من ذلك صعدنا إلى السيارة الفارهة التى انطلقت عبر نهر بوتوماك إلى البيت الأبيض.

كانت تكهنات باول فى محلها تماما، فالقاضى وليم ويستر - رئيس وكالة المخابرات المركزية - ابتدأ بأحداث المعطيات الاستخباراتية. ورغم أن فى متناول الوكالة نفس المعلومات المتوفرة لدى القيادة المركزية، فإن ما قدمه ويستر لم يزد عن وصف بانت للقوات العراقية قبل بضعة أيام من الغزو، وقدم معطيات شحيحة عن الهجوم نفسه، دون أن يذكر كلمة واحدة مثلا عن المعركة حول القصر الأميرى فى الليلة السابقة. وقدم الليوتاننت جنرال برانت سكوكروفت مستشار الأمن القومى وتوم بيكرنج سفير الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة ووزير الدفاع ديك تشينى، مدخلات مثيرة للاهتمام، إلا أن موظفى الوزارة الأخرين - الذين كان يفترض فيهم أن يسهموا فى تقييم التطورات الجديدة - بدوا غير متهيئين بالمرة.

كان الرئيس بوش يريد معاينة كل وجه من وجوه الأزمة، هل هناك احتمال بأن تدخل إيران الحرب إلى جانب العراق؟ هل تستطيع قطع تدفق النفط العراقى والكويتى؟ ما تأثير ذلك على الاقتصاد العالمى؟ لماذا امتنعت اليمن عن التصويت فى مجلس الأمن مع قرار شجب الغزو؟ ما الذى نستطيع القيام به للحيلولة دون اخذ المواطنين الأمريكان كرهائن؟ وأعجبت باستعداده للإصغاء لكل ما يريد أى واحد قوله، وإحجامه عن إصدار حكم أو قرار متعجل قبل أن يرى الصورة كاملة.

وراح يدور بانتباهه حول طاولة الاجتماع باحثا عن معلومات محددة، دون أن ينال الكثير منها. وكبت رغبتى القوية فى الوثوب على قدمى وإلقاء محاضرة. كنت أعرف الجواب البسيط عن السؤال المتعلق باليمن: أن دورها فى مجلس الأمن هو تمثيل الجامعة العربية، والقادة العرب فى هذه الأزمة لم يتوصلوا إلى إجماع فى الرأى. ووفقت فى ضبط جماح نفسى إلى أن أعلن ويستر توقف سائر الاتصالات مع السفارة

الأمريكية فى الكويت.

قلت «لا أظن أن ذلك صحيح» وأوضحت أننا كنا نتحدث مع الميجور فيلى بالراديو طوال الليل. ولم يبد أن تدخلى فى الحديث جرح مشاعر الحاضرين، فقد خمنت أن ما يقصده ويستر تحديدا هو أن وكالة المخابرات المركزية لم تستطع الاتصال مع مسئول محطتها هناك، ورأيت أن من المهم طمأنة الرئيس على أن سفارتنا لم تمح من على وجه الأرض.

ولما قدمنى باول إلى الحاضرين، وقفت وعرضت الخيارات العسكرية المتاحة حسب توجيهاته، وحذرت قائلا: على حين أننا لا نستطيع القيام بشىء لوقف الغزو، فإن باستطاعتنا القيام ببعض التحركات بقواتنا الجوية والبحرية لاظهار عزيمة الولايات المتحدة، ولمعاقبة العراق إن دعت الضرورة.

ورغم أن عمر غزو الكويت شارف لتوه على الأربع عشرة ساعة، فقد كان واضحا أن الرئيس بوش عازم أصلا على وقف عدوان صدام، وإصدار توجيهاته بأن نكون على استعداد للقتال إذا ما أخذ العراق طاقم السفارة الأمريكية كرهائن، ثم وجه باول سؤالا: هل ندرس قضية وضع خط أحمر فيما يتعلق بالسعودية؟ فأجاب الرئيس بالايجاب، معتبرا الهجوم على السعودية إعلانا للحرب..

بعد يومين من ذلك استدعانى باول ثانية لاطلاع الرئيس، وقال: هذا الاجتماع يختلف عن سابقه، ستذهب إلى كامب ديفيد وسنتحدث مع الرئيس ومجموعة صغيرة جدا، وستكون نجم الاستعراض، خذ قدر ما تشاء من وقت الاجتماع واعرض خطتك للعمليات. فى الصباح كان الرئيس متهيئا لدراسة أمر إرسال قوات.

لقد تحقق أسوأ السيناريوهات التى تخيلتها، فغزو واحتلال كامل للكويت لم يستغرق سوى أقل من ثلاثة أيام، وبدا كما لو أن العراقيين لا ينوون التوقف عند ذلك الحد. وفى مسعى لتهدئة الأزمة، تحركت مصر والإردن والسعودية يوم الجمعة للتحضير لعقد قمة عربية، إلا أن الفرق الثلاث من الحرس الجمهورى التى قامت بالهجوم الأول على الكويت أخذت الآن تحشد الدبابات وقطع المدفعية على طول الحدود السعودية، وتقرب التجهيزات من هذه المواقع الأمامية، وكان علينا الافتراض بأنهم يستعدون للعبور.

كان مقر القيادة المركزية مثل قدر الضغط، فسفننا الحربية فى الخليج تنتشر مشكلة حاجـزا راداريا لحمايـة الامارات كما وعدنـاها، وفرق المسـاعدة الأمنيـة الموجودة فى السعـودية ومصر تهيىء الطـائرات لإجلاء المدنيين من الكـويت إن سنحت الفرصـة، ونحن نتهيأ لتولى قيادة حاملة الطائرات اندبندنس والسفن الحربية الست المرافقة لها، وكانت هـذه القطع تبحر قبل نشوب الأزمة بـاتجاه جزيرة دييجو جـارسيا فى المحيط الهندى، أما الآن فقد غيرت مسارها شمالا نحو الخليج. ورحنا فى الوقت ذاته نعمل مع البحريـة على تنظيم حصار بحـرى على العراق، ونطلب من القـوة الجوية أن تضع على أهبـة الاستعداد وحـدات معينة فى الـولايات المتحـدة، يتعين عليها التحليق إلى منطقـة الحرب.

وأخذ ضباط الاستخبارات العاملون تحت إمرة لا يدا يجلبون لى تقارير طازجة كل ساعـة، ليس فقط عن العراق بل كـذلك عن ايران ودول الشرق الأوسـط الأخرى التى كانت نواياها ما تزال غامضة.

أخيرا كان علينا أن نحضر الأجوبة على التساؤلات القادمة من واشنطن، وأغلب هذه التسـاؤلات يتخذ شكل مخابرات تليفونية من كولن باول، وقد كان يتصل عدة مرات فى اليوم فيسأل: كم يستغرق الإعداد لشن عملية إنقاذ لطاقم السفارة؟ أو يسأل ماذا تظن أن الجامعة العربية فاعلة؟

ورغم أن هيئة ضباط المقـر ارتفعت بشكل رائع إلى مستوى الحديث حقا، فإننى لم أكن ذلك الأمر الهين، ورحت أسوقهم بلا رحمة مقرعـا إياهم مرارا وتكرارا، قائلا: هذا ليس بتمـرين مناورات، هـذا شىء حقيقى. وحين نقـول لرئيس الـولايات المتحـدة إن القيادة المركزية تستطيع أن تفعل شيئا ما عسكريا، فإن من المحتمل جدا أن يلتفت الينا ويقول: حسنا افعلوا ذلك. ولا أريد منا أن نجنح ولا أريد أى تظاهر زائف بالشجاعة.

لقد اتهم العسكريون الأمريكان فى فيتنـام بستر الحقيقة المرة بالحوى باستمرار فى سعى لإرضاء الرئيس، واتخذ الـرئيس بناء على معلومات فاسـدة بعضا من القرارات الفاجعـة، ونحن لن نكرر هـذا الخطأ، فكل ذرة من المعلومـات التى سنقدمها للرئيس ينبغى أن تكون على أكبر قدر من الدقة المتاحة لنـا، حتى لو كانت تنعكس سلبا. فلو قلنا

له إننا نستطيع أن نفعل شيئا، فيجب ان نكون قادرين على الوفاء بهذا القول.

وفى وقت مبكر من يوم السبت المصادف الرابع من آب (أغسطس) التقيت بباول وتشينى فى البنتاجون، ورحت أعرض عليهم تصورى خلال ٢٠ دقيقة من طيران الهليكوبتر إلى تلال ماريلاند. وقد اصطحبت معى الليوتانت جنرال تشاك هورنر قائد القوة الجوية العاملة بإمرتى أردت أن يطلع الرئيس على قدراتنا الجوية، وبما أن القدرة الجوية هى الخيار الأرجح المتاح فورا، فقد ارتأيت أن يسمع تشاك كل ما يقال. ولما اقتربنا من الأرض رأيت مجمعا من مبانى جميلة من خشب البلوط الأحمر على قمة جبل مكسو بأشجار قصيرة، وهو يختلف اختلاف النقيض من النقيض بالقياس إلى ميادين المعارك فى الشرق الأوسط على قدر ما يحلق خيالى. وركبنا عربات جولف - وسيلة النقل الأساسية فى كامب ديفيد - من سفح التل إلى المنزل الرئيسى على مبعدة ربع ميل صعودا. كان الرئيس بوش قد عقد جلسة مع دائرته الضيقة فى غرفة مريحة للاجتماعات: نائب الرئيس توايل، وزير الخارجية بيكر، وزير الدفاع تشينى، الجنرال سكوكروفت، كبير موظفى البيت الأبيض جون سنونو، القاضى ويستر رئيس وكالة المخابرات المركزية.

لقد عاد بيكر فى وقت مبكر من صباح ذلك اليوم من رحلة إلى الاتحاد السوفيتى، حيث أصدر هو ووزير الخارجية إدوارد «شيفرنادزة» بيانا تاريخيا مشتركا شجبا فيه الغزو العراقى. كنا نحن الثلاثة: باول وهورنز وأنا فى اللباس العسكرى، أما الباقون فيرتدون ملابس عادية كيفما اتفق. فالرئيس يرتدى قميصا رياضيا مع سترة جلدية قصيرة لمنع برودة المكيف الهوائى. لم يكن يبدو على الاجتماع مظهر مجلس حرب، كان الرئيس يقود الاجتماع تماما، وعبر باستمرار عن قلقه على الكويت ومحنة الأمريكيين المحاصرين هناك، وبين أيضا أنه لا يمكن السماح للعدوان العراقى بأن يمر بدون أن تتصدى له الولايات المتحدة وبقية دول العالم. ولما جاء دورى فى الكلام وقفت ناظرا حول الطاولة وبينت ما نحن فى مواجهته، فجيش صدام - قياسا إلى جيوش بلدان العالم - هو الرابع فى العالم، تسبقه الصين والاتحاد السوفيتى وفيتنام (تحتل الولايات المتحدة المرتبة السابقة) وتضم الماكينة العسكرية العراقية ٩٠٠٠٠٠ رجل منظمين فى ٦٣ فرقة، بما فى ذلك ست فرق من نخبة قوات الحرس الجمهورى. ويمتلك

صدام – على وجه التقريب – ضعف القوات اللازمة للدفاع عن بلاده من الجيران، وتضم ترسانته بعضا من أفضل الأسلحة العالمية المتاحة فى أسواق الأسلحة العالمية: دبابات ت – ٧٢ السوفيتية، المدافع الثقيلة عيار ١٥٥ ملم من جنوب أفريقيا، قاذفات صواريخ متعددة الفوهات من الصين والاتحاد السوفيتى، صواريخ سيلكوورم الصينية، وصواريخ ايكزوسيت الفرنسية المضادة للسفن، مقاتلات ميج ٢٩ السوفيتية، والقاذفات السوفيتية بعيدة المدى من طراز سوخوى ٢٤، ومقاتلات ميراج م – ١ الفرنسية، واستطالت القائمة أكثر وأكثر.

واستغرقت وقتا قصيرا فى تبيان مواطن القوة العسكرية العراقية، مثل القدرة التى تجلت فى حملة تحرير الفاو – خلال الحرب الإيرانية العراقية – على الهجوم بالأسلحة الكيماوية، ومواطن الضعف فيها، وبخاصة الضعف اللوجيستى والنظام المركز للقيادة والسيطرة، حيث لا يمكن لأحد أن يتخذ قرارا – حتى فى لهيب المعركة – سوى صدام شخصيا.

وعدت إلى خيارى الضربة الجوية والضربة البحرية، اللذين سبق أن قدمتهما قبل يومين، لأنتقل إلى إمكانية لم نبحثها: إرسال قوات برية، إن الخطة الدفاعية التى قدمتها آنذاك هى نفس الخطة التى تمرنت عليها القيادة المركزية فى لعبة الحرب المسماة «النظرة الداخلية» مع فارق أنها تتضمن الآن جدولا زمنيا بنشر القوات، تصببنا عرقا من أجل أن ننجزه، لكى استطيع بكل ثقة أن أقدم مشروعا كاملا للرئيس، مع ضمانات تؤكد أن هذا هو ما نستطيع انجازه.

وأشرت إلى أننا بحاجة إلى تعاون السعودية من أجل تنفيذ الخطة، لأنها تتوقف على استخدام مطاراتها وموانئها. بعد ذلك إذا أصدر الرئيس الأمر، أمكن لنا أن نضع الفرقة ٨٢ المحمولة جوا – وهى مؤلفة من ٤٠٠٠ جندى – على الأرض فورا، وستكون مهمة الفرقة تأكيد حضور الولايات المتحدة، وهى مهمة خطيرة لأن العراق إذا هاجمها فإنها لن تضاهى دبابات صدام بأسلحتها الخفيفة. بعد اسبوعين نستطيع أن نزيد عدد القوات إلى ثلاثة أمثال تلك القوة البرية بلواء من مشاة البحرية ومجموعة قوات خاصة والمزيد من القوات المحمولة. وفى ختام الشق الأول تبدأ وحداتنا الثقيلة بالوصول: لواء الهجوم الجوى المزود بهليكوبترات أباتشى، ولواء المشاة الآلى المزود بدبابات ابرامز.

وأوضحت أن هـذه هي معدات تـدمير الدبـابات التي نحتـاجها فعـلا لصد العـراقيين وإفنائهم في ممراتهم وابتعاد حماية القوات فيما هي تتدفق، ستنشر القوة الجوية مئات الطائرات الحربية في المطارات السعودية، وستبدأ البحرية بدفع مجموعتين من حاملات الطائرات على مقربة من الخليج لتكون كـافية لتوجيـه الضربات، وسنحتاج إلى ثـلاثة أشـهر لحشد قوة قتالية كافية كفاية مطلقة لصد أي هجوم عراقي شامل.

كان هناك أصلا من حذر الرئيس من أن نشر القوات ليس حلا راهنا. ففي إطار أزمة لا يزيد عمرها على ثلاثة أيام، تبدو الأشهر الثلاثة بمثابة الأزل. مع ذلك أردت أن أتأكد بصورة مطلقـة إن كان يتفهم المدنيـون الجالسون حول الطـاولة مـدى جبروت العدو الذي نواجهه.

وأضفت أن ما بحثته حتى الآن هو خطة طوارىء للدفاع عن السعودية، أما إذا خطر لنا أن نزيح العراقيين من الكويت فإن علينا الانتقال إلى الهجوم، وهذا يتطلب الكثير من القوات والكثير من الوقت. وعرضت سلايدا صور الوجه الثاني من حساباتي: علينا أن نزيد عدد القوات إلى أكثـر من ضعف القوات المقترحة، وأن نسحب على الأقل ست فرق إضافية من الولايات المتحدة وأوروبا، وأن ننقلها - إلى جانب وحدات إسناد إضافية - إلى الخليج. وأقرب وقت لجمع مثل هذا الجيش وتهيئتـه للقتال، هو الوقت المسجل على آخر سطر في السلايد (الاطار الزمني ٨ - ١٠ أشهر).

وسمعت همهمات بعض الجالسين إلى الطاولـة، فهذا الالتـزام بإرسال القـوات هو أكبر بكثير مما كان يتصوره أحد منهم متوجها إلى الشرق الأوسط، كما أن المدى الزمني للحشد أطـول بكثير مما كانـوا يتصورون أنه يلـزم لحل الأزمة بـالقوة، ودعم كل من تشيني وباول موقفي.

كنت قـد أتيت لأؤكد للـرئيس أن القيادة المركـزيـة مستعدة، لكن لـو عن لهّ لـه أن يسألني عن رأيي ذلك الصباح، لقلت لـه إنني أرى أن الوضع لن يقود إلى الحرب. كنت أشعر بـالقلق على سلامـة الناس في الكـويت، ليس فقط اصدقائي العـرب الكثيرين بل أيضـا سلامـة نات هـاويل السفير الأمـريكي والمستشار السيـاسـي السـابق للقيـادة المركزية وأعضاء فريق المعونة العسكـرية. ولكن طالما أن العراقيين لم يمضوا أبعد من

ذلك، فقد بدا لى أن الأوساط الدبلوماسية والبلدان العربية ستجد مخرجا لحل الأزمة بصورة سلمية.

وما كدت أعود إلى تامبا عصر يوم السبت، حتى أتصل كولن باول هاتفيا وقال. الملك فهد يطلب أحدا لكى يطلعه على الخطر المحيق بمملكته، نريدك أن تنضم إلى الوفد وأن تشرح للملك ما نحن مستعدون للقيام به، واصطحب معك المطلوب من الضباط لاطلاع العسكريين السعوديين أيضا على التفاصيل.

وحين هبطت فى واشنطن صباح اليوم التالى مع فريقى الذى جمعته على عجل، اكتشفت أن باول يريدنى الآن أن أترأس الوفد، وأوضح لى أنه كان من المفترض أن يذهب الوزير تشينى، إلا أن السعوديين لم يجيز واذهابه بعد لأنهم يريدون إبقاء الاجتماع فى مستوى أدنى. ثم أضاف بعد تفكير: ارتجل تصرفك حسب مقتضيات الوضع عندما تصل إلى هناك.

كنت فى منتصف الخروج من البال، لما فكرت أرتجل التصرف حسب مقتضيات الوضع؟ وعلى أن أعرف ما نقترح عليهم فعلا أن نقوم به نحن. وسألت: هل تقول حكومة الولايات المتحدة أننا مستعدون لارسال قوات؟

أجاب باول جوابا محكما: نعم، إذا أعطانا الملك فهد الاذن.

اندهشت.. لابد أن الكثير من الأشياء قد حصلت منذ كامب ديفيد ولم يخبرنى باول بها. لقد عزم الرئيس بوش على إرسال قوات.

انتظرنا فى المطار مجيء تشاس فريمان السفير الأمريكى فى السعودية، وهو دبلوماسى لامع وباحث مختص بالشرق الأدنى، وقد عمل مترجما للرئيس نيكسون فى رحلته التاريخية الأولى إلى بكين، وبسبب نشوب الأزمة قرر فريمان إلغاء أجازته فى موطنه نيوانجلاند ومرافقة وفدنا.

بعد أقل من ساعة على الإقلاع خفضت رتبتى كرئيس للوفد، فالسعوديون وافقوا على أن يترأس الوفد وزير الدفاع تشينى آخر الأمر. وانتقلنا إلى طائرة تشينى – وهى طائرة مهمات خاصة تابعة لسلاح الجو الأمريكى ومجهزة بقاعة اجتماعات وجناح للشخصيات الهامة – متوجهين فى رحلة طويلة شرقا. وضم الوفد بول ولفوتيز كبير

الاستراتيجيين المدنيين العاملين للبنتاجون، بين وليامس رئيس الشئون العامة للبنتاجون، وأرت هيجس خبير البنتاجون لشئون الشرق الأوسط، والميجور جنرال مارتى براندتنر نائب مدير العمليات لهيئة رؤساء الأركان المشتركة، وبوب جيتس نائب مستشار الأمن القومى، وكان هناك أيضا محلل من وكالة المخابرات المركزية جاهزا مع ملف بآخر الصور التى التقطتها الأقمار الصناعية لعرضها على الملك. واصطحبت معى القادة العسكريين وضباط الأركان الذين أحتاجهم لإطلاع السعوديين، أو عند الحاجة لوضع القوات على الأرض، وقد سبق لهم جميعا زيارة الشرق الأوسط، وهم الليوتاننت جنرال تشاك هورنر - وهو طيار محارب وقائد القوة الجوية الخامسة - والليوتاننت جنرال خون بوسك - وهو صديق قديم وقائد الجيش الثالث - والميجور جنرال دان ستيرالينج - رئيس هيئة أركان الشئون اللوجستية التابعة للقيادة المركزية، وأفضل المخططين اللوجستيين الذين رأيتهم فى حياتى - والعميد البحرى جرانت شارب - كبير المخططين والاستراتيجيين عندى، كما جلبت ضابطى التنفيذ: كولونيل فرسان الجيش الذكى المندف القادم من تنيسى بورويل - باكستربيل (ونسميه ب. ب) وأسندت إليه مسئولية مسك سجلى الشخصى خلال الأزمة، وهو تسجيل كامل للنشاطات والقرارات، التى ملأت أخر الأمر ثلاثة آلاف صفحة مضروبة على الآلة الكاتبة بدون فراغات بين الأسطر.

كان وزير الدفاع تشينى قد أكمل عامه الأول فى البنتاجون وزاد عليه قليلا، مثيرا أعصاب الكثير من الجنرالات بتنحيته جنرال بأربع نجوم، وتحذير العديدين ممن شعر أنهم يعملون باستقلالية أكبر مما ينبغى، مع ذلك، فيما رحت أرقبه وأصغى إليه أثناء تحليق الطائرة، وجدتنى أعجب كثيرا بذكائه وانتباهه وسهولة العمل معه، وأبدى فضولا لمعرفة كل تفصيل صغير من دقائق آداب البروتوكول العربى. وبينما كان الوفد يبحث كيفية التعامل مع عرض الوقائع على الملك، تساءل هو فى لحظة معينة عما سيكون عليه رد فعل السعوديين إزاء عرض أمريكى بارسال القوات، وحذرت قائلاً: إن العرب ينزعون إلى النظرة للقرارات الكبرى باحتراس بالغ، فإذا تمسكوا بالأصول فلن تحصل منهم على رد مباشر. سيوجهون أسئلة ثم يقولون: شكرا جزيلا، نود الآن أن ندرس المعطيات التى قدمتموها وسنعلمكم بقرارانا.

توجهنا إلى قصر الضيافة، وهو مبنى بديع شيد على غرار الفنادق الفخمة التى تحمل خمس نجوم، وزين بزخارف يدوية شرق أوسطية لا تقدر بثمن.

كان الوقت أواخر العصر، وقضينا ساعة نتداول فى جناح الوزير تشينى، ثم ركبنا قافلة السيارات بمسيرة (٥) دقائق إلى القصر الملكى.

ولما أدخلونا إلى الردهات، لم يتثن لى إلا أن ألمح بشكل خاطف الأشياء الخضراء والذهبية والسجاد الحرير على مد البصر. وصلنا إلى غرفة كبيرة تحتوى على مقاعد كثيرة حولها، وهى الغرفة التى يجرى فيها الملك اللقاءات الرسمية. كان الملك فهد – وهو رجل ممتلىء البنية، بملامح صقرية وعينين عطوفتين – جالسا فى الطرف الأيسر، ووقف مرحبا بوفدنا لدى اقترابه. وبعد أن قدمنا السفير فريمان إليه راح أعضاء فى البلاط يدلوننا على أماكن الجلوس الممتدة على طول الجدار، أما الوزير تشينى فقد جلس على يمين الملك.

ورأيت ولى العهد عبد الله، والأمير الفيصل وزير الخارجية، والأمير بندر السفير لدى الولايات المتحدة، والأمير عبد الرحمن نائب وزير الدفاع والطيران، إضافة إلى واحد أو اثنين أخرين من أفراد العائلة المالكة. كان الملك فهد يعرف بعض الإنجليزية، إلا أن سائر الأعمال الرسمية كانت تتم باللغة العربية، لذلك قام بندر بالترجمة. وضم وفدنا: الوزير تشينى جيتسى ولفوورتيز ولمامس وهوجيز وهورنر براندتنر وأنا، وتقرر أن يتولى الكلام تشينى وأنا فقط. ولما جلس الكل فى مكانه نقل تشينى تحيات الرئيس بوش، وتحدث بإيجاز عن قلقنا إزاء الوضع فى الكويت، ثم أشار إلى قائلا: سيطلعكم الجنرال شوارتزكوف على الوضع الاستخباراتى كما نراه.

ولما كنت أحمل صورا فوتوغرافية وخرائط ورسوما تخطيطية لأعرضها على الملك، فقد قمت من مكانى ومشيت إليه، ولم يكن ثمة مكان للجلوس فبركت على ركبة واحدة، ولاحظ الملك ذلك فقال شيئا ما على عجل بالعربية، فركض حاجب على الفور جالبا مقعدا. صرت الآن أجلس على يسار الملك والأمير عبد الله على جانبى الأخر ناظرا من فوق كتفى، أما الأمير بندر فيقف بيننا للترجمة.

أريت الملك سلسلة من الصور الفوتوغرافية عن الدبابات العراقية على الحدود

السعودية. الواقع أن اثنتين من الصور كانتا تبينان دبابات عبرت الحدود السعودية. عند ذلك الحد قال الملك شيئا للأمير عبد الله لم يترجمه الأمير بندر. وأوضحت قائلا: بينما نحن لا ندرى إن كان العراقيون ينوون مهاجمة المملكة العربية السعودية، فإننا نستنتج من انتشارهم ومن نشاطات عراقية مماثلة خلال الحرب الإيرانية العراقية أنهم – فيما نسميه نحن وقفة استراتيجية – منهمكون فى مواصلة جلب السلاح والمعدات قبل استئناف العمليات الهجومية، ذلك أن أفضل وحداتهم فى المقدمة ومهيأة للهجوم، ومؤكد أن وقفتهم ليست دفاعية.

بعد ذلك عرضت خطتنا للدفاع عن السعودية، ورحت أقلب سلسلة من الخرائط والرسوم البيانية توضح أسبوعا بأسبوع القوات التى يمكن أن نقدمها، ولم أفصل فى الحديث عن الكيفية التى يستطيع بها انتشار كهذا للقوات أن يصد بالفعل هجوما ويهزمه، فالرسالة الأساسية التى أردت ايصالها هى نطاق العملية، لكى أكون على يقين من تفهم الملك أننا نتحدث عن إغراق مطاراته وموانئه وقواعده العسكرية بعشرات الآلاف من الأمريكان.. أى بأعداد لم يسبق للسعودية أن شاهدتها.

عدت إلى مقعدى وتحدث تشينى ثانية. أبدى بضع ملاحظات عن خطورة الموقف، ثم قال: ها هى الرسالة التى أمرنى الرئيس بوش أن أنقلها إليكم. نحن مستعدون لنشر هذه القوات دفاعا عن المملكة العربية السعودية. إذا طلبتم فسنأتى. لن نبحث عن قواعد دائمة، وحين تطلبون منا العودة إلى بلادنا سنغادر، ثم أطبق عليه الصمت.

بدأ الملك ومستشاروه يتداولون فيما بينهم محاسن ومساوىء استدعائنا إلى المملكة. كنت أعلم بما فيه الكفاية لكى أحس بعدى المجازفة فى قرار الملك فهد، وأنه إن دعا الأمريكان – حتى مع وجود تأكيد رئاسى سنحترم السيادة السعودية – فإن صداما وقادة عربا أخرين سيصمونه بممالأة الغرب، زد على ذلك المخاطر الكامنة فى عودة جيش من الأجانب إلى مملكة لا تأمن الغرباء، وتتمسك بقوة بالحفاظ على نقائها دينيا وثقافيا. كنت واثقا من أن الملك فهد سيحتاج إلى أيام لبحث هذه المخاطر مع بقية أفراد الأسرة المالكة قبل أن يحزم رأيه، وأنه سيختار فى نهاية المطاف أن يزج بنا بأقل قدر ممكن.

كان التداول بين أفراد العائلة المالكة الحاضرين وجيزا للغاية. تحدث الأمراء الواحد بعد الأخر. إلا أن بندر لم يترجم شيئا من ذلك، ورد الملك فهد بشدة على أحد الحاضرين، ثم التفت إلى تشيني وقال باللغة الانجليزية: حسنا. لو قيض لأحد أن يلتقط صورة لتلك اللحظة لظهرت فيها وفمي فاغرا إلى أقصاه، لقد اتخذ الملك فهد واحدا من اشجع القرارات التي شهدتها حتى تلك اللحظة كان النشر الضخم للقوات الذى أعددناه يبدو مثل تمرين أخر، أما الآن فقد أدركت فى ظرف خمس دقائق أنى سأدفع ذلك الجلمود من قمة التل ليبدأ بالتدحرج.

عدنا إلى سياراتنا هادئين كل الهدوء، التفت إلى تشيني وسألته: هل تريدنى أن أبدأ تحريك القوات؟ فأجاب بالايجاب. تطلعت إلى الجنرال هورنر الذى كانت لديه أربعة أسراب من المقاتلات التكتيكية جاهزة فى قاعدة شوولا نجلى الجوية للإقلاع إلى المملكة العربية السعودية، قلت له: تشاك ابدأ بتحريكها.

عقدنا اجتماعا قصيرا لمراجعة ما حصل، وأخبرنا السفير فريمان الذى تابع حديث العائلة المالكة العربية بأن الأمراء نصحوا فى الغالب بالاحتراس، ونقطة الانعطاف الوحيدة جاءت لما أشار أحدهم «يجب أن نحذر من التسرع فى اتخاذ قرار» فأدى ذلك بالملك فهد إلى الرد قائلا: الكويتيون لم يسارعوا إلى اتخاذ قرارهم اليوم جميعا ضيوف فى فنادقنا.

واعتذر تشيني عن الانصراف لإبلاغ الرئيس. بعد ذلك تباحثنا فى الخطوة التالية: سنذهب – تشيني وأنا – فى الصباح التالى لإطلاع الرئيس المصرى حسنى مبارك قبل العودة إلى واشنطن، واستدعيت ضباطى الكبار إلى غرفتى، لم تكن ثمة كراسى كافية فجلس الأدميرال شارب والجنرال ستارلينج على السرير، أما الكولونيل بيل فقد وقف فى الزاوية بدون الخلاص من حزم أمتعتى لرحلة تدوم أكثر من ثلاثة أيام. وكان على أن أعلن نبأ اننى سأتركهم ورائى فى السعودية للبقاء خمسة أسابيع على الأقل، وتحدثت بصوت هادىء ومنتظم محددا مهماتهم: «تشاك» بما أنك الضابط الكبير هنا فإنك ستعمل بصفة قائد أمامى للقيادة المركزية، وتحتاج فى الوقت نفسه إلى القيام بالترتيبات اللازمة لاستقبال الطائرات المتجهة الآن إلى هنا وتلك التى ستليها.

والتفت إلى الجنرال يوسوك الذى كان جالسا على مقعد إلى جوار النافذة: جون بما أن الفرقة ٨٢ المحمولة ستكون هنا فى الحال، فإننى أريدك أن تجتمع بالسعوديين وترتب موقع قواتنا طبقا للخطة. بعد ذلك عليك أن تنظم الوحدات البرية أثناء تدفقها.

كان على الجنرال ستارلنج أن يتولى التدابير لاستيعاب التدفق الهائل للقوات المسلحة والأسلحة والتجهيزات، وقلت له: «دان: أنت تعرف حجم التحديات اللوجستية المقبلة علينا. أريدك أن تضع المرتكزات العملية، وأريدك على وجه الخصوص أن نتأكد من أن الموانىء جاهزة لاستقبال أولى سفن التجهيزات. إن السفن الموجودة فى المحيط الهندى قد تصل فى أى يوم».

والتفتت إلى الأدميرال شاع: «جرانت: لقد طلب بول ولفوويتزان تسافر معه أثناء زيارته لبلدان الخليج الأخرى بغية إطلاعها على خططنا لنشر القوات».

أخيرا ضحكت.. لم يتوقع أحد منكم أن يظل هنا، سأحاول أن أعيدكم إلى الولايات المتحدة فى ظرف ثلاثة أسابيع تقريبا لكى تستطيعوا حزم حقائبكم. فى غضون ذلك أعدكم بأن أتصل بزوجة كل واحد منكم لأشرح لها سبب البقاء.

بعد أن انصرف الجميع لتنفيذ الأوامر من الكولونيل كان علىّ إجراء مكالمة هاتفية ما كنت أتوقع إجراءها. تحدثت بالتليفون الأمنى الذى يربطنى بمقر القيادة المركزية فى تامبا، حيث كان الوقت ظهر الاثنين السادس من أغسطس، وأخبرت نائبى فى القيادة الجنرال «روجز» أننا سنرسل القوات وأوعزت له بأن يبلغ هيئة الأركان المشتركة كى تعطى الأمر بنشر الوحدة الأولى، اللواء المتأهب للفرقة المحمولة رقم ٨٢ فى معسكر فورت براج.

فى اليوم التالى اجتمعنا بوزير الدفاع والطيران السعودى الأمير سلطان، الذى لم يكن حاضرا فى الليلة السابقة، ثم طرنا -تشينى وأنا- إلى الأسكندرية بمصر لإطلاع الرئيس حسنى مبارك على خططنا لنشر القوات ولطلب العون منه. كنا بحاجة إلى مرور سفننا الحربية سريعا عبر قناة السويس، إضافة إلى استخدام المطارات المصرية والمجال الجوى المصرى إذا أردنا السير وفق برنامجنا الزمنى. كان الرئيس مبارك قد وطد نفسه منذ أمد بعيد كزعيم قوى ذى صوت مسموع فى صناعة القرار العربى، وكان واثقا من سلطته وثوقا يكفى لقيامه بشجب العدوان العراقى علنا، والسعى بنشاط فى

الوقت نفسه إلى تسوية عبر المفاوضات استقبلنا فى شرفة قصر الأسكندرية المطل على البحر المتوسط، وبعد أن استمع إلى ما كان علينا -تشينى وأنا- أن نخبره به، وافق على كل طلب بطيب خاطر، إلى أن قلت: قد نحتاج إلى استخدام مصر كقاعدة للطائرات الحربية.

فسأل: «أى نوع؟»

قلت: «حسنا لعلنا سنحتاج إلى استخدامها لطائرات ب ٥٢». ارتفع حاجبا مبارك، فرغم سخطه على العدوان العراقى لم يكن مستعدا للسماح للقاذفات الأمريكية بالانطلاق من أرضه، وقال بهدوء: لا أظن أننا بحاجة لأن نقرر ذلك الآن.

وطرنا عبر الأطلسى عائدين فى تلك الليلة، وإذا بالبيت الأبيض يبلغنا بأن مهمتنا لم تنته بعد، علينا الانعطاف إلى المغرب. لقد أدركت وزارة الخارجية - متأخرة - أن الالتقاء بالملك فهد والرئيس مبارك وحدهما يعرضنا لخطر القطيعة مع عرب الشمال الأفريقى مالم نقم بإطلاع الملك الحسن وأن ننشد عونه، ووصلنا إلى قصره فى الدار البيضاء -وهو يفتقر إلى مكيفات الهواء- فى أواخر المساء، ومكثنا ساعة فى حجرة انتظار خانقة، بينما يمطرنا موظفون حكوميون مرتابون بالأسئلة. ثم بعد ذلك التقينا -أنا وتشينى- بالملك الحسن الذى وعدنا بالدعم الكامل. ثم بعد ٧ سنوات سفر حطت الطائرة فى قاعدة اندروس الجوية فى واشنطن، وكان تشينى يشد من أزرى وأنا أحكى له أننا أمام مهمة صعبة يتحدد بها مستقبل أمريكا.

تجاوز الوقت بكثير منتصف ليل الأربعاء المصادف ٨ أغسطس، وكانت هناك طائرة نفاثة أصغر بانتظار أن تقلنى إلى تامبا. وقفنا لحظة فى ليل واشنطن الرطب الحار على أسفل سلم الطائرة قريبا من سيارة تشينى، شكرنى على خلاصات الاطلاع التى قدمتها، وأشار: نحن منخرطون فى حدث تاريخى.

شعرت بشىء من الرهبة أجل سيدى أعرف، لقد أطلقنا أكبر حشد عسكرى أمريكى منذ فيتنام، وهو عمل قد يقود بسهولة إلى الحرب، وأنا القائد العام لهذا الحشد كما أننى الشخص الذى صاغ خطة الدفاع التى تغامر الآن بحياة الجنود وهيبة الولايات المتحدة، وصليت متضرعا أن أكون قد فعلت ذلك بصورة صائبة.

صافحنى تشينى وقال: حظا سعيدا يا نورم، ثم استقل سيارته فيما عدت أدراجى إلى القيادة المركزية.

الباب الثالث

طلائع القوات الأمريكية والتنسيق السرى

فى صباح الأربعاء حطت أولى الطائرات المحملة بالجنود الأمريكان فى القاعدة العسكرية القريبة من مدينة الظهران، فيما كنت أعود إلى غرفة الحرب فى تامبا. وظهر الرئيس بوش على التليفزيون فى التاسعة صباحا بالتوقيت الرسمى الشرقي، معلنا أن الولايات المتحدة الأمريكية ترسم خطا فى الرمال يواجه العدوان العراقي، أما فى القيادة المركزية فقد توصلنا أخيرا إلى ابتكار اسم «درع الصحراء» الذى يعكس الأمر بالدفاع عن شبه الجزيرة العربية، وحددنا يوم الثلاثاء السابع من اغسطس «آب»، اليوم الذى تسلمنا فيه قرار التحرك من هيئة رؤساء الأركان المشتركة بأنه يوم «ب»، أى يوم البدء بنشر القوات.

تتركز الثروات النفطية للمملكة العربية السعودية على جهة ساحل الخليج وعلى بعد ٢٠٠ ميل من الكويت، لذلك كنت متوجسا من خطوة صدام التالية، وكان همى الأول هو أى نوع من الحرب البرية سنواجه، وبينما كانت مصادر البنتاجون تخبر الصحفيين بأن قواتنا منيعة بعد أول أسبوع، كنت أعرف أن بوسع العراقيين اكتساح منطقة النفط السعودية فى بحر أسبوع، وكان جنودنا يعرفون ذلك أيضا. فالمظليون من الفرقة المحمولة رقم ٨٢ فى الظهران– الذين أطلقوا على أنفسهم لقب نتوءات تخفيف السرعة العراقية – فى حال وقوع هجوم لم يكن لهم من خيار سوى الانسحاب إلى جيب على الساحل بأمل أن نرسل لهم تعزيزات أو نجليهم.

وسيكون وضعهم شبيها بالتقهقر الأمريكى فى خط بوسان خلال الأيام الأولى من الحرب الكورية.. فكرة مقلقة تماما.

كنا نتمتع بكل القوة اللازمة للحيلولة دون حصول كارثة كهذه، سوى أن هناك

مشكلة واحدة هى أن هذه القوة لاتزال فى الولايات المتحدة. كان لدينا سرب يضم سربين من الكوبرا الهليكوبترات المزودة بصواريخ مضادة للدبابات فى فورت دليس بتكساس ولدينا لواء من هليكوبترات «الأباتشى» الهجومية فى الفرقة رقم ١٠١ بقيادة الميجور جنرال بينى. بى، المستقر فى معسكر فورت كامبيل بولاية كنتاكى، ولدينا أربع كتائب دبابات مموهة بلون صحراوى ضمن الفرقة الآلية رقم ٢٤ بقيادة الميجور جنرال بارى ماكفى فى معسكر فورت ستيوارت بولاية جورجيا، ولدينا ما يزيد على مائة من طائرات «أى - ١٠» - وهى طائرات حربية مصممة لمهاجمة الدبابات - ضمن القوة الجوية التاسعة بقيادة تشاك هورنر جاثمة فى قواعد منتشرة حول البلاد، وكل ما علينا فعله هو دفع القوات إلى رقعة الأزمة. لقد وعدنا الرئيس بجدول زمنى معين، وهذا يعنى نقل خمس فرق وثلث الفرقة - أى ١٢٠ ألف رجل - مسافة ٧ الاف ميل فى بحر أربعة أشهر.

إن علم اللجوستيات قد قطع شوطا بعيدا عن البطاقات المثقبة ولوحات تعليق المعلومات والموظفين المتخصصين فى الإحصاء والحساب أيام الحرب العالمية الأولى والثانية، وصار للبنتاجون الان نظام كمبيوتر قادر على تعيين خط الرحلة لأى قطعة منفردة من المعدات اللازمة: من الدبابات إلى خيم قاعات الطعام، وكل ما يتعين علىّ فعله من الناحية النظرية هو الضغط على أحد الأزرار. فبعد ساعات من بدء «درع الصحراء» كان ينبغى إغراق فرقنا بآلاف الصفحات من جداول الكومبيوتر حافلة بتعليمات من قبيل: أرسل الدبابة رقم «١٢٣» من الكتيبة «س» من اللواء «ص» بالقطار إلى نورفولك بفرجينيا، لتشحن فى السفينة التى ستبحر مدة ٢٠ يوما وتصل ميناء الظهران فى ٣٠ أغسطس.

وعلى أية حال فقد برزت مشكلة كبيرة: بما أننا كنا فى غمرة إعادة النظر بخطة حرب القيادة المركزية عند اندلاع الأزمة، فلم يتيسر لنا بعد خزن المعلومات فى بنوك الكومبيوتر - وهى عملية مضنية تستغرق فى الأوضاع الاعتيادية عاما كاملا. كان بديلنا الوحيد هو جدولة النقل الجوى والشحن البحرى باليد. إن نقل فرقة واحدة فقط هو عمل معقد على نحو مريع، فمثلا إذا كانت الفرقة المشاة الآلية رقم ٢٤ كاملة العدد والعدة - وهى أول فرقة تابعة للقيادة المركزية تقرر نشرها - فإنها تتضمن أربع

كتائب دبابات، وخمس كتائب مشاة آلية، وثلاث كتائب مدفعية، ملحقا عليها كتيبة إصلاح معدات وكتائب اتصالات وكتائب طبية وكتائب إشارة وأسراب هليكوبتر، وكل واحدة من هذه تحتاج إلى طريقة نقل خاصة. ولكيما تصل الفرقة ٤٢ إلى المملكة العربية السعودية جاهزة قتاليا، فلابد من تنسيق حركة هذه الوحدات تنسيقا متزامنا ودقيقا، فما الحكمة من إرسال دبابات إذا وصلت بدون ذخيرة وفرق صيانة وأدوات احتياطية.

كنت أقول: أرسلوا قوات قتالية وطائرات صيد دبابات وهليكوبتر. بعد ذلك - وبالتنسيق مع مختلف فروع الأسلحة - يضع المخططون قائمة طويلة بالقوات التى يجب نشرها، ثم يخطرون قيادة النقل العسكرى الأمريكى المسئولة عن تنفيذ النقل الجوى والشحن البحرى، وتقوم قيادة النقل هذه بدورها بدفع طائرات نقلها العملاقة - التى كانت قليلة العدد - إلى القاعدة العسكرية المطلوبة لأخذ القوات.

يحصل ذلك عندما يتم ضبط الطبيعة البشرية، ولكن يحدث أن هذا الضابط الكبير أو ذاك على الأرض، يرى لكى يكون على بر الأمان أن وحداته تحتاج إلى بشر ومعدات أكثر مما كان مخططا له بالأصل. وبدأت تقلع الطائرات ناقلة حمولات لم تكن مقررة لها، وصعقت لما علمت أن أول وحدة تحط فى المملكة العربية السعودية هى هيئة أركان مقر قيادة الفيلق المحمول. كنت أتخيل مشاة مقاتلين سيخرجون من هذه الطائرة لا حفنة من الجنرالات وضباط الأركان والكتيبة.

ماذا لو كان صدام قد هاجم؟

وسرعان ما اتضح أننا سنكون بمنأى عن بلوغ الهدف المقرر للأسبوع الأول بنشر لواء محمول كامل التجهيز، ورحت أتصل بضباط أركانى ملوحا لهم بالرسوم الايضاحية والجداول التى أريناها للرئيس، ومطالبا إياهم: هذه القوة وعدنا بإرسالها، لماذا لم تصل؟ وبدأت أصابع الاتهام المحتومة تؤشر. أخبرنا ضابط من قيادة النقل أننا نرسل الطائرات باستمرار إلى قاعدة فورت براج وهم يواصلون شحن المواد الخطأ، وأصر قائد القوة المحمولة فى فورت براج قائلا: إننى جالس هنا أنظر إلى مطار فارغ. لدى قوات مصطفة تنتظر وليست هناك طائرة نقل واحدة فى أى مكان.

لاح خطر الضياع.. اتصلت بكل جنرال ليجازى مرؤسيه: الجنرال جونسون القائد

العام لقيادة النقل الجوى العسكرى، والجنرال «ايدبوربا» الذى خلف «باول» كرئيس لقيادة القوات، والليفتاننت جنرال «جارى لاك» قائد الفيلق ١٨ المحمول.

شرحت لهم الصعاب التى نواجهها، وقلت دعونا نكف عن توجيه أصابع الاتهام. لا أحد يرغب فى أن ينحو بالمشكلة إلى الحل. لقد آن الأوان لتحريك القوات، لقد كان كل واحد من هؤلاء الجنرالات صديقا طيبا ومهنيا مكينا، لذلك كنت أعرف الاستجابة التى سأحصل عليها. لقد وجهوا الأوامر المطلوبة، ومنذ ذلك فصاعدا أخذت فوضى النقل العسكرى تتبدد.

أما القوة الجوية فنقلها مسألة أخرى، فأسراب مقاتلات ف١٥ و ف١٦ التى وعدنا بها فتدفقت بشكل رائع على السعودية، ولكن بصورة أروع قليلا مما ينبغى كما اتضح لاحقا، ذلك لأننا فى ختام الأسبوع الأول أصبح لدينا لا الأسراب الخمسة التى كنت أتوقعها، بل أسراب عشرة. وبمعنى ما كان ذلك عظيما، فسلامة القوات الواصلة تتوقف إلى حد كبير على هذه المقاتلات التى يفترض بها - بالتعاون مع المقاتلات السعودية ف-١٥، والمقاتلات البريطانية من طراز تورنادو- أن ترد أى هجمات جوية عراقية، وأن تضرب أى طابور دبابات يأتى للغزو، لكن يلزم كل سرب من الأسراب - الذى يضم ٢٤ طائرة - أكثر من ١٥٠٠ مهندس وتكنيكى ملقم ذخيرة الطائرات، ونقل كل هؤلاء الناس مع معداتهم يشل عشرات الرحلات التى كنا قد خصصناها لوحدات أخرى.

لم يسبق لى فى حياتى أن عالجت أمرا على هذا القدر من التعقيد، ولا اضطررت إلى اتخاذ هذا القدر الكبير من القرارات بسرعة، فالمشاكل كانت تترى علينا من واشنطن ومن الرياض ومن الوحدات المتمركزة فى أرجاء الولايات المتحدة، ومن ادميرالاتنا الذين كانوا يعدون العدة لفرض حصار بحرى تطبيقا لقرار الأمم المتحدة بفرض حظر تجارى على العراق اتخذ فى السادس من أغسطس، كنت أتشاور فى العادة مع ضباط أركانى حول المسائل المهمة، أما الان فلا وقت لدى لذلك. كنت أكتفى بإصدار الأوامر الواحد بعد الأخر، وقام ضباط القر بعمل خارق لنشر وتفسير الأوامر لمقرات القيادة الأخرى التى لم تكن على معرفة بالشرق الأوسط وبخطتنا. ورغم أن هذه ليست الطريقة المفضلة لدى للعمل، فقد أحسست أن دقة الموقف تستدعيها. لقد قضيت فى

موقعى ردحا من الـزمن طويلا بما فيه الكفاية لمعرفـة الكثير من الأخطاء التى يتوجب علينـا تفاديها، ومن بين أول الأوامـر التى أعطيتهـا هـو منع جلب الكحول أو الصـور الخليعة إلى السعـودية «الخلاعة هنا تعنى مجلات صـور النساء العاريات، إضـافة إلى المجـلات المصنفـة فى باب المحظـورات». كنت أعـرف أن بعض الجنـود – هـم ورجـال الكونجرس الذين يمثلونهم – سيجأرون بـالشكوى، إلا أن المشروبات وصور الخلاعة محظـورة بموجب القـانـون فى المملكة العـربية السعـودية، وما من شىء سيخـرب استقبالنـا عاجلا أكثـر من أن ندع هذه الأشيـاء تعلق وتظهر على غـرار ما فعل بعض الأمريكيين فى فيتنام.

اتفقنا – هـورنر ويوسـوك وأنا – على أن التحالف لكى يعمل بشكل معقـول، فإننا بحاجة إلى نظـام مختلط على غرار ما كان معمـولا به فى فيتنام، حيث يقاتـل الأمريكان تحت إمرة قادة أمـريكان، ويقاتل الفيتنـاميون الجنوبيون تحت إمـرة قادة فيتناميين جنوبيين، على أن يجرى تنسيـق نشاطات الجيشين على مستـوى القمة، ورغـم أن هذه الطريقة تخرق مبدأ قديما من مبادىء الحرب اسمـه وحدة القيادة، فقد رأيته مطبقا فى ميدان المعـركة، واعتقـدت أن باستطاعتى أن أطبقـه فى الخليج خيرا مما كـان مطبقا فى فيتنـام. عـرضت الفكرة على واشنطـن فيما كان هـورنـر ويـوسوك يطـرحـانها على السعوديين. وبعـد بضعة أيـام وافق الطرفان، وكـانت مصر وبريطـانيا العظمى وأمم أخرى تتحدث أيضا عن عزمها على إرسـال قوات.

لقد كان مــن شأن التقدم المحرز أن يسعدنى، لـولا أن صداما بدا عـازما على زيادة المخاطر، فقـد دأب على ضخ قواته إلى الكويـت. وجد السعوديون المتمـركزون فى نقاط الحدود إنهم الان أمـام فوهـات مواسير مـدافع تسع فرق عـراقية (١٣٠ ألف جنـدى و١٢٠٠ دبـابة، ٨٠٠ قطعـة مدفعيـة، يستطيع الكثير منهـا أن يطلق قذائف كيماويـة سامـة). وابتغاء الدفـاع المناسب بإزاء قـوة كهذه، كنا نحتـاج إلى ٥ أسابيع على الأقل لتدعيم قـدرة قواتنا، وانتابنى قلق ممض من أن يكتشف العـراقيون ذلك ويهاجموا فى الحـال. وقد أعطيت تشـاك هونر أمرا دائما مفـاده: قبل أن تتوجه إلى فراشك ليـلا تأكد بصورة قـاطعة من أن كل قـائد من قواد وحداتك على البر وفى البحـر يعرف تمامـا ما ينبغى أن يفعل إذا وقع هجوم علينا.

فى التاسع من أغسطس أمر صدام بغلق الحدود العراقية والكويتية، محتجزا أكثر من ١٣ ألف غربى وأجنبى ومغيرا بذلك كامل طبيعة الأزمة. إن احتجاز رهائن أمريكان يمكن أن يكون سببا لإعلان حرب، وشعرت بالغثيان يعتصر أحشائى لدى سماعى بهذه الأنباء. ففى أيام اختيارنا لدرع الصحراء أنجزنا خطة لتوجيه ضربات جوية ورمزية، ولكن لم تكن أكثر من رمزية، فلو شرع العراقيون بإعدام موظفى السفارة مثلا وطلب الرئيس أن نرد، لما كان لدى القيادة المركزية ما تفعله إلا القليل عدا توجيه ضربة نووية لبغداد، وما كنت لأوصى بوجهة كهذه للعمل، وحتى لو عنّ لى أن أوصى فإننى على يقين من أن الرئيس ما كان سيصادق عليها.

فى صباح اليوم التالى اتصلت «بكولن باول» وطلبت منه أن يقوم المخططون الجويون بإعداد حملة قصف استراتيجى للمؤسسة العسكرية العراقية تعطينا خيارات الرد الانتقامى اللازم، وأطلق على الخطة التى صاغوها اسما رمزيا هو «الرعد الوشيك»، وقد تحولت فيما بعد لتغدو الطور الأول من «عاصفة الصحراء».

فى هذه الأثناء ظهر منشق عراقى فر إلى القاهرة حاملا خارطة يدعى أنها تبين خطة عراقية لغزو المملكة العربية السعودية. لم تتوفر معطيات تؤكد أو تنفى أن الخارطة صحيحة، غير أنى رحت أدرسها، وأدركت على الفور أننى لوكنت أقود قوات الطرف المناوىء وأمرت بالاستيلاء على السعودية، فإننى سأضع نفس هذه الخطة بالضبط. ينطوى المخطط على هجوم مثلث الأطراف ينطلق من الكويت، الأول يندفع على طول الطريق العام الساحلى المفضى إلى حقول ومصافى النفط السعودية وصولا إلى ميناء الجبيل، والثانى يندفع غربا على طول الطريق العام وصولا إلى القاعدة السعودية المنتشرة فى مدينة الملك خالد العسكرية، والثالث يمضى عبر الصحراء إلى الرياض مباشرة على مبعدة ٢٨٠ ميلا إلى الجنوب. غير أن البدء بمثل هذا الهجوم يقتضى أن يزيد صدام قواته فى الكويت إلى أكثر من ضعف عددها الحالي، وهذا يستغرق بضعة أسابيع، ولكن لوبدأ مثل هذا الهجوم لرحنا نتزاحم بالمناكب من أجل إعادة ترتيب القوات ونشرها على خدا دفاع واسع. أمرت القادة الأماميين بأن يتخذوا أوضاعا قتالية

على كل أطراف الغزو الثلاث.

١٤ أغسطس ١٩٩٠م يوم ب + ٧

الساعة ١٠٠٧ قام ق.ع (القائد العام) بتنبيه الليفتانت جنرال هورنر حول الوضع السكنى للقوات الأمريكية، وذكر الجنرال هورنر بالهجوم الإرهابى على ثكنة مشاة البحرية فى بيروت، محذرا إياه من وقوع القوات الأمريكية فى وضع مماثل.

بعد مضى أسبوع واحد على البدء بعملية درع الصحراء، جاء كولن باول إلى تامبا ووجدنى أعض على اللجام، فبعد الانتهاء من حل مشكلة الفوضى الأولية للنقل الجوى والشحن البحرى، كنت تواقا للتوجه إلى السعودية، ولكنى علمت لتوى أن علىّ التزام مكانى فى تامبا أسبوعا أخر، إذا ينبغى انتظار الفراغ من نصب شبكة اتصالات هناك. كان بوسعى أن اتصل من غرفة الحرب فى تامبا بأى قائد، وأن أتصل تبعا لذلك بأى طائرة فى الجو أو أى سفينة فى البحر أو أى وحدة من البر من الطائرات والسفن والوحدات التابعة للقيادة المركزية فى الشرق الأوسط.

غير أن أنظمة الاتصالات العسكرية الأمريكية المتاحة فى السعودية فقيرة إلى حد أنه كان يتعين علينا بناء شبكة اتصالات مرتبطة بالأقمار الصناعية من العدم.

ورغم أننا - باول وأنا - كنا نتشاور عدة مرات فى اليوم على التليفون، فإننا لم نتلاق منذ بدء درع الصحراء، وما إن جلسنا فى مكتبى حتى أثرت الهم الذى انتابنى طوال الاسبوع. لم أكن لأرى أين يفترض بالعملية أن تؤدى؟ قلت لباول إنه كلما تريث صدام أكثر فى شن غزوته، كلما كانت قدرتنا على الدفاع عن المملكة العربية السعودية أقوى.

ولكن هب أن الغزو لن يحصل، لا أستطيع أن اتصور أن الولايات المتحدة تنسحب ببساطة فيما العراق يواصل احتلال الكويت، كما لم يكن بوسعى أن أتصور قواتنا جاثمة عاما أو يزيد بانتظار أن يسفر الضغط الدبلوماسى أو الاقتصادى عن إقناع صدام بالانسحاب، فأمهات وآباء الجنود الأمريكان لن يتحملوا فكرة اكتواء أبنائهم وبناتهم تحت الشمس الحارقة كل هذا الوقت، كما أنى لست واثقا من مدى قدرة الجنود أنفسهم على احتمال تبعات مهمة كهذه. البديل الوحيد - كما قلت لباول —

ينطوى على التزام عسكرى أكبر بكثير مما هو عليه الآن. أجاب باول بأنه يشعر بنفس القلق الذى ينتابنى بشأن ما ستقود إليه عملية درع الصحراء، إلا أن البيت الأبيض لم يقرر أكثر من ذلك. ولما غادرنا فكرت أننا على الأقل متفقان فى الأمر الأساسى.

بعد يومين دعيت إلى البنتاجون لساعدة هيئة الأركان المشتركة فى إطلاع الرئيس بوش على التقدم المحرز فى درع الصحراء، ولما انفض الاجتماع المعقود فى «الدبابة»، توجه الرئيس ووزير الدفاع تشينى إلى مكتب تشينى فى الطابق الأعلى، حيث دعانى باول إلى مكتبه. كنت أعرف أن الرئيس سيلقى خطابا على مسئولى البنتاجون، وينبغى لنا – باول وأنا – أن نحضره.

سألنى باول حالما جلسنا على مقاعدنا: إذا كان عليك أن تطرد العراقيين من الآن، فيكف بوسعك أن تفعل ذلك؟

ماذا؟ لن أفعل، لا أستطيع، لقد قلت للجميع بوضوح إننا لم نرسل قوات كافية لهذا الغرض».

سرت فى جسدى رعشة باردة، فلقد سبق لى أن طلبت من المخططين أن يدرسوا القضية وجاءونى بالرد قائلين: لا يمكن تنفيذ ذلك، والإمكانية الوحيدة التى قدموها لى هى خطة هجوم مباشرة على الكويت تقضى بقطع خطوط الإمدادات العراقية، لكننا كنا نعرف جميعا أن تلك المهمة تنطوى على مجازفة كبيرة قد تودى بحياة الالاف من الأمريكيين.

– «سأريك كيف؟»، قلت لباول مكتئبا، ورسمت تخطيطا للكويت على قصاصة ورق مشيرا إلى موضع الهجوم: بوسعنا أن نحتل مفترق الطرق الحاسم هذا قرب الجهرة شمال غرب مدينة الكويت، ونسد تدفق الإمدادات للخطوط الأمامية، وإذا استطعنا التمسك بهذا المفترق فإنهم سيضطرون إلى الانسحاب، ولكن مثل هذه العملية جحيم مسعور، فقد نخسر كامل القوة المنفذة.

هز رأسه وانتقلنا إلى مشاغل أخرى. نهضت متأهبا للانصراف فقال لى «هل لديك مانع إذا احتفظت بقصاصة هذا المخطط».

بعد عشرين دقيقة استدعانى ثانية إلى مكتبه وأخبرنى أنه التقى مع بوش وتشينى،

ثم أضاف: لقد اطلعت الرئيس على خطتك للهجوم.

شعرت كمن وقعت عليه صاعقة. لحظة من فضلك، هذا ليس ما أوحيت به. حسب تسلسل المراتب القيادية يشغل باول موقع الصلة التى تربطنا بالقمة، وقد خشيت أن يكون قد تطوع بنا لكى نعمل فى وجهة تقود إلى كارثة، إلا أنه طمأننى: لا تقلق يا نورم، لقد استخدمت القصاصة كوسيلة إيضاح. غادرنا المكتب إلى القاعة التى يوشك فيها الرئيس على إلقاء خطابه، واثقين معا أن عرض القوة الأمريكى فى السعودية قد يحمل العراق على التراجع والتقدم بنوع ما من المساومة.وقال باول ثانية: لا أظن أننا سندخل الحرب من أجل الكويت، من أجل السعودية نعم إذا اضطررنا، لكن ليس الكويت. وافقته الرأى.

تجمعت حلقة من موظفى البنتاجون والمراسلين الصحفيين خارج «باب البهو»، واتخذ باول مكانه على المنصة مع الوزير تشينى، وجلست أنا فى الصف الأمامى، وظهر الرئيس بوش وألقى خطابا عنيفا دعا فيه إلى الانسحاب الفورى الكامل وغير المشروط لسائر القوات العراقية من الكويت، وتابع واصفا صدام بالكذب ومقارنا إياه بأدولف هتلر.

رمقت باول بنظرة ذات مغزى تقول: لا تبدو هذه لهجة زعيم عازم على المساومة، فالتقت عيناه بعينى دون رد على التساؤل بالنظر. لقد كان رد الولايات المتحدة على الأزمة فى تصاعد.

وإذ واصل بوش خطابه شعرت بأن كلماته تهزنى رغما عنى، فقد التهمنى سماع رئيس الولايات المتحدة يتحدث عن موقف لا يتعلق ببساطة بحماية الموارد والممتلكات بل حماية حرية الأمم، ونظر باتجاهى مرتين وقال: أخيرا ليس ثمة بديل عن القيادة الأمريكية، والقيادة الأمريكية لا يمكن أن تكون فعالة فى ظل غياب القوة الأمريكية، ووجه كلاما إلينا قائلا إنه يعتمد علينا، وإنا لهذا المشروع العظيم.

بعد ذلك لما تهيأ الرئيس لركوب سيارته، توقف وأصلح هندامه وتوجه مصافحا يدى. سجل المصورون جميعا تلك اللقطة على شريط الفيديو وهو يقول لى: حظا طيبا نورم.. نحن معك على طول الخط.

فأجبته مستعيرا مفردات خطابه إننى فخور بأنك قائدنا الأعلى.

فى طريق العـودة إلى تامبـا عصر ذلك النهار، دخلت المقصـورة الأماميـة من طائرة القوة الجويـة وحدى.. أول مرة أنفرد فيهـا بنفسى منذ بدء الأزمـة. تطلعت من خلال النافذة إلى النهار المشمس البديع، وانتشيت بحسن تقرير الاطلاع الذى قدمته للرئيس، وباحتلالى مقعدا فى الصف الأمامى أثناء خطابـه وحديثه الشخصى معى أمام عدسات التليفزيون الموجه لعموم أمريكا. لقد انطبع ذلك كله فى عقلى، وللحظة نسيت كل الهموم التى تنتظرنى عند العـودة إلى مقر القيادة المركزيـة، وفكرت: إذا ظهر أن ذلك صحيح، فعلى أن أعيد النظر فى خططى للتقاعد. لقد دفع بى وسط الأضواء، وقد انتهى إلى رئاسة أركان الجيش. لقـد أخبرنى أناس كثيرون – أبرزهم كـولن باول – أننى أحـد المتبارين على منصب فى الجيش.. بغتة بدا لى ذلك مثل إمكانية حقيقة مغرية.

دام الإغـــراء بضع دقـــائق فحســب، إذ رحت أذكـــر نفســى فى مجرى التحليق: شوارتـزكوف لم تكن تـرغب قط فى أن تكون رئيس أركـان، فأولا يعنى ذلك أن تعيش وتعمل فى واشنطن أربع سنوات أخرى.. الأهم مـن ذلك هو الحصول على ذلك المنصب. لقد سرت على درب الترقى إلى المناصب من قبل خـلال الحقبة السوداء من حياتى عقب خدمتى فى فيتنام، ولم أسمح لنفسى بتكرار الخطأ نفسه. لقـد قررت من جديد قرارا لا عودة فيه هذه المرة أن أتقاعـد فى أغسطس عام ١٩٩١، وإذا دامت عملية درع الصحراء أطول فسأبقى حتى إنجاز المهمة أو حتى أطرد منها.

١٨ أغسطس ١٩٩٠ يوم ب + ١١

الساعة ١٧١٠ حديث مع الجنرال دينى رايمر نائب رئيس أركان الجيش للعمليات. يتضح اليوم بجلاء أكبر أنهم يحضرون مواضع تمترس فى الكويت.

٢١ أغسطس ١٩٩ يوم ب + ١١

رد صدام على خطـاب الرئيـس فى البنتاجون بهجـوم خطابى على طـريقته: أنـت يا رئيس الولايات المتحـدة قد كذبت على الشعب الأمريكى، سنهـزمكم. الواقع أنه لم يلق الخطاب نفسه، بـل جاء على شكل رسالة مفتوحـة تلاها ناطق رسمى مـن على شاشة التليفزيون العراقى. كنا نقوم فى غرفة الحرب بالتنصت على البث مستمعين إلى تهديدات

الرئيس العراقى العاصفة: إن الالاف من الأمريكان الذين دفعتم بهم إلى هذا النفق المظلم سيعودون إلى بلادهم ملفوفين بأكفان الحزن.

أدركت أن جل الخطاب قطعة من الدعاية. فقد كنت أرى الواقع الفعلى هناك فى غرفة الحرب على لوحة عرض ايضاحى كبيرة، تقدم لنا بالدقة صورة انتشار وحشد القوات العراقية، والشىء الذى عكسته هذه اللوحة بعد ٤٨ ساعة من ذلك هو انسحاب فرق الحرس الجمهورى من على الحدود السعودية الكويتية. ورغم أن خبراء الاستخبارات العسكرية حذرونى من أن وحدات مدرعة أخرى حلت محل المنسحبة على الخطوط الأمامية، وأن الحرس الجمهورى يستطيع العودة إلى وضع تشكيل هجومى فى ظرف ٢٤ ساعة من توجيه الأمر بالهجوم، فقد بدا لى أن أعين العراقيين قد طرفت خوفا، وأن احتمال وقوع غزو مباشر قد تناقص لأول مرة. وشعرت بالامتنان لأية فسحة تتيح لنا التقاط الأنفاس. وتقف بجوار لوحة العرض المخصصة لرصد تحركات القوات العراقية خارطة تبين مواقع انتشار قواتنا، وهى تشير إلى أن حقول النفط السعودية لاتزال مكشوفة، وأن مواقعنا مقصورة على خط دفاعى يحيط بالمطارات والموانىء الأساسية. لقد كان درع الصحراء لايزال فى بداية تشكله ليس إلا.

ولعل أشد ما كان يشغل بالى هو الخطر الذى لم يتحدث عنه صدام: التفجيرات الإرهابية. لقد كانت قواتنا تتدفق بسرعة كبيرة، بحيث إن ثلاثة الاف من أفراد قواتنا الجوية فى الرياض وحدها جرى ايواؤهم فى فنادق فاخرة. راحت تقارير الاستخبارات تتوالى علينا مؤكدة أن هذه الفنادق قد اختيرت أهدافا للضرب، ورحت أرهب بالصياح قادتى الأماميين لينشروا هذه الأعداد فى خيام إن استدعت الضرورة، حتى لا يتكدسوا فوق بعضهم فى هدف عمودى يمكن تدميره بقنبلة واحدة.

وبذلت جهدا كى أتفادى تكرار حوادث ٢٣ أكتوبر ١٩٨٣، حيث أودت شاحنة متفجرة بحياة ٢٤١ من مشاة البحرية الأمريكية وهم فى ثكناتهم فى بيروت.

فى يوم الخميس السادس عشر من أغسطس، جاء الكولونيل جون واردن وفريق من ضباط القوة الجوية من واشنطن لإطلاعهم على خطة «الرعد الوشيك»، أى حملة الثأر الجوية.

كنت حذرا من «واردن»، فهو من مدرسة «ريتس لوماى» فى قضايا التخطيط الجوى، وهؤلاء أناس يظنون أن القصف الاستراتيجى يحقق كل المعجزات، وأن الجيوش شىء عفا عليه الزمن، فقد نشر فى عام ١٩٨٨ كتابا بعنوان «الحملة الجوية تخطيط للقتال» يتضمن مقطعا بعنوان «يمكن الفوز بالحرب من الجو»، ومن دواعى سعادتى أنى وجدته مفكرا مرنا وعارفا بشئون الدعم الجوى الوثيق، ذلك النوع من الضربات الجوية المستخدم لدعم الجنود على بر المعركة قد عرفته بالقصف الاستراتيجى.

كان واردن قد جاب معه اثنين من المخططين الشباب، أما أنا فقد جلبت بوب جونستون وبدت مور، وب.ب. بيل وحددنا موعد جلسة الاطلاع فى التاسعة مساء، الرابعة فجرا فى منطقة الحرب، فتلك هى أهدأ فترات النهار. والتقينا فى غرفة اجتماعات صغيرة عارية مضاءة بالنيون فى آخر الرواق المفضى إلى غرفة الحرب.

لم يمض على طلبى العودة من البنتاجون سوى أقل من أسبوع ومع ذلك فإن واردن وفريقه حضروا خطة ممتازة حقا. ورغم أن أحدا لم يقل لنا إننا لا نريد تدمير العراق كأمة، فإن فرضيتى فى توجيه المخططين تقوم على أن الولايات المتحدة ستظل بحاجة إلى العراق كقوة موازنة لإيران، وقد خرج واردن باستراتيجية مصممة لشل المؤسسة العسكرية العراقية دون محق البلاد.

صنفت الأهداف إلى مجاميع متفرقة، كانت القيادة العراقية فى المقدمة منها. لقد أكدنا مرارا بعد بدء القتال أن الولايات المتحدة لن تحاول تصفية صدام حسين. الرئيس بوش قال ذلك بنفسه، وكان ذلك صحيحا بحدود، فقد كانت فى مقدمة الأهداف المدرجة فى القائمة المخابىء، التى نعرف أنه سيلجأ إليها – فى الأغلب – مع كبار القادة لإدارة العمل. وبسبب نظام القيادة والسيطرة وتشديد المركزية فى العراق، فقد كان صدام فى عرف المنظرين العسكريين مما يدعى بمركز ثقل العدو، وهو موضع فى القوة المعادية يتسبب إذا استطعت تدميره فى فقدان العدو القدرة على القتال (قام الفيلسوف العسكرى البروسى العظيم كلاوزفيتز بتحديد مفهوم مركز الثقل فى كتابه عن الحرب الصادر عام ١٨٣٢). وابتغاء تحقيق أغراضنا كان يكفينا إسكات صدام بتدمير قدرته على قيادة قواته الموزعة ضدنا، ولو صادف أن قتل فى أثناء هذه العملية لما ذرفت عليه

دمعة. كما وضعنا في قائمة الأهداف معدات الاتصال ومحطات البث الإذاعي والتليفزيوني، لمنع صدام من إيصال الأوامر إلى جنوده.

بعد ذلك استعرض «واردن» كيف أن القوة الجوية تقترح تحطيم المنشآت المضادة للطائرات والمطارات ومواقع خزن الصواريخ ومصانع الذخيرة ومختبرات الأسلحة ومصافي النفط والجسور ومحطات سكك حديد، وخرج المخططون بمائة هدف أساسي، ودهشت من جديد من المدى الكبير الذى حول به صدام بلاده إلى معسكر مسلح.

واستفسرت عن المدة التى تلزم القوة الجوية لتنفيذ كل ذلك القصف، فأجاب واردن: ستة أيام، مفترضا أن تحت تصرف القيادة المركزية ٣٥ سربا من الطائرات أو ما يقارب ضعف العدد الذى قررناه حتى الان، وبدا لى تقديره مغاليا فى التداول، حتى لو توفر لنا ضعف القوة الجوية المتاحة فعلا، ولكن كان هناك شيء اخر فى ذهنى الآن.

قلت: إذا كسونا هذه العظام باللحم، فسيكون لدينا برنامج الرد الذى نطمح إليه، والان دعنا نتحدث عما سيحصل إذا كان علينا أن نوسع ذلك إلى حملة هجومية. تطلعت إلى الجالسين حول الطاولة، لم يطرف رمش. ماذا سنفعل لو أردنا لطائراتنا أن تعمل بحرية فوق ميدان المعركة فى الكويت.

أجاب واردن. تدمير دفاعاتهم الجوية فورا. وأضاف أن ذلك صعب التنفيذ فى الكويت. إن منظومة الدفاع الجوى فى العراق تتألف من منشآت ثابتة يسهل تحديدها، وبالتالى ضربها، أما منظومة الدفاع الجوى فى الكويت فمؤلفة من أسلحة منقولة جلبتها القوات الغازية، وتتضمن صواريخ سام ٨ وسام ٣ السوفياتية الموجهة بالرادار، ومدافع زس يو – ٢٣، وزس يو – ٢٤ المضادة للطائرات والموجهة بالرادار. وخلص إلى القول: نستطيع أن نفعل ذلك، لكنه يستغرق من يومين إلى أربعة أيام أخرى.

قلت: جيد بما يكفى الآن، لكن بعد ذلك إذا أردتك أن تدك وتضعف جيشهم كى نستطيع الهجوم بنجاح؟ واختلقت رقما من الهواء كيفما اتفق، وقلت: أريد تدمير خمسين فى المائة من قوات الاحتلال العراقية قبل شن أى هجوم برى قد نقدم عليه اخر الأمر.

فى أثناء الحديث رحت أخربش ملاحظات، مسجلا الخطوط العامة لتصورى عن

حملة من أربع مراحل:

١- الرعد الوشيك.

٢- إسكات الدفاعات الجوية فى الكويت.

٣- إنهاك قوة العدو بنسبة خمسين فى المائة.

٤- الهجوم البرى (؟).

أطلعت واردن على الملاحظات قائلا. إليك كيف قد يبدو الهجوم؟ لكن هناك شيئا آخر: إن الحرس الجمهورى هو نقطة جذب أخرى فى الجيش العراقى، ففى أثناء تنفيذ المرحلة الأولى من حملتك على العراق لماذا لا تقصف الحرس الجمهورى فى الكويت؟

هز رأسه نفيا.. هذا أخطر مما ينبغى، فلن نكون عند ذلك قد أسكتنا الدفاع الجوى فى الكويت بعد.

- «وماذا عن قاذفات ب ٥٢؟ هل يستطيع العراقيون إصابتها؟».

اعترف قائلا: «كلا لن يستطيعوا».

إن قاذفات ب ٥٢ تحلق على ارتفاع ٣٠ ألف قدم، وهى مزودة بأحدث أجهزة التشويش، وعليه فإنها منيعة تماما.

- «طيب إذا اقتضى الأمر، أريد أن تقصف الحرس الجمهورى منذ اليوم الأول، وأريد أن تقصفهم بعد ذلك كل يوم. إنهم قلب وروح جيشه وبالتالى سيدفعون الثمن».

فى ختام الاجتماع وزعت المهام.. أرسلت واردن وفريقه إلى السعودية لتسليم المراحل التالية فى تخطيط الحملة الجوية إلى الجنرال هورنر وأركانه. لم يكن هورنر مرتاحا لطلبى المساعدة من البنتاجون فى التخطيط. الواقع أنه انفعل بقوة: سيدى، إن اخر ما أريد تكراره هو تجربة فيتنام حين كانت واشنطن تقرر الأهداف، هذه مهمة قائد القوة الجوية العاملة بإمرتك. وذكرته بأنه القائد الأمامى لقواتى فى الرياض، وأن بين يديه كثرة كاثرة من المشاغل ووعدته بأن يضطلع بالأمر ما إن يتم العمل الابتدائى.

وطلبت من الجنرال جونستون أن يشرح مفهوم الحملة على أربع مراحل إلى كبار ضباط الأركان، والآن - وقد حددنا الإطار العام - نستطيع الشروع فى عملية التخطيط

الطويلة اللازمة لتحويل المفهوم إلى شيء قابل للتنفيذ. أخيرا أعطيت ملاحظاتى إلى الكولونيل بيل ليدونها فى سجل اليومى. وسأل بيل أى اسم ستطلق على ذلك؟

قلت: لا نريد خلطها بموضوع درع الصحراء، لم لا نسميها عاصفة الصحراء؟ وافق الكل على ذلك، كما وافقوا على الاحتفاظ باسم الرعد الوشيك كرمز للمرحلة الأولى.

فى الصباح التالى أبلغت كولن باول أننى توصلت إلى مفهوم للحملة الهجومية، ووضعت المراحل الأربع التى دونتها، وقلت له إنه ليس لدينا عملية هجوم برى نقترحها للمرحلة ا .رابعة، مبديا ارتيابى من قدرتنا على الخروج بخطة مرضية بدون المزيد والمزيد من القوات، ولكنى اعتزمت أن أطلق حرية المخططين لمعالجة هذه القضية ما إن تطأ قدماى أرض الرياض، ثم أخبرته بالاسم الرمزى الجديد. بدا مسرورا وقال إنه سينقل المعلومات إلى الوزير تشينى.

بعد أيام قلائل من خطاب الرئيس فى البنتاجون، أخذت الأحداث تتحرك بسرعة كبيرة، فالبيت الأبيض مضى إلى فرض الحصار البحرى رغم أن مجلس الأمن لم يعط الإذن بعد بفرض الحظر بالوسائل العسكرية. زاد ذلك من التوتر فى القيادة المركزية بدرجة ملحوظة، فالحصار فى عرف القانون الدولى هو إعلان حرب، وإذا ما قمنا بإغراق واحدة من ناقلات صدام العملاقة فإنه سيتخذ ذلك ذريعة للبدء بالغزو، أو للرد الثأرى بطريقة من الطرق. وما إن يبدأ الجنود بإطلاق النار على بعضهم فإن من الصعب البقاء دون الدخول فى الحرب.

فى مساء اليوم التالى التقطنا فى الخليج وجود أولى السفن العراقية، وهما ناقلتا نفط صغيرتان فارغتان عائدتان إلى وطنهما، كانت سفننا مستعدة لنسفهما من على وجه المياه. اتصل بى نائب الأدميرال هانك ماوز – وهو قائد القوة البحرية العاملة بإمرتى – بواسطة الراديو مستفسرا: «ماذا نفعل؟».

لم تكن أوامرنا تنص على شىء يخص السفن الفارغة. حاولت الاتصال بالجنرال باول تليفونيا، إلا أنه لم يكن فى مكتبه. سألنا ضباط مقره فاتضح أنه ليس هناك تعليمات إضافية لنا. أخيرا بحثت عن نسخة من قرار الأمم المتحدة ووجدتها، ينص القرار على أن الهدف من الحظر هو وقف كل الصادرات والواردات.. هذا يعنى – حسب

ما بدا لى – أن العراق يجب أن يمنع من بيع مـا غنمه فى الكويت، وأن يمنع من الحصول على امـدادات لدعم جهوده الحربيـة، وارتأيت أن الناقـلات الفـارغة لا تخرق أيـا من الشرطين، لذلك اتصلت بالأدميرال ماوز وقلت له: دعهما تمران، لا فائدة من بدء الحرب العالمية الثالثة بسبب ناقلات نفط فارغة.

بعد بضع ساعات اتصل باول بالتليفون ليخبرنى بأن وزير الدفاع يشعر بأننى لا أطيع الأوامر، وكـان باول نفسـه كمن يقف على الحافة، كنـا جميعا نعمل تحت ضغط هائل، فانفجرت قائلا: لم يكن لدى أى تـوجيه، حاولت الاتصال بك ولم تسعفنى هيئة الأركـان المشتركة، وأنتم تـدفعون لنـا الـرواتب كى نحسن التقديـر فى العمل. الشىء الوحيد الذى توفر لدى كى استرشد به هو صياغة قرار الأمم المتحدة.

– «طيب، ولكنك اتخذت قرارا خاطئا».

– «حسنـا، الآن وقد أوضحت مـا تريـد بالضبط، فإن النـاقلة التـالية التى ستمر ستنسف نسفا».

بعد ١٤ ساعة من ذلك، فى عصر يوم السبت فى الشرق الأوسط، جاءت سفينة عراقية محملة بالنفط فى طريقها لمغادرة الخليج، اعترضتها الفرقاطة الأمريكية «رايد» وأطلقت عليها سلسلتين من طلقات التحذير فوق القـوس، لكن الناقلة لم تتوقف. فى هذه الأثناء تلقينا مكالمة هائجة من هيئة الأركان المشتركة تعدل الأوامر: لن نغرق أية سفينة بدون موافقـة البيت الأبيض. أطلقنـا سلسلة طلقات تحذيـر ثالثـة، اتصل القبطان العـراقى بالراديو وقـال إنه لن يتوقف، مضيفا بلهجة ملغزة إن لديـه طاقما دوليا على السفينة. اتصلنا بالبنتاجون ثانية وقلنا نحن مستعدون وبانتظار الإذن بإطلاق النار.. فى الوقت نفسـه أبلغت السفينة العـراقيـة مراجعهـا فى بغـداد بأنها تعـرضت لإطلاق نـار من الأمريكان. اتصلت بالجنـرال هورنر فى الرياض لأحذره من أن هجومـا عراقيا قد يقع وشيكا، وأن يضع القـوات البحرية والجويـة فى أقصى حالات الاستنفار جـاهزة لشن ضربات انتقامية.

كان الرئيس فى كينيبنكبورت متمتعا بأجازة، لذلك استغرق الأمر فترة كى تستطيع واشنطن التشاور معـه ومع الجنرال سكوكـروفت. جاءنـا القرار بعد سـاعة ونصف الساعة: أعطوا القبطان العراقى تحذيرا واحدا أخيرا بواسطة الراديو، أخبروه أنه إذا لم

يتوقف فستطلقون النار على منصة القيادة ومقود الدفة في السفينة لشلها عن توجيه المسار، وإذا لم يتوقف رغم ذلك أنذروه بنقل طاقم البحارة إلى مقدمة السفينة.. أعطوهم الفرصة لإخلاء مقود الدفة ثم أطلقوا طلقة تمر من فوق مقود الدفة كإنذار أخير.. قولوا له هذه فرصتك الأخيرة، القذيفة التالية ستصيبك، ثم أطلقوا لإعطاب السفينة ولكن لا تغرقوها.

لما عادت الأوامر إلى الخليج كان الظلام قد خيم، وقال الأدميرال «ياه». لا نستطيع أن نرى بوضوح كاف لتنفيذ ذلك.

وهكذا تحللنا من الالتزام حتى انبلاج النهار، بعد أن عوملنا في نموذج كلاسيكي لما يحصل حين تسعى واشنطن إلى توجيه عمليات الاشتباك من بعيد. إن التحكم التفصيلي كان سيثير سخطي في أغلب الظروف، أما في هذه الحالة فلم أعبأ به. من الجلي أن شخصا ما في واشنطن أدرك في وقت متأخر أن إغراق باخرة عراقية سيشكل تصعيدا كبيرا، لذا قرر أن على الولايات المتحدة أن تبذل كل جهد لرد الناقلة على أعقابها قبل الهجوم عليها.. لا ضير في ذلك بالنسبة لي، بل لقد ضاعف ذلك سروري من القرار الذي اتخذته بعدم ضرب الناقلتين الفارغتين في اليوم السابق.

خلال الليل سادت الرؤوس الباردة، اتصل «باول» ليغير الأوامر للمرة الرابعة خلال ٢٤ ساعة: لا تشتبكوا مع تلك السفينة.. واصلوا تعقب أثرها، فإن سفيرنا في الأمم المتحدة يحرز تقدما للحصول على تأييد للحصار من مجلس الأمن، ولا نريد تخريب أي شيء.. اقتصرنا بعد ذلك على ملاحقة ظل السفن العراقية إلى أن أعطى مجلس الأمن أخيرا التخويل بفرض الحصار بعد أسبوع من ذلك.

إن الناقلة التي كدنا نهاجمها أبحرت إلى اليمن، حيث أعلن اليمنيون أنهم سيلتزمون بالحظر ولن يفرغوا النفط. لقد كان القبطان العراقي يعرف أنه كان على شفا أن ينسف نسفا، وقد التقطنا مكالمته المفزوعة مع بغداد حيث قيل له ما معناه «امض يا صديقي، وحيث تصبح شهيدا فإن صدام سيمنحك وسام الشهادة». ولما وصل المسكين إلى اليمن أصيب بمرض غامض، وتوجب إجلاؤه إلى العراق، وراهنا أن مرضه يرجع إلى عدم رغبته في العودة على نفس الطريق ومواجهة مدافع البحرية الأمريكية.

الخطوة التالية التى اتخذها الرئيس هى استدعاء الاحتياط. ويتمتع الرئيس بصلاحية إعادة تعبئة ٢٠٠ ألف من جنود الاحتياط لمدة ١٨٠ يوما دون الرجوع إلى الكونجرس، وبهذه الخطوة أعطى إشارة قوية لشعب الولايات المتحدة بأن أمامنا مهمة علينا أن ننجزها كاملة.. وقفت إلى جانب هذه الخطوة، فقد كنت على قناعة دائمة بأن واحدة من أفظع الأخطاء التى ارتكبناها فى حرب فيتنام هى إحجامنا عن تعبئة الشعب، وكانت واشنطن ترسل الجنود إلى المعركة دون أن تدعو الشعب الأمريكى إلى تأييدهم.

لقد أدى استدعاء الاحتياط إلى إطلاق مشاجرة بيروقراطية عامة فى البنتاجون، اشترك فيها رؤساء فيالق الجيش والبحرية ومشاة البحرية والجنرال المسئول عن قيادة القوات والجنرالات المسئولون عن مختلف عناصر الحرس الوطنى، الكل يساجل ويناقش حول أى من وحدات الاحتياط يجب أن تتوجه إلى الخليج. ولما كانت خطة حرب القيادة المركزية نصف منجَزة، فإننا لم نصل بعد إلى نقطة تعيين وحدات احتياط خاصة، لذا راح رؤساء فيالق الجيش والبحرية والقوة الجوية ومشاة البحرية يصوغون التقديرات عن حجم الاحتياط الذى يظنون هم أنه يلزمنا، وكان الرقم الكلى أكثر من ٣٠٠ ألف شخص، وهو أكبر من سائر العدد المخصص لدرع الصحراء وأضعاف ما كان الرئيس يحمله فى ذهنه. أخيرا اتصل بى باول يائسا ووضع – بصواب كامل – القضية بين يدى: إن فروع الأسلحة خرجت عن طورها ويصعب ضبطها، قم أنت بحل القضية وسأصادق فقط على الوحدات التى تطلبها.

كنت أعرف بالضبط ما نحتاج: سائقى شاحنات، مفرغى سفن، مراقبى ذخيرة، مركبى تليفونات، ميكانيكيين، عمالا يتولون المهام الأساسية لإسناد الانتشار فى منطقة القتال.. والجزء الأصعب من ذلك هو ايصال تلك الرسالة من خلال البعض فى واشنطن. ووقعت لى مناقشة حادة مع رئيسى السابق الجنرال فونو وأركانه حول الوحدات القتالية للحرس الوطنى المعروفة باسم «الألوية الملتوية». لقد ابتدعت هذه الألوية خلال العشرين عاما الماضية بهدف زجها فى الخدمة زمن الحرب لاستكمال الفرق الدائمة بثلثى نصابها الاعتيادى توفيرا للطاقة البشرية والمالية، وأراد فونو أن يبرهن أن هذا المشروع فعال، أما رجال الكونجرس القادمون من ولايات تمركز وحدات الحرس هذه فقد راحوا يضجون مطالبين ضمها إلى درع الصحراء، غير أن استدعاء

هذه الألوية لمدة ١٨٠ يوما التى قررها الرئيس لا معنى له، فما إن يلحق هؤلاء بالخدمة حتى يكونوا بحاجة إلى أشهر من التدريب لاكتساب الاستعداد للقتال، وحين يأتى الأوان وترسلهم إلى الشرق الأوسط يتعين علىّ أن انشغل باعادتهم إلى الوطن. وانتهيت مع فونو إلى القول: إننى أفهم قضيتك السياسية، ولكننا نخوض الآن حربا.

ساندنى «باول» شأنه شأن قائد قيادة القوات الجنرال «ابد بوريا»، فشطبت الألوية الملتوية من دعوة الاحتياط، وبما أن جاهزية الحرس الوطنى هى واحدة من مسئوليات بوريا فقد كان يعرف خيرا من سواه إن كانت الوحدات متهيئة للانتشار.. ومما يشرفه حقا أنه وقف ضد استخدام هذه الوحدات رغم ما ينطوى على ذلك من مضار على مستقبله، فقد فضل الاقرار بمحدودية قدرة هذه الوحدات على أن يرسل رجالا مفتقرين إلى الجاهزية، وظل الخلاف ناشبا فى الكونجرس والصحف – حتى بعد اتخاذ القرار – إلى أن جرى فى شهر سبتمبر إرسال واحد من هذه الألوية الملتوية من جورجيا إلى مركز التدريب الوطنى فى صحراء موجاف، لتحديد الوقت اللازم لاستعادة جاهزيتها القتالية، ولم تستعد هذه الجاهزية حتى بعد تدريب دام ستين يوما. عند هذا الحد اضطر حتى بعض رجال الكونجرس ممن أدلوا بدلوهم فى القضية إلى الاعتراف بأن هذه الألوية قد تناسب حربا أطول.

كانت قضية استدعاء الاحتياط اخر القضايا الكبيرة التى كان علىّ أن أحلها قبل أن أغادر تامبا.. ففى ذلك الوقت كان النقل البحرى والشحن البحرى يسيران سيرا فاعلا إلى حد أن الجنرال جونسون – من قيادة النقل وقيادة النقل الجوى – عقد مؤتمرا صحافيا موسعاً فى ٢١ أغسطس تبجح فيه أن طائراته وسفنه قد نقلت أعدادا هائلة من الجنود، وأن مازنته مليار رطل من الأسلحة والذخائر والتجهيزات الأخرى قد وصلت إلى الخليج أو فى طريق الوصول إليه. وشبه ذلك بنقل سائر رجال ونساء وأطفال مدينة جيفرسون بولاية ميسورى إلى السعودية، هم وسياراتهم وشاحناتهم ومتاعهم المنزلى وطعامهم وامدادات مائهم وكان الجهد وقتذاك هائلا حقا، بحيث كان على مراقبى السيطرة فى قيادة النقل العسكرى أن يتعقبوا أثر ٨٠ طائرة فى وقت واحد محلقة عبر سماء الأطلسى (وقد اطلقوا على النقل الجوى اسماً رمزيا هو: جسر ألمونيوم الشرق الأوسط). فى غضون ذلك كانت حمولات هائلة من الدبابات والمعدات الثقيلة وسفن

الشحن البحرى السريع والناقلات العملاقة تبحر بسرعة تزيد على ٣٠ عقدة (ما يعادل ٣٥ ميلا فى الساعة) تلك السفن التابعة لقيادة الشحن البحرى العسكرى، على أن تعقبها سفن شحن أخرى كما هو مقرر.

أخيرا اكتمل نصب شبكات الاتصالات فى السعودية. وفى الثالث والعشرين من أغسطس أخطرت كولن باول بأنى مستعد لنقل مقرى إلى الرياض، وأخبرته بأن نائبى رباك روجرز قد وافق على البقاء فى تامبا لإدارة المقر، وأعرف أننى استطيع الاعتماد عليه لإبقاء تدفق القوات سلسا من جهة الولايات. أيد باول وجوب ذهابى، لكنه اعترف بأنه يحبذ بقائى قريبا من واشنطن خشية أن يتعذر عليه الاتصال بى لحظة تركى الولايات المتحدة. لقد استطعنا معا فى مجرى اتصالاتنا اليومية أن نطور قاعدة عمل مشتركة خارقة للعادة، قيض لها أن تستمر فى مجرى عملية عاصفة الصحراء. كنا نتداول على التليفون الأمن بضع مرات فى اليوم عادة، وإذا دعت الضرورة لتبادل المعلومات تحريريا فقد كنا نفعل ذلك خارج القنوات الاعتيادية للبنتاجون. وقد كان لدينا نحن الاثنين جهاز فاكس مربوطا بخط التليفون الامن، فإن كانت لدى وثيقة مهمة أو تخطيطا ايضاحيا أرغب فى أن يطلع عليه، أعطيت الورقة إلى الكولونيل بيل ليبلغ مكتب باول بأنها ستبث إليهم، ثم يقف بجانب جهاز الفاكس حتى يكتمل البث، ويقف الضابط التنفيذى لباول على الطرف الاخر من خط الفاكس ليلتقط الرسالة ويسلمها إلى باول باليد مباشرة.

كنا نرى أن تلك هى الطريقة الوحيدة لضمان السرية، فطوال عام ونصف العام من اشتغالى فى (الدبابة) سمعت سلف باول - الادميرال كراو - يقولها المرة تلو المرة: ما إن تدون شيئا على الورق فى واشنطن حتى تستطيع أن تعتبره قد انفضح، فما إن ترد رسائل إلى الأركان المشتركة - وهى رسائل بالغة السرية موجهة للحلقة الضيقة فى البنتاجون - حتى تدون فى السجل وتستنسخ وتوزع لمختلف مديرى الأقسام، الذين يستنسخونها بدورهم إلى نوابهم، والنواب إلى مساعديهم، وهكذا إلى أن تظهر المعلومة حتى قبل أن تعرفها فى الـ «واشنطن بوست» إن معالجة كل شىء بواسطة التليفون الأمنى والفاكس الأمنى قد ضمن عدم تسرب أى شىء، وهذا يعنى أيضا عدم وجود محضر رسمى للعديد من اتصالاتنا.

كنت من الوجهة الرسمية أخضع لـوزير الدفاع تشينى بصفتى القائد العام، إلا أن باول هو حلقـة الوصل الوحيدة عمليا مع الإدارة. وكـان باول يقول: إن مهمتى هى أن أبقى الرئيس والبيت الأبيض ووزيـر الدفـاع على اطلاع بمجريـات الأمور.. اهتم أنت بمسرح الحرب واترك ى الاهتمام بواشنطن. كان هـذا التدبير فعالا، إذ كنت أخبر باول بحاجتنا إلى قيام واشنطن بشىء مـا، وكان هو يعمل على تحقيق ذلك، وليس لدى أدنى شك فى أن الجنـرال باول كـان خير رجل لـذلك المنصب خلال الأزمـة، ولم يسبق لأى ضابط غيره بعـد الجنرال جـورج مارشـال – أيام الحرب العـالمية الثـانية – أن حظى باتصـال مباشر بالدوائر العليـا فى البيت الأبيض، ناهيك عن ثقة الرئيس. كـان بوسـع باول أن ينتزع فى ظـرف ساعات قرارات لا ينتزعها غيره إلا بعـد أيام أو أسابيع، ولكن وجدت هـذا الترتيب مثيرا للأعصاب لأنه يبقينـى فى الظلام، فغالبا مـا كان يحصل أن يتصل بى باول بعد اجتماعات البيت الأبيض ليـوجه لى أسئلة تجعلنى احتار، متسـائلا إن كان رؤساؤنا المدنيون يدركون الحقائق العسكرية.

فمثلا حين أعلن صدام فى التاسـع عشر من أغسطس أنه سيستخدم الرهائن الغربيين كدرع بشرى لمنع الولايات المتحدة من قصف العراق، اتصل بى باول على الفور ليعرف التـالى: ماذا ستفعى بصـدد الدروع البشريـة؟ لقـد كنت أطلعه على الأمـور أولا بأول، وحسبت أنه يعرف الجواب المحـزن. أيضا كنا ندرس امكـانات إنقاذ الرهـائن منذ بدء الأزمـة، واتضح لنا سريعـا أنـه ليس بوسع الـولايـات المتحدة أن تفعل الكثير لإنقـاذ المحتجزين فى العراق، والأسبـاب كثيرة أبرزها: ضعف مصادر استخبـاراتنا البشرية، ناهيك حتى عن صعـوبة تحديـد موقع الرهـائن. كان على أن أخبر باول هـذا النداء: لا نستطيع إخراج معظمهم.. سنبـذل كل جهد لمعـرفة مكان احتجـازهم، ولكن إذا دخلنا الحرب وكان الرهائن فى مواقع أسـاسيـة للضرب فإن على الرئيس أن يتخذ قرارا صعبا للغايـة. لم يكن بوسـع القيـادة المركزية أن تحل المشكلـة التى سببها صـدام لنا، فتلك قضية خيار أخلاقى وسياسى.

عندما اتصلت بباول فى البنتاجـون لأخبره بأننى حاضر للمغادرة إلى الرياض، راح يستفسر منى بالتفصيل حول ما إذا كان بوسعه أن يتصل بى تليفونيا: «هل أنت واثق

أن الاتصالات جاهـزة؟ لا أستطيع أن أجازف بفقدان الاتصال بك». ثـم أضاف بعبارة متأنيـة: «فى طريق ذهابـك أود أن تتوقف هنا فى واشنطـن لتطلعنى بالكامـل على خطة حملة الهجوم الجوى والبرى معا».

استغرقنى تسجيل ماقاله ٥ دقائق.. أخبرت ضباط المقر بأنى بحاجة إلى التحدث مع رئيس هيئة الأركان المشتركة على انفراد، وطلبت إليهم إخلاء غرفة الحرب، ثم عدت إلى فتح الخط مع باول.. قلت محاولا الاحتفاظ بهدوء نبرة صوتى: أريد أن أتأكد من شىء أظن أننا قررناه من قبل.. لقد أطلعت الرئيس على موجز خطة دفاعية، وأنا أنفذ الأوامر بوضع قوات دفاعية فى مكانها، وفجأة تسألونـى — أنتم المسئولون فى واشنطن — أن أعد العدة لهجوم باستخدام تلك القوة الدفاعية.. ثمة خطأ فى الأمر. أستطيع أن أقدم لك تصورى التحليلى، ولكن هـذا هو كل مافى الأمر، عـدا المرحلة الأولى — مـرحلة الهجوم الجوى — ليس هناك من شىء أخر أوصيت بفعلـه أو خططنا له فعلا أو أسير بموجبه، إننى أخشى أن يظهـر شخص لا يفهم ذلك ويستـدير على عقبيـه ويقـول لى: نفذ هـذا الهجوم.

قـال باول: نـورمان ضع ثقتك فى، عليك أن تثق فى. هل تظن أنى سأسمح بحصـول ذلك؟ مشكلتى هى أن لدى كل أرباب القصور فى مجلس الأمن القـومى الذين يواصلون القول: إن علينـا أن نطرد صـدام من الكويت إلا ويجب أن يكـون عندى مـاأستطيع به ضبطهم.

بـدا لى أن بـاول يقـامـر بأنـه إذا استطـاع إقنـاع البيت الأبيض بأن العسكـريين يسيطرون على الأزمة، وأنهم يمضـون قدما فى تطـوير خطة طوارىء الحرب، فإن أحدا لن يأمرنا بالتعجل للقيـام بشىء. وقررت أنه على حق، لا لأن ذلك يهم.. بل لأنه لم يكن من خيار أخر سوى أن أجاريه.

التقيت ببـاول صبـاح السبت الموافق ٢٥ أغسطـس فى البنتـاجـون شبـه الخالى،

وأوجزت له آخر تطورات خطط التصف الاستراتيجى، وأوضحت كيف أن حملة جوية كهذه قد تخدم ممهدة للهجوم البرى، لكنى أكدت المرة تلو الأخرى أن فكرة دفع قواتنا البرية الحالية إلى الكويت لا يقل غباء عما كان عليه الوضع من قبل. وفى يوم ٢٤ أغسطس أخفيت عن عائلتى سر مغادرتى وموعده، وسألتنى زوجتى: هل ستعود إلينا فى عيد الميلاد القادم.. إنه لن يكون عيدا بدونك؟. قلت لها. فى كل الحروب التى خضتها قبل ذلك خارج الولايات المتحدة كنت أتصور أنى لن أعود، ولكنى دائما كنت أعود.

الباب الرابع

القدوم إلى أرض المملكة

(لقاءات وتجهيزات كبرى)

كان الأمير خالد بن سلطان ــ الذى أقابله لأول مرة ــ فى استقبالى على باب الطائرة القادمة من واشنطون، وكان فى استقبالى أيضا تشاك هورنر وجون يوسوك - ولقد قدمنى هورنر إلى الأمير خالد الذى عينه الملك فهد كشريك لى فى هذه المهمة.

إن خالدا رجل مثالى ضخم الجسم مثلى، تلقى تعليمه فى ساند هيرست - الكلية العسكرية البريطانية - ودرس فى كلية الحرب الجوية التابعة للقوة الجوية الأمريكية فى قاعدة ماكسويل الجوية بولاية الاباما، وهو يحمل درجة الماجستير فى العلوم السياسية من جامعة أوبورن. ويعتبر الأمير الأعلى رتبة فى القوات المسلحة السعودية. رتب خالد - ترحيبا بى - مراسيم تقليدية لتقديم القهوة. فى قاعة الاستقبال بالقاعدة.. افترشت الأرضية سجادة عجمية ضخمة. جلسنا على الأريكة - خالد وأنا - فى الطرف الأقصى من القاعة، وجلس تشاك وجون على يسارى وقائد القاعدة الجوية وأفراد هيئة خالد على يمينه.. قدموا لنا قهوة عربية معطرة بالحبهان، ورحنا - الأمير وأنا - نتبادل المزاح، وبرز خالد بنظرى رجلا صريحا ودودا مرحابا أنيسا، وقد نبهنى هورنو ويوسك إلى أنه كان بالغ الاهتمام بهذا اللقاء. ورغم أن الأمير كان مريحا فى العمل معهما - قرينيه الحاملين رتبة جنرال بثلاث نجوم - فإنه راح يمطرهما بالأسئلة لما اكتشف أننى قادم، وبات شديد الاحتراس.

وظن هورنر ويوسك أنه قلق من أن رتبتى الأعلى وخبرتى الواسعة ستدفعنى إلى الضغط عليه أو توجيه الأوامر له. لم تكن لدى مثل هذه النوايا، ولما أدرك خالد ذلك فى الأيام التالية انعقدت بيننا أواصر صداقة حميمة ورفقة مؤثرة اختتم الترحيب الوجيز بالقول سيتصل ضباطى بضباطك حول موعد لقائنا.

انطلقنا فى سيارة مرسيدس ثقيلة التصفيح إلى وسط المدينة نحو مبنى وزارة الدفاع – مقر قيادة درع الصحراء ـــ حيث خصص لى السعوديون مكتبا امبراطوريا– فى سعته– فى الطابق الثانى من المبنى، زينت جدرانه برسوم زيتية للملك فهد وولى العهد الأمير عبد الله والأمير سلطان، وفى هذا الطرف ثمة طاولة اجتماعات خشبية حديثة، وكان تليفونى الأمنى الأحمر على الرف وراء المكتب، ورصت على الجدران الثلاثة الأخرى مقاعد وثيرة بقماش مقصب ومكعبات كبيرة من المرمر، تقوم مقام طاولات للقهوة. وتجاور المكتب غرفة نوم وحمام صغيرة مع دوش، وهى جميعا بسيطة المظهر. وتطل غرفة النوم على واحة مبلطة بالأسمنت أوت إليها حمامات.

فى هذه الأثناء حجز لى ضباطى جناحا فى فندق «حياة» الفخم عبر الشارع قبالة وزارة الدفاع، حيث ينزل العديد من كبار الضباط هناك. ولكنى كنت الشخص الذى ظل يضرب على وتر إخراج العسكريين من الفنادق، فكيف يسعنى أن أنزل فى فندق.. الاحتمال الثالث هو النزول فى جناح بنادى الضباط السعودى الذى يبعد ثلاثة أميال.

أعلنت اختيارى: سأنام هنا الليلة، بيد أنى انتهيت إلى المبيت فى ذلك المكان تسعة أشهر.

كانت أول رغبة لى هى أن أزور غرف الحرب. نزلنا بمصعدين ومررنا برواق طويل محاط بحراسة مشددة، ونزلنا مجموعة درجات متلاحقة من السلم، وأخيراً اجتزنا أبوابا ثقيلة. لقد قام السعوديون بتهيئة مستلزمات بناء مقر قيادة كبير تحت السرداب على عمق ٥ طوابق تحت الأرض، إلا أن بناءه لم يكتمل، فقبل ثلاثة أسابيع فقط كان هذا المكان أجرد، أما الآن فقد بات مركز عصب «درع الصحراء».

قادنى الميجور جنرال بول شاورتر – وهو نائب يوسوك – إلى قاعة كبيرة ذات سقف شاهق بعلو طابقين وتزدحم بالعسكريين والمكاتب. لقد سررت لما عين الجيش شوارتز للالتحاق بدرع الصحراء. لقد سبق له أن خدم كمدير مشروع لدى الحرس الوطنى السعودى، وهو يحب السعوديين ويعمل بصورة حسنة معهم، وكانت هذه القاعة من إبداعه، وهى مركز تنسيق يستطيع فيه ضباط الارتباط السعوديون والأمريكيون – من أى فرع واختصاص – العمل جنبا إلى جنب: ضباط القوة الجوية

مع ضباط القوة الجوية، حرس الساحل مع حرس الساحل، مخططو الدفاع الجوى مع مخططى الدفاع الجوى، وهكذا دواليك. وتنبجس من أحد الجدران عاليا غرفة اجتماعات زجاجية مثل طابق وسطى، تطل على كل القاعة وتكون بمثابة موقع قيادة أمريكى حتى ينتهى التكنيكيون من وضع اللمسات الأخيرة على منشأة كاملة للقيادة والسيطرة. أما المنشأة الأكثر تعقيدا فكانت مركز الاستخبارات وغرفة الاتصالات ومكاتب للأركان وقاعة محاضرات صغيرة تتسع لأربعين شخصا من أجل تقارير الاطلاع.. والأهم من ذلك أنها تتضمن غرفة حرب ستكون مقر قيادتى لدرع الصحراء إذا نشبت الحرب. وكان السعوديون فى هذه الأثناء قد جهزوا مقر قيادتهم فى الطابق الأعلى فوقنا.

قدمنى باول إلى الكولونيلات السعوديين والأمريكيين المسئولين عن تشغيل مركز التنسيق. طلبت تقريرا عن مسار نشر قواتنا، فوجهوا نظرى إلى خارطة كبيرة على الجدار - ورائى تماما - كانت تصور خطة أعدها هورنر وخالد وأركانهما، ونشرت القوات الأمريكية والسعودية على طول الحدود السعودية الكويتية فى إطار خطة الدفاع الأولى عن المملكة.. وعلى الفور لقطت عينى مشكلة كبيرة، لقد سبق وأن أرسلنا بجهاز الفاكس خطة المعركة العراقية التى حصلنا عليها من النشق قبل أسبوعين - الخطة التى تنص على غزو شامل مثلث الرؤوس - ومع ذلك - وبسبب نقص القوات - تركوا أحد ممرات الاقتحام إلى الجبيل محميا، شأنه شأن الطريق العام الغربى المفضى إلى مدينة الملك خالد العسكرية، ولكن فى وسط الحدود - حيث رسم العراقيون رأس الحربة الثالث - هناك فجوة فاغرة بلا حماية - لا يقل عرضها عن أربعين ميلا - ولو أراد صدام أن يفعل شيئا لكان بوسعه دفع ألف دبابة على ذلك المحور، ولما انتبه أحد لذلك قبل أن يكون صدام قد تغلغل عميقا فى مؤخرتنا.

لما حللت فى الرياض كنت متهيئاً - إن اقتضى الامر - للعمل على مدار الساعة بغية الوفاء بالعهود الذى قطعناها للرئيس، والسهر إلى أقصى حد ممكن للعمل على عودة قواتنا بلا مساس. وأشارت التقديرات الاستخبارية الآن أن بوسع صدام حسين أن يزج بقوة نابضة ضدنا قوامها ١٥٠٠٠٠ جندى و١٢٠٠ دبابة، وخشيت أن يدفعنا إلى البحر وأن نفقد حياة آلاف المؤلفة، وأدركت أن أولى أولوياتى أن أزيل هذا الخطر بأسرع

مايمكن.

ولكن كـان يتعين عليّ أن أغلف إحسـاسـي بحـراجـة الموقف في مجرى تعـاملي مع السعوديين، ومما أثار ذعري أن همهم الأول لم ينصب على الخطر المحدق مع صدام، ولا على المشروع العسكري الضخم المشترك الذي شرعنا فيه، بل انصب أساسا على أزمة الأعـراف والتقاليد التي اندلعت بفعل السيل الباغت للأمـريكيين المتدفقين على مملكتهم. لقد فعلنا مابوسعنا لاستباق المشكلات قبل مجيء القوات: حظرنا الكحول، والمجلات الخليعة ووعينا الجنود بالحساسية الثقافية، ووزعنا كراسا توجيهيا بعنوان «المرشد العسكري للأعـراف والتقاليد العربية». الذي وضعـه على عجل أركان القيادة المركزيـة. يبدأ أحـد الفصول بـالقول لايمكن للـرجال والنسـاء أن يمسوا بعضهم في العلن، ولكن هناك قدرا كبيرا من التماس بين الأفراد من الجنس الواحد، وماكان بوسع أي شيء نفعله أن يزيل الصدمة الثقافية كليا.

خطة الدفاع الأولية

اعتمـدت خطة الـدفـاع الأولية على استخـدام سائر القـوات المتـاحة أو المنتظـرة، وتضمنت هذه القوات:

كتائب الحرس الوطني السعودي.

القوات السعودية الكويتية المصرية السورية والألوية الفرنسية والبريطانية، إضافة إلى فرق مشاة البحرية والجيش الأمريكي (الفرق ٢٤ و٨٢ و١٠١).

فحين تسلمت مهام القيادة المركزية عام ١٩٨٨، كان هناك جنرال بنجمتين مسئولا عن بعثة التـدريب العسكرية الأمـريكية، وكان يـؤذن له بدخـول الرياض عنـد القيام بأعمال رسمية، ولكن كان يتوجب عليه أن يغادرها قبل حلول الظلام ليعود إلى مقره في الظهران، أما الآن فإن آلافا من العسكريين يجوبون الرياض.

ورحت أذكر نفسـي باستمرار بأن الكثير من الضباط قادرون على القيام بالتخطيط العسكري، لـذلك كنت أذهب إلى مكتب الأمير خالـد بوزارة الدفـاع في تمام العاشرة من

مساء كل يوم، ويمتد بنا الحديث عادة إلى مابعد منتصف الليل، وهو أمر ليس بالغريب فى المملكة العربية السعودية حيث يعمل الملك فهد نفسه طوال الليل حتى صلاة الفجر. كنا نجلس معا - خالد وأنا - على مقاعد وثيرة ذات لون ماروني، بينما مرافقه يقدم لنا عصير الفواكه والقهوة والكابوتشينو. من المعروف عنى أنى لست صبورا، ولكن القيام بالعمل هناك أرغمنى على التحلى بالصبر.. فالقرارات التى تتطلب فى العادة ١٥ دقيقة فى تامبا أو واشنطن، وكانت تستهلك فى الغالب ٣ ساعات فى الرياض، مادمنا نرتشف القهوة ونسرد الحكايات ونضرب الأمثال الحكيمة.

وغالبا مايكون عسيرا علينا أن نعرف مرام خالد من البداية، فالأعراف السعودية لاتحض على المكاشفة الفورية، ولقد تعلمت من تجربتى الطويلة كيف أصغى طويلا إلى أن أتيقن من أننى فهمت المراد، وأبدى الاستعداد للمساومة، وأمرتهم. تحققوا من جلية هذا الأمر.

اعترض أحد القادة على مجلات الجنس مدعيا أن للجنود حقا دستوريا فى قراءة المطبوعات التى يتمتعون بها فى الولايات المتحدة، فقلت: «آمل أن تعترف بأن دستور الولايات المتحدة يطبق فقط على الأرض الأمريكية، وعليه فإننا لانملك أية حقوق دستورية فى المملكة العربية السعودية، وقانون هذه البلاد هو القانون السعودى كما تعلمون، وعليه مثلما نطلب منهم أن ينصاعوا لقوانيننا فى الولايات المتحدة، فإنهم يطلبون أن ننصاع لقوانينهم هنا». وأثر هذا الكلام كثيراً فيهم.

وقررت أيضا أننا بحاجة إلى نظام لحل المشكلات المتعلقة بالتباين الثقافى قبل أن تتفاقم، ووضعنا برنامج العلاقات الاجتماعية وهو شبيه بالبرنامج الذى استخدمناه فى أوروبا، فقد عينا الضابط الكبير فى كل مدينة رئيسية بصفة قائد جماعة، وقلت لهؤلاء: تحدثوا مع السعوديين.. حددوا المسئول المدنى عن المدينة والقائد العسكرى فيها.. نظموهم بهيئة مجلس يجتمع على أساس دائم لكى تستطيعوا حل هذه المشكلات عندما تنشب لقد نجح التدبير، فما إن تأسست المجالس المحلية حتى انخفض عدد المشكلات انخفاضا كبيرا رغم استمرار تدفق القوات الأمريكية.

فى هذه الأثناء كان خالد يواصل البحث عن سبيل لاستيعاب قواتنا وتخفيف ضغط

الكثرة المتدفقة من الأمريكان على الرياض، واقترح علىّ قائلا: لماذا لا تنتقلون إلى قرية الاسكان؟ اتضح لنا أن السعوديين في أيام مجد الأوبك حين كانت البترو دولارات تتدفق على المملكة، كانوا قد قرروا بناء منزل لكل بدوى، لذلك شيدوا مجمعا من منازل وبنايات حضرية شاهقة على مبعدة ١٥ ميلا عن الرياض. كانت المنازل الحضرية زاهية مبلطة بالمرمر وسطلية بالجبس ومكيفة الهواء ومزودة بوسائل الراحة الحديثة ومفصولة بحيطان شاهقة عن العالم الخارجى. أخذنا واحدة من هذه القرى السكنية الخالية لايواء العاملين، ناقلين إياهم بالباص إلى العمل كل يوم، أو إلى السوق حين يريدون التبضع. ارتاح السعوديون إلى هذا الترتيب، حيث لم يعد حضور الغرباء فى الرياض مستديما أو طاغيا، وارتاح الجنود أيضا لأن بوسعهم وراء هذه الجدران العالية أن يلبسوا ويعيشوا كما يفعلون فى الوطن، وارتحت لذلك لأنه أتاح لى أخيرا أن أجلى الناس عن فنادق وسط المدينة، حيث كنت أخشى عليهم من أن ينسفوا نسفا.

ومن دواعى فخر كلا الطرفين أن هذه الأزمات الثقافية لم تخرج عن نطاق السيطرة إلى حد يهدد مهمتنا، وقد استوعب الشباب اللامعون والشابات اللامعات فى قواتنا المسلحة بسرعة واجبهم حيث احترام تقاليد وعادات مضيفيهم، فى حين اكتشف السعوديون أن الأمريكان ليسوا أولئك الملاحدة المهووسين بالجنس والمدمنين للمخدرات كما كانوا يظنون، وراح أغلبهم يعتبرنا أصدقاء جاءوا للعون.

٢٢ أيلول - (سبتمبر) ١٩٩٠

يوم ب+ ٤٦ رحلة ق. ع للظهران الساعة ١٢٣٠

التقى حاكم الظهران الأمير محمد بن فهد آل سعود و(ق. ع). شرح للحاكم كيف أنه عين قائدا واحدا فى كل منطقة يكون مسئولا عن تصرفات جنودها والحساسيات الثقافية.. ق. ع قال: إننا نعتزم كسب الحرب ولن نخسر السلام وقال إنه رأى الشعب السعودى يرحب بالقوات فى الشوارع، وأن الشعب سعيد لأننا هنا.

تناغمت القوة الجوية السعودية - من الناحية العسكرية - مع قوتنا الجوية تناغما سلسا إنه أمر غير متوقع، نظرا لأننا بعنا السعوديين بعض طائراتنا، وساعدنا على تدريب طياريهم وقادتهم والمراقبين الجويين، إلا أن لجيشهم الصغير البالغ تعداده ٦٦ ألفا قصة أخرى. فقد قال خالد بصراحة فى أول أسبوع نلتقى فيه: يجب أن تساعدنا فى

قواتنا البرية، إنها فى وضع سيىء. لقد كانت القوات المسلحة السعودية تحظى برواتب جيدة وطعام جيد ومعدات رائعة: دبابات وناقلات جنود ومدفعية حديثة أمريكية وفرنسية وبريطانية، إلا أنها مربوطة بشكل مطلق بقواعدها لأنها لاتملك تنظيما للقيام بالعمل التفصيلى اللازم لإدامتها فى الميدان. إن أية فرقة برية أمريكية تحمل معها منظومات الإسناد الخاصة بها، فهناك بين جنودها مئات من الميكانيكيين والتكنيكيين وسائقو الشاحنات وعناصر الطبابة والطباخين، إلا أن السعوديين يديرون جيشهم مثلما يديرون مجتمع المدنيين فيستأجرون المتعهدين للقيام بالعمل اليدوى. وحينما اشتروا الدبابات مثلا اشتروا عقود إدامة أيضا، حتى إذا عطبت الدبابات فإنهم لن يتوجهوا إلى مستودع المحركات القريب لإصلاحها، بل يتصلون بالأحرى بشركة جنرال موتورز. مثل هذه الترتيبات تسير سيراً حسنا فى القاعدة، حيث يوجد تكنيكيون مدنيون، ولكن ليس هناك من فنى تصليح جيد فى ميدان المعركة.

٢٠ سبتمبر ١٩٩٠ - يوم ب + ٢٦ الساعة ٢٠١٥

فى تجديد المعلومات المسائى طلب ق. ع من الجميع الانتباه للجنود فى المنطقة - بخاصة الظهران - الذين يلبسون مثل رامبو. هذا غير مرض، وطلب منهم أن يجعلوا سلسلة القيادة تعمل.

بحلول أواخر أغسطس استوعبت المملكة العربية السعودية من القوات والمعدات العسكرية مايزيد على حجم قواتها المسلحة هى، وكان انتشارنا مايزال فى سرعة متزايدة، وانشغلت بالشئون الادارية انشغالاً كبيرا، إلا أننى أردت أن أشرف بنفسى على طريقة رعايتنا للجنود حال نزولهم على الأرض، فقد توجهت بعد عدة أيام من مجيئى إلى القاعدة الجوية فى الظهران التى تؤدى وظيفة نقطة دخول رئيسية لقوات الجيش الأمريكى، فعناصر الفرقة ٨٢ المحمولة وفرقة الهجوم الجوى ١٠١ وفرقة المشاه الآلية ٢٤ كانت تتدفق على متن طائرات مدنية استأجرها البنتاجون.

وكنت ارتفع بناظرى إلى الأعلى وأرى على مد البصر نصف دزينة على الأقل من طائرات ضخمة تحوم فى شكل دائرى فوق المطار على ارتفاع معين منتظرة دورها للهبوط. وشخصت بناظرى إلى المدرج لأرى ٨ أو ١٠ طائرات نقل عملاقة فاغرة أبوابها الخلفية أو مقدمتها، مفرغة كل أنواع المعدات من هليكوبترات الهجوم إلى صناديق جرايات المؤن. وتوقفت بالقرب من مكانى طائرة من شركة نورث وست

٧٤٧، وراقبت جنود فرقة المشاة الآلية ٢٤ يخرجون منها إلى حرارة تناهز ١٣٠ فهرنهايت وهم يحملون على أكتافهم جعبا ثقيلة، ويمسكون أسلحتهم وقنانى الماء التى أعطيت لهم توا. ووقف ضباط الاستقبال وأفراد الضباط وكبار ضباط الصف ووجهوهم إلى حيث سيجرى إطلاعهم، أما الجنود فقد اصطفوا فى طابور وأخذوا طريقهم إلى خيام الاستقبال الكبيرة على شفا ساحة المدرج، كان ذلك يقيهم من الشمس رغم أن درجة الحرارة فى الخيم أسخن من ٤٠٠ جحيم.

ولو جاءوا قبل أسبوعين لما حظوا حتى بمنافع الظل، والشخص الذى ابتكر فكرة نصب الخيم - والذى كان مسئولا عن طعام الجنود ولباسهم ومأواهم ونقلهم ومعداتهم وطلقاتهم - هو الميجور جنرال جاس باجونيس رئيس القسم اللوجستى للقوات البرية العاملة فى درع الصحراء، والرجل الذى يطوف بى فى أرجاء القاعدة لتفقدها.

كان باجونيس رجلا قصيرا ينحدر من بنسلفانيا حيث يدير أبواه مطعما، وهو أيضا بمثابة أينشتاين فى ابتكار طرق تحقيق الأشياء. لقد حط فى مطار الظهران فى اليوم الأول من بدء عملية درع الصحراء، ولما لم يجد مكانا يمكث فيه لف نفسه فى كيس نايلون ورقد على الأرض الأسمنتية، أما فى الوقت الذى التقيته، فكان قد حصل على بناية من الآمر السعودى للقاعدة الأمير تركى بن ناصر، وأحاطها بخيم بدوية كبيرة.

توجهنا معا - باجونيس وأنا - إلى زاوية خلفية فى القاعدة، حيث أشار إلى عشرات العمال الأجانب يربطون بالمسامير شرائح من الخشب الرقيق. لقد تعاقد مع مقاول سعودى لبناء حمامات منقولة تتغذى بالجاذبية، ومراحيض تشبه تلك التى استعملناها فى فيتنام، وشرح لى مفتخرا إن الجنود سيتمتعون بالماء الساخن متى شاءوا، لأن الشمس ستسخن الخزان العلوى المطلى بلون فضى.

واتضح فيما بعد أن هذه المنظومة عملت أفضل مما يجب بعض الشىء، فشمس الصحراء سخنت الماء إلى حد كبير بحيث لم يستطع الجنود الاستحمام إلا فى الليل.

رحت خلال الأسابيع التالية أراقب باجونيس وهو يبتدع كل شىء من العدم: مكاتب بريد، عيادات ميدان، أكشاك تليفون للاتصال بالوطن، منشآت راحة واستجمام، أكشاك همبرجر متنقلة، بل إنه ارتجل منظمته الخاصة. ففى ذروة عملية

درع الصحراء كانت بإمرته ٩٤ وحدة مختلفة من وحدات الاحتياط والحرس الوطني. لقد كان باجونيس قائد مجموعات الإسناد التي طلبت من البنتاجون أن يستدعيها من عموم أمريكا. سائقي شاحنات، ناصبي تليفونات، ميكانيكيين، وغير ذلك ممن تتطلب منطقة الحرب خبرته. واستطاع بطريقة ماأن يتـ دبر دمجهم جميعا في منظومته، ولو ظهرت وحدات تفـريغ السفن في وقت لا يحتاج فيه إلى مفرغي سفن فـإنه يقول: «أعلن بهذا منح الوحـدة .نب وحدة نقل.. أيها الفتيان. ستـذهبون لقيادة الشاحنـات». ويبدأ هؤلاء الاحتيـاطيون بالتـذمر: لم نأت إلى هنا لقيادة شـاحنة. إلا أن موقف بـاجونيس يكون: سنتحدث عن ذلك عندما تنتهي الحرب، أما الآن فليس لدينا وقت لذلك.

وتوجهت بـالطائرة في نفس الظهيرة التي تفقدت خـلالها القاعدة الجويـة إلى ميناء الجبيل، حيث كان جـزء من قوة حملـة مشاة البحريـة الأولى يفرغ لـوازمه من نصف دزينة من سفن الإسناد القتالي التابعة للبحريـة الأمريكية (وهي من الوجهة التكنيكية سفن مـلاحة تتقدم غيرهـا) راسية في المينـاء، وكان كل سرب من السفـن مزدحما بما يكفي من الأسلحة والمعدات ومؤن الطعام والتجهيزات اللازمة لإدامة ١٦٥٠٠ فرد من مشاة البحرية في القتال ٣٠ يوما. كانت السفن تتمركز منذ سنوات في دييجو جارسيا – وهي جزيرة بريطانية صغيرة في المحيط الهنـدي – محملة بالمعدات الجديدة ومستعدة لمثل هذه الطوارىء.

برنامج النشر هذا موضـع خـلاف بعد الحرب الفيتنامية. وعلى حين أن بعض أعضـاء الكونجرس اعترضوا على فكرة ترك لوازم قيمتها عشرات الملايين من الدولارات عائمة هناك بـدون استعمال، فإنهم لاشك سعداء بتوفـرها الآن. وراقبت الليفتـاننت جنرال والت بـومر قـائد مشـاة البحريـة التابع لي، فيما يخرج مـوكبـاً من دبابـات م – ٦٠ المتوسطة من إحدى السفن، فملأني مرآها حبورا.

لقد قطع لواء حملة مشاة البحرية السابع ذاته – ويتألف من ١٥ ألف رجل – طيرانا مسافته ١٠ آلاف ميل من قاعدته في توينتي ناين بالمز في كاليفورنيا كي يقرن بمعداته. وتحركت بعض قطـاعات مشاة البحـرية إلى مـواقع قتاليـة شمال الجبيل ليحلوا محل مظليي الفرقة المحمولة ٨٢، الذين حـرسوا الخط منذ بدء عملية درع الصحـراء. وزرت واحدة من السرايا المتقـدمة على الخط.. كان الجنود يعملون ويتدربـون ليلا في الغالب،

ماكثين على الأرض تحت شبكات التمويه فى حر النهار، ونائمين أو مكتفين بالتحديق فى الصحراء الخاوية. وتحلق حولى شباب من مشاة البحرية للتحدث معى، كان بوسعهم التشكى من كثير من الأشياء: الحر، نقص تسهيلات الراحة، جرايات الطعام. ولكن يالدهشتى ان ماأرادوه هو معرفة الأخبار فقد أعلن السكرتير العام للأمم المتحدة بيريزدى كويلار فى السابع والعشرين من أغسطس أنه سيتوجه إلى الأردن للالتقاء بوزير الخارجية العراقية، وأراد الجنود معرفة إن كان قد أحرز أى تقدم فى حل الأزمة.

وقلت لنفسى: «أنت أيها الغبى ماذا عن محطات الراديو؟» فى فيتنام كنا نستطيع الاستماع إلى الأخبار من شبكة راديو القوات المسلحة، ولكن لم يخطر لى أننا سنحتاج إلى نصب مرسلات لأجل درع الصحراء، ووعدت الجنود بتوفير الصحف وأجهزة الراديو فى الحال.

فى أواخر النهار عدت لأحضر مؤتمرا صحفيا فى فندق الظهران الدولى، ورغم أنه لم يمض على وجودى فى السعودية إلا أقل من أسبوع فقد شعرت بضرورة ألا نكرر الخطأ المرتكب فى جرينادا، حين قام العسكريون بالإعاقة . كانت لدى بضع دقائق سلفا لكى أجلس فى جناح صغير من الغرف واستعيد رباطة جأشى. لقد كنت طوال النهار مع الجنود وسط حرارة تبلغ ١٣٠ درجة فهرنهايت، وهذه هى اللحظة الأولى التى أختلى فيهــا.

بنفسى. كنت أتوقع استقبالا وديا خاصا. رغم أن وسائل الإعلان حظيت بحرية لم يسبق لها مثيل فى بلوغ قواتنا منذ بدء الأزمة، فقد سمعت شكاوى عن تعذر الوصول إلى القادة العسكريين الأمريكان. كنت أعرف أنه ستأتى أوقات أتعرض فيها إلى أسئلة لا أعرف أجوبتها، ولن أقوم باختراع أجوبة.. عوضا عن ذلك سأكتفى بالقول ببساطة: لا أعرف، وستأتى أوقات تكون فيها معلوماتى ناقصة، ويجب أن أقاوم إغراء استخلاص استنتاجات وردية وتقديمها على أنها واقع، كما كنت أدرك أيضاً أن أى محاولة للتستر على الأنباء السيئة ستقود إلى كارثة. وكان الجنرال كاريتون ابرامز مغرما بالقول: الأخبار السيئة لا تتحسن بتقدم العمر. كنت مؤمنا بأننى إذا تمسكت بالحقيقة فإن الجمهور الأمريكى سيعرف كيف يزن مايتناهى إلى سمعه، ويحتفظ بالأنباء حسب أهميتها.

لقد عقدت خلال سنوات العمل مؤتمرات صحفية، إلا أنها لم تضم فى أقصى الحالات أكثر من عشرة مراسلين ومصور فيديو واحد، ولم أدرك أن أصول اللعبة قد تغيرت إلا بعد أن دخلت قاعة المؤتمر، فالمكان مزدحم بحوالى ٢٠٠ صحافى أغلبهم من أمريكا وبريطانيا، وهناك نصف دزينة كاميرات تليفزيون منتشرة على الجدار الخلفى ونصفها يقوم ببث حى للعالم كله. ورحت أجيب على الأسئلة طوال ساعة تقريبا، وأبقتنى معاييرى فى وضع جد مهم، وبخاصة مع صحفى أمريكى سألنى على المكشوف إن كان صحيحاً أننا مانزال بعيدين أسابيع عن التمكن من الدفاع إزاء هجوم برى. أعطيت أشد جواب أقدر عليه: «إذا كان العراقيون على قدر كاف من الغباء للهجوم فإنهم سيدفعون الثمن باهظا». وبوجود تلك الكاميرات وهى تدور بصريرها كنت أعرف أننى لم أكن فقط أخاطب جمهورا صديقا، بل إن صداما وأزلامه المتنمرين يراقبوننى الآن على شاشة سى. إن. إن. من مقراتهم، لذلك حرصت على أن يفهموا مغزى الرسالة، ولكنى حسب المعيار الرابع أضفت بعناية: «لست مستعدا لأن أعطى توكيدا مائة فى المائة عن أية نتيجة فى هذه اللحظة، وقد أفعل ذلك فيما بعد . «لم يكن بوسعى أن أقول إننا مستعدون للدفاع عن المملكة، وأننا لا نملك القوات الكافية فى المكان لتقديم ذلك التوكيد. الواقع أن حقول النفط كانت ومازال مهددة إلا أن تكاليف الاستيلاء عليها تتزايد كل يوم بالنسبة للمهاجم.

١٥ سبتمبر (أيلول ١٩٩٠ يوم ب + ٣٩ الساعة ٩٠٠)

رحلة قطر: الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أخبر ق.ع أنه معجب بردنا السريع، وقال إن أولئك الذين يساعدون الأصدقاء فى المحنة تبقى ذكراهم مدى الزمان وتحدث الأمير عن صورة العرب لدى الشعب الأمريكى حيث يؤكدون جهودنا فى الخليج، رغم أنك لاتستطيع أن تحصل على ٨٠ فى المائة ممن يحبون الايس كريم.

لم أكن أعتبر صداما على قدر كاف من الطيش (التهور) للبدء فى حرب مع الولايات المتحدة، لكننى لم أكن على استعداد للمراهنة على ذلك بحياة جنودى، فصدام طاغية محاط بحفنة من الخاضعين له الذين يقولون نعم دائما، وبما أن أيا من الواقفين إلى جانبنا لايعرف نواياه، فقد كان علينا أن نفترض أنه إذا كان قادرا على شىء ما من

الناحية العسكرية فإنه قد يفعله.

رصدنا قواته عن كثب، وكان ضباط استخباراتى يقدمون لى كل ليلة اخر المستجدات، وكان وضع القوات العراقية كل ليلة يبدو وقد اختلف قليلا. راقبنا تحركات قواتهم فى مواضعها وهم يمدون الطرق من أراضيهم إلى داخل الكويت، وكنا نأمل بتحليل مثل هذا النشاط أن نفرز خططهم، ولكن فائدة ذلك كانت تبدو لى خلال أسابيعى الأولى فى الرياض كفائدة فرز وريقات الشاى، فالعراقيون منتشرون على نحو يتيح لهم الانتقال من الدفاع إلى الهجوم فى ظرف ٢٤ ساعة، لكن ما كان واضحا هو أن القوات ظلت تتدفق على الكويت والأجزاء المجاورة لها من العراق، وكان ضباط استخباراتى يرسمون باستمرار دوائر على صورهم تحيط بتجمعات جنود ومعدات تمثل وحدة جديدة، وتصاعدت الأرقام بشكل مخيف، لقد تحدثت سابقا لدى قيامى بإطلاع الرئيس فى منتجع كامب ديفيد عن قوة عراقية قوامها ١٠٠ ألف جندى و٨٥٠ دبابة فى الكويت، لكن سرعان ما وجدنا أنفسنا نواجه أكثر من ثلث مليون جندى و٢٧٥٠ دبابة، كما زج العراقيون قرابة ١٥٠٠ قطعة مدفعية قادرة، -كما كنا نعرف- على إطلاق قذائف كيماوية سامة.

ولم نلمح مؤشرا واحدا على تخلى العراق عن فكرة غزو السعودية واتخاذ موقع دفاعى إلا فى منتصف سبتمبر (أيلول).. قبل ذلك كانت فرق الحرس الجمهورى قد تراجعت قليلا عن الحدود السعودية، أما الان فإن الوحدات المدرعة قد ابتعدت عن الحدود هى الأخرى، وتقدم محلهم الالاف من جنود المشاة الذين راحوا يحفرون التحصينات والاستحكامات متهيئين ـ كما هو جلى ـ لحصار طويل.

وأقامت الوحدات المدرعة مواقع تعزيز خلف المشاة مباشرة. فى هذه الأثناء انتقلت وحدات الحرس الجمهورى إلى مواقع أبعد، إلى المؤخرة تاركة الكويت كليا، ومتمركزة داخل العراق (لربما كان القادة العسكريون العراقيون يعتقدون أننا حتى لو حاولنا استعادة الكويت، فإننا لن نهجم قط على أرضهم، وهذا الانتشار كان يعطيهم الخيار إذن فى أن يندفعوا إلى الكويت فى هجوم مضاد، أو إذا كان ذلك يشكل مجازفة أكبر مما ينبغى أن يظلوا آمنين على جانبهم من الحدود، مثل القوات الفيتنامية الشمالية التى

اختبأت فى كمبوديا).

لو كان باستطاعة صدام أن يتجسس علينا فى مطلع سبتمبر، لرأى كم هو مصيب فى نأيه عن الهجوم (من بين أكبر مثالب العراق بالطبع افتقاره إلى تكنولوجيا المراقبة الحديثة).

وتبلورت عملية درع الصحراء عسكريا كما رسمناها فى خطتنا، ففى منتصف سبتمبر أخذت الطائرات المقاتلة، بإمرة تشاك هورنر تقوم بأكثر من ٧٠٠ دورية ومهمة تدريبية فى اليوم، انطلاقا من ٢١ قاعدة جوية كاملة التجهيز رغم أن بعضها لم يزد عن كونه مدرجا عاريا قبل شهر، وحسب. ولو خطر للعراقيين أن يهاجموا برا لتولاهم هورنر بقوة عاتية من طائرات (ف ـ ١٥ ـ ١٦) وأ ـ ١٠.

إن طائرة أ ـ ١٠ نفاثة قبيحة ثقيلة التسليح، يلقبونها بـ «الخنزير الوحشى» بسبب شكلها الغريب. إن هذه الطائرة مزودة بصواريخ هلفاير ومسلحة بمدفع فعّال بما فيه الكفاية لاختراق درع ثقيل، ولها غرض واحد لاغير أن تحلق على ارتفاع منخفض وتمضى بسرعة بطيئة فوق ميدان المعركة لتمزق الدبابات.

كما بنينا ستارا فولاذيا ضد الهجمات الجوية العراقية، فلو أن قاذفة عراقية غامرت بالتحليق فوق الأرض السعودية فإن مقاتلات هورنر من طراز ف ـ ١٥ ـ وف ـ ١٦ ـ كانت ستسقطها على مبعدة ١٠ أميال من الحدود. علاوة على ذلك، تحلق فى أعالى الأجواء السعودية طائرات الأواكس (نظام الإنذار والسيطرة المحمول) وعلى متنها ضباط سيطرة يرصدون كل ما يحلق على كلا الجانبين، وينسقون العمليات الجوية الأمريكية مع العمليات الجوية لسبعة أطراف حليفة على الأقل، وكلما ازداد عدد البلدان الملتزمة بإرسال قوات قتالية تضاءل احتمال أن يهاجم صدام السعودية.

وقويت عزائمى كلما تنامت أعدادنا، فالقوة الجوية المتحالفة من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا والكويت والمملكة العربية السعودية والبحرين والإمارات، وقطر، فاقت القوة الجوية العراقية عددا بنسبة ثلاثة إلى واحد.

وفى ميناء الدمام قرب الظهران، وصلت سفن الشحن البحرى السريعة ملأى

بملايين الأطنـان من معدات وتجهيزات القتال، وتـدفقت قوافل الشاحنات البحـريات المدرعة من أرصفة الميناء إلى منطقة تجمع فرقـة المشاة الالية ٢٤ بقيادة الجنرال بارى ماكفرى، حيث التحمت ألويته المقاتلة بدباباتها وناقلات الجنود المدرعة. وفى قاعدة الملك خالد الجوية شمال الظهران التحمت الألوية القتالية لفرقة الهجوم الجوى ١٠١ بقيادة الجنـرال بينى بى مع هليكـوبتراتها، وتضمنـت هـذه عشرات من طـائرات الأبـاتشى الحاملة للصواريخ، والمزودة بمعـدات رؤية ليلية والقادرة على تدمير دبـابات العدو فى الظلمة الدامسة من مسافة ٥ أميال.

وإذا جمعت هذه الـوحدات ذخـائرها وتجهيـزاتها وانتقلت إلى الميدان، بـاتت مهمة الجنرال مـا كفرى أن يثبت مع هـذه الوحـدات مسافة ٣٠٠ ميـل شمالا، ليحتل رقعة بطول ٨٠ ميـلا وعرض ٦٠ ميلا غـرب مواقع مشاة البحـرية المتمركـزة حول الجبل. وكان على الجنـرال «بى» أن يؤسس قواعـد على طول ميسرة مـا كفرى، حيث تستطيع هليكوبتراته وجنوده من هناك الدفـاع عن قوس صحراوى طوله ١٠٠ ميل إلى الشمال والغرب، ويتوجب على لـواء من الفرقة ١٠١ أن يقوم مـؤقتا بمهمة الشاشـة العاكسة، متوغلا فى مقدمة المواقع الأمريكية بهدف رصد وإعاقة وإفشال أى هجوم للعدو. أخيرا يفترض أن يصل فوج الفرسان المدرع الثالث بقيادة الكولونيل «دوج ستيورات» ليتولى هذه المهمة.

فى غضون ذلـك دفع السعوديـون قواتهم على طـول الطريق إلى الحدود الكـويتية، وكانت المسألة بالنسبة إليهم مسـألة شرف أن تكون أولى قطرات الدماء المسفوحة دفاعا عن المملكة هى دمـاؤهم هم، لذلك نشر خالـد لواءين آليين ولواء مشاة على طـول الممر الساحلى المفضـى إلى البلـد، ولواء آخر يتألف فى غـالبيته من وحـدات مقاتلـة من بلدان الخليج الأخرى على طول الطريق العام الغربى المفضى إلى مـدينة الملك خالد العسكرية. ورغم أن هذه القوات كانـت أخف من أن تحتمل هجوما عراقيا، فقد أمـرت بالدفاع عن مواقعها حتى الموت.

واخترقت الصحراء قليلا كل يوم وأنا أرى وحـداتنا تستقر فى المواقع المطلوبة. كنت أدرك أن هناك قدرا هـائلا من العمل ينتظر الإنجاز من أجل تقوية دفاعنـا.. كان مقررا

وصول فرقة أمريكية أخرى، وكان علينا أن نحدد كيف نحبك قوات قتالية من مصر وسوريا وبريطانيا العظمى وفرنسا حبكا متناغما فى خطة القتال. وبحلول منتصف سبتمبر وتصادف ذلك – عرضا– مع انتقال العراقيين إلى تشكيلات دفاعية، كان بوسعى أن أقول لكولن باول «لاداعى لأن نقلق من وقوع هجوم علينا بعد الان، فليس من سبيل أمامهم لاحتلال حقول النفط بأية صورة».

وحتى لو خطر للعراق أن يهجم بكامل دباباته البالغة ٢٧٥٠ على طول المدخل الأوسط إلى المملكة ـ أى عبر الثغرة التى صعقتنى فى اليوم الأول لوصولى، فقد كان بوسعى أن أضمن إيقافه. وأمرت جون يوسوك أن يصنع من باب الاحتراز المؤقت ـ حتى بناء المزيد من القدرة القتالية فى المملكة العربية السعودية ـ خطة طوارىء، لتحويل عناصر من الفرقتين ٨٢ و١٠١ لسد الثغرة قبل أن يتوغل العراقيون أبعد مما ينبغى.

وقد كان فى مقدور تلك الوحدات ـ معززة بالقوات الجوية ـ أن تؤدى المطلوب.

وكانت تكتياكتنا المرسومة – حال وقوع غزو عراقى – تتضمن الإذعان للهجوم الأولى، وجر طوابير العدو إلى الصحراء السعودية والإغارة عليها بطائرات أباتشى وطائرات (أ ـــ ١٠) فيماهى تتقدم، وقصف خطوط إمدادها بحيث إذا وصلت القوات العراقية للتصادم مع المواقع الدفاعية بقيادة الجنرالات ماكفرى وبى وبومر ١٢٥ ميلا جنوب الحدود الكويتية، فإنها قد تكون قد استنزفت من قواها الكثير ولا يعود فى مقدورها السيطرة. وكانت هذه المعركة ماثلة فى خطة العمليات الأصلية التى وضعناها، وكانت ستنزل بصدام هزيمة ساحقة.

١٩ سبتمبر ١٩٩٠ يوم ب + ٤٣ الساعة ١٣٤٥ ق.ع

يلتقى وزير الدفاع الكويتى الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح.. أخبر الوزير أننا جلبنا فى ستة أسابيع قوات أكبر مما جلبناه فى سبعة أشهر إلى فيتنام. استطلع (ق. ع) والوزير الخرائط ومواقع فى الكويت، حيث حفر العراقيون مواضع تمركز. قال الوزير متى؟ ق.ع قال إن الأوامر المعطاة له محصورة فى الردع والدفاع.

ازدادت التوترات ثانية، فقرب نهاية سبتمبر هدد صدام بشن ضربة وقائية ضد إسرائيل وإيذاء بعض رهائنه، وطلب المجلس الحاكم من الشعب العراقى أن يتهيأ إلى «أم المعارك»، إلا أن الخطاب المنذر بالهلاك ماكان ليزعجنى الآن قدر ما كان يقلقنى لو جرى سحب الحرس الجمهورى وقبل نقل طلائع وحداتنا المدرعة فى الأماكن المرسومة. ولما سألتنى الصحفية تشاولاين هنتر جلوت – من صحيفة «ماكنيل ميرر نيوز أورر» فى مقابلة أجرتها معى، إن كنت أعتقد أن صدام يحاول إشعال فتيل الحرب، أجبتها: أظن أن اليأس يستولى عليه، وأعتقد أن العقوبات بدأت تؤذيه. وقلت لها: إنه يرفع وتيرة الخطاب اللفظى لتخويفنا ليس إلا، فذلك هو كل مابقى فى جعبته.

إن الهزيمة الوحيدة التى كانت تقلقنى الان هى هزيمة رمزية، فلو استطاع صدام تسريب بضع طائرات خلسة عبر خطوطنا الدفاعية، فمن شأن ذلك أن يسبب حرجا كبيرا للولايات المتحدة، فلقد حشدنا عددا هائلا من الطائرات فى قاعدة الرياض ـ الجبهة ـ على سبيل المثال، بحيث بدت مثل رصيف حاملة طائرات، وكان بحوزتنا ما قيمته مليار دولار من طائرات الأواكس مصطفة على ساحة المطار، ناهيك عن عشرات النفاثات الأخرى. لم يكن ثمة من سبيل لحل مشكلة الازدحام الفائق، فلا مكان آخر لدينا لوضع الطائرات، ولكنى كلما طرت أو نزلت فى ذلك المطار خطرت لى هذه الفكرة: إذا استطاعت طائرة واحدة للعدو أن تخترق خطوطنا وتضرب هذا المكان، فإن الانفجارات الثانوية وحدها كفيلة بتدمير الأسطول الجوى بأسره، وعندها أجدنى مضطرا للاتصال بتشاك هورنر لأقول: اضمن لى ألا تخترق طائرة واحدة شبكة دفاعك الجوى. فيقول: «لن تتمكن حتى طائرة واحدة من اختراق الشبكة، لاداعى لأن تقلق حول ذلك».

٢٧ سبتمبر ١٩٩٠ يوم ب + ٥١ الساعة ٩٠٠

ارتحل ق. ع إلى منطقة الحدود الشمالية فى نقطة التوقف الأولى. لم يستطلع ق. ع الأرض فحسب، بل واجه على نحو غير متوقع مجندين عراقيين هدهما الجوع والعطش.

لقد جاء هذان الجنديان إلى مخفر شرطة سعودى طلبا للطعام والماء.. أخذناهما إلى

غرفة معزولة وتفقد ق. ع شاحنتهما ومعداتهما.

كانت الشاحنة فى حالة مزرية من الصيانة وأقنعة الوقاية من الغازات السامة محشورة بمادة أوراق الرزم. مما يشير إلى أن الجنديين لم يحضرا الأقنعة للاستعمال.

لقد كان فى مقدور القيادة المركزية أن تتباهى بالنجاح الكبير الذى أحرزته.. لقد نقلنا من القوات أكبر عدد لأبعد مسافة وبأقصى سرعة، ولم يحصل مثل هذا فى التاريخ من قبل، كما نفذنا الأوامر المعطاة لنا حرفيا بردع العدوان العراقى وبناء دفاع منيع فى المملكة العربية السعودية.

بعد فترة قصيرة من وصولى إلى الرياض قمت بجولة لزيارة البلدان الأصغر فى الخليج، التى فتحت حدودها للقوات الأمريكية: البحرين - قطر - عمان — والإمارات العربية المتحدة. أردت أن أشكر قادتها شخصيا على توفير المطارات والموانىء التى نحتاجها حاجة ماسة، كما أردت أن أتأكد من أن التدفق الهائل للقوة القتالية الأمريكية لم يربكهم، فالبحرين - على سبيل المثال - جزيرة صغيرة وتتألف مجمل قواتها الجوية من ١٨ طائرة، أما الان فإن مئات الطائرات الأمريكية تستخدم مدارجها، وعشرات السفن الحربية تجوب شواطئها.

وقدأدهشنى ماوجدت دهشة عظيمة، فرغم أن عرب الخليج ليسوا فى العادة صقورا عدوانيين، فإن كل زعيم تحدثت معه أراد أن يهاجم ويدمر القوات العراقية فى الكويت.. فالشيخ حمد بن عيسى ال خليفة ولى عهد البحرين عبر عن ذلك ببساطة قائلا: «لقد بدأت حربنا مع العراق أصلا»، وسمعت الرأى نفسه يتردد فى الخليج من أقصاه إلى أقصاه، ولم يكن بينهم من يذرف الدموع على الضربة الماحقة التى تعرضت لها أسرة الصباح الحاكمة فى الكويت، فجيران الكويتيين يرون - بالحق أو بالباطل - أن الكويتيين متغطرسون بثروتهم، والغطرسة خصلة تثير الاستهجان فى العالم العربى، إلا أن صداما اعتدى على شقيق عربى دون أى يعتدى عليه، وراح الآن يهدد بلدانهم بعدوان مماثل، وما كان بمقدور أى منهم أن يحيا فى ظل خطر كهذا. ولم يقتصر الشيخ حمد على حث الولايات المتحدة على إزاحة الشر المستطير الجاثم فى العراق، بل وعد أيضا بأن تقاتل قواته إلى جانبنا وقال: «على أمريكا أن تقود، ونحن مستعدون للسير وراءها».

لقد أثـار ذلك أعصابى لسببين، أولا. إن السعوديين أنفسهم لايبـدون اهتماما كبيرا بالانتقـال إلى الهجوم، لذلك فإن مهـاجمة العراقيين من الأرض السعودية بـدت خارج السياق، وكان سلوك خالد يعكس موقف الملك فهد والأمير سلطان وبقية الأسرة المالكة. كان خـالد يقول فى بعض الأحيـان: «لابد من تدمير صـدام ولايمكن أن نتركه يفلت من العقاب»، ولكنه كان يتحرج من مهاجمة (الأشقـاء العرب). وفى أمريكا كان المزاج العام للشعب يتغير راقصا للحرب، إلا أن عرب الخليج كانـوا يريدونها حتى لاتحدث تسوية دبلوماسية يظل بعدها صدام وترسـانته العسكرية خطرا جاثما يهددهم سنة ١٩٩٠، وكانت كل هذه التطورات يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٩٠.

الباب الخامس

الخطط السرية للحرب القادمة..

من «الرعد الوشيك» إلى «عاصفة الصحراء»

كانت خططنا السرية تتزايد يوما إثر يوم، وفى يوم أول أكتوبر أعدت التقارير السرية منذ الساعة ١٠,٠٠ ضابط الشئون العامة أبلغ ق.ع أن الميجور جنرال باجونيس سيفتح مركزا للراحة والاستجمام للفرقة المحمولة ٨٢. قلق ق.ع لسماع هذا التقرير بسبب عدم توفر تجهيزات لإقامة مثل هذه التسهيلات لقوات الجيش الأخرى المنتشرة فى عمق أبعد فى الصحراء.

٢ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٥٦

الساعة ١٠,٠٠ خلال الاستماع إلى التقارير حول آخر المستجدات، اطلع ق.ع على خطة لبناء قواعد مخيمات عديدة فى أرجاء السعودية، وأبلغ أن الأركان صادقت على بناء ستة مخيمات منها.. ق.ع أبلغ الأركان أنهم لا يتمتعون بصلاحية المصادقة على تشييد المخيمات، وطلب تقريرا مفصلا حول ذلك قبل صرف فلس واحد.

كانت خطة «الرعد الوشيك» جاهزة منذ مطلع سبتمبر «أيلول»، وقد عمل الجنرال بستر جلوسون - كبير المخططين العاملين بإمرة تشاك هورنر - على توسيع مخطط الرد الثأرى الذى صاغته أركان الجو فى البنتاجون، ليحوله إلى أفضل حملة جوية سبق لى أن شاهدتها. توفر لنا الخطة مدى واسعا من خيارات الهجوم، ويمكن تنفيذها كعملية قائمة بذاتها، أو كجزء من حرب أوسع. وقد أطلعونى على فحواها بعد وصولى إلى الرياض. وقد أخبرت «باول» متحمسا على التليفون: لدينا خطة قصف الآن، وإذا أردت تنفيذ ضربة جوية فقط فنحن مستعدون.

إلا أن قوات صدام زادت استحكاماتها ومتاريسها، ولا حاجة بك لأن تكون

كلاوزفيتز كى تدرك أننا بحاجـة إلى خطة هجوم برى، فلم تكن دول الخليج تحثنا على طرد العراق من الكويت فحسب، بل إن باول نفسه أوضح - وإن كان بدون إصدار أمر رسمى - أن واشنطن تنتظر بفارغ الصبر ورود «خيار هجـومى» من القيادة المركزية، ووجدنا أنفسنـا - هيئة أركانى وأنـا - مربكين حقا، فمهما دوّرنا وقلّبنـا الأمر مرات ومرات لم نر سبيلا إلى دفع قواتنا المتاحة إلى هجوم ناجح.

ولم استحسن تفكيرنا، ورأيت أن الإبداع هو مـا ينقصه. بعثت برقية إلى الجيش فى مطلع سبتمبر «ايلول» طـالبا فـريقا جـديدا من المخططين. وفى منتصف الشهـر نفسه حصلت على مبتغاى: فريق من أربعة ضباط من خريجى مـدرسة الدراسات العسكرية المتقدمة، وهى برنـامج أمده سنة للنخبة من الضباط فى كلية القيـادة والأركان العامة، ويتركز أصلا على تخطيط الحمـلات العسكرية. أطلعنا أفـراد الفريق على تفكيرنا حتى الآن، ثم أوعزت لهم التـوجيه التـالى: افرضـوا أن هجوما بـريا سيلى الحملـة الجوية، أريدكم أن تدرسوا أوضـاع العدو وطبيعة الأرض، وأن تخبرونى بأفضل السبل لطرد العراق من الكويت، بشرط استخدام القوات المتاحة. أمهلتهم أسبوعين لإعداد الجواب.

بعد عدة أيام تلقيت مكالمة هاتفية من سفيرنا تشـارلز فريمان، الذى قال إنه بحاجة إلى أن يتحدث معى. أخذت طريقى إلى السفارة الأمريكية فى اليوم التالى، حيث كان مبنى مكـاتب السفـارة الحديث المؤلف من عـدة طوابق يقـع على شارع طـويل فى ضـواحى الرياض تحفه أشجار النخيل.

كـان ذلك الجاذب من المدينـة قد خصص للسفـارات، مقلصـا على هـذا النحو عـدد الأجانب فى وسطهـا. كان مكتب تشـارلز - وهـو مكتب متواضـع فى الطـابق العلوى - حافـلا بالمصنـوعات اليدويـة العربية والصينيـة، وتتوسط رقعـة الجلوس فى المكتب صـورة فوتـوغرافيـة مـؤطرة للقـاء الرئيس فـرانكلين روزفلت والملك عبـد العزيـز السعودى، على ظهر باخرة أمريكية فى قناة السويس فى فبراير «شباط» ١٩٤٥.

كان تشـارلز رجلا متـوسط الطول فى أواخـر عقده الرابع ويتميـز بعينين ثاقبتين وابتسـامة لطيفة وصوت لين، وهو واحد من القلة فى السعودية ممن كانوا يعرفون منذ البدايـة أن القيادة المركزية تعمل على وضـع خيـار هجومي. بدا تشـارلز الحديث: إننى

قلق بصـــدد تخطيطكم الهجومى قبـل أن تقطعوا شـوطا بعيـدا جـدا على هذا الـدرب. يتـــوجب أن اسـألك: هل أنت قـــانع بأنـك مـدرك لما نحـــاول إنجـازه على الصـعيـــد الاسـتراتيجى.

قلت: كلا، إننى كمن يعمل فى الظلام.. الأوامر الوحيدة المعطاة لى هى الردع والدفاع، وافترض أن الهدف من الهجوم هو تحريـر الكويت وتدمير القدرة العـراقية على تهديد دول الخليج، ولكن لم يبلغنى أحد بأن ذلك هو ما نحاول القيام به.

قال: إذا دخلت الولايات المتحدة الحرب ضـد العراق، فإن ذلك يمكن أن يسبب نوعا من الهزة فى العالم العربى، ولا أدرى إن كان أحد فى واشنطن قد فكر فى ذلك مليا.

أجبت: طيب، من الأفضل أن نبدأ بمعاينة ذلك. كان تشـــارلز يردد صدى القلق الذى استبد بى منذ وصــولى إلى الرياض. كنت أحرص حرصا مطلقـا على أننا إذا هجمنا على صدام فيجب أن نفوز لا فى ميدان المعركـة وحده بل فى كتب التاريخ أيضـا، وهذا يشـمل كتب التاريخ العربى. لم يكن ذلك شـأنا عسكريـا صرفا بحرفية التعبير لا مجازه، وكان يجب علينا أن نتحاشى إعطاء الانطباع بأن الاستعماريين الغربيين قد فرضـوا إرادتهم من جـانب واحد، لـذلك عزمت على التخطيط بـذكاء، ولـذا نظمت القيادة المركـزية مـا أسميناه «ندوة رد الفعل العربى»، واجتمعت دزينة من الخبراء فى غرفة تقارير الإطلاع، وهم خبراء من السفارة والقيادة المركزية، دبلوماسيون، وضباط جيش وبحرية وقوة جوية، ممن عاشوا سنوات فى العــالم العربى. جلست إلى طرف طاولة كبيرة وجلس إلى الطرف المقـابل جوردون براون، الذى خلـف ستان ايسكود يرو كمستشـــار سياسى للقيادة المركزيــة، وراح يدير النقاش. تركـز جدول العمل على معاينة قائمــة طويلة من الأعمال العسكرية المحتملة التى قد تتخذها الولايات المتحدة ضد العراق، وتخمين نتائج أى عمل إذا نفذ، وهل سيكون مقبـولا للحكومات والشعوب العربية؟ فلـو اكتفينا مثلا بشن هجـوم جوى واسـع النطـاق، هل تبقى دول الخليج على عـلاقـاتها مع الولايــات المتحدة والقيادة المركزية بعدئذ؟ وهل سيكون هنـاك هدير شعبى يرغم الحكومات على الابتعاد عن الولايات المتحدة؟ وماذا بشـأن هجوم برى يرغم العراق على الانسحاب من الكويت، ولكنه يترك الماكينة العسكرية العراقية الضخمة بلا مساس؟

رحنا نزن مخا:ف الخطط على مدى أكثر من أربع ساعات، أدركت بعدها أننى طرحت السؤال بصورة مغلوطة. إن أى هجوم سيكون من الناحية الفعلية مقبولا إذا لبى شرطين: أولا: أن تقاتل قوات عربية بأعداد معقولة إلى جانبنا، ثانيا: يجب أن ننتصر .. عندها ستذكر الحرب على أنها حرب أمم أوروبية مع أمم عربية ضد صدام حسين. انطلاقا من ذلك لم يبق لنا سوى أن نجتاز خطوة قصيرة للوصول إلى ما صار مبدأ ثابتا فى تخطيطنا فى أى حرب برية ضد العراق. قلت لأركانى: يجب أن تتولى القوات العربية أمر تحرير مدينة الكويت.

٣ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٥٧

الساعة ٨,٠٠ غادر ق.ع لزيارة حاملة الطائرات الأمريكية «اند بندنس» فى الخليج.. كانت تلك رحلة بحرية تاريخية لأننا لم ندخل حاملة طائرات إلى الخليج منذ ١٩٧٤.

٥ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٥٩

الساعة ١٦,٦٠ ق.ع خرج فى جولة فى منطقة قرية الإسكان.. خلال الزيارة لم يرتح ق.ع لمستوى المعنويات، الترفيه، وتسهيلات الراحة، لأن حمام السباحة لا يعمل. وجّه القوة الجوية لحل المشكلة.

أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٦٠

الساعة ١٧,٣٠ ق.ع تلقى تقرير اطلاع عن مخيم قاعدة. أوصت الأركان باستكمال ستة مخيمات قاعدية جرى التعاقد عليها أصلا، مع خطة لبناء ٢٤ مخيما. اخر المطاف ق.ع حذر الأركان من السماح لقواتنا بـ «الجلوس ثقالا» على غرار أسلوب مخيمات القاعدة فى فيتنام. قال إن ذلك لا يجعلها فقط أهدافا مريحة، بل يجعلها أيضا أقل استعدادا للحركة. فى الختام أعطى إذن الشروع بأول ست مخيمات، وأوعز بأن نمضى فى المخيمات الأخرى ببطء.

فى السادس من أكتوبر قدم لنا سحرة التخطيط خطة المعركة المقترحة من جانبهم، واتضح لنا أنها تماثل بالضبط ما «خربشت» خطوطه العامة على قصاصة الورق قبل شهرين من الهجوم مباشرة على الكويت: استيلاء على مفترق الطرق العام شمال شرق العاصمة الكويتية والاحتفاظ به. أصغيت إلى شرح المخططين وأيقنت بصورة قاطعة أن

هذا هو أفضل سبيل ممكن ما لم يرسل الرئيس المزيد من القوات. وقد أعجبتنى الخطة الان أقل مما أعجبتنى حين فكرت بها من تلقاء نفسي، فأولا إن الهجوم يفتقر إلى أى عنصر مفاجأة، فهو اندفاع مباشر فى الوسط بين أشداق الدفاعات العراقية تماما. وحتى لو افترضنا أن الأمور سارت سيرا حسنا، فإن الإصابات ستكون كبيرة، إذ إن فريق مدرسة الدراسات العسكرية المتقدمة قد قدر الإصابات «بتفاؤل، كما أظن» بـ ٨ الاف جريح و ٢٠٠٠ قتيل فى صفوف القوات الأمريكية، دون أن يتضمن ذلك الإصابات الجماعية المحتملة من جراء الأسلحة الكيماوية التى يستحيل تقدير حجمها. جلست هناك متخيلا نصف دزينة من السيناريوهات التى يعجز فيها الهجوم عن التقدم، فإن وقعت فرقة من الفرق فى ورطة مثلا فلن يكون هناك إلا زج كل الوحدات المدرعة الأمريكية والحليفة دون أن تتمتع أية واحدة منها بسند احتياطى، وحتى لو نجحنا فى الاستيلاء على مفترق الطرق فإن بوسع العراق أن يرمى بجيشه الضخم إلى شمال الكويت، ليواجهنا بهجوم مضاد، تتبع ذلك حرب استنزاف يتمتع فيها العراق بأفضلية حاسمة من جراء تفوقه العددى.

كما خامرتنى الريبة أيضا فى أن القوات التى وعدنا بها حلفاؤنا ستأتى إلى مسرح الحرب فى الوقت المناسب، أو أن حكوماتها ستسمح لها بالاشتراك فى الهجوم.. فاللواء البريطانى المدرع السابع «جرذان الصحراء»، الشهير منذ الحرب العالمية الأولى لن يأتى حتى منتصف نوفمبر (تشرين الثانى)، أما الفرقة الفرنسية المدرعة الخفيفة السادسة، فقد وصلت إلا أنها لم تنتشر بعد، والفرقة الآلية المصرية الثالثة كانت لاتزال فى مصر بانتظار إذن القدوم من السعوديين، أما الفرقة المدرعة التاسعة السورية فقد كان يفترض أنها فى طريقها إلا أن موعد وصولها غير معروف. وضمنت أن ديسمبر «كانون الأول» هو أقرب تاريخ لتمركز هذه الوحدات فى الموقع الصحيح.

اتصل «كولن باول» عصر ذلك اليوم موجها الأمر لى بإرسال فريق لتقديم تقارير الإطلاع إلى هيئة رؤساء الأركان المشتركة والوزير تشينى، ولربما الرئيس، حول عاصفة الصحراء.

حذرته قائلا: يجب أن أقول لك إننا بقدر ما يتعلق الأمر بالهجوم القوى، لانزال لا نمتلك أى شىء.

أجاب: طيب، ولكن خطـة هجومك الجوى جيدة تماما، إلى حـد أننى أود أن يسمعها هؤلاء النـاس، ولا يمكن بالطبع أن تطلعهم على الخطـة الجوية فقط، ويجب أن تطلعهم على الخطة البرية أيضا.

شعرت بشـىء يغـوص فى جوف معدتى، فـإزاء تمنع العراق عن إبداء أيـة بادرة فى الاستجـابـة لحظـر الأمم المتحـدة، وإزاء وجـود أكثـر من ٢٠٠ ألف شـاب أمـريكى يتحمصـون فى الصـحـراء السعـوديـة، ارتبت فى أن تكـونَ واشنطن أخيرا على وشك مواجهة السؤال الملح: ما الخطوة التالية؟ وعادت إلى مخاوفى القديمة فى أن نؤمر بالقيام بفعل أحمق. قلت بحدة. «أود أن أتولى تقديم تقرير الاطلاع بنفسى».

– « لا، ابق فى مكانك، إذا جئت أنـت إلى واشنطن فسوف يتسبب ذلك فى رواج الكثير من الشائعات».

ـ نرسل تشاك هورنز؟

ـ كلا، تتكرر نفس المشكة

ـ دعنى أرسل رئيس أركانى على الاقل. هكذا رحت أحثه. وافق باول أخيرا.

تركت التليفـون وأنا أتميز غيظا، وأمـرت جوب جونستون أن يهيىء فـريق اطلاع جاهزا للرحيل فى ظرف ٢٤ سـاعة.. بدا لى رفض باول لمجيئى إلى واشـنطن لا معنى له، ففى كل حرب يستـدعى قائد الميدان إلى الـوطن للتشاور دوريا، فايـزنـهاور استدعى، وماك أرثـر استدعى وويستمورلاند وابـرامز استدعيا طـوال الوقت، الأنكى من ذلك أننى خاضـع لأوامر تقضـى بأن أرسل لهم خطة كنت موقنا أنها ستنتهى إلى حمام دم.

فى صباح اليـوم التالى ظهـر كارل فـونو فى زيـارة للميدان محددة منـذ أمد بعيـد.. حاصرتـه تماما منفسـا عن شعورى بالإحبـاط: «كارل، أنتم يـا رجال هيئـة الأركان المشتركة يفترض فيكم أن تكونوا المستشاريـن الأساسيين للرئيس حول أمور الحرب، لماذا يطلب منى أن أرسل إلى واشنطن خطة هجوم لا أؤمن بها؟ إن هؤلاء الذين نتحدث عنهم هـم جنود جيشنا. أنت، بصفتك رئيس أركـان الجيش يجب أن تخبر الرئيس بأننا لسنا فى وضـع يتيح لنا الانتقال إلى الهجوم ما لـم تتوفر قوات أكثر».

رد على فونـو – الكاره للمصادمات – ببســاطة قائلا: «نـورم، إنك تقوم بعمل رائع ونحن جميعا نقف وراءك مســاندين إيــاك مائة فى المائة». ونشرت الصحافـة فيما بعد تقريرا يقول إنــه اشتكى من أن اجتماعنا الذى استغرق ساعة كـان أشبه بجلسة علاج نفسى طولها ٤ ساعات.

ونظرا لأننى لم استطع الذهاب إلى واشنطن بنفسى، فقد وجهت ضباطى وبرمجت تقريـر الإطلاع الـذى سيقدمونــه بدقة من يبرمج معـركة كبرى. إن يستر جلـوسـون سيعرض الهجمات الجوية للأطوار: الأول والثانى والثالث، يعقبه الليوتاننت كولونيل جـو بورفيس، رئيـس فريق التخطيط من مـدرســة الـدراسات العسكـريــة المتقدمــة ليستعرض الطـور الرابع مــن العملية وهــو الهجوم البرى. وبعد أن أصـغيـت جيدا إلى استعراضــاتهما، ألقيت نظرة على كل واحـد منهما وقلت: «إن أحد الأشيـاء التى تدور لصالحنــا هى أننا لن نخـدع الرئيس بهراء القـول وسخيفه، يجب أن تشرحـوا ما هى قدراتنا، لكن لا تقولوا للرئيس إننا قادرون على فعل شـىء لا نستطيعه، فليس هذا وقت الإدعاء بالقدرة. لا تعطوا تخمينات عند الإجابة على الأسئلة. أقصروا ردودكم بدقة على مــا قمنــا بتحليلـــه. لا تعطـوا آراءكم الشخصيـــة، وإذا سمعت أن أيـــا منكم فعل ذلك فسأعفيكم من واجباتكم وأعيـدكم إلى بيوتكم.. لا أريد من أى واحد أن يقـول شيئا قد يؤدى إلى مقتل الآلاف من الأمريكيين بلا داع». كنت واثقــا تماما من أن الجميع فهموا مقاصدى بجلاء.

لقد اعتاد جـــونستون وجلسون على أسلوبى هــذا فى الحديث مرارا من قبل، واكتفيا بإيماءة من الــرأس، أما الضبــاط الشباب من جماعــة مدرســة الدراســات العسكريــة المتقدمة فقد اصفرت وجوههم.

لكننى لم أكمل كلامى بعد، طلبت من جــونستون أن يأتى إلى مكتبى حيث أعددت له ثــلاثــة ســلايدات ليعــرض ويلخص تحفظــاتى على مشــاركــة الحلفــاء، وعن غيــاب الاحتياطى، وعــن واقع أننا بحاجــة إلى إقناع السعــوديين بالموافقــة على الهجوم، وعن خطر استصغار القدرة القتــالية العراقية. بعد ذلك كتبت ســلايدا ختاميا، مشيرا إلى أن القيادة المركزية قد أنجزت المهمة التى أسندهــا إلينا الرئيس: الدفاع عن المملكة العربية السعودية، وعدت إلى النقطة التى رفعتهــا فى كامب ديفيد قبل أيام من الشروع فى عملية

درع الصحراء: التخطيط لهجوم لا يتمخض عن كارثة عسكرية يتطلب «فيلقا ثقيلا» أخر مؤلفا من فرقتين مدرعتين، و مما جاء فى النص الذى كتبته على السلايدا:

تقرير القائد العام

خطة الهجوم البرى هشة، لا نملك القدرة على الهجوم فى البر فى هذا الوقت، نحتاج إلى فيلق ثقيل إضافى لضمان نتيجة موفقة. خطة الدفاع متينة، ومثلما وعدنا الرئيس خلال الأسبوع الأول من أغسطس فإن القوات المسلحة الأمريكية قادرة الآن على الدفاع عن المملكة العربية السعودية وتنفيذ طائفة واسعة من الهجمات الثأرية ضد العراق.

التفت إلى جونستون وقلت: حين ينهى بورفيس شرح الهجوم البرى، أريدك أن تقف وتختتم تقرير الاطلاع بهذه السلايدات، أومأ بوب برأسه موافقا وعلى وجهه إمارات تجهم. كان يشاطرنى تحفظاتى حول الخطة، ولكن ليس من المألوف أبدا أن ينهى قائد عسكرى تقريره بالتشكيك بصحة الوصف الذى يقدمه. واصلت الحديث قائلا. لا أعرف ماذا ستواجه فى واشنطن، ولكن تستطيع أن تقول لهم إن الجنرال شوارتزكوف يرى أنه إذا كان ينبغى استعراض الخطة، فيجب أن يتم ذلك مع هذه السلايدات. وأريدك أن تعرض السلايدات بنفسك، لا من جانب أى شخص أخر من هيئة الأركان المشتركة، لاتكترث بالأوامر التى تتلقاها من أى إنسان أخر، إنك تعمل بإمرتى وأنا أعتمد عليك للتحدث باسمى. فهم جونستون بوضوح ساطع مكمن الخطر، ولم يكن قائدا مخضرما فحسب، بل إن ابنه البالغ ٢٤ عاما فى وحدة من وحدات مشاة البحرية المتجهة إلى الخليج.

٩ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٦٣

الساعة ١٦,٠٠ فى الصباح بلغنا أن الاسرائيليين قتلوا ٢١ فلسطينيا خلال أحداث شغب فى القدس القديمة، فى الوقت نفسه كنا قد تعرضنا فى اليوم السابق إلى حادث طائرة ذات أجنحة ثابتة وأخرى هليكوبتر أدى إلى مصرع ١٠ أمريكيين.

١٢ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٦٦

الساعة ١٦,٣٠ ق.ع تلقى تقرير اطلاع عن سياسة المناوبة. الاقتراح يوصى بأن

تتم مناوبة وحدات القتال البرية كل سنة إلى ثمانية أشهر، وأن تتم مناوبة ضباط مقرات القيادة كل ستة أشهر «لضمان المساواة». ق.ع رفض الاقتراح وأبلغ الأركان أن أى اقتراح بتبديل الضباط العاملين فى الرياض أيضا بوصفها وحدة تعيش فى الصحراء هو هراء. عرض القائد العام على ضباط المقر فرصة العيش فى خندق والنوم فى كيس نوم لمدة ستة أشهر، وبعدها يكونون فى وضع يحق لهم فيه بحث المساواة. أوعز .ق . ع إليهم بمراجعة الاقتراح ثانية.

- قام الفريق باطلاع الرئيس فى البيت الأبيض عصر يوم الخميس الموافق ١١ أكتوبر، وتلقيت أول مكالمة لى من باول: «ضباط الاطلاع عملهم بشكل لطيف. البيت الأبيض مرتاح إلى الخطة الجوية ولكن كان هناك الكثير من النقد للهجوم البرى».

وأضاف بغموض: «ثمة أشياء، يريدان أن يعرفا لماذا لم تخرج بخطة فيها خيال إبداعى أكبر».

قلت بأكبر ما استطيعه من الهدوء: «لقد دأبت على أن أقول لكم أيها الناس طول الوقت إننا لا نملك قوة كافية للقيام بحملة برية».

«ذكرت لهم ذلك». خيم الصمت قليلا، ثم سألنى بغتة: «كم من القوات تحتاج حقا لتقوم بها بصورة صحيحة؟»

وحثثته: «دأبت على القول إننى أحتاج لفيلق ثقيل إضافى، ولكن دعنا نقوم بتحليل دقيق». واتفقنا على أن نواصل النقاش حالما تنتهى الأركان عندى من دراسة المسألة، فحتى ذلك الحين كان يطلب إلينا التخطيط على افتراض عدم توفر المزيد من القوات. وسألنى باول أيضا أن نقدر منهج العمل المعاكس: «أبلغنى عن الحد الأدنى من القوات اللازم للدفاع عن المملكة العربية السعودية بلا أجل». شعرت بالاطمئنان نوعا ما وأنا أعيد سماعة التليفون.

فى الصباح التالى جاءنا بوب جونستون بعد طيران طوال الليل، ليضيف لى بضعة تفاصيل أخرى قائلا: إن باول قد غادر على عجل، وحضر اللقاء إضافة إلى الرئيس بوش، كل من نائب الرئيس كويل، الوزيران بيكر وتشينى، جون سنونو، الجنرال سكوكروفت وبوب. جيتس نائب مستشار الأمن القومى. وأخبرنى جونستون قائلا: إذا

حكمنا على الأمـور من الأسئلة التى وجهوهـا خلال جلسة الإطلاع، فقـد رأوا مشاكل كبيرة فى خطـة الهجـوم البرى، ولما وصل الـدور على تقـديم تقــديـراتك كـانت أغلب اعتراضاتك أنت قد أثيرت من جانبهم.

وتردد جونستــون فى القول وهو يهز رأسه: لن تصــدق ذلك- حينما عرضت آخر سلايد - السلايد الذى يبين أننا بحاجة إلى فيلق إضافى - قال أحد مستشارى الرئيس: «يا إلهى إن بحوزته كل القوات اللازمة، فلماذا لا يهاجم؟»

قررت ألا أترك ذلك دون متابعة، ولما اتصل باول عصر ذلك اليوم استفسرت منه عن النقد، فأجاب: هذا صحيــح، بل إن أحدهم قال إن شوارتزكوف هــو ماكليلان آخر. إن الشخص الذى عقدَ هذه المقارنة هو مدنى لا يفقه ذرة فى الشئون العسكرية، إلا أنه كان يتابع الفيلم الوثــائقى «الحرب الأهلية» فى التليفزيون العمــومى وصار الان خبيرا، فقد عرف كيف أن جورج ماكليلان توقف خارج ويتشموند فى ربيع ١٨٦٢ رافضا الهجوم على جيش روبرت أى . لى . وقد أغفل فى مقارنتــه هذه حقيقة واحدة صغيرة: بينما كان جيش ماكليلان يفوق قـوات «لى» عددا إلى حد هائل، فإن القوة العراقيــة تفوق قوتنا فى السعودية عددا إلى حد هائل. وهــذا المستشار هو واحد من صقور البيت الأبيض وكان باول يشتكى منه باستمرار. الواقع إن هذا الرجل أخذ يلمح بعد الاجتماع - حسب قول باول - إلى أننــا تعمدنــا إرسال خطــة ذات نسبة عــالية مــن الخسائر البشريــة لنفزع الرئيس ونبعده عن فكرة شن حرب برية.

ولو أن البيت الأبيض أراد خطة هجوم جريئة لعرفت كيف أسلمها، فثمة خارطة على حامل بجـوار مكتبى فى وزارة الدفاع اسمهــا «موقف العدو»، تشير إلى مــواضع القوة العراقية داخل الكويت وإلى جوارها. وكان ضباط المخابرات العاملون بإمرتى يضيفون إليها آخر المستجدات ثــلاث مرات فى اليوم ابتداء مــن الساعة ٤,٣٠ فجــرا. هذا هو أول شىء اتفحصه حالما أخرج من غرفة نومى عند الساعة السادسة، فهناك دبابيس حمراء براقــة تمثل الفرق العراقيــة، وعلى حين أن صدام كـان يغير باستمرار مــواقع وحدات منفردة فى مسعى لتضليلنا بالتخمينــات، فإن كامل الاصطفاف فى المسرح الكويتى بقى على حاله مــدة شهر: فرق مشاة تحفـر مواضعها على طول الحدود الجنــوبية وساحل الخليج، مع فرق مدرعة فى مواقع تعزيــز خلفية مباشرة.. أما قوات الحرس الجمهورى

فتنتشر على طول الحدود العراقية الكويتية شمالا، وكان العراقيون متمركزين بطريقة تتيح رمى كامل ثقلهم ضد أى هجوم نشنه من الجنوب أو الشرق، وقد وضعوا الحشود فى المكان المقرر بما يوازى ضعف عدد جنود وثلاثة أضعاف الدروع المخططة بالأصل لعملية درع الصحراء.

إن الطريقة المستمدة من نصوص الكتب لإنزال الهزيمة بمثل هذه القوة العراقية هو أن يبقيها المرء فى مكانها بهجوم على طول الجبهة، مع إرسال جيش أكبر للالتفاف من حولها وتطويقها وسحقها بإزاء البحر. نظرت إلى الدبابيس الحمراء البراقة التى تمثل الجيش الذى يحتل الكويت.. هناك على طول جناحها الغربى رقعة من الأرض العراقية تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة الكويت، وعدا وجود بضع بلدات صغيرة وقواعد جوية فإنها لا تزيد على صحراء. الأهم من ذلك فى ضوء ما ابتغيه، أنها غير محروسة إلى حد كبير. لقد بحثنا من قبل إمكانية دفع وحدات مدرعة عبر ذلك القطاع، إلا أننا ركنا الفكرة على الرف لأن ذلك يعنى انتشار قواتنا انتشارا نصف ما ينبغى، ولأننا لم نكن متيقنين من القدرة على إمداد الوحدات بالذخيرة والمحروقات لمثل هذه المسافات الشاسعة. ولكن يبدو أن واشنطن الان راغبة فى التفكير فى إرسال المزيد من الفرق، وهذا غير كامل الوضع حقا، إن ذلك سيتطلب أكبر مناورة التفاف صحراوية بالدروع فى التاريخ العسكرى الأمريكى، إلا أنها بدت لنا السبيل الأرجح لإنهاء الحرب البرية بصورة حاسمة وسريعة. فى الخامس عشر من أكتوبر أبلغت مخططى القيادة المركزية أن يفترضوا وجود فيلق مدرع أخر، وأن يطوروا فكرة هجوم التفاف جانبى.

١٨ أكتوبر ١٩٩٠ ب + ٧٢

الوقت غير محدد. ق. ع سأل رئيس هيئة الأركان المشتركة إن كان بوسعه تقليص عدد الزيارات، فلدينا ١٨ وفدا رئيسيا سيزورون التشكيلات المسلحة فى الأسابيع القليلة المقبلة، وبحث ق. ع أيضا المسألة مع السفير، الذى وافقه الرأى واقترح – علاوة على ذلك – أن تصدر القيادة المركزية والسفارة رسالة مشتركة تطلبان فيها وقف سيل الزيارات غير الضرورية.

١٩ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٧٣

الوقت غير محدد. صادق ق. ع على إرسال سياسة التناوب المقترحة، وركزت هذه

على المناوبة كل ستة إلى ثمانية أشهر للوحدات القتالية، والوحدات الأخرى التي يعيش أفرادها في ظروف قاسية وبدائية، وسمحت أيضا بمناوبة كل ١٢ شهرا للأفراد العاملين في ظروف لا تختلف عن الولايات المتحدة.

وبدأت عملية «درع الصحراء» تطفح بالملل اللازم للحرب، رغم أننا لم نطلق طلقة واحدة بعد. ووجدت نفسي غارقا في وطيس عمل مكتبي روتيني شاق: اطلاع وفود الكونجرس، إجراء مقابلات صحافية، حل المشكلات الثقافية مع السعوديين، الرد على الأسئلة البيروقراطية من واشنطن، وكنت أحيانا أفلت من مقر القيادة لأزور الجنود، فأجدهم قلقين مثلي لما سيأتي بعد.

لا يفترض بالقادة العاملين أن يقلقوا حول نفاد النقود، خصوصا حين يمكن أن تندلع الحرب في أية لحظة، فوزارة الخارجية ترتب – حين يسمح الوقت – الأمور المالية أينما كان للولايات المتحدة وجود عسكري، وبوقت سابق للأزمة تماما. وكان وزير الخارجية بيكر يجـ.ب العالم حاشدا الدعم المالي لدرع الصحراء، إلا أن القيادة المركزية لم تحصل في اليد على أي شيء نقدا.

ذهبت لرؤية تشارلز فريمان، وقلت له: «أظن أن هذه المهمة مهمتك».

أجاب السفير بصوته الناعم: «أظن ذلك أيضا، ولكن يجب أن أعترف لك أنني لا أعرف كيف أقوم بذلك»، لذلك سألنا واشنطن أن ترسل لنا خبيرا في شئون الدعم المأخوذ من الدول المضيفة، وحتى يتم ذلك رحت أسعى إلى ارتجال نظام مؤقت للدفع مع خالد.

إن أول الحوارات المالية مع خالد كانت قد جرت سابقا حول سيارات التأجير في الرياض، فحين وصلت القوة الجوية أول مرة في أغسطس (آب) قامت كل وحدة تحتاج لسيارات باستئجار سيارات من الوكالات المحلية السعودية، وفي ظرف أسابيع حجزت الولايات المتحدة كل سيارات التأجير في الرياض. كانت بعض سيارات التأجير ضرورية فذهبت في حينه إلى الأمير خالد وقلت له: «تكاليف نقلنا، واستئجار السيارات هي مصاريف النقل».

ـ بالطبع، سندفع تكاليفها.

ـ لمن نقدم فواتيرنا؟

قال «لا، لا » ناذارا إلى مستفخلعا ذلك. لا تـرسل الفواتير لى، أعطنى قائمة بما تحتاج وسيقـوم ضابطى بعمل الـلازم. أبـرم العقد معـه وسنشرف على سير العقد من مقـر قيادتى.

حـاولت أن أشرح لـه أن هـذا الترتيب غير عملى، وأن ضباط الشئـون اللـوجستيـة الأمريكيين العـاملين فى الميدان ما كـانوا ليطيقوا عمليـة صنع قرارات مـركزية فـاقدة المرونة. قلـت لخالد إن لكل وحـدة نسخة مصغرة مـن جاس بـاجونيس، ومهمـة هذا الشخص هنـا هـو أن يعتنى بشئـون جنـوده، وتكهنت بأن الأمـريكيين سرعـان مـا سيتحركون ويشترون فى كل أرجاء المملكة، وكنت مصيبا فى ذلك. ففى الرياض وحدها على سبيل المثـال، ذهب أحد ضبـاط الشئون اللـوجستية إلى منشأة الميـاه السعوديـة وتعـاقـد على شراء مقـدار ضخم من الماء المقطـر، وفى الجبيل وقع ضـابط الشئـون اللوجستيـة لقوات مشاة البحـرية عقـد إيجار مجمع لإيواء جنوده بقيمـة ١٠ ملايين دولار.

وكان جواب خالد فى كل مـرة: كان بإمكانى أن أحصل لكم على ذلك بخمسة ملايين، لا توقعوا المزيد من العقود. إلا أن العاملين فى الميدان يحثوننا «يا أنتم علينا أن نوقع هذه العقود، لأن المزيد والمزيد من الجنود يتدفقون ويجب أن نضعهم فى مكان ما».

قلت لخالد «إن الطريقة الوحيـدة لإجراء ذلك هى أن تعين ضباطا يستطيعون العمل معنا ويـوقعون هذه العقود فـور التوصل إليها. رأى خالـد أن الاقتراح معقول، وحتى حين أمر ضباط شئونه اللوجستية بدفع الأموال إلى ستارلنج وفريقه راحوا يتحاشون الأمور المهمة، ولم نتلق قرشا واحدا.

إن النظام المالى فى واشنطن لا يقل عن ذلك فى مركزيته وصرامته، فرغم أننا كنا نوقع العقودات باليمين وذات الشمال، لم تكن لدينا سيولة نقدية للدفع، وتعمل وزارة الدفاع الأمـريكية بمـوجب قاعـدة صارمـة تقول. إن إنفـاق ٢٢٠ ألف دولار يتطلب موافقـة الكونجرس فى الأحوال العـادية، والاستثناء الوحيد هو حالـة الاستنفار الوطنى العام. وفى ضـوء حجم القـوات المرسلـة وارتفـاع الأسعـار فى الشرق الأوسط فإن بـوسعك

الافتراض بأن كل ايجار أو عقد مبرم فى المملكة العربية السعودية يكلف أكثر من ٢٠٠ ألف دولار.

ولولا مساهمة اليابانيين لأفلس درع الصحراء فى شهر أغسطس، فبينما كانت الصحف الغربية تتشكى من امتناع طوكيو عن زيادة تبرعها البالغ مليار دولار للحامية السعودية، حولت السفارة اليابانية فى الرياض بهدوء عشرات الملايين من الدولارات إلى الحساب المصرفى للقيادة المركزية. واستطعنا بذلك أن نغطى مصاريف أعمالنا اليومية قبل أن يستطيع أى إنسان فى واشنطن أن يدعى حق التصرف بهذه النقود.

فى هذه الأثناء تحول محل فريق ستارلنج إلى شركة تصفيات مالية عملاقة حافلة بالايصالات، طالما أننا وثقنا صرف كل دولار وعدنا السعودية بتغطيته. وتنامى الانفاق حقا، فبين منتصف أغسطس ومنتصف أكتوبر أنفقنا ٧٦٠ مليون دولار. ولما جاء الميجور جنرال بيل راى الخبير المفاوض فى شئون الدعم من البلد المضيف من واشنطن فى ١٩ أكتوبر، جلب معه أيضا فواتير وزارة الدفاع بمصاريف النقل الجوى والشحن البحرى، مما رفع الرقم إلى ما يقارب ١,٩ مليار دولار. كان ذلك قطعة من بنات أحلام واضعى الميزانية فى البنتاجون، فحسب علمى تعهد الملك فهد بدفع تكاليف نقلنا داخل المملكة وليس إليها.

ولما أعلمت خالد بوصول الجنرال راى مع فاتورة شاملة بدا عليه الارتياح. لم أحضر لقاء الاثنين، لكن راى أبلغنى أن السعوديين وافقوا فى الحال على تسديد المبلغ (٧٦٠ مليون دولار) للقيادة المركزية، إلا أنهم اعتذروا كما توقعت عن عدم دفع مصاريف النقل الجوى والشحن البحرى.

الأهم من ذلك أن السعوديين وافقوا بتردد على طريقة دفع الفواتير المرفوعة إليهم فى المستقبل.

علقت على ذلك لضباط الأركان قائلا «يبدو أننا نسير أخيرا على نفس الموجة» وشعرت بالاطمئنان على غرار من يقال له إن الشيك فى طريقه إليك بالبريد.

٢٠ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٧٤

الساعة ١٨,٣٠ ق.ع التقى مع الميجور جنرال جابر من الكويت. طلب جابر العون فى تجهيز ثلاثة ألوية مشاة خفيفة. كان جابر يخشى أنه إذا لم يجمع بقايا مختلف الوحدات من الكويت فإنها قد تنشط لوحدها فتشعل صدامات غير متعمدة. وأضاف أنه سيأتى يوم تحرر فيه الكويت وتكون القوة المدربة والجاهزة ضرورية لاستعادة النظام والخدمة العامة. ق. ع وافق.

٢٢ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٧٦

الساعة ١٠,٠٠ خلال الاطلاع على المستجدات، أبلغ ق. ع أن الكثير من مواد التبرعات تستمر فى التدفق من الولايات المتحدة ومن أرجاء العالم. ق.ع نبه كامل الأركان كيف احمرت أنوفنا فى فيتنام بسبب ظهور مؤسسات غير قانونية راحت تسرق من المعدات وتبيع المسروقات فى السوق السوداء. لا يمكن أن نسمح بحصول ذلك فى عملية درع الصحراء. وأوعز القائد العام للجنرال ممثل النيابة العامة العسكرية أن يكتب برقية يرسلها القائد العام، تقول إن كل مواد التبرعات سوف يتم حصرها وفقا للاجراءات النظامية وأن القادة سيعدون مسئولين عن تطبيق الإجراءات.

جاء كولن باول إلى الرياض فى ٢٢ أكتوبر، وأقر من جديد أن القوات المتوفرة حتى تلك اللحظة غير كافية لإزاحة العراق من الكويت، وعرض ضباط أركانى مختلف الخيارات العسكرية، بما فى ذلك التى سبق أن طلبها باول فيما يخص الحد الأدنى من القوات لوقاية المملكة العربية السعودية إلى أمد غير محدد. أخيرا كشفنا النقاب عن خطتنا الجديدة لتطويق وسحق الجيش العراقى بحركة التفاف ضخمة غربى الكويت، وهى ممكنة – كما أكدنا – فقط إذا كانت الولايات المتحدة مستعدة لإرسال فريق مدرع إضافى. لم يكن ذلك مفاجأة لباول، فطالما كنا – هو وأنا – نتبادل الأفكار على التليفون طوال الأسبوع حول السبل الممكنة للتطبيق، إلا أنه سرعان ما سدد إلينا السؤال البديهى الذى لم نتناوله: «ل تستطيع نقل تجهيزات كافية للحفاظ على استمرارية الهجوم؟ وقال: قد يكون الجانب اللوجستى كعب أخيالكم.

إن باستطاعة الدبابات وناقلات الجنود المدرعة أن تسير على الرمال الرخوة، لكن شاحنات نقل المحروقات الضخمة التى تسع ٥٠٠٠ جالون- والتى تسير فى أعقاب الدبابات والمدرعات إلى المملكة - بحاجة إلى شوارع أو أرض صلبة، كما أن هجوم التفاف سيبدو فى "عالم مجرد وهم. لم يتفوه باول بشيء عن المخاطر السياسية الناجمة عن زيادة القوات الأمريكية فى السعودية إلى مستوى يضارع القوة المرسلة إلى فيتنام، ولكنى كنت موقنا أن الفكرة تجول فى رأسه.

بعد ذلك شكرنا باول كثيرا على ما قمنا به من عمل، ولكنه حذرنا من أن الرئيس بوش سيستغرق زمنا فى اتخاذ القرار، وأوضح لنا أن المزاج فى واشنطن يتغير كل أسبوع.. قبل عشرة أيام كان المزاج صقريا، أما خلال الأيام الأربعة أو الخمسة الأخيرة فقد راح المسئولون يتحدثون عن إفساح المجال أمام العقوبات الاقتصادية لكى يظهر أثرها، ولكن ليس هناك من هو مستعد لاتخاذ قرار جازم، فالكل مشغول بأزمة الميزانية وانتخابات الشهر المقبل، ومضى إلى القول بأن الرئيس سيعمد - بعد انتخابات نوفمبر - إما إلى تبنى خطة الاحتواء العسكرى، أو يحاول الحصول على تخويل من الأمم المتحدة والكونجرس لشن هجوم. وسألنا عن المدة اللازمة لجلب القوات المدرعة التى طلبناها، فقدرت المدة بثلاثة أشهر. واختتمنا الجلسة بالاتفاق على أن شهر فبراير هو الموعد المحتمل للهجوم البرى.

رغم أن باول ركز حديثه على تزويدنا بقوات إضافية، فإنه لم يقل شيئا عما كنت أريد سماعه من أن نطرح جانبا خطة الهجوم بما لدينا من قوات، فهى خطة تنطوى على مجازفة كبيرة. هذا يعنى أنه لم يسقطها كلية من قائمة الممكنات، لذلك لم أفاجأ فى الصباح التالى حين طلب منى أن أطلعه ثانية على ذلك الخيار. طلبت من أركان المقر أن يتركوا غرفة الحرب، ورحت أحثه قائلا: دعنا نلغى خطة الهجوم تلك، فلديك هواجس ريبة بصددها مثلى أنا. وأوضحت أن المخاطر تزداد كل يوم، إذ ينقل العراق المزيد والمزيد من قواته إلى الكويت، وإذا كان علينا الانتقال إلى الهجوم فإننى أحتاج إلى المزيد من القوات.

رد عليّ قائلا: «إننى واثق من أننا نستطيع إرسال المزيد من القوات إلى الخليج بدون أى تفويض صريح من الكونجرس والجمهور الأمريكى». هززت رأسى موافقا: ولكن لا أحد يريد فيتنام أخرى. وفهمت عزم باول على تفادى الأخطاء السياسية والأخطاء العسكرية أيضا، ومن الأفضل ألا نشن الهجوم أبدا ما لم نكن واثقين من دعم الجمهور.

وفى مجرى المحادثة اتخذ قراره، وودعنى قائلا: «إذا دخلنا الحرب فلن ندخلها نصف دخول. إن المؤسسة العسكرية للولايات المتحدة ستقدم لك كل ما تحتاجه لتفعل ذلك بصواب». لقد عبر الجسر أخيرا، وغادر الرياض وهو يحمل طلب قواتنا، فشعرت كما لو أنه رفع عن كاهلى العبء الكبير.

٢٩ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٨٣

الساعة ١٠,٠٠ أوعز ق. ع إلى ضباط الاستخبارات بإجراء دراسة مفصلة عن تأثير الطقس على العمليات العسكرية، وبخاصة صلاحية الأرض للسير فى الكويت وجنوب شرق العراق. يريد ق. ع معرفة كل شىء: من المطر إلى العواصف الرملية إلى درجات الحرارة.. إلخ، على أن تغطى الفترة من الآن إلى مارس (آذار) وأبريل (نيسان). وقال ق.ع إننا يجب أن نستخدم كل المصادر المتيسرة بما فيها أخذ المعلومات من الناس الذين سافروا إلى المناطق المقصودة.

لم يدم إحساسى براحة البال طويلا، ففى ذلك السبت عاد باول أدراجه إلى واشنطن ليتصل بى على التليفون حاملا قنبلة، وبدأ كلامه. الأفضل ألا أغادر واشنطن بعد الآن.

ـ تم لا؟

ـ حسنا، بينما كنت مسافرا، عاد الوزير تشينى من رحلته إلى روسيا حاملا فكرته الخاصة عن خطة للهجوم، وقد صاغها له بعض العاملين فى الأركان المشتركة، وقد أطلع الرئيس عليها.

ـ وهل لديك مانع فى أن تخبرنى بفحواها؟

كانت الخطة على أكبر قدر ممكن من السوء. اتضح أن تشينى كان قد شعر بالإحباط من استعراض بوب جونستون لخطتنا فى اجتماع البيت الأبيض، لذلك قرر أن يخرج بخطة أكثر جرأة من خطتنا. وأخذ خارطة العراق واختار

موقعين رئيسيين لإطلاق الصواريخ يقعان فى الجزء الغربى الأقصى من البلاد على بعد ٥٠٠ ميل كاملة من الكويت، ويقترح أن تنزل الفرقة المحمولة على الموقعين بالمظلات، وأن ندعمها بألوية الهليكوبترات من فرقة الهجوم ١٠١ وسرايا الدبابات من فوج المشاة المدرع الثالث، ونحتل موقعى الصواريخ هذين، ثم نتجه على الطريق الدولى (غرب - شرق) لنهدد بغداد.

قلت غير مصدق: «ألم تقم هيئة الأركان المشتركة بالكشف عن أغلاط هذه الخطة؟». وذكرت له بعضا من الأغلاط مثل استحالة إمداد عملية كبيرة بعيدة كل ذلك البعد عن الخطوط الصديقة، والواقع أن قلب القوة العسكرية العراقية يقع فى الشرق. وأشار باول بجفاف إلى أن الوزير رجل يصعب أن تقول له كلا، إذا كنت ضابطا شابا فى هيئة الأركان ممن يحرصون على مستقبل الترقيات. قال: «أريد أن تقيم هذه الخطة، وتقدم لى شيئا استطيع أن استخدمه لاستعيد السيطرة على الوضع».

وضعت سماعة التليفون وأنا متضايق. لقد عملت لسلة القيادة الأمريكية حتى الآن كما ينبغى أن تعمل، خلافا لما كانت تسير عليه الأمور أيام فيتنام، ولم يحصل أن تكرر عرض ليندون جونسون وهو يمسك سماعة اللاسلكى أثناء حادث بويبلو ليصدر أوامر إلى رامى المدفع الرشاش فى مؤخرة قاذفة قنابل، فقد اقتصر الرئيس على الأمور الرئاسية، ووزير الدفاع على وضع السياسة العسكرية، ورئيس هيئة الأركان المشتركة على تسهيل الصلة بين القيادة المدنية والقيادة العسكرية، أما أنا فقد كنت أتمتع بكامل الصلاحية لأداء المهمة بصفتى قائدا فى الميدان، ولكنى أخذت الآن أتساءل إن كان تشينى قد وقع فريسة المرض الذى كنت ألاحظه على بعض سكرتاريى الجيش: ضع مدنيا فى موقع المسئولية عن عسكريين محترفين، وإذا بك تراه غير قانع بوضع السياسة بل يريد أن يصبح جنرالا يفوق الجنرالات.

أطلقنا على خطة وزير الدفاع اسم «النزهة الغربية»، وطلبت من أركان التخطيط عندنا أن يتفحصوها بإنصاف فقاموا بعمل رائع. وبعد ثمان وأربعين ساعة أرسلنا رسالة بالفاكس إلى باول تتضمن تحليلهم الذى أعلن أن الخطة «جسر أبعد مما ينبغى»، مقارنا إياها بالمخطط الطموح زيادة على اللزوم فى الحرب العالمية الثانية، الذى كلف الجيوش الأمريكية والبريطانية ثمن الهزيمة فى نيجميجين فى هولندا. إلا أن «النزهة

الغربية» لم تدفن رغم نقدنا لهم، فخـلال ذلك الأسبوع وحده اتصل باول ثلاث مرات ناقلا تعديلات جديدة من طاقم تشيني، وأكثر هذه التعديلات غرابة يتضمن الاستيلاء على بلدة غـربي العراق، نعـرض على صدام إرجـاعها لـه مقابل الكـويت. أخيرا أقنعنا واشنطن أنه يتعذر إسناد هذه النزهات لوجستيا، وأنها لن تخدم قضيتنا خطوة واحدة إلى الأمام.

لقـد أحسست من ذلك أن واشنطن كانت تتلمس الطـريق بحثا عن حل فـوري، ولم تكن لي سلطة لثنيهم عن ذلك، وقـرعت باول قائلا: «لا يمكن أن نظل نطور مجمـوعات جديـدة من الخطط بين ليلة وضحاهـا». فيومـا نتحدث عن الهجوم، واليـوم التالي عن الاحتواء، واليـوم الذي يليه عن سحب الكل وابقاء قـوة ردع. لقد أمرت بصياغـة خطة مناوبـة القوات، ولكن مـا إن تقدمت بتوصيـاتي حتى أمرت بسحبهـا، لأنها قد تعطي الناس الانطبـاع بأن أمريكا ستتعهد بإبقـاء القوات في الخليج على مدى طـويل. وبدأت أحس كما لو أن القيادة المركزية أرسلت إلى حـدث رياضي مهم دون أن تعرف أية لعبة ستتبارى فيها، فهم يدفعوننا إلى الميدان مـرتدين الخوذ والكتافيا مستعدين للعبة كرة الركبي، لا لشيء إلا لتسلمنـا واشنطن قفازات كرة البيسبول، فنروح امتثـالا للواجب ننزع خـوذنا وكتافيـاتنا ونستعد للعب البيسبـول، لا لشـيء إلا لترمي بنا واشنطن في ملعب كرة قدم. والفارق الوحيد أننا لسنا في لعبة رياضية، بل في عمل جدي فاتك، يحيق حياة البشر بـالموت. ففي يوم الاثنين الموافق ٢٩ أكتـوبر لقـى ٢٩ بحـارا مصرعهم على متن سفينة أيـوجيما الأمريكية، وهـي مخصصة للهجـوم البرمائي في الخليج، والسبب هو انفجار انبوب بخار أدى إلى تسرب غاز ضاغط درجة حرارته ٨٥٠ فهرنهايت.

كما بدأ حلفـاؤنا بالتساؤل عن الـوجهة التي نقصد، بعد أن بنى التحـالف الآن قوة كافية للدفاع عن السعودية. لقد قالها صدام حسين بوضـوح إنه لن يغفر للقادة العرب الذين استقدموا القوات الغربية إلى الخليج، وفي خطبه التي بثها راديو بغداد وصم الملك فهد والـرئيس مبارك بأنهما خـانا القضية العـربية، وهما الان يطلبـان ضمانات بألا تنسحب أمريكا قبل القضـاء على الخطر العراقي. في هذه الاثناء اثار البريطانيون مسألة التـوقيت، فقد أخبرني السـير ديفيـد تـريج نظير باول، لـدى مجيئـه إلى الريـاض ذلك الأسبوع، أن الفرصة مواتية لشن الهجوم قبل شـهر مارس وقبل حلول شـهر رمضـان،

الشهر الاسلامى المبارك، وإذا كان التحالف ينوى الهجوم، فإننا نحتاج إلى تحديد اهدافنا ووضع خطة الهجوم قريبا حسب قوله. وأبدى خالد الرأى نفسه، زد على هذا، كان علينا أن نفكر بالطقس، فلن يفيد قواتنا ومعداتنا فى شيء أن نتقهقر حتى عودة الصيف.

وإذ كنت استشيط غيظا حول ذلك، فقد ادركت أن هواجسى تماثل الهواجس التى عبر عنها قادة ميدان ألمع بكثير. فايزنهاور وماك آرثر كانا يخشيان من أن تكون القرارات فى واشنطن خاضعة لاعتبارات السياسة أكثر من خضوعها للواقع العسكرى. ولم أشأ أن أصيب أركانى بعدوى شكوكى، كما أن بحث هذه الأمور مع نظرائى من الحلفاء سيكون بمثابة عمل من أعمال الخيانة. ولكنى شعرت بأننى مدين لقادتنا فى واشنطن بالتعبير عن مخاوفى.

وارتبت أن الوقت قد حان لتثبيت ذلك بكتب رسمية. وفى ظهيرة يوم الأربعاء الحادى والثلاثين من أكتوبر، أمليت مذكرة طويلة موجهة إلى باول مسهبا فى نجاح درع الصحراء حتى ذلك الوقت، وسائلا من جديد إلى أين نتجه انطلاقا من ذلك؟ وكنت آمل أنى برفع طلبى حول التوجيهات اللاحقة تحديدا قد استطيع أن أزحزح واشنطن. ومما جاء في المذكرة أيضا:

«إننا نواصل السعى إلى وضع خطة عمليات هجومية، ولكن لكى أكون صريحا صراحة تامة معك، إننا نفعل ذلك فى ظل فراغ كامل من التوجيه وفى ظل فرضيات تتغير كلما خطرت لواحد فى واشنطن فكرة لامعة أخرى. والنتيجة النهائية هى أن الأركان التى تقوم بعمل مضن أنجزت من خلاله الكثير، تعمل الآن تحت ضغط متزايد وتحت أوامر متواصلة تحدد مواعيد قصيرة الأجل إلى درجة الإحباط، لا يرافقها إلا النذر اليسير من التقدير الخارجى. لعل هذه هى الطريقة المتبعة دوما، ولكنى لا أذكر فى أى وقت من التاريخ العسكرى أن هناك قائدا ميدانيا طلب إليه أن يضع خطط هجوم لثلاثمائة أو أربعمائة رجل ويقال له أن يفعلها فى ظروف بضعة أيام، بدون أى ارشاد استراتيجي، ثم يطلب منه أن يدافع عن الخطة بالتفصيل. أعرف أن هذا ليس عالم الكمال وسنواصل نحن فى القيادة المركزية تنفيذ ما يطلب منه، ولكن فيما يتعلق بمسألة كهذه على قدر كبير من الأهمية، مسألة لا تتعلق بها مصائر الالاف من الرجال

والنساء الأمريكيين فى الخدمة العسكرية فحسب، بل تتعلق بها هيبة الولايات المتحدة «مستقبل العالم الحر» فى الشرق الأوسط.. فيما يتعلق بمسألة كهذه ينبغى أن نكون على الأقل قادرين على القيام بها بشكل صحيح».

ورغم اتمام طباعة المذكرة، تركت مقر القيادة لأزور أحد مجمعات جنودنا. ولما عدت وجدت باول على التليفون «لقد اتخذ الرئيس قراره. فى الأسبوع المقبل سيأتى بيكر ليطلب من الملك فهد وحلفائنا الاتهرين الموافقة على عمليات هجومية. بعد ذلك سنطرح الفكرة فى الأمم المتحدة ونطلب توجيه انذار نهائى للعراق كى يترك الكويت. يجب أن تستعد لبناء القوة والدتهول فى الحرب».

سألت بعناية «ما حجم البناء الذى تعنيه؟».

- «سيكون بناء دراماتيكيا. ستحصل على كل ما طلبته وأزيد». وعدد لى نصف دزينة من الوحدات الرئيسية التى أفرزتها هيئة رئاسة الأركان المشتركة، وأوضح باول أن القرار يقضى بمضاعفة حجم قوة درع الصحراء تقريبا. ووعدنى ببحث التفاصيل لاحقا.

لم أكن لأصدق أنى سأشعر بالثقة يوما بأن أرى الولايات المتحدة تتحرك نحو الحرب، ولكنى الآن -رغم أنى بقيت أتمنى السلام- تنفست الصعداء لأن لدى مهمة واضحة. أتهطرت قوادى الكبار، وأرسلت مختلف ضباط المقر للتعجيل بوضع تهطة الهجوم وللتحضير لاستقبال السيل المقبل من القوات الإضافية، وصياغة الطلبات للوزير بيكر ليبحثها مع الملك فهد.

نزلت تلك الليلة إلى غرفة الحرب في الدور السفلى لأتلقى تقارير الاطلاع المسائية، فوجدت دين ستارلينج رئيس قسم الشئون اللوجستية، وبيل راى، جامع الفواتير من البنتاجون، واقفين تهارج الغرفة فى الرواق وهما مكشران فى ضحكة عريضة كقطط تشيشابر.

وقال ستارلنج «لدينا شىء لك». وسلمنى قصاصة ورق.

كان ذلك شيكا مسحوبا على مورجان جارانتى ترست لحساب «حكومة الولايات المتحدة» بمبلغ ٧٦٠مليون دولار. والشيك مذيل بتوقيع تهالد. وأشار راى «لقد التزم

السعوديون بكلمتهم».

فقلت لاهثا «ماذا سنفعل به؟»

كان ستارلنج وراى قد رتبا كل شىء، فقد صورا نسخة من الشيك للحفظ ثم أعطيا الشيك إلى مراسل هرع به إلى المطار، وطار على متن نفاثة تابعة للقيادة المركزية إلى باريس، وحول على متن كونكورد متجها إلى نيويورك فى الوقت المناسب لإيداع الشيك قبل إغلاق البنوك يوم الخميس، مما أتاح للخزينة الأمريكية أن تجنى فائدة على الإيداع خلال أيام عطلة الأسبوع.. وفى ارتياح كبير بقينا برهة ناظرين إلى صورة الشيك، متخيلين كم كنا نحن سنكسب لو احتفظنا بالنقود واستثمرناها مدة أسبوع قبل تحويلها إلى واشنطن.

بعد الاجتماع سألنى ب. ب . بيل: «سيدى، ماذا عن رسالتك إلى الجنرال باول؟» وهو يحمل مذكرتى اليائسة بالأوامر التى أمليتها عليه مطلع النهار. نظرت إلى المذكرة التى لم تعد ضرورية وقلت: «للحفظ». وتغير كل شىء فى ظروف بضع ساعات. احتفظت بالمذكرة كهدية للذكرى، ولأذكر نفسى بأن قادتنا لم يخذلونا قط، رغم أنهم لم يكونوا يستجيبون لطلباتنا بالسرعة أو الحزم اللازمين.

١١ نوفمبر ١٩٩٠ يوم ب + ٨٦

الساعة ١٤,٤٥، فى مخابرة قصيرة قال رئيس الأركان المشتركة للقائد العام إن الرئيس أكد عزمه على السفر إلى السعودية فى عيد الشكر. وسيصل إلى جدة يوم الحادى والعشرين ويذهب بعدها إلى الظهران يوم الثانى والعشرين، حيث يقضى النهار لتفقد القوات ثم يتناول أكثر من وجبة من وجبات عيد الشكر مع الجنود.

الساعة ١٩,١٥ فى عرض المستجدات المسائى، اطلع ق.ع على تفاصيل حادث عبرت فيه طائرة «ميج ٢٥» عراقية الحدود السعودية وتوغلت مسافة ٦ إلى ١٠ أميال. وردا على ذلك سدت طائراتنا عليها الطريق واستعدت لإطلاق النار، لكن الـ «ميج ٢٥» استدارت وعادت إلى أدراجها عبر الحدود. ق.ع ذكر ضابط العمليات أننا لا نريد إشعال الحرب بسبب طائرة واحدة، وأننا يجب أن نراجع قواعد الاشتباك بعناية.

٢ نوفمبر ١٩٩٠ يوم ب + ٨٧

الساعة ١٥,٣٠، ق.ع أخبر رئيس هيئة الأركان المشتركة أنه سيذهب إلى البحرين لتناول العشاء مع ولى العهد وأخذ قسط من الراحة.

وما إن جاء وزير الخارجية بيكر إلى المملكة العربية السعودية وطلب الإذن من الملك فهد بالمضى قدما، حتى أعلن الرئيس بوش عن زيارة جديدة للقوات. كان ذلك هو القرار الصعب الثانى الذى اتخذه الملك فهد فى الأزمة، ولكننا فى هذه المرة كنا متيقنين أكثر من النتيجة. لقد تجاوز صدام الحدود كلها فى خطاباته، فقد اتهم الملك فهد خادم الحرمين الشريفين بالمروق عن الإسلام وادعى أنه «أى صدام» سليل الرسول محمد «صلى الله عليه وسلم»، وتحول الاجماع العربى إلى القناعة بضرورة معاقبة العراق. فخلافا للاجتماع الأول فى أغسطس، كان العرض عرضا خاصا بوزارة الخارجية، وبقيت فى قصر الضيافة متخلفا عن الركب فيما دخل بيكر وتشارلز فريمان لمقابلة الملك.

وقال الملك فى هذا الاجتماع. من الافضل للجميع لو بقيت اسرائيل خارج الأمر، إذ لن تسمح القوات العربية لنفسها -أيا كانت الظروف- أن تظهر تحت مظلة الحليف الاسرائيلى.

وانتقل بيكر إلى مسألة النقود وقال: نحتاج إلى أن يحدد الملك فهد بالضبط مقدار ما ستدفعه المملكة العربية السعودية. كنت قد أخطرت الوزير عصر ذلك اليوم بأن السعوديين يزودوننا بالوقود والماء والنقل علاوة على السكن والطعام الطازج، وقلت له: «إذا كنا سنتقدم بطلب رسمى فيجب أن تدرج هذه الحاجات». فعل بيكر ذلك ووافق الملك فهد.

وفى يوم ٧ نوفمبر ١٩٩٠ تم تحديد منتصف فبراير ١٩٩١ كأفضل يوم للهجوم على العراق وتحرير الكويت، وكان ذلك بناء على توصية الاستخبارات.

الباب السادس

ما قبل الحرب مباشرة

لقد برد الجو فى نهاية أكتوبر ١٩٩٠، وكان الجنود يريدون العودة إلى أرض الوطن مع أعياد الميلاد، ولقد تم توفير جميع سبل الراحة والمعيشة والرعاية الطبية للجنود، ولكنهم كانوا قلقين، وكنت أطلب منهم أن يكونوا سعداء بوجبات الغذاء الساخن، وبالراحة المتوفرة بقدر المستطاع، مع شكرهم على التضحيات التى يقدمونها من أجل مصالح وطنهم.

ولم اتفاجأ بأن يواجه الوزير بيكر ببعض الجنود والجنديات النزقين والنزقات لدى وصوله إلى القاعدة الصحراوية لفرقة الفرسان الأولى يوم الرابع من نوفمبر. ألقى بيكر كلمة قصيرة، جاهدا لأن يشكر الجنود على التضحيات التى يقدمونها لبلادهم، ثم بدأ يصافح الضباط الواقفين فى مقدمة التشكيل. فجأة أخذ بعض الجنود الواقفين إلى الوراء يصيحون باستياء من قبيل «هل أشرب ماء حارا» مشيرين بذلك إلى قنان الماء التى كان يتعين أن يشربوها، ثم صاحوا فيما بعد: «كل الوجبات جاهزة». بعد ذلك لم أخذ بيكر يتجول بين الجنود، توجهت إليه جندية برتبة سرجنت وسألته على المكشوف «متى نعود إلى الوطن»؟

بعد أربعة أيام جاءها الجواب: لن نعود قريبا، فقد أصدر الرئيس بوش الأمر بزيادة القوات العسكرية الأمريكية فى الخليج، وكانت هذه الزيادة أضخم حتى مما وصفه لى باول. كنت قد طلبت فرقتين مدرعتين إضافيتين، فى حين قررت واشنطن إرسال ثلاث فرق، بالإضافة إلى لواء إضافى، وهذه الوحدات كلها مزودة بأحدث الدبابات قاطبة ،هى دبابة م ١ / ١. علاوة على ذلك تقرر أن تحصل القيادة المركزية على فرقة ثانية من مشاة البحرية، وسفينة حربية أخرى وثلاثمائة من طائرات القوة الجوية.. لقد قام الرئيس بزيادة قواتنا على البر إلى الضعف، ودباباتنا إلى ثلاثة أضعاف، أما قوتنا الجوية فزادت

بنسبة ٣٠ فى المائة، فيما تضاعفت قوتنا البحرية.. كل ذلك لضمان ما أسماه «كفاية الخيار العسكرى الهجومى».

وصلت الأنباء إلى الجنود فى الصحراء متزامنة مع إعلان وزير الدفاع تشينى أنه لن تتم مناوبة أحد خلال هذه المدة فى البدء أثار ذلك فزع البعض، إلا أنه على الأقل أزال حالة الغموض، وأدرك الجنود: «طيب، هكذا الأمر إذن.. لن نعود إلى الوطن فى عيد الميلاد». وأخذ القادة وحداتهم إلى الصحراء للتدرب على الهجوم وساد شعور بالتصميم. كنت أسمع أقوالا مثل: حسنا، لنبدأ تنفيذ هذا الأمر ويطرد العراقيون، ونعود إلى بلادنا حتى لا نبقى هنا مضطرين إلى عيد الميلاد اللاحق.

١١ نوفمبر – يوم ب + ٩٦:

الساعة ١٧,٤٥ محادثة هادئة من رئيس هيئة الأركان المشتركة. ق.ع بحث زيارة وفد بقيادة رجل الجونجرس مورثا، وأشار إلى أنها ناجحة جدا.

فالوفد أكد للقائد العام ضرورة أن يعلن الكونجرس الحرب. ق.ع قال إن الشئون السياسية ليست من مجال اختصاصه، وأن خشيته الأكبر هى أن يؤدى إعلان الحرب قبل الأوان إلى تنبيه العدو، وقال إن إعلان الحرب فى الساعة ١٤,٥٥ وشنها فى الساعة ١٥,٠٠ معقول، أما إعلان الحرب قبل ٤ أسابيع من البدء بها فغير معقول. وقال ق. ع إن الوفد فوجىء بتعليقه هذا. ومن وجهة نظر ق.ع فإن الوفد عاد بعد أن تمت الإجابة على أسئلته، وأن مخالب الوفد قد نزعت.

وصل الرئيس بوش لقضاء فترة عيد الشكر مع القوات، وقد رحبوا به بحماس هائل واستقبله الملك فهد عصر يوم الأربعاء فى مطار جدة، وبدأت الزيارة بمأدبة عشاء رسمية. وأمضينا عيد الشكر نتنقل فى شرقى العربية السعودية، وفى زيارات خاصة للجيش والبحرية والقوة الجوية ومشاة البحرية.

وفى الطريق من جدة إلى محطة التوقف الأولى فى القاعدة الجوية بالظهران، جلس الرئيس إلى طاولة العمل فى طائرة القيادة رقم واحد وراح يستجوبنى عن كثب حول شركائنا فى التحالف، وسلامة السفارة الأمريكية فى مدينة الكويت، وغير ذلك من المواضيع. ويبذل قصارى جهده كى يجعلنى أشعر وكأننى فى بيتى. وشعرت بقليل من

الرهبة لأن أجد نفسى وحدى مع رئيس الولايات المتحدة وحده. أصغى بانتباه لما أوضحت له خطة معركة الحملة البرية. بعد لحظة نظر إلى وسأل بدقة: كيف يمكن خوض أقصر حرب برية فى تصورك؟

قلت له: إن هناك العديد من العوامل المتغيرة غير المعلومة، ولذلك لاأستطيع أن أقدم لك جوابا واحدا. إلا أنه أصر: «قدم لى سيناريو أفضل حالة، وسيناريو أسوأ حالة».

– «الحالة الأفضل تستغرق حوالى ثلاثة أيام، وهذا يفترض أن العراقيين سينكفئون بسرعة ويستسلمون جماعيا. أما الحالة الأسوأ فهى وضع نخوض فيه معركة عسيرة أشبه بالمأزق، وقد يستغرق ذلك عدة أشهر».

«ألا يوجد سيناريو ثالث بين بين؟».

ولما كان هذا السؤال موجها لى من الرئيس، فقد شعرت أن الواجب يلزمنى بالإجابة إذا استطعت، مع ذلك كنت أخشى أن يأخذ إجابتى على أنها تعهد. اخترت إجابة حذرة: «أستطيع أن أتصور حملة تستغرق من ٣ إلى ٤ أسابيع، نواجه فيها مقاومة ضارية، ولكن نستطيع فيها تحقيق كل اهدافنا وتحطيم الحرس الجمهورى».

وقال مستغرقا فى التأمل: «ثلاثة أسابيع».

أكدت له: «هذا مجرد تخمين» بعد أن رأيته يتمسك بالرقم، مما جعلنى أتوتر. حطت الطائرة فى الظهران حيث كان حشد من جنود وضباط القوات الجوية الأمريكية والبريطانية والسعودية والكويتية يحيط بمقطورة منصة نصبت أمام ثلاث طائرات حربية وارتفعت فوقها رايات حمر وبيض وزرق. تولى الكولونيل جون ماكبروم أحد قادة أسراب القوة الجوية الأمريكية تقديم الرئيس الذى قام ببادرة كبيرة باصطحاب جورج ميتشيل، زعيم الأغلبية فى مجلس الشيوخ، وتم فولى المتحدث باسم مجلس النواب، إلى المنصة معه وقع بوش العديد من الاوتوجرافات وصافح مئات الأيدى.

وأعين الرئيس على العودة إلى الهليكوبتر. ولكن ما إن صار على متن الطائرة حتى سلمه جون سنونو بريده اليومى الذى يتضمن تقارير تقول: إن الكونجرس قد يعقد جلسة خاصة لمناقشة عملية «درع الصحراء»، إضافة إلى تقارير عن نتائج آخر استطلاعات الرأى التى تبين أن مستوى شعبيته منخفض طول الوقت.. عندئذ شعر

الرئيس بخيبة أمل.

واشتكى قائلا: «حقا لا أفهم كيف يمكن لأى إنسان أن يعارض الموقف الذى اتخذناه»

ورفع أوراق الخلاصات الاخبارية مشيرا إلى موجز يلخص مقابلات أجراها مع صدام حسين مراسلون من التليفزيون الأمريكى «انظر إلى هذا.. هل تستطيع أن تتخيل أحدا يجرى مقابلة مع هتلر فى الحرب العالمية الثانية كما نجرى نحن مقابلات مع صدام؟» وشبه بوش الغزو العراقى للكويت بغزو ألمانيا النازية لتشيكوسلوفاكيا. وشعرت بالتوتر لما أضاف: «إذا استطعنا أن نطرد العراقيين فى ظرف ٣ أو ٤ أسابيع، فإن كل هؤلاء النقاد سيغيرون رأيهم فورا». ثم واصل الرئيس متحدثا مع نفسه ومع الاخرين الموجودين فى الطائرة، أنه لن يدع نتائج استطلاع الرأى العام تخيفه لن يدع الكونجرس يخيفه. كان يعرف أنه لا يحتاج- طبقا للدستور- إلى موافقة الكونجرس لكى يمضى فى قراره، وكان مقتنعا فى أعماق فكره أن الولايات المتحدة تنتهج مسارا أخلاقيا. وكان موقنا بأن العالم المتمدين سيقف إلى جانب ذلك.

هبطنا فى موضع متوغل فى الصحراء حيث تحتشد قوات الفيلق الثامن عشر المحمول، وألقى الرئيس كلمة قصيرة أخرى وسط تهليل الجنود. وفى النهاية أهداهم طقما من حدوات الحصان وتحدى أبطالهم لمباراة فى حدائق البيت الأبيض بعد عودتهم للوطن. أحب الجنود هذه البادرة. ووقفنا فى طابور الطعام لأخذ قطع من لحم الديك الرومى مع البطاطا المهروسة، ووقف الرئيس معنا فى الطابور مازحا مع الجنود، وانتشر الجمع الرئاسى لتناول الطعام معهم على موائد خشبية، وجلوسا على أكياس الرمل تحت الشمس. كانت المعنويات عالية رغم حرارة الجو.

أعقبت ذلك مراسيم صلاة عيد الشكر فى موقع اخر يبعد ٧٥ ميلا، على متن حاملة طائرات الهليكوبتر الأمريكية ناسا، التى جرى وضعها- احتراما للمشاعر السعودية- خارج المياه الإقليمية للمملكة، واحتشد البحارة حول الرئيس والسيدة عقيلته فيما بعد، وظلوا هناك مشغولين بمصافحة الأيدى بحيث اضطروا لتجاوز جولة فى السفينة نظمتها البحرية لهم.

وما إن ركب الرئيس الطائرة الهليكوبتر حتى سلمه سنونو برقية تحمل نبأ استقالة رئيسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر. شعر الرئيس بوقع الصدمة فتاتشر هى أوثق صديق وأقوى حليف له من بين سائر رؤساء الدول فى العالم، وقد ساعدته بأقصى ما يمكن فى الأيام الأولى من أزمة الخليج. وقام الرئيس بترتيب أمر الاتصال بها تليفونيا فى أقرب فرصة ممكنة، ثم راح يسأل موظفيه عن خليفتها جون ميجور.

الموقع المتقدم لفيلق مشاة البحرية كان أخر المحطات، وهو يقع على مبعدة ٦٥ ميلا من حدود الكويت المحتلة. وكان التحشيد العسكرى يضم مشاة البحرية الأمريكية وجنودا من الفرقة المدرعة الأولى البريطانية المعروفة باسم «جرذان الصحراء». وقف الرئيس على جانب تل وألقى أشد خطبة له فى ذلك اليوم «لسنا هنا للعب. ولسنا هنا للقيام ببعض التمارين. لن نغادر حتى يخرج الغازى من الكويت»، وأضاف وسط تهليل الجنود. «وهنا بالضبط يأتى دوركم».

غرق الرئيس فى النوم أثناء رحلة العودة إلى الظهران، وكنت أنا أيضا مرهقا لمجرد مراقبتى اياه وهو يشق طريقه بين كبار الناس وصغارهم، كما شعرت بالأثر العاطفى الذى تركته زيارته على جنودى، فلم يكن فى الحشد ذلك اليوم جمهوريون أو ديمقراطيون بل أمريكيون وحسب، أمريكيون فى مقتبل العمر أو منتصفه، مغتبطين برؤية رئيسهم. وشعر بذلك هو أيضا، وقد التفت فى أحد اللحظات إلى سنونو قائلا «أين فولى وميتشيل؟ آمل أن يريا حماسة الجنود».

كانت زيارة الرئيس دعما كبيرا لنا، إلا أن ما أمد الجنود والجنديات بأسباب الصمود فى عملية درع الصحراء فيما الحرب تقترب، هو التأييد الساحق داخل الوطن. ففى أواخر نوفمبر، ومع بدء فترة الأعياد، تدفق علينا البريد فى المملكة العربية السعودية بمعدل ٣٠٠ طن يوميا. وحمل لنا هذا البريد ليس فقط الرسائل والرزم من العائلات والاصدقاء، بل أيضا مئات الالاف من الرسائل الموجهة، لا على التعيين بل إلى «أى جندى». رسائل وهدايا وبسكويت من أشخاص، ومدارس، واتحادات عمالية، وشركات، وكنائس، ومجموعات حقوق مدنية، ومن دور العجزة. كانت أغلب الرسائل واردة من أمريكيين يساندون عملية درع الصحراء، وهى تحمل عبارات من قبل: رعاكم الله فى قتالكم من أجل الحرية وحماية مصلحتنا القومية. ولكن بعض الرسائل

أيضا جاءت مـن أناس يرون أن لا مصلحة للولايـات المتحدة بارسـال القـوات، وكانت هذه الـرسـائل تقول مثـلا: «لا أتفق مع قرار إرسـالكم إلى هنـاك، ولكن لا تقلقوا بشـأن موقفى، فأنا معكم ما دمتم فى الميدان. شكرا للتضحية التى تقدمونها لبلادكم».

لقد تغير أمر جوهرى منذ فيتنام، حين جندنـا الشباب الأمريكى وأمرناه بالقتال ثم ألقينا ذنب الحرب عليه لما عاد إلى الوطن. لقد نضجنا كأمة نضجا كافيا لفصل السجال السياسى عن الاهتمام بسلامة الرجال والنساء الذين أرسلوا لخوض الحرب.

إن سائر الجنرالات فى عملية «درع الصحراء» تقـريبا سبق لهم أن قاتلوا فى فيتنام، وكنا نتذكر جميعا كيف شعـرنا بأن أبناء بلدنا قد أحاطونـا بالخذلان، لذلك فإن البريد الذى تـدفق على السعودية كـان بالنسبـة لى وبالنسبة إلى غيرى من قـدامى المقاتلين فى فيتنام، يتسـم بقيمة كبيرة يصعب التعبير عنهـا بالكلمات وهنـاك رسالـة معينة ذات دلالة بهذا الخصوص، وهى من أختى روث. لم استطـع من قبل التغلب على معارضتها العنيفة للحرب الفيتنامية، ولم نكن قد التقينا أو تحدثنا مع بعض كثيرا منذ جنازة أمى قبل ١٥ عاما، كانت رسالتها تنتهى بـالعبارة التالية «الرجاء أن تغفر لى لأننى لم أكتب لك شيئا خلال كل تلك السنوات فى فيتنام»، قـرأتها وأنا جالس إلى طاولة مكتبى بمبنى وزارة الدفاع، فانفجرت الدموع من عينى.

ما إن عرفنا بأن الوحدات اللازمـة ستأتينا، حتى صغنا بسرعة ملامح خطة الحرب البرية. وفى يوم الرابع عشر من نوفمبر، أى بعد أقل من أسبوع على إعلان الرئيس بوش عن زيـارة القـوات الأمريكيـة فى الخليج، دعـوت كبـار الضباط العـاملين بإمـرتى إلى الظهران لتبيان الطريقة التى سنهـزم بها العراق. كنت أعرف أن هذا هو أهم اجتماع فى هذه الحرب، وأن هؤلاء هم الرجال الذيـن سيضطلعون بتنفيذ الخطة فى المعركة. وقفت أمام خارطـة كبيرة عرضها ١٥ قدمـا للكويت والعراق فى «خان الصحـراء» وهى بناية مقـوضة حـولها الجيش إلى قاعـة طعام.. نظـرات مراقبـا الضباط فيما هم يتخـذون مقاعدهم. كان أغلب الجنرالات الحاضريـن، وعددهم اثنان وعشرون برتبة نجمتين أو ثـلاث نجـوم، قـد لعب الكثير منهم أدوارا هـامـة فى عمليـة «درع الخليج» ومن بينهم ضباطى المباشرون، هورنر يوسوك، بـومر، ماوتز، جارى لاك قائد الفيلق الثامن عشر المحمول، وقادة الفرق عند ماكفرى، بيى، وجيم جونسـون، وجون هـ. تيليلى جونيور،

قائد فرقة الفرسان الأولى. واصطحب بومر معه الجنرالات مايك ميات ورويال مور، وهما على التوالى قائد فرقة مشاة البحرية الأولى وقائد الجناح الجوى الثالث التابع لمشاة البحرية. وكان القادمون الجدد هم قادة الوحدات الرئيسية المقاتلة، التى أضيفت إلى قوات «درع الجزيرة». أما الليوتاننت جنرال فريد فرانكس، قائد الفيلق البرى السابع، فقد جاء بالطائرة من مقره فى شتوتجارت بألمانيا، مصطحبا معه الميجور جنرال رونالد جريفيتوبول وقائدى الفرقتين الأولى والثالثة على التوالى. وجاءنا أيضا الميجور جنرال توم رهام، قائد فرقة المشاة الأولى المعروفة بالفرقة الحمراء الكبيرة، من معسكر فورت ريلى بولاية كنساس، لحضور الاجتماع، كما كان الميجور جنرال باجونيس حاضرا بالطبع. ووقف الكولونيل بيل فى ركن القاعة مع جهاز التسجيل. وإذ رحت انظر إلى وجوههم أحسست أنه ما من قائد ميدانى فى كل التاريخ حظى ببركة هذا الطيف الواسع من المواهب.

كنت قد هيأت نفسى لملاقاة وضع عصيب. فهناك قلة قليلة من القادة لديها فكرة عن الخطة التى كنت بصدد عرضها، أو عن المهمات الصعبة التى كنت بصدد توزيعها عليهم، كنت بحاجة إلى أن يستوعب كل رجل فى القاعة مهمته وأن يتحمس إلى حد أن ينفث النار حين يخرج من الباب.. بدأت بالتأكيد على ضرورة الحفاظ على سرية ما نحن بصدد بحثه.. ووصفت كيف أن صحيفة من واشنطن سربت أخبارا عن تدريبات إنزال برمائى فى الخليج، مما دفع العراق إلى تحميل إحدى قاذفاته بصواريخ سيلكوورم المضادة للسفن: «ستتعرضون لوابل من الأسئلة من جانب الصحافة. ولا أريدكم أن تذكروا العمليات الحربية. ولا أريدكم أن تتناولوا قدراتنا العسكرية. ويجب أن تعلموا كل واحد من ضباطكم أن يقوم بالشىء نفسه. ولا يهمنى ما يقول، ولكنى أهتم إذا شغف أحد الضباط بالصحافة وراح يطلق للسانه العنان، لأننى - وأقول - لكم سأتعامل بقسوة، بقسوة مطلقة، مع أى شخص أشعر أنه مصدر خطر على سرية المعلومات». كنت شديد الفظاظة، ولكنى كنت مقتنعا أيضا أن مراسلى صحفنا وتليفزيوناتنا قد أصبحوا أفضل مصدر للمخابرات العسكرية العراقية. وكان يتوجب قطع دابر كل مصادر التسرب الأخرى.

وتذكرت الصراع المرير الذى خاضته القيادة المركزية لحمل واشنطن على الاقرار

بأن طرد العراق من الكويت يتطلب المزيد مـن القوات. أما الآن فإن الفيلق السابع معنا، لـذلك قلت «إن الأوامـر المدونة من واشنطـن لاتزال تنص على ردع العـراق لمنعـه عن مهاجمة العـربية السعـودية، ولكن لاريب أننا نتخـذ التحضيرات لكى نكون جـاهزين للهجوم، وهذا هو ما نحن بصدد الحديث عنه اليوم. انسوا الهراء الدفاعى، إننا نتحدث الان عن الهجوم. وسنظل نتحدث عن الهجوم من الآن حتى عودتنا إلى الوطن».

ودرت بهم فى ثنايا تحليلى لوضـع القوات العراقيـة ووضع قواتنا، مشيرا باقتضاب إلى ما يـواجهنا: «هنـاك عـدد هائل من القـوات العراقيـة -٤٥٠ ألفـا - الآن فى مسرح العمليـات الكـويتى، وهذا يعـادل ٢٦ فرقـة، وحجم الفـرقة العـراقيـة بحجم الفرقـة الأمريكية، لذا فإن الكثرة العددية لصالحهم. وهناك نقطة أخرى هى السلاح الكيماوى. لقـد استخدمـوه فى الماضى، وليس ثمة ريب فى رأيى فى أنهم سيستخـدمونـه ضدنـا. وبينت مكامن ضعف العـراق، وذكرت القـادة بنقاط قوتنـا العسكريـة. أخيرا عرضت الأهداف الميدانية للقتال.

«أول شىء يتوجب علينا القيام به هـو -وأنا أكره استخدام هذه الكلمة- قطع رأس القيادة، لذلك أظن أنى سـأستخدم كلمة «الهجوم» على القيادة، وأن نـلاحق منظومات القيادة والسيطرة التابعة له. ثانيا، يجب أن نفـوز بالتفوق الجوى ونحافظ عليه. ثالثا، نحتـاج إلى قطع خطـوط امـداداتـه كليـا، كما نحتـاج إلى تـدمير منشـآتـه الكيماويـة والبيولوجيـة والنووية. وأخيرا اصغوا لى أنتم يـا أصحاب الدبابـات، نحتاج إلى تدمير، وأعنى تدميرا وليس مهاجمة أو ضربا أو تطـويقا، بل تدمير الحرس الجمهورى. وحين تفرغون من ذلك لا أريد أن أرى وحدة من الحرس الجمهورى قادرة على القتال بعد. لا أريد أن يكونوا موجودين كتشكيل عسكـرى. وأكدتحديثى لـ قدامى المقاتلين فى فيتنام - أى عمليا كل الحاضرين فى القاعـة - قائلا «لن ندخل هذه المعمعة وواحـدة من أيدينا مقيدة إلى ظهورنا. لن نقول إننا نريد أن نكون لطفاء على أحسن ما يكون اللطف، وأنهم إذا انسحبوا عبر الحدود فلا بأس. هذا هـراء، يجب أن ندمر الحرس الجمهورى»، وإذا ما صـدرت الأوامر ببـدء الهجوم فإنها ستكـون مشفوعـة بإعطائنـا كامـل الحرية فى استخدام كل قدرتنا العسكرية وعبور الحدود داخل العراق».

«سأخبركم الآن ببعض الأمـور التى لا يعرفهـا الكثيرون من النـاس، وبخاصـة فى

واشنطن». ثم رحت أصف المراحل الأربع للهجوم والتى وضعناها لعملية «عاصفة الصحراء»: القصف الاستراتيجى أولا، بسط السيطرة على الأجواء الكويتية، ثم قصف مواقع المدفعية، وخطوط الاستحكامات والقوات، وأخيرا الهجوم البرى. ثم انتقلت إلى خطة الهجوم البرى – وهى نسخة كاملة التجسيد من خطة الالتفاف والتطويق التى عرضتها على باول قبل ثلاثة أسابيع – واستخدمت الخارطة لأبين للقادة الموضع الذى أريدهم أن يقوموا بالمناورة بوحداتهم فيه. كانت الخطة تغطى مساحة واسعة، ولكى نضمن أن نقوم بالقتال فى الحملة حسب شروطنا، فقد وسعنا حدود ميدان المعركة إلى الغرب، بحيث صار المربع الذى يضمها يساوى مساحة ولاية بنسلفانيا تقريبا، وكانت قوات صدام متمركزة فى الطرف الشرقى داخل الكويت وحوله.

وستتولى قوات «درع الصحراء» مهمة منع القوات العراقية من التحرك جنوبا، أما إلى الشرق من هذه القوات فهناك عائق طبيعى هو الخليج، وإلى الشمال، فهناك نهر الفرات الذى سيتحول إلى عائق طبيعى ما إن تدمر قوات تشاك هورنر الجوية الجسور المقامة عليه، أما إلى الغرب فهناك مئات الأميال من الصحراء التى ستكون ممرنا الأساسى للهجوم.

وقلت إننى انتظر هجوما بريا رباعى الرؤوس. ويجب على مشاة البحرية الأمريكية وقوة المهمات السعودية أن تندفع إلى داخل الكويت بهدف تقييد قوات صدام وتطويق مدينة الكويت آخر المطاف. وأومأت باتجاه بومر قائلا: سأترك الأمر إلى والت بومر كى يحدد بأية طريقة يريد أن يتحقق ذلك، كما أن الأمر متروك له فى أن يختار الدخول من جهة البحر بقوات الإنزال البرمائى.

وكنت قد خصصت ممرا ثانيا فى الجزء الغربى من الكويت لشن هجوم مواز تقوم به القوات العربية بقيادة فرقتين مدرعتين من مصر وفرقة أخرى سعودية، وسيكون هدف هذه القوة هو احتلال مفترق الطرق الواقع شمال غرب مدينة الكويت، والقيام بالمهمة الصعبة بمقاتلة العراقيين من بيت لبيت إذا دعت الضرورة.

فى هذه الأثناء، تأتى ضربة الجيش الأمريكى القوية من جهة الغرب. نظرت إلى «جارى لاك» وأشرت إلى قطاع من الحدود السعودية – العراقية بعمق أكثر من ٣٥٠

ميلا داخل العراق، وقلت «قد أرسل الفيلق الثامن عشر المحمول فى العمق العراقى»، وبينت كيف أريد من فرق لاك أن تسرع شمال تلك الرقعة الحدودية نحو نهر الفرات، لتسد على الحرس الجمهورى آخر طرق الانسحاب، وحتى نضمن السيطرة على هذا القطاع – قلت له: إن عليه الانعطاف بقواته شرقا، استعدادا للمشاركة فى الهجوم على الجسم الرئيسى للجيش العراقى. أخيرا توجهت إلى فريد فرانكس بالقول: «أظن أن من الواضح جدا ما ستكون عليه مهمتك»، ومررت بيدى على الممر الصحراوى غرب الكويت. «عليك أن تهاجم عبر هذا الممر وتدمر الحرس الجمهورى». كنت أريد أن أشل الحرس الجمهورى فى مواقعه وظهره إلى البحر، وأن نقتحم ونسحقهم عن بكرة أبيهم، ولم استطع منع نفسى من القول على سبيل الإضافة: «ما إن تجهز عليهم، حتى يتوجب أن تستعد لمواصلة الهجوم باتجاه بغداد، لأنه لن تكون هناك قوات أخرى فى الطريق تقف بوجهك»، وأشرت إلى أن الاستيلاء على بغداد قد لا يكون ضروريا لأن الحرب تكون قد انتهت عند ذلك الحد.

تكهرب الجو، ولما انفض الاجتماع وذهبنا لتناول القهوة، هرع القادة جميعا متجمهرين على الخارطة. لقد أسندت إلى بى وماكفرى مهمتين صعبتين على الجناح البعيد، وقال لى أحدهما: «هل تعرف سيدى، كنا نظن أننا مانزال متمسكين باستخدام تلك الخطة الهزيلة باقتحام الكويت مباشرة، أما هذه الخطة فإنها مذهلة». أما والت بومر الذى كان على مشاة البحرية التابعين له القيام بذلك الاقتحام ليترك لقوات الجيوش البرية حرية المناورة على الجناح، فقد رضى بمهمته لمجرد أنه كان يجب تنفيذها. الاعتراض الوحيد جاء من فريدى فرانكس: «تبدو الخطة جيدة. ولكنى لا أتمتع بقوات كافية لإنجاز مهمتى»، وجادلنى مطالبا بأن أعطيه فرقة الفرسان الأولى التى كنت احتفظ بها كاحتياطى. فقلت له إننى سأدرس طلبه فى الوقت المناسب.

ولما عدنا إلى الاجتماع قلت لهم أن يتوقعوا «يوم البداية» فى منتصف فبراير، فأدى ذلك على الفور إلى شد انتباه الجميع إلى مهمتين لوجستيتين ضخمتين تشكلان تحديا: الأولى أن جلّ دروعنا لايزال فى ألمانيا والولايات المتحدة، ويتعين علينا أن ننقل حوالى ٣ فرق إلى الخليج، وأن نفسح المجال أمام الجنود للتأقلم، لننقلهم بعد ذلك مع معداتهم مسافة مئات الأميال شمال السعودية. والثانية هى قرارى بإرجاء التمركز فى المواضع

المطلوبة لشن الهجوم على الجناح ريثما تبدأ الحملة الجوية. لم أكن أريد أن يعرف العراقيون بخطة المعركة، فلو عرفوا لاستطاعوا نقل دفاعاتهم. وكنت أدرك تماما أنه ما إن تتمكن قوتنا الجوية من وقف تحليقات الاستطلاع الجوى العراقية فإن العراقيين سيصابون بالعمي، وحتى لو حذروا الخطة أخيرا، فإن القوة الجوية ستمنعهم من تحويل قوات كافية لصد هجومنا على الجناح. لذا كنت أصر على أن تبقى فيالق فرانكس ولوك فى مناطق تجمع قرب الكويت، ووعدتهما «سيؤذن لكما بالتحرك حالما نبدأ حملتنا الجوية. كونا على ثقة من أننى سأعطيكما جميعا الوقت الكافى». هدأ ذلك من روعهما بعض الشىء، إلا أننا كنا جميعا ندرك أن نقل فيلقين بكامل المعدات والذخائر مسافة ٢٠٠ ميل أو أكثر عبر الصحراء هو عمل عملاق. وقلت لهما «سأتولى الإشراف على تدريبكم أيها الرجال بلا شفقة من الان وحتى «يوم البداية»، لابد أن أكون متيقنا من أنكم متهيئين لوجستيا».

بعد جلسة السؤال والجواب، حاولت أن أحدد التوجه للأشهر القادمة: «دعونى أغرس فى أذهانكم فكرة واحدة أيها الرجال. لكى ننجح فى خطتنا هذه – لأن العدو يفوقنا عددا – فلابد من أن تتوفر لدى كل القادة هناك – واغفروا لى لأنى لم أجد تعبيرا أفضل – غريزة القتال»، وأشرت إلى الخارطة مرة ثانية: «قصدى من هذا القول إنه حين يجتاز رجال مشاة البحرية هذا الشريط الواقع هنا، وحين تجتاز قوات الجيش البرية الشريط الواقع هناك، فلن يكون هناك شىء من هذا الهراء.. أظن أننا بحاجة إلى قادة يقفون فى الطليعة ويفهمون بصورة واضحة وجازمة أنهم سوف يشقون طريقهم قدما. وأنهم سيتوجهون إلى هناك لتدمير الحرس الجمهورى. لا أريد قادة لا يفهمون أن الأمر هو الهجوم.. الهجوم وتدمير كل عثرة فى الطريق».

«إذا كان بينكم من لايستوعب ذلك، فإننى أوصيكم بقوة أن تزيحوه عن موقع القيادة وتضعوا محله من هو قادر على تنفيذ هذه المهمة. والسبب – دعونا نتكاشف – هو أن هيبة القوات المسلحة الأمريكية تقع على كاهلنا، والأهم من ذلك أن هيبة الولايات المتحدة الأمريكية كلها على كواهلنا، ولن يتحمل أحد هذا الوزر غيرنا نحن. فليست هناك قوات إضافية، وما جاءنا منها هو ما سيقوم بالمهمة. ولأجل بلادنا لن نجرؤ على الفشل، لا يمكن أن نفشل، وسوف لا نفشل. إذا كان هناك بين الحاضرين من لا

يستوعب ذلك، فليغرب ويتنحى عن الطريق. هل من أسئلة؟ حسنا، حظا طيبا.. تعرفون ما ينبغى عمله».

كنت لا أزال محلقا على جناح البهجة من مؤتمر القادة، عندما ذهبت لإطلاع خالد بعد يومين من ذلك، وصدم فى البدء من مدى عمق غزونا المزمع للعراق، إلا أنه سرعان ما تقبل الخطة بحماس. ولم أترك ذلك للصدفة، كنت قد سمعته يتحدث مرارا عن رغبته فى أن تقوم القوات السعودية بتحرير الكويت، ولذلك نصت الخطة على أن تشارك قواته فى اتجاهين من الهجوم داخل إمارة الكويت.

وسيقاتل لواءان سعوديان مدرعان إلى جانب المصريين والسوريين فى الاندفاعة الغربية، ويقوم لواءان سعوديان أخران بالهجوم من الشرق، على طول الطريق العام الساحلى وصولا إلى مدينة الكويت، بموازاة مشاة البحرية بإمرة بومر. وعبر خالد عن خشيته من العوائق الحدودية التى أقامها العراقيون: سدود رملية عالية، حقول ألغام، سياجات، أسلاك شائكة، وغير ذلك من العقبات. ووعدته بإرسال مستشارين سيعلمون السعوديين التكتيكات اللازمة لاختراق خطوط العدو، إضافة إلى حفارة مدرعة وكاسحات ألغام، وغيرها من معدات اختراق الموانع.

والان التفت إلى المهمة الشائكة، وهى كسب دعم شركائنا فى التحالف، فرغم أن الولايات المتحدة قدمت ثلثى القوات البرية لعملية «عاصفة الصحراء»، فإن نجاح الخطة يتطلب كامل القدرة القتالية لمجمل أطراف التحالف. ولما أعلن العراق يوم ١٩ نوفمبر أنه سيزيد قواته بـ ٢٥٠ ألف جندى إضافى «كإجراء دفاعى فى جنوب العراق، فى محافظتى البصرة والكويت» شعرت بضرورة أكبر بمشاركة الكل فى العملية. وإذا ما واصل صدام زيادة حشوده العسكرية، فإن قواته قد تناهز ٦٨٠ ألف جندى. ارتاب ضباط المخابرات عندى بهذا الإعلان الصادر عن صدام، إلا أننا سرعان ما التقطنا حركة بناء عسكرى محموم على طول الحدود الكويتية، حيث راح العراقيون يعززون الدفاعات القائمة بالأصل، وتدفقت أيضا قوات عراقية إضافية، رغم أنها كانت أقل مما أعلن عنه: وصل حجم القوات العراقية إلى ٥٤٥ ألفا.

بعد عيد الشكر توجهت إلى البريطانيين وعرضت خطتنا للمعركة على الليوتانتت جنرال السير بيتر دى لابيلير، القائد العام للقوات البريطانية فى الخليج. إن السير بيتر عسكرى أسطورى ومحب للمغامرات وقد كان قائد قوات العمليات الجوية الخاصة وأكثر ضباط القوات المسلحة البريطانية تكريما بالأنواط والنياشين، ولم يكن من باب المصادفة أن يكون أول من أزوره، فبريطانيا العظمى هى أوثق حليف غربى لنا فى هذه الأزمة، كما أن عرى الصداقة توطدت بيننا. كنت أثق بعقله وحصافته إلى حد أننى كنت أطلب مشورته حتى فى أدق المسائل العسكرية وأشدها حساسية.

كنت أريد من فرقة دى لا بيلير -وهى الفرقة المدرعة الأولى، التى وصلت حديثا، والمعروفة باسم «جرذان الصحراء»- أن تهاجم مع والت بومر فى عمق الكويت. أومأ برأسه موافقا عندما عرضت عليه تفاصيل خطة الهجوم، إلا أنه لاحظ فى الختام بهدوء أن الناخبين البريطانيين سوف يحتجون لدى رؤية أولادهم منحدرين إلى مرتبة ثانوية هى المشاركة فى هجوم ثانوى للدعم، وسأل إن كان بوسعى أن أعيد توزيع المهمات لكى تشارك الفرقة البريطانية مع الفيلق السابع فى الهجوم الرئيسى؟ وكما قلت لباول فيما بعد: كيف لى أن أرفض طلبا رقيقا من حليف وثيق، رغم أن دوافعه سياسية صرفة لا عسكرية. لذلك أجرينا التعديل. ورغم اعتراضات بومر الشديدة، فقد كان معجبا بأداء جرذان الصحراء، وحرص على الاحتفاظ بالقدرة النارية لدبابات هذه الفرقة. تعويضا له عن ذلك، نسبت إليه لواء «فراء النمور» من الفرقة المدرعة الثانية فى ألمانيا، إضافة إلى دعم جوى مساند لهجومه.

كما أرسلت الحكومة البريطانية طلبا رسميا مباشرا إلى وزير الدفاع تشينى يرغبون فيه فى الحصول على تحديد واضح للأهداف الاستراتيجية والسياسية لحرب التحالف. ولما أبلغنى وزير الدفاع البريطانى توم كنج بهذا الطلب خلال زيارة له للقيادة المركزية، تكهنت أن ذلك قد يثير بعض الذعر فى واشنطن، لذلك أوعزت إلى جرانت شارب – وهو رئيس قسم الخطط والسياسة – بالأمر التالى: «ضع مسودة توجيهات استراتيجية نستطيع أن نتقدم بها كتوصية للجنرال باول إذا ما طلب ذلك».

وكما هو معلوم، اتصل باول بعد أسبوع من ذلك طالبا توصيات القيادة المركزية، فسلمه شارب تقريرى المؤلف من ثلاث صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة. ويحتوى

التقرير على نص رائع من نصوص التوجيهات الاستراتيجية، وأعجوبة صغيرة، فلقد فصله على نموذج الأمر التاريخى للحلفاء إلى دوايت إيزنهاور فى فبراير ١٩٤٤، محددين «يوم البدء»، ومما جاء فى النص الذى وضعه شارب:

مسودة توجيهات استراتيجية مقترحة إلى القائد المشارك:

(١) المهمة. القيام بالعمليات سعيا إلى الانسحاب الكامل للقوات العراقية من الكويت طبقا لبنود قرارات الأمم المتحدة ولقرارات العقوبات. والقيام – عند الضرورة والأمر بذلك – بعمليات عسكرية لتدمير القوات المسلحة العراقية، وتحرير الكويت وضمان أمنها بما يسمح باستعادة حكومتها الشرعية، وبذل كل جهد معقول لإجلاء الرعايا الأجانب المحتجزين ضد إرادتهم فى العراق والكويت، وتعزيز الأمن والاستقرار فى منطقة الخليج العربى / الفارسى.

(٢) التخويل: لدى الأمر بذلك، فأنتم مخولون بالقيام بالعمليات الجوية فى العراق كله، وبالعمليات البرية والبحرية داخل الأراضى والمياه الإقليمية العربية، بما هو ضرورى لتحرير الكويت وضمان أمنها، وتدمير القوات العراقية التى تهدد أرض الكويت وغيرها من دول التحالف. ويجب أن تستعد القوات لبدء عمليات الهجوم فى موعد لا يتجاوز فبراير ١٩٩١. وأنتم مخولون، فى أى وقت، باستثمار الانسحاب الكلى أو الجزئى للقوات المسلحة العراقية من الكويت بإدخال القوات العاملة تحت إمرتكم لضمان سيادة أرض الكويت ومياهها، والدفاع عنها ضد أى عدوان جديد، والسماح باستعادة الحكومة الشرعية فى الكويت.

* صلاحية مشروطة لتنفيذ العمليات لتدمير القوات العراقية وتحرير الكويت والدفاع عن المملكة العربية السعودية، إذا قامت القوات العراقية بالهجوم على المملكة العربية السعودية، فأنتم مخولون بالقيام بالعمليات جوا وبرا وبحرا فى كل أرجاء الكويت والعراق، وأجوائهما، ومياههما الإقليمية.

(٣) توجيهات عملياتية: إن أهداف حملتكم الهجومية ستكون تدمير منشآت الانتاج العراقية النووية والبيولوجية والكيماوية، وأسلحة الدمار الجماعى، واحتلال جنوب شرق العراق حتى تحقيق جميع الأهداف الاستراتيجية، وتدمير وتعطيل قيادة قوات

الحرس الجمهورى، وتدمير وتعطيل قيادة السلطة العراقية، وتأمين الرعايا الأجانب –فى الحدود الممكنة عمليا – المحتجزين فى العراق والكويت، وإضعاف الدفاعات الجوية الاستراتيجية العراقية أو إيقاع الفوضى بها.

فى الثامن عشر من نوفمبر أرسلنا مسودة التوصيات بالفاكس إلى باول، واختفت دون اثر يذكر، وفى حدود علمى فإن واشنطن لم تقدم إلى لندن أى رد رسمى. وبعد يومين من ذلك عرضت نسخة من المسودة على دى لابيلير قائلا «ستبين لك هذه المسودة على الأقل ما نعتقد أننا يجب أن نتهيأ له».

٢٧ نوفمبر ١٩٩٠ – يوم ب + ١١٢:

الساعة ١٥,١٠، جلسة تنفيذية مع وفد الكونجرس بزعامة مافرولس. الحد الفاصل للجلسة أن الوفد بينّ أن أعضاء مجلس النواب ينقسمون إلى واحد من صنفين: الصنف الأول يضم الذين يريدون عملا عسكريا الآن، والصنف الثانى يضم أولئك الذين يريدون إعطاء المزيد من الوقت للعقوبات كى تفعل فعلها، حتى لو دام ذلك مثلا عامين. أشار ق.ع إلى أن رجال الكونجرس منقسمون انقساما دفعهم إلى البدء عمليا فى المناقشة فيما بينهم، بينما هو لايزال فى منتصف حديثه إليهم.

الساعة ٢٠,١٠، ق.ع أبلغ رئيس هيئة الأركان أن وفد الكونجرس لا يدرك أن العرب يحتلون مواقع متقدمة، وهم يتوهمون أن العرب غير مشاركين.

٢ ديسمبر ١٩٩٠ – يوم ب + ١١٧:

الساعة ٩,٠٠، التقى ق.ع مع وزير الطاقة جيمس واتكنس. الغرض من زيارة الوزير لـ ق.ع هو البحث عن ضمانات بأن هجوما على السعودية لن يؤدى إلى إنزال أضرار بليغة بمنشآت النفط. ركز الوزير واتكنس على إلقاء كلمة تعبر عن الأمل فى أنه إذا اندلعت الحرب فإن أسعار النفط لن تحلق عاليا.

٤ ديسمبر ١٩٩٠ – يوم ب + ١٩٩٠:

الساعة ١٠,٠٠ قدم اثنان من محللى وكالة المخابرات المركزية صورة سيكولوجية من صدام حسين. رأى ق.ع أن عرضهما مفكك، ويسمح لمن يصغى إليه باستخلاص

أى استنتاج يشاء.

فى التاسع والعشرين من نوفمبر أشعل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة فتيل الحرب بحث من الولايات المتحدة، بعد أن أعطى التخويل باستخدام القوة إذا لم ينسحب العراق من الكويت بتاريخ ١٥ يناير. وسواء كانت هناك أوامر تحريرية أم لا، فقد كان واضحا أنه لم يبق لنا كثير وقت، ولدينا فقط ستة أسابيع لإعداد التحالف للهجوم.

فى الثامن من ديسمبر طرت إلى القاهرة بذريعة تفقد مصنع دبابات م-١، وهو مشروع مشترك تديره الولايات المتحدة ومصر. وقدمت عرضا مفصلا لثلاثة ضباط اعتبرهم فى عداد الأصدقاء منذ أيامى الأولى فى القيادة المركزية، وهم الجنرال أبو طالب وزير الدفاع، الليوتاننت جنرال أبو شناف رئيس أركان القوات المسلحة المصرية، والميجور جنرال عمر سليمان رئيس قلم المخابرات الحربية، وأقر الجميع على الفور بالمنطلق السياسى، إلا أنهم شخصوا المصاعب العسكرية.

قال أبو طالب مشيرا إلى خارطة تبين موقع الخطوط الأمامية العراقية «انظر إلى حقول الألغام هذه وإلى الموانع». أكدت أن حملة القصف ذات الثلاث مراحل مصممة لدعم عملية الاختراق بتحطيم المدفعية العراقية، وإصابة التحصينات العميقة بالأضرار، وإرغام قوات الخط الأمامى على المكوث بلا حراك فى مواضعها. وأطلعت الضباط المصريين على نماذج من الصور الجوية، وهى تصور الممرات المفتوحة داخل حقول الألغام العراقية. بعد ذلك وصفت لهم معدات الاختراق والاسناد الجوى الذى سنقدمه أثناء المعركة نفسها.

٩ ديسمبر ١٩٩٠ يوم ب + ١٢٤:

الساعة ٢١,٠٠ محادثة تليفونية مع رئيس هيئة الأركان. بحث القائدان أمر إعلان السياسة بخصوص الرد الثأرى على هجوم بيولوجى أو كيماوى.

قال رئيس الأركان إنه يضغط على البيت الأبيض لإبلاغ طارق عزيز بأننا سنستخدم الأسلحة غير التقليدية إذا استخدم العراقيون السلاح الكيماوى ضدنا. رئيس الأركان يعتقد أن الوزير بيكر سوف ينقل هذه الرسالة لوزير الخارجية

العراقية.

١٠ ديسمبر ١٩٩٠ يوم ب + ١٢٥:

الساعة ١٥,٣٣ مكالمة تليفونية مع رئيس الأركان. استغرق القائدان فى محادثة بخصوص مهاجمة معامل خزن السلاح البيولوجى العراقى. ق.ع يشير إلى أن الجنرال هورنر أكد له أنه لدى مهاجمة هذه المعامل فسوف يستخدم ذخيرة تقتل الجراثيم. سجل ق.ع ذلك للمتابعة، وذكر رئيس الأركان بأننا إذا لم نهاجم هذه المعامل فلن نستطيع ضمان عدم استخدام هذه المواد ضد القوات الأمريكية، وهذه ستكون خطيئة لا تغتفر.

فى غضون ذلك كان الفرنسيون يجدون صعوبة فى تحدى الدور الذى يرغبون فى لعبه داخل التحالف. إن جزءا من حيرتهم يرجع إلى تضارب المصالح التجارية. ففرنسا بائع سلاح رئيسى لكل من السعودية والعراق، وهناك مستوى شخصى للتعقيد، راجع إلى أن وزير دفاعهم جان بيير سيكفمونت هو عضو منظمة تدعى جمعية الصداقة الفرنسية – العراقية، وكان يعارض بشدة إرسال القوات. فى البدء، أصرت فرنسا على أخذ قطاع خاص بها والدفاع عنه دون أن تكون خاضعة لأحد، وحين رفض السعوديون ذلك، وافق الفرنسيون على وضع قواتهم بإمرة خالد، وليس واضحا الان إن كانوا سيشاركون فى الهجوم أبدا.

وظل الليوتاننت جنرال ميشيل روكويجوفر، قائد القوات الفرنسية فى الخليج، وهو رجل احترمه واعتبره فى عداد الأصدقاء، ظل يتسلم إشارات متناقضة من باريس. وأبديت تعاطفى معه، إلا أننى كنت بحاجة إلى معرفة ما إذا كان بمقدورنا الاعتماد على الفرنسيين فى القتال. أخيرا، فى ديسمبر أبلغنى الجنرال موريس شميت، قائد قواتهم المسلحة بأن فرنسا لا تريد أن تشارك فى الهجوم لأنه يخشى أن جنوده المزودين بعربات مدرعة خفيفة، لن يضاهوا الدبابات السوفياتية الثقيلة لدى العراقيين، وذلك فى معركة اقتحامية من هذا النوع. لذلك طلب إلى أن تشارك قواته فى حماية جناحنا الغربى البعيد. وافقت على الفور، فقد كنت أبحث عن قوة لتقوم بذلك، والوحدات الفرنسية تناسب هذه المهمة بالضبط.

بقى السوريون. فى منتصف ديسمبر أرسل الرئيس حافظ الأسد فرقة مدرعة كاملة إلى المملكة العربية السعودية، ويخضع السوريون لإمرة خالد، أما مهمتهم فهى الاشتراك مع الهجوم المصرى على الكويت. وشعرت بارتياح أكبر فى الاعتماد على خالد بأن يبلغهم بنوايانا.

١٣ ديسمبر ١٩٩٠ - يوم ب + ١٢٨:

الساعة ١٦,٠٠، مكالمة تليفونية مع رئيس الأركان. ق. ع أبلغ عن جلسة مع وفد من مجلس الشيوخ، انعقدت لتوها. كما أبلغ رئيس الأركان أن الجلسة سارت سيرا حسنا وكانت ايجابية وودية. وقال إن الوفد ناقش بإسهاب مسألة إعلان الكونجرس للحرب، لكنه لاحظ أن ذلك لم يحصل فى كوريا وفيتنام أو بنما، وقد لا يحصل فى هذه الحالة أيضا.

وبحلول الثانى والعشرين من ديسمبر، احتشد كل رصيف ميناء وكل مطار فى المملكة بالمعدات والذخائر والتجهيزات الأمريكية، التى يتوجب نقلها إلى الجبهة. ولأول مرة شهدت الطرق النائية فى الصحراء زحمة مرور، فقد كان نقل اللوازم يتطلب الآلاف والآلاف من الشاحنات، لدرجة أن جاس باجونيس وضباط النقل العاملين بإمرته استأجروا كل شاحنة فى المملكة، وأطلق باجونيس على ذلك «قافلتى الفجرية»، وهو أوسع طيف من العربات والسائقين المدنيين وقع بصرى عليه. فكلما سرت فى شارع عجبت من القوافل المارة: شاحنات ألمانية شرقية، شاحنات تشيكية، وأخرى بولندية، وبعضها قديم جدا بحيث لا يبدو قادرا على السير، وكان أغلب السائقين المؤجرين من باكستان والهند وبنجلاديش ممن جاءوا إلى السعودية طلبا للعمل. ويميل هؤلاء إلى تزيين شاحناتهم بأشكال صارخة ملونة، وبعض الملصقات على المرايا وعاكسات الضوء.

ووصل عدد الجنود الأمريكان فى الخليج إلى ٣٠٠ ألف، فيما كانت تعزيزاتنا من ألمانيا قد بدأت لتوها فى الوصول. لقد نمت عملية درع الصحراء نموا فاق سيناريوهات الكومبيوتر الطموحة التى جرت قبل ٥ أشهر. رد العراق على تصعيدنا بتصعيد حشوده، فكان ضباط مخابراتى يرفعون التقارير عن وصول وحدات جديدة إلى

الكويت، وظل عدد القوات العراقية فى ارتفاع متزايد.

وبعفل وجود موعد نهائى محدد، اكتسبت عاصفة الصحراء زخما هائلا، ففوق رؤوسنا تقوم القوات الجوية للتحالف بألف طلعة تدريبية فى اليوم، أما فى الصحراء فيشيد المهندسون نماذج مماثلة لخطوط التحصينات العراقية لكى تتدرب القوات المقاتلة على مهاجمتها. ونضجت خطة الهجوم بفعل تدقيق قادة الميدان فى الخرائط، ودراستهم الأرض وميول العدو ووضعه، وراحوا يفصلون خططهم للمراوغة بتفصيلات دقيقة. وفى مقر القيادة، صارت استعداداتى للحرب البرية تسير بسرعة كبيرة. وفى منتصف نوفمبر التحق الليوتانت جنرال كال والر بالمقر فى الرياض بوصفه نائبا للقائد العام. وبوصوله توفر من يساعدنى على ركوب عجلة قيادة الجموع. كان كال صديقا عمل بإمرتى فى قيادتين سابقتين وهو رجل بارع لطيف النبرة، نزاع إلى ترداد الأمثال التى حفظها عن جدته فى ريف تكساس، إلا أنه أيضا رجل شديد المراس وفعال، وكان هو خيارى الأول لهذه الوظيفة. وقد تدرج فى الجيش كضابط دروع وكان يتقن الشئون اللوجستية أيضا، كما أننى كنت أعرف أننى لا أخيفه إطلاقا. كنا نثق ببعضنا إلى حد كبير، بحيث إنه كان يدخل إلى مكتبى ويقول على المكشوف «يا أنت، ثمة شىء تلخبط، والخطأ خطأك، ولابد أن أطلعك على ذلك».

وبزيادة عدد القوات، رحنا – كال وأنا – ندفع خبراء الجيش فى الشئون اللوجستية دفعا قويا ليحددوا ما إذا كان بوسعهم أن يدفعوا الحركة الجانبية العملاقة للقوات المقاتلة والتجهيزات فى الموعد المقرر للهجوم. ورحنا على مدى أسابيع ندور فى حلقات مفرغة، فأولا سألنا جون يوسوك، الذى كان يشرف على ضباط اللوجستيات: «إذا منعناك من تحريات القوات حتى بدء الحملة الجوية – ولنقل فى العشرين من يناير – فكم من الوقت يتطلب نقلها إلى نقطة الوثوب لبدء الهجوم؟.. من أسبوعين إلى ٣ أسابيع».

بعد ذلك نتوجه إلى قادة الفيالق ونكرر: «لقد دققنا الأمر مع يوسوك، وليس هناك من داع يدعوكم إلى التحرك قبل بدء الحملة الجوية».

كان القادة يمقتون ذلك، وبخاصة لأنهم كانوا يريدون أن يجدوا الوقود والذخيرة

أمـامهم، لذلك راحـوا يضغطون على ضبـاط اللوجستيـات التابعين لهم، وراح هـؤلاء يدمدمون ويتشكون، فتصل الشكوى إلى يوسوك، ويعـود يوسوك بتقدير جديد يقول «لا أعرف إن كان باستطاعتنا تحقيق ذلك».

فى هـذه الأثناء تأخـر وصـول بعض وحداتنـا من ألمانيـا، فالقـاطرات المخصصـة للدبابات والناقلات المدرعة - والتى يمكن لها ايصال المنقولات حتى أرصفة الشحن - نـادرة جـدا، كما أن بعض السفن أصيبت بأعطـال، وواجهت سفن أخـرى عـواصف شتائية.

واتضح أن حـوالى ٢٥ فى المائة من التعزيـزات القادمة لـن تصل إلا بعد ١٥ ينـاير، وبخاصة الفرقة المدرعة الثالثة المزودة بدبابات م ١-أ ١، التى ستكون فى أعالى البحار. وحتى لو وصلت فـإنها ستظل بعيدة عن جاهـزية القتـال، وستحتاج إلى أيـام لتفريغ المعـدات من السفن، وإعـــادة طـلاء لـون التمـويـه من الأخضر الغـــابى إلى الكـاكى الصحراوى، ثم دمجها بجنودها، وتحريك الوحـدات إلى مواقع أمامية تبعد ٣٣٠ ميلا، وتدريبها تدريبا صحراويا، وهذا الشىء الأخير ليس بالقضية الهينة.

ففى أوروبا يستطيع الجنود إرشاد أنفسهم بأنفسهم عند السير فى الطرقات والمدن والغابـات وغيرها من المعـالم الأرضية، أمـا فى الصحراء فلا وجـود لعلامـات أرضية فـارقة، بل إن كثيبـات الرمل نفسهـا تتحـرك، لذلك يتـوجب أن نعلم الجنود بسرعـة استخـدام معدات الملاحـة بـالاعتماد على الأقمار الصنـاعية، والملاحـة بـالاعتماد على النجوم السماوية، أو حساب الاتجاهات بالتخمين.

وكلما تعطلت سفينـة، أو واجهت طقسا رديئـا، عاد إلىّ يـوسوك ليقـول إن الجيش بحاجة إلى إعادة النظر فى تقديره للمدة اللازمة للاستعداد.

فأقول: «حسنا، سنعدل الخطة، فقط قل لنا ما الذى تستطيع أن تفعله بالضبط». ثم يعود إلينا ليعطينا تاريخا مؤكدا جديدا، ثم من جديد يطلب النظر، وهكذا دام ذلك خلال شهـر ديسمبر كله. وفى الســادس منه أعلن صـدام فجأة أن العراق سيخلى على الفـور سبيل الرهـائن الأجانب، وقـال إن بادرتـه الانسانيـة هذه تستهـدف تعزيـز السلام. وأضاف أن العراق قد بنى دفاعاته إلى حـد لم يعد معه بحاجة إلى أية دروع بشرية، وإن

أخلى سبيل الأمريكان فى الأسبوع التالى حتى سحبت واشنطن بقية طاقم السفارة من مدينة الكويت.

لم تؤد هذه التحركات إلى نزع فتيل الأزمة، إلا أنها بسطت تخطيطنا للحرب، فلم نعد نقلق على ضرب الدروع البشرية أو القيام بعمليات إنقاذ خطرة فى العراق أو الكويت. وفى الوقت نفسه، فإن مبادرة السلام الأخيرة - اقتراح الرئيس بوش بإرسال وزير الخارجية بيكر لملاقاة صدام مقابل دعوة طارق عزيز إلى البيت الأبيض - تعرقلت بفعل الاختلاف على موعد اللقاءين.

وكانت واشنطن ترسل لنا إشارات التهيؤ للهجوم عاجلا وليس آجلا. وقال لى باول يوم ١١ ديسمبر «ذهبت إلى البيت الأبيض أمس للتحدث عن «يوم البدء» المحتمل، ولما ذكرت الفترة من ١٠ - ٢٠ فبراير كمجال ممكن، غص الجميع». وأخبرنى أيضا أنه إذا لم تحل الأزمة قبل ١٥ يناير فسيأتى ضغط حقيقى من أجل عمل عسكرى على الفور، فأجبته أنه إذا كان الوضع على هذا الحال، فلربما يتوجب علينا شن الهجوم الجوى ومواصلة القصف ريثما يتهيأ الهجوم البرى.

١٧ ديسمبر ١٩٩٠ - يوم ب + ١٣٢:

الساعة ١٧,٠٠، مكالمة هاتفية مع رئيس الاركان.. دار النقاش على زخم الزوار الذين يتفقدون القيادة المركزية.

أكد ق.ع لرئيس الأركان أنه يستقبل أى زائر موجود على القائمة حاليا، ولكن من الضرورى إبعاد الزوار بعد ١٥ يناير. رئيس الأركان أكد لـ ق.ع أنه سيمنع المتفقدين وسيطلب من مدير هيئة الأركان إعادة النظر بكل الطلبات. ق. ع. شكره، وأشار إلى أن العاملين متعبون جدا، وأن ركب البعض منا تنثنى الآن.

١٨ ديسمبر ١٩٩٠ - يوم ب + ١٣٣:

مقطع من رسالة من واشنطن أرسلها السفير فريمان حول موضوع زخم الزوار المتفقدين «نتفهم الحاجة إلى توطيد وإدامة دعم الكونجرس.. لا ينجم عن ذلك بالضرورة أن على الولايات المتحدة أن تتعامل مع المملكة العربية السعودية كمنتزه ألعاب مثير فيه جنرال بأربع نجوم وسفير يقومان بدور فرسان المنتزه.. يجب أن

يتوقف التدفق على السعودية.. أعطونا فرصة للراحة».

فى عصر يوم ١٩ ديسمبر وصل الوزير تشينى إلى الرياض برفقة باول. كانت مهمة تشينى هى تقييم أوضاعنا وإطلاع الرئيس على ذلك. تهيأنا لذلك بتقارير إطلاع مسهبة حول كل جانب من جوانب انتشار قواتنا حتى ذلك التاريخ، واستعداداتنا لعاصفة الصحراء، بل وخطة احتلال فى حالة انسحاب عراقى من الكويت من جانب واحد. لم أكن قد رأيت الوزير منذ أغسطس، وأردت أن أجعله يطلع جيدا على التعقيد الذى يكتنف عمليتنا، والقدر الهائل الذى أنجزناه منها. وكان هناك دافع اخر: صده عن الخروج بخطط جديدة.

بدأت الأمور بضخ لا ينقطع من الأسئلة، كان بيت ويليامز - رئيس قسم الإعلام فى البنتاجون - قد اتصل بى قبل ذلك طالبا منى عقد مؤتمر صحافى للمراسلين الذين يرافقون الوزير. أجبت: «هذا جنون. سأكون مشغولا مع تشينى وباول». أشار ويليامز علىّ أن نرسل للمؤتمر الصحافى شخصا أخر يحتل موقعا بارزا، لذلك طلبت من كال والر أن يأخذ مكانى دون أن انتبه جيدا إلى حقيقة أنه لم يمض على قدومه إلى مسرح العمليات سوى شهر واحد، وأنه قليل الخبرة مع الصحافة. وحين حاصره المراسلون مرارا عن مدى جاهزية القيادة المركزية، حاول أن يكون متساهلا فى تقديم المعلومات وأخبرهم بأن القوات البرية لن تكون متهيئة قبل منتصف فبراير، وصار ذلك مانشيتات على صدر الصحف لتناقضه مع موقف الرئيس بزيادة الضغط على العراق قبل الموعد النهائى لإنذار الأمم المتحدة. وظل بيت ويليامز وأغلب العاملين فى قسم العلاقات العامة ساهرين حتى الصباح ليزيلوا الضرر الناجم عن ذلك، وأصدر فى الصباح تصريحا لفت فيه الأنظار إلى أن القوة الجوية والبحرية جاهزة للهجوم المباشر.

أدرك والر أنه ارتكب عملا أخرق، وجاءنى منذ الصباح ليعترف بذلك. وشعرت بأننى من يتحمل مسئولية إيقاعه فى هذه الورطة وخشيت من أن يتعرض لعقوبة. ففى الأيام الأولى من «درع الصحراء» طرد تشينى الجنرال مايك دوجان - رئيس أركان القوة الجوية - بسبب إدلائه للصحافيين بمعلومات مصنفة على أنها سرية للغاية. لذلك، عندما وصل تشينى وباول إلى مقر القيادة بعد ساعة من ذلك، سألتهما ونحن فى مكتبى:

«الجنرال والر يشعر بالمرارة من الصفعة التى سببها لنا، إلا أن اللوم يقع علىّ لأننى ورطته بهذا المؤتمر الصحافى، وهو جديد على مسرح العمليات».

ولدهشتى، أجاب تشينى وباول بأنهما غير قلقين إلى هذا الحد بما أدلى به من ملاحظات، بل إن تشينى أشار هازئا «ليس من السيىء دائما أن يرسل المرء للعدو إشارات متناقضة».

حلت القضية بقدر ما يتعلق الأمر بنا، أما بالنسبة إلى والر وعائلته فى الولايات المتحدة فقد عانت مرارا ولأسبوع كامل من تعليقات المعلقين على الأخبار، وأغلبهم من العسكريين المتقاعدين ممن لم يتحملوا عُشر المسئوليات التى ينوء بها كال الآن، والذى وسموه بالغباء والخيانة وانعدام الشرف. كنت أرى كيف كانت هذه الأقوال المقززة تجرحه، وتمنيت لو أن هنالك سبيلا لوقف هؤلاء. كل ما استطعت أن أقول له: «عليك أن تتغاضى عن ذلك كله. ستظل أنت فى مركز الاهتمام حتى تبرز قصة جديدة».

واصلنا اجتماع الاطلاع الصباحى، وأمطرنا تشينى بالأسئلة المفصلة عن كل الأمور: من نقص الشاحنات إلى خطر العمليات الإرهابية، ولكنى لم أكن بحاجة إلى القلق، فقد كان واضحا أن كلا من تشينى وباول إلى جانبنا فى المركب، ومما أراحنى حقا – ولعل ذلك إلى حد ما بفضل القنبلة التى فجرها والر فى الصحافة – أن تشينى أمر بأن يكون توقيت الهجوم البرى خاضعا للقيود اللوجستية. وقال: لا يمكن أن نبكر بالموعد قسرا.

ولما عاد بعد يومين كاملين من جلسات الاطلاع، حمل تشينى معه نسخة خارطة أعددناها له لكى تعينه على أن يشرح للرئيس خطة الهجوم البرى فى عاصفة الصحراء.

وقال لى فيما هو يغادر: «إن ضخامة هذا العمل وحدها هى علامة ثناء لكل ضباطك وجنودك». ثم أضاف «نحن جميعا فخورون بما أنجزت، ونعرف أنك ستقوم بكل ما هو ضرورى فى المستقبل». ولم يترك ذلك أدنى شك فى ذهنى من أنه مالم يرضخ صدام، فإن الرئيس سيأمرنا ببدء قصف الجهاز العسكرى العراقى بعد ١٥ يناير بقليل.

وترك لنا الوزير تشينى هدية عيد الميلاد: طقم كامل من مسلسل كين برنز المعنون «الحرب الأهلية». إن هذه المسلسلات تصور الموت والدمار فى زمن الحرب تصويرا

تقشعر لـه الأبدان، وقـد ترك أثـرا هائلا على كل من فى مقـر القيادة. ورغم أننـا كنا فى المراحل النهائية من التهيئة للحرب، فإن أيا منـا لم يكن يريدها. فمشاهدة تلك الأشرطة جددت قنـاعتى بأننى إذا اضطررت لإرسـال جنودى إلى المعـركة، فإننى لابـد أن أجد السبيل لتقليل الخسائر البشرية إلى أدنى حد.

٢٣ ديسمبر:

ق.ع أبلغ السفير عن خـلاف حاد ناشـب بين السفير الفرنسى والسعـوديين حول رفض السعوديين السماح لفرنايوك فرنسيـة مع راقصات بالمجىء لتقديم استعراض للجنود. من الـواضح أن التعليق السعودى حـول ذلك هو أن الـولايات المتحـدة كانت تراعى قضايا السيادة السعودية، حتى إن رئيس الولايات المتحدة أمّ الصلاة فى سفينة فى عرض البحر، وليـس من اللياقة أن يطلب الفرنسيـون فرقة روك موسيقيـة ترافقها فتيات راقصـات. عدت إلى غـرفتى فى مبنى وزارة الدفاع، كـانت بريـنـدا قد أرسلت لى شجرة عيد ميلاد صغيرة مزدانـة بالمصابيح الصغيرة. أشعلتها وأدرت شريط تسجيل موسيقى عيد الميلاد، وكنت على شفا النوم حين رن جرس التليفون الأحمر الذى يربط مكتبى بواشنطن. كـان الرئيس بـوش على الخط، قال: «لا أستطيع أن أفوت هـذا اليوم دون أن أتصل».

الباب السابع
بدء الحرب والحملة الجوية

جاءت الأوامر السرية يوم ٨ يناير ١٩٩١م بأن يكـون يوم ١٧ يناير هو بدء الحملة الجوية، وفى يوم ٩ يناير تأكد الأمـر نفسه. وفى ذلك اليوم جلست أتابع فشل لقاء بيكر وعزيز فى جنيف. لقد كنت أواجه أسبـوع حل مشاكل أخرى دقيقة، ووضعت نفسـى فى نوع من العد التنـازلى الذهنى، فكنت كلما استيقظت فى الصباح أتوجه لدراسـة خريطة وضع العـدو الموجودة على مكتبـى، أملا ضـد الأمل نفسـه ألا يكون هنـاك أى تغير فى مواقع القوات العراقية نحو الغرب. كانت الخارطة الان تحمل ما لا يقل عن ٣٨ ملصقا اخر يمثل كل واحد منهـا فرقة عراقية كـانت تؤلف بمجموعها جيشا عـربيا ما، يضم ٥٤٥ ألف رجل و ٤٣٠٠ دبابة و٣١٠٠ قطعة مدفعية. تخيلت العدو جائعا هناك مشيدا بشكل مدروس تحصينـات منيعة بعمق أميـال، وعلى طول الحدود. وكـان بوسعى أن أرى بعين الخيال حقول الألغام والدبابات والسدود الـرملية العالية والأسلاك الشـائكة والاستحكامـات والتحصينات، وقـد أطلق عليها العـاملون فى استخباراتـى اسم «خط صدام»، وهو يمتد بعيدا على طول الحدود الجنوبية للعراق بما مجموعه ١٧٥ ميلا. لقد شيد هذا الخط على افتراض أننا سنهاجم مباشرة، ويبدو أن صدام وجنرالاته لايزالون ساهين عن جناحهـم المكشوف، وكنت أعرف أنهم مالم ينقلوا قـواتهم للغرب الان فإن قوتنا الجوية ستتكفل بمنعهم من ذلك بـالمرة، ذلك أن تحريك قواته تحت وابل قصفنا سيقدم لنا أهدافا سهلة.

١٥ يناير ١٩٩١ – يوم ب + ١٦١ الساعة:

السـاعة ١٣,٣٠، بطلب من الليوتانت جنـرال خالد، رافق ق.ع الليوتـانت جنرال خالـد فى زيارة للأمير سلطان وزيـر الدفاع. عبر الأمير سلطـان عن أمله فى أن ينسحب العراق من الكـويت إلا أنه لم يكن متفائلا. ق.ع وافقـه الرأى قائلا: إننا بـذلنا كل شـىء

نقـدر عليه تمامـا قبل نشوب القتـال. بعـد هذا عبر الأمير سلطـان عن رغبته فى البـدء بالضربة لا السماح لصدام بالبدء بها.

الساعة ٢٣,٣٠:

مكالمة مع رئيس الأركـان. رئيس الأركان أخبر ق.ع أن وزيـر الدفـاع قد وقع قبل قليل الأمر التنفيذى وأن مـوعد الهجوم هو الساعة ٣,٠٠ يوم ١٧ ينـاير، وأخبر ق.ع أن نسخة واحدة ستبرق إليه بالفاكس فورا.

الوقت غير معلوم رفع المدعى العام العسكرى إلى ق.ع للمصادقة مذكرة حقن دماء يحملها الطيارون تحسبا لوقوعهم فى الأسر خـلال المعارك القادمة، والمذكرة عبارة عن إعلان بالعربية يقدم جائزة مقابل الحفاظ على سلامة الطيار.

على السطح مر اليوم السـابق للهجوم مثل باقى الأيام، فقد تابعنـا – ضباط مقرى وأنا – عشرات القضايا الـروتينية المتعلقة بالمالية والوزارة والسكن ومـا إليها، مما لن يبقى لنا وقت نكرسه لها ما إن يبدأ إطلاق النار. وبدا المقر صامتا رغم النشاط الدائب، والسبب قلة الأحـاديث. إن قلة فقط من كبـار ضباطى كانت تعـرف بأننا متـوجهون للحرب، أما بقية الضباط الأساسيين فقد اكتفينا بإبلاغهم بأن اجتماعا سيعقد فى غرفة الحرب عند السـاعة ٢,١٥ فجرا، وأحسب أنهم جميعا أدركوا معنى ذلك.

عند منتصف الليل عدت إلى مكتبى.. شعـرت كمن يقف إلى طاولة المقامـرة بالنرد فى نـوع ما من الحلم، مـراهنا على مصيرى، فـرميت زهر النـرد ورحت الان أراقبه وهـو يتقلب فى الهواء فى حركـة بطيئة ليسقط على القماشـة الخضراء، وما كـان بمقدورى أن أفعل أى شىء لأغير المسار الذى يحط فيه. جلست وفعلت ما يفعله الجنود الذاهبون إلى الحرب، كتبت رسالة إلى أسرتى معبرا فيها لهم عن مقدار حبى.

١٧ يناير ١٩٩١م

١٥ دقيقة بعد منتصف الليل

زوجتى وأطفالى الأعزاء:

تجمعت غيـوم الحرب فى الأفق، وقد أصدرت لتـوى الأوامر الفظيعـة التى ستطلق

المارد من عقـالـه، وكنت أتمنى بكل جـوارحى ألا أضطـر أبـدا بالمرة إلى إصـدار هـذه الأوامر، ولكن الأوان قـد فات الآن، وأيـا كانت الغـاية التى رسمهـا الله للحـرب فإننا داخلون لها قريبا.

وباعتبارى جنـديا أضطر إلى دخول الحرب ثلاث مـرات من قبل، أريدكم أن تعلموا أننى لست خائفـا، فأنا أعرف أننـى قد أواجه الموت، ولكن يجب أن تعلمـوا أننى بأمان أكبر بكثير من أغلب الـرجال الـرائعين والنساء الـرائعـات الذين هم بإمـرتى. البعض سيلقى مصرعه والكثيرون يمكن أن يلقـوا مصرعهم، وإننى لأتضرع إلى الله ألا يحصل ذلك، ولكن إذا حصل هذا وإذا كنت بين من يختارهم الله لكى أضحى بالنفس، فأريدكم أن تعلموا أن آخر أفكارى قبل هذه البداية الفظيعة هى معكم أنتم يا أسرتى الحبيبة.

بريـنـدا.. لم أكن يوما ما لبقـا فى استخدام الكلمات، بل أنا أبعد مـا أكون عن التعبير المباشر عن حبى لك. كـم أنا نادم على ذلك لكن هـذا ماعليـه أنا، لهذا أردت أن أكتب إليك قبل أى شـىء آخر هذه الليلة، لأخبرك بمهامك الكبيرة عندى.. لا أستطيع أن أذكر كم من مرات ومـرات شكرت فيها الله لأننى تـزوجتك، ولاأستطيع أن أعبر بما يكفى عن عدد المرات التى جعلتنى فيها فخـورا بأنك زوجتى. فخلال هذه الأشهر الخمسـة العصيبة تحديدا كنت أستمـد عزما من وجودك هنـاك، وجودك الدائم فى رعاية أسرتـك ورعاية الكثير من الآخرين.. شكرا لك على هـذا وعلى كثير غيره، على كونك المرأة المحبة المتفهمة المتسامحة المعينة الحانية المساندة، فقط لمجرد كونك بريندا بولى التى تخصنى.

سنـدى، جيسيكا، كـريستيـان، آمل أن تعلمـوا مدى حبـى لكم، فأنتم الثـلاثة قـد أصبحتم أهم سبب لوجودى على الأرض. قـد أخسر كل ما أملك، ولكن إذا بقيتم لى فإن الحياة تستحق أن تعاش. قد أصبح ثريا وشهيرا وأحظى بكل ما أشتهى، ولكن بدونكم أنتم يـا أسرتى ستكـون حياتـى بلا معنى وقلبى خـاويـا فتعـاف نفسى العيش. أنتم ثلاثتكم خلودى.. أنتم خير ما أخلفه ورائى حين أرحل عن هذه الدنيا.

ولقد بـادلنى كل واحـد فيكم هذا الحب.. إننى أب يعـرف أن أولاده يحبونـه، وهذا يجعلنى أسعد إنسـان، وكما قلت لكم فى عيد الميـلاد إننى فخور بكل واحـد فيكم لما هو عليه.. كونوا فخورين بأنفسكم لأنكم بشر طيبون. شكرا لكم على كونكم أطفالى، شكرا لكم على قبولكم إياى أبا، شكرا لكم على حبكم لى.

ارعوا بعضكم بعضا.. أحبوا بعضكم، وإذا شاءت مشيئة الله فسيلتئم شملنا قريبا، وإذا لم يحصل ذلك فأعلموا أننى أينما جلست فسأكون مع كل واحد منكم كل يوم على الدوام.

أغلقت الرسالة وطلبت من مرافقى أن يحرص علي إرسالها بالبريد، بعد ذلك كتبت برقية موجزة للجنود.. أخيرا حان وقت النزول إلى الطابق السفلى.

اجتمع فى غرفة الحرب حوالى ثلاثين جنرالا وكولونيل، ولما دخلت أعلن أحدهم: أيها السادة القائد العام وصل.

استقر الجميع فمشيت إلى المقدمة ووقفت قبالة خارطة كبيرة للعراق والكويت والمملكة العربية السعودية. قلت أريد أن أقرأ عليكم برقية أرسلناها قبل قليل إلى الرجال والنساء العاملين فى القيادة المركزية.

برقية عاصفة الصحراء إلى جنودنا

أيها الجنود والبحارة ورجال القوة الجوية ومشاة البحرية فى القيادة المركزية الأمريكية، قمنا هذا الصباح عند الساعة ٣٠٠ بشن عملية عاصفة الصحراء. حملة هجومية لفرض قرارات الأمم المتحدة القاضية بأن على العراق وقف اغتصابه ونهبه لجارته الأضعف وسحب قواته من الكويت. إن الرئيس والكونجرس والشعب الأمريكى، بل العالم كله يقف موحدا فى دعمه لجهودكم. إنكم أعضاء فى أعتى قوة حشدها بلدنا بالتآزر مع حلفائنا فى مسرح عمليات فريد لمواجهة مثل هذا المعتدى. لقد تدربتم بمثابرة لهذه المعركة وأنتم مستعدون لها. فخلال زياراتى لكم رأيت فى أعينكم نار العزم على إنجاز هذه المهمة، وانجازها بسرعة لكى نعود إلى شواطىء أمتنا العظيمة.. ثقتى بكم كاملة، قضيتنا عادلة.. والان كونوا رعودا وبروق عاصفة الصحراء.. كان الله معكم ومع أحبتكم ومع بلادنا.

هـ نورمان شوارتزكوف

القائد العام

القيادة المركزية الأمريكية

أدار الكولونيل بيل شريط أغنية لى جرينوود: بارك الله الولايات المتحدة الأمريكية. وقف جميع الضباط والعاملين فى المقر مشرئبين بقاماتهم، ورأيت الدموع تتلألأ فى الكثير من المآقى.

****

كان مقررا إطلاق أولى طلقات عاصفة الصحـراء عند الساعة ٢,٤٠ فجرا بالضبط، ولتهيئة ذلك راحت طواقم تلقيم الأسلحة تكد منذ عصر اليوم الفائت فى كل المطارات: فى السعودية والبحرين والإمارات العربية المتحدة وقطر، محملة الطائرات الحربية التابعة لستة بلـدان بمئات الأطنان من القذائف الصـاروخية والصواريخ والقنـابل. وأبحرت حامـلات الطائرات الأمريكيـة المتمركـزة فى الخليج والبحر الأحمر إلى الشمال، لتضع العراق ضمن مدى طائراتها، أما الطـرادات والبارجة ويسكونسن فقد هيأت العشرات من قذائف توما هوك الصاروخية، واستعدت منصات القذف المدرعة للإطلاق. وفى هذه الأثناء كـانت طائرات ب-٥٢، وبعضها مزود بقـذائف كروز بالغة التطـور - والمعدة أصلا لحمل رؤوس نـووية على الاتحاد السوفياتى مـوجهة صوب العراق قـادمة من قواعد نائية فى باركسديل فى ولاية لويزيانا.

كما أن دزينة من هليكوبترات الجيش والقوة الجويـة - وهى طائرات عالية التطور ومخصصة للعمليـات الخاصة - كانت ستبـدأ الهجوم، وكان عليهـا أن تطير فى ظلام دامس على ارتفاع ٣٠ قـدما فـوق الرمال لتـدمير اثنتين من محطات الإنـذار الرادارى المبكر عند الحدود السعوديـة - العراقية. وبعد هذه الهليكوبترات، ستتـوغل ٨ قاذفات مقاتلة من طراز «ف - ١٥» فى المجال الجوى العراقى لتـدمير أقرب مركز قيادة للدفاع الجوى، وهذه الضربة فى الـواقع ستقتلع بوابة الدخول للعراق بفتح ممـر العبور لمئات الطائرات المتجهـة نحو أهداف أخـرى فى أرجاء العراق. فى هـذه الأثناء تكون مقـاتلات ستيلث فـ - ١١٧ قد بدأت دورات القصف فى سماء ليل بغداد.

ولم يكن لنا نحن الجالسين فى مقر القيادة أن نعرف ما كان يحدث فى البداية، وحالما كانت نتفة من المعلومات تأتى كنت أخربشها على ورقة لاصقة صفراء.

«الساعة ٢٤٧» – قـائد قوات العمليات الخاصة التابعة للقيـادة المركزية اتصل من مقره خـارج الظهران ليقول إنه جـرى تدمير محطتي الرادار العراقتين، واتصل ثـانية بعد قليل ليعلن أن الهليكوبترات عـادت إلى قاعدتنا بسلام. دقت السـاعـة تمام الثالثة – سـاعـة الصفر الرسمية للحـرب. كنت أعرف أن طائرات ف – ١١٧ تدك فى هـذا الوقت العديـد من الأهداف فى بغـداد، ولابد أن جحيما ينطلق من اسـاره فى عشرات المواقع فى أرض العدو.

السـاعـة ٠٣١٠ – التليفونـات تنقطع فى بغداد. الجنرال «لايـد» الذى يتـابع ضباط مخابـراته محطـات التليفزيـون والإذاعـة الغربيـة أبلغوا أن أغلب المراسلين فى بغـداد انقطعت اتصـالاتهم، مما بين لنـا أن بدالات التليفـون قـد دمرت. بعـد سـاعـة من ذلك انطفأت الأنوار فى بغداد، لقد أصابت صواريخ توماهوك التى أطلقتها البحرية محطات كهرباء صـدام. فى هذه الأثناء كانت القاذفـات المقاتلة البريطانية من طـراز «تورنادو» تضرب المطارات العراقية، أمـا النفاثات الفرنسية والإيطالية فكـانت تستعد للتوجه إلى ضرب مواقع الصـواريخ، بل إنّ القوة الجويـة الكويتية الصغيرة الحجـم كانت تهاجم أهدافا عراقية داخل الكويت.

السـاعـة ٤١٥.. لا اتصالات متبادلـة (جوية – جـوية) عـراقية، لاذبذبـات سقوط طائرات أمريكية. كـان تشاك هورنر فى موقع قيادته فى قبو مقـر قيادة القوة الجوية فى الريـاض، وأبلغنا أن الهجوم يبـدو على مايرام، فحتى الان لاتـوجد معلومـات عن أية مقاومـة فعلية من جـانب القوة الجوية العـراقية، أو إشعـاع لاسلكى يشير إلى سقوط طيارين أمريكيين. لقد نظمنا الهجمات تسلسـلا وتداخلا، فأولا دخلت القاذفات وحين حلقت بعيدا عن أهدافها وتركت المنطقة، دخلت صواريخ توماهوك، وحالما انتهت ضربة الصـواريخ، دخلت موجة من الطائرات فى طـريقها إلى الضرب. كان هدفنا خلال الثمانى والأربعين ساعة الأولى هو ألا نعطى العراقيين فرصة للراحة.. أردنا أن نوصل إلى الحد الأقصى، الصدمة المتولدة عن القصف المتواصل.

ظل هـورنر يتصل تليفـونيـا طوال الصبـاح يبلغنا بـآخـر المستجدات، فيما كـان الطيارون والملاحون يؤوبون إلى القاعدة.

وبعد الظهر استطعت أن أنقل لباول فى واشنطن أننا أنجزنا ٨٥٠ مهمة بالتمام، فقد دمرنا العديد من الأهداف المدرجة على القائمة وعددها ٢٤٠ هدفا، وقد مسحنا قصر صدام الواقع عند ضفاف البحيرة ببغداد - والمحمى حماية مكينة - مسحا تاما، أما بناية قسم التليفونات فى وسط المدينة فقد أبلغ أنه يشتعل، كما أصبنا موقعين رئيسيين لصواريخ سكود غربى العراق بأضرار بالغة، وتم تدمير المستودعات الواقعة تحت الأرض والمشتبه بها كملاجىء للأسلحة البيولوجية والنووية. وفى هذه الاثناء كانت أسراب من طائرات «أ - ١٠» الهجومية تطلق قذائفها على مستودعات الامداد على طول خطوط الجبهة العراقية، وأخبرتنا القوة الجوية بأنه لا يمكن إعادة ملئها بسرعة كافية. حذرت القوة الجوية من أنه رغم أن دقة الطواقم الجوية كانت أقل من المتوقع - أسقطت طائرات ف - ١١٧ فى الموجة الأولى ٥٥٪ فقط من قنابلها على الهدف، وطائرات ٥ - ١١١ حوالى ٧٥٪ - إلا أن هذه الدقة تتحسن بإطراد فى بحر النهار.

والأهم من ذلك لم تسقط سوى طائرتين وهو رقم متدن بشكل مثير، آخذين فى الاعتبار أننا خشينا من أن تصل خسائرنا فى اليوم الأول إلى ٧٥ طائرة. من الواضح أن هورنر ومخططيه قد نجحوا نجاحا باهرا فى تفكيك أوصال شبكة الدفاع العراقية المتطورة، فعن طريق تشويش الرادارات وقصفها أصيبت الشبكة بالعمى، وعن طريق قصف مراكز القيادة أصيبت الشبكة بالشلل. ورغم أن الطيارين وصفوا لنا كيف أن سماوات بغداد ملأى بصواريخ أرض - جو وقذائف المدفعية المضادة للطائرات، فإن العراقيين كانوا يطلقون -كيفما اتفق- دون أوهى فرصة لإصابة طائراتنا. فى هذه الأثناء أسقطنا ست مقاتلات عراقية من طرازى ميج وميراج، وحلقت عشرات الطائرات العراقية الأخرى من قواعدها، إلا أنها ظلت تدور ببساطة متحاشية طائراتنا، ولم نستطع أن نخمن ما يمكن استخلاصه من هذا السلوك.. هل كانت أوامر الطائرات ألا تشتبك فى قتال؟

هل هى تحترس من احتمال أن تصاب بنيران المقاومات الأرضية؟ أما جبناء؟ هورنر خمن أن العراق يحافظ على قوته الجوية لكى يضربنا فيما بعد. كنت ميالا لقبول هذا التقدير، وقلت لباول سنظل ننتظر حتى يقوموا بالخطوة اليائسة التالية.

فى جلسة الاطلاع المسائية جاءت نبرة «مور» بالأخبار التى كنت أنتظر سماعها

طوال اليوم: تحرك الجيش مغيرا مواقعه استعدادا للجهوم البرى، فعلى طول خط التابلاين – وهو طريق عريض مهجور بممرين، يمتد غربا إلى الأردن انطلاقا من بلدة حفر الباطن بالسعودية القريبة من الزاوية الجنوبية الغربية للكويت – بدأت الشاحنات الثقيلة للفيلق ١٨ المحمول والفيلق السابع تنقل الإمدادات والمعدات نحو الغرب، وقد قطعت القافلة ١٢٠ ميلا فى اليوم الأول من الحرب.

١٧ يناير ١٩٩١ ـــ يوم البداية الساعة ١٨٣٠:

مكالمة هاتفية مع رئيس الأركان، ق. ع شرح قرارنا الراهن بحظر البريد. قال ق. ع إننا نحتاج إلى مناشدة عامة للعالم كله تبين أن القوات فى حالة حركة، ولن تستطيع على الأرجح أن تستلم بريداً كبيراً. نحتاج إلى أن نطلب من الجمهور ألا يرسل رزماً كبيرة.

عند الساعة الثالثة من فجر يوم الجمعة – وقد مضى علينا فى مركز القيادة أكثر من ٢٤ ساعة – جرى إطلاق سبعة صواريخ سكود من غرب العراق نحو إسرائيل. أرسلت القوة الجوية طائرات ف – ١٥ لقصف مواقع الاطلاق. فى هذه الأثناء بدأت التقارير تتوالى عن وقوع انفجارات فى تل أبيب.. اتصل بنا باول ليعلمنا أن واشنطن مهتاجة غضبا إزاء مخاوف أن تثب إسرائيل وتدخل الحرب. وعند الساعة ٩ صباحا (بتوقيت الساحل الشرقى) نقلت الشبكات تقارير حية من المراسلين من تل أبيب وهم يرتدون أقنعة واقية من الغازات، وأكد الإسرائيليون سريعاً أن صواريخ سكود كانت تحمل رؤوسا حربية تقليدية لا غازا ساما، إلا أن هذه الحقيقة لم تكن إلا مصدر قليل من الارتياح، فقد كان العالم كله يعرف التهديد الذى أطلقه صدام قبل شهرين بحرق نصف إسرائيل بالأسلحة الكيماوية.

بعد ساعة أخرى، أطلق صاروخ آخر. هذه المرة صاروخ وحيد من جنوب العراق موجها إلى الظهران، أطلق الجيش ٤ صواريخ باتريوت من البطاريات التى أقيمت حول قاعدة الظهران الجوية، ولسرورنا استطاع باتريوت أن يسقط صاروخ سكود وهو فى الجو، علما بأن صاروخ باتريوت مصمم بالأصل كسلاح مضاد للطائرات وقد حور مؤخرا لاعتراض الصواريخ القادمة ولم يتم اختباره فى ميدان المعركة من قبل. بعد هذا – وقبل الساعة الخامسة بقليل – انطلقت عشرات النفاثات الاسرائيلية من قواعدها..

رحنا نرقب متجهمين أن توجه ضربة ثأرية للعراق، إلا أنها ظلت فى نطاق المجال الجوى الإسرائيلى، ولما انصرم يوم الجمعة دون حصول هجمات أخرى بصواريخ سكود، اتصل بنا باول والتعب باد على نبراته· إن واشنطن اقنعت تل أبيب – على الأقل الآن – بإرجاع نفاثاتها إلى القواعد.

إن صاروخ سكود سوفياتى متقادم تعوزه الدقة، وقد صمم بالأصل لحمل رأس حربى زنته نصف طن لمسافة ١٩٠ ميلا. إنه يصيب على مقربة نصف ميل من الهدف، وهذا القرب كاف بالنسبة لأغراض السوفيات فالصواريخ السكود لا يستطيع أن يحمل رؤوسا حربية نووية، وتعلم العراقيون أن يضاعفوا مدى الصاروخ تقريبا بأن يربطوا صاروخين معا، أو أن يضيفوا قطعة إضافية للهيكل الأصلى، إلا أنهم بهذه الطريقة أدوا إلى تقليل حمولة الصاروخ إلى حد كبير. ومن الناحية الجوهرية كان كل ما لديهم هو سلاح يستطيع أن يحلق مسافة ٣٠٠ ميل، وأن يخطىء الهدف بمسافة ميلين، رأسه الحربى لا يزن أكثر من ١٦٠ رطلا، وهذا من الناحية العسكرية يضارع مفعول طائرة واحدة تقذف قنبلة واحدة صغيرة ثم تفر بعيدا. وبالطبع فإن القنبلة فظيعة إذا سقطت على أى انسان، إلا أنها لا تزيد عن بعوضة إذا أخذنا النطاق الضخم للحرب. وعلى أية حال كانت صواريخ سكود فعالة كسلاح إرهاب للسكان المدنيين، ففى مجرى الحرب الايرانية العراقية أطلق العراق صواريخ سكود على طهران بنفس الطريقة التى أمطر بها النازيون لندن بصواريخ ف –٢.

حتى الان استطاعت قاذفاتنا أن تمحق كل موقع معروف لصواريخ سكود فى غرب العراق: مدمرة ٣٦، منصة إطلاق ثابتة و١٠ منصات إطلاق متحركة، ولكنى كنت أعرف أننا نواجه مشكلة كبيرة مع منصات الإطلاق المتحركة المتبقية لدى العراق، فالعربات الجاثمة ذات الثمانى عجلات – وهى عموما بحجم شاحنات الصهاريج الكبيرة التى تنقل البنزين – ستكون أصغر من أن يمكن العثور عليها.

أطلقت ثلاثة صواريخ سكود جديدة على إسرائيل (اثنان على تل أبيب وواحد على القدس)، وسلمنى مدير العمليات صباح السبت برقية مرسلة من هيئة الأركان المشتركة الأمريكية: يريد الإسرائيليون القيام بضربة جوية شاملة فى غرب العراق قوامها ١٠٠ طائرة فى الصباح التالى، مائة طائرة أخرى عند العصر، مع هجمات

بهليكوبترات أباتشى فى المساء، وغارات على يد الكوماندوز، وستدخل الطائرات العراق من خلال المجال الجوى السعودى. اتصلت بباول فى الحال: «لن يقبل السعوديين ذلك قط.. لا يمكن التسلل عبرهم، فلديهم ضباط معنا فى الأواكس وسيعرفون ذلك».

فى ضحى ذلك اليوم أبلغنا باول بأن الأمير اتصل – بناء على طلب واشنطن – بالملك فهد، ليستفسر عن إمكانية إعطاء حق المرور فى الأجواء للطائرات الاسرائيلية أجاب الملك بسرعة بما معناه: «لا سبيل إلى ذلك بالمرة». وأخبرنى باول الان بأن الرئيس بوش على وشك الاتصال برئيس الوزراء الاسرائيلى اسحق شامير ليحاول إثناءه عن عزمه، واستخدم ثلاث حجج: أننا ضربنا أصلا كل مواقع صواريخ سكود المرصودة، وأننا نواصل الهجوم بعدد من الطائرات ومقدار من القوة النارية لا تتوفر لدى إسرائيل وأن تدخل إسرائيل قد يؤثر على التحالف أو يشق هذا التحالف الذى ثابرنا بدأب على بنائه. وكنا قد عملنا فى القيادة المركزية على وضع خطط لإخلاء غرب العراق من طائراتنا، تفاديا لحوادث الاشتباكات العرضية فى حالة حصول ضربة إسرائيلية، إلا أن باول اتصل وقال إن إسرائيل وافقت على الإحجام عن التحرك.

كان بوسعنا أن نتحسس مدى الضغط الذى تمارسه إسرائيل على واشنطن، لأن واشنطن كانت تتحول لتمارس هذا الضغط علينا، فأولا اقترحت هيئة الأركان المشتركة أن نسمح لاسرائيل بإرسال مخططيها ليجلسوا معنا فى مقر قيادتى فى الرياض، ويخبروا قوتنا الجوية بالأهداف التى يجب ضربها. وقلت لهم إن هذه فكرة حمقاء، كيف يمكن لأحد أن يفكر أن لدى الاسرائيليين معلومات عن الأهداف خيرا من قواتنا الجوية؟ لقد دأبنا على دراسة ذلك الجزء من العراق بأكثر وسائل جمع المعلومات تطورا وبأفضل تكنولوجيا ابتكرت حتى الان، علاوة على ذلك – بعد ستة أشهر من الوعظ بالحساسيات الثقافية – لم أستطع أن أصدق أن علىّ أن أشرح للآخرين أن وجود ضباط اسرائيليين سيحطم مصداقية القيادة المركزية لدى العرب، هذا اذا افترضنا أن السعوديين سيسمحون بدخولهم إلى المملكة.

بعد ذلك تلقينا أوامر من هيئة الأركان المشتركة بقصف أهداف مدرجة فى قائمة زود الإسرائيليون وزير الدفاع تشينى بها. كنا قد ضربنا أغلب أهداف هذه القائمة، ولما مضينا لمهاجمة الأهداف الأخرى لم نجد فيها شيئا. بلغ السيل الزبى بهورنر فقال:

«سيدى، هذا خبل.. لا يمكن لنا أن نسمح لحفنة من الاسرائيليين - الذين ليست لديهم أدنى فكرة عن مجمل خطة الحملة - ليأتوا ويقولوا لنا أين نرمى قنابلنا. إننا نرمى قنابلنا على كثبان رمل فارغة، وقد بدأنا نعرض حياة طيارينا للخطر». ووجدت نفسى أحاول التأثير على باول: «سنفعل ما تمليه علينا، ولكن مجرد ترك القنابل تسقط من الجو يخالف المنطق العسكرى».

واستجبنا للضغط بتحويل جهودنا إلى صيد صواريخ سكود، عبر تخصيص ثلث الطلعات القتالية وطلعات الإسناد التى تزيد على ٢٠٠٠ طلعة جوية مقررة كل يوم لتنفيذ الحملة الجوية الاستراتيجية. وشقت طائرات «ف - ١٥ س» و«ف - ١٦ س» طريقها بجرأة عبر حشود كثيفة من الصواريخ المضادة للطائرات لقصف ملاجىء تخرين صواريخ سكود ومواقع الإطلاق المشتبه بها غرب العراق. وفى يوم ١٩ يناير اصطدمت مهمة لقنص السكود بأربع طائرات ميج وطائرة ميراج عراقية حاولت أن تصد الهجوم، واسقطتها النفاثات الأمريكية جميعا. وكنا قد أرسلنا أصلا إلى داخل العراق مجموعات للعمليات الخاصة من قوات التحالف لمراقبة الطرق، والإبلاغ عن منصات الإطلاق المتحركة. كانت هذه المهمات بالغة الخطورة فالعراق كله كان عبارة عن معسكر مسلح، وحتى المناطق التى كانت على الخريطة خالية اتضح أنها تخضع لدوريات مكثفة من الوحدات العسكرية المرسلة خصيصا لأسر الطيارين المسقطين، ويبدو أيضا أننا لم نقدر قسوة المناخ فى الجبال الشمالية الغربية العراقية حق قدرها، فنحن فى فصل الشتاء وكان الطقس يتراوح بين التجمد والبلل. الواقع أن اثنين من إحدى فصائل القوات الخاصة لقيا مصرعهما بسبب قسوة البرد. أخيرا كانت طائرات الهجوم «أ - ١٠» ثقيلة التسليح تئز فوق طرقات ووديان غرب العراق كل صباح بعد انقشاع الضباب، بأمل اصطياد منصات إطلاق صواريخ سكود المتحركة فى مجرى انتقالها.

١٩ يناير ١٩٩١ - يوم الحرب + ٢ الساعة ١٦٣١:

مكالمة مع رئيس الأركان، ق.ع أوضح أن أول قنبلة ألقيناها على بغداد تعادل فى قوتها التفجيرية كل صواريخ السكو (عددها عشرة) التى أطلقوها.

واتضح لنا أن منصات إطلاق الصواريخ أكثر تضليلا مما كنا نعتقده، لقد التقطنا قلة منها ولكن ما إن تصل القاذفات تعزيـزها فوق الموقع الذى انطلقت منه الصواريخ قبل قليل، حتى تجد صحراء خالية!! حرنا فى ذلك، عندئذ جاءنا خالد بتفسير.

ففى أثناء حـديث له مع المصريين العـاملين بإمرتـه - والمصريـون خبراء فى المعدات السوفياتية التى كانوا يملكون قـدراً كبيراً منها - اكتشف أن شاحنة منصة الإطلاق لا تستطيع أن تمضى أبعد من مسـافة ستين دقيقة سـواقة بعد إتمام الإطـلاق، وكانت وكالات مخابراتنا قد أبلغتنا بأنها تسير لمسافة ٣٠ دقيقة سواقة.

بدأ الأمـر مفهومـا الان، ففى الوقت الذى نشخص فيـه موقع الإطـلاق وننقل فيه الإحداثيات إلى طياريـنا، يزوغ العراقيون بعيداً.

بعيد منتصف ليل الاثنين ٢١ يناير تعرضنا ــ ضباط مقرى وأنا - لفترة وجيزة إلى ما كان يتعـرض له الإسرائيليون: هـجوم بصـواريخ سكود على الرياض ــ التقطنا ستة صـواريخ متجهة نحونا وهى على وشك أن تسقط على الهدف. فى ظرف ٣ دقائق انطلقت صفارات الإنذار فى أرجـاء المدينة، وراحت بطاريات صـواريخ باتريوت تقـف فى حالة إنذار كامـل، وحرصنا فى غرفة الحرب الـواقعة فى القبو على وضـع الأقنعة الـواقية من الغازات السامة فى متنـاول اليد. بعد دقيقة انفتح الباب ودخل خالـد دخولا عاصفا مع كامل ضباط مقره وهم يحملون الأقنعة الواقية. كانت قلوبنا تغص وتثب إلى حناجرنا، فمبنى وزارة الدفاع لا يتمتع بحمايـة جوية كافية، ورغم أننـا لم نكن نعتقد أن العراق يملك رؤوسا كيماوية لصـواريخه، فلم نرصد رأسا كيماويا واحـدا خلال سنوات من مراقبتنا لتجاربهم الصاروخية، إلا أننا رحنا فى تلك اللحظة ننظر نظرات قلقة إلى كوى مكيفات الهواء.

سقطت الصـواريخ دون أن ندهش لـذلك على مبعدة أميـال، وعدنـا إلى العمل فيما كانت التقارير تترى: لم تقع إصابات.. لم ينخدش أحد. وأبلغت بطاريات باتريوت أنها قامت بإحـدى عشرة عملية اعتراض (ضربوا الصاروخ الـواحد عدة مرات، فـالمنظومة لاتزال تعانى من بعـض المثالب)، وقام فريق استطلاع تكنيكى بفحـص مواقع سقوط السكود، ولم يجد أثراً لمواد كيماوية.

تساقطت علينا صواريخ سكود أخرى في الأيام التالية، فاستدعاني الملك فهد إلى قصره وسألني عما نقوم به لمنع الهجمات فشرحت له السبب الذي يجعل الخطر الناجم عن صواريخ سكود ضئيلا. بدا الملك راضياً

****

بدأت وتيرة إطلاق صواريخ سكود تخف، ففي الأسبوع الأول من عاصفة الصحراء أطلق العراقيون ٣٥ صاروخاً، وفي الأسبوع الثاني ١٨، بعد ذلك لم يتدبروا غير إطلاق صاروخ واحد في اليوم كمعدل وسطي، وكانت اخر الصواريخ عشوائية كلية على وجه التقريب، فطاقم الصاروخ يخرج من مخبئة، بسرعة وينصب المنصة ويطلق دون إكمال اجراءات التسديد النظامي، ويفر بأسرع ما يمكن.. وللإنصاف نقول لم يكن بوسعهم أن يفعلوا أكثر من ذلك، في نفس الوقت كانت القاذفات المقاتلة لقوتنا الجوية تجوب غرب العراق في دوريات متواصلة على مدار الساعة. لقد قام هورنر بعمل خارق، ففي أقل من أسبوعين قام التحالف بـ ٣٠ ألف طلعة جوية، وهذا يوازي بصورة تقريبية ربع عدد الطلعات المنجزة في فيتنام خلال ٨ سنوات. ورغم أن العراق ادعى أنه أسقط ١٨٠ طائرة، فإن العدد الفعلي للخسائر كان ٨٠ طائرة. لقد عمل هورنر على تدمير الدفاعات الجوية العراقية تدميرا منهجيا، لذلك لم يكن مرجحا أن نفقد المزيد منها، فقد جرت مهاجمة بطاريات المدفعية المضادة للطائرات وتم قصف أو إسكات أغلب الصواريخ.

لم أعد أتناول وجبات منتظمة، فكان السرجنت الأول «واين سميتي سميث» – مرافقي – يسألني «سيدي ماذا تريد على العشاء؟» فأختار في العادة قدحاً من الشعرية.

أرسلت لي بريندا صندوقا من المنكهات المتنوعة وسجقا مسخنا بالميكروويف، ويحدث في بعض ليالي الأسبوع أن يذهب بعض ضباط المقر إلى نادي الضباط السعودي للعشاء ويجلب لي معه سنويتشا.

لا أقصد بذلك – على أية حال – القول بأن عاصفة الصحراء جعلتني أفقد وزني. كنت أتوجه لرؤية الفوات كلما سنحت الفرصة. أما أغلب الوقت فكنت اكتفي بالجلوس

متحدثا على الهاتف أو بواسطة اللاسلكي أو ممعنا النظر في الخرائط وشاشات الكومبيوتر، وكان هناك على الدوام من يدور في غرفة الحرب حاملا صندوقا من الكعك المرسل من البيت ليوزعه علينا، فنحشو جوفنا بالكعك لحد الخيشوم ثم نتأوه: «أوه.. لا أريد، ابعد هذا الكعك عن وجهي».

كنت اتصل تليفونيا بالبيت مرتين في الأسبوع، ساعيا إلى توقيت المكالمات حين يكون الأطفال في البيت، وكان الاستماع إلى الدرجات الفصلية التى نالتها سندى في الكلية أو انتصارات فريق تجديف جيسيكا أو اخر امتحان رياضيات أداه كريستيان، يسبغ على العالم اللاواقعي – الذى وجدت نفسى فيه – طابعا من السوية. وكانت بريندا تملأني بأخبار نشاطاتها، لقد نظمت ــ هي وزوجات الجنرالات الأخرين في قاعدة ماكديل الجوية ـ مجموعة رعاية للأسر التى توجه الأب أو الابن منها إلى الخليج، وكان هؤلاء المعالين غالبا ما يأتون إليهن طلبا للعون في حل مشاكلهم.

وكانت بعض هذه المكالمات تغدو فجأة مثيرة للمشاعر، ففى ليلة أول هجوم بصواريخ سكود على الرياض صادف أن كانت ليلة الاتصال التليفوني .. جاء كريستيان على الخط، ولما سألته كيف حالك؟ أجابني ليس سيئا كثيرا يابابا.. لم يكن ذلك من عاداته، ثم جاءت بريندا على الخط وأوضحت أنهم سمعوا من التليفزيون قبل قليل أن الرياض تتعرض لهجوم بصواريخ سكود.. طمأنتهم جميعا: لا تقلقوا، فالصواريخ سقطت أصلا وأنا في سرداب عمقه ٨٠ قدما تحت الأرض، ولست في أى خطر. كان ذلك تذكيرا بأن الحرب تهز الناس على جبهة الوطن.

وفي ليلة أخرى رفعت بريندا السماعة وهى تبكى "يا إلهى ،بريندا:مالأمر؟ ماذا حدث؟»، خطر لي في الحال أن مكروها وقع لأحد الأطفال.

قالت من غير تفكير «استلمت رسالتك لتوى». إن الرسالة التي كتبتها عشية الحرب استغرقت أسبوعين كى تصل إلى تامبا، قالت:اسمع يانورروم شوارتزكوف إذا قتلت فسأزعل عليك ".

المرة الوحيدة التى رأيت فيها ضوء النهار هي المرة التي توجهت فيها إلى الميدان، فبينما كانت الحرب الجوية تمضي قدما واصلت العمل كالمجنون في الحملة البرية مشرفا

على التحضيرات وزائرا للقادة والوحدات.. فى كل منطقة الحرب كـانت المعنويات عالية، والجنود يعرفون أنهم على أهبة الاستعداد للهجـوم، وهم سعداء لأن الساعات الطوال التى قضوها جاثمين فى الصحراء توشك على الانتهاء.ووجدت الشباب فى إحدى وحدات المدفعية من فـوج الفـرسـان المدرع الثـالث المتمـركـز علي الجبهـة وهم يضحكـون ويمزحون، وطلبوا منى أن أضع توقيعى على قـذيفة مدفعية، واعدين أنها ستكون أول قـذيفة يطلقـونها حين يبـدأ الهجوم.وزرت مشـاة البحـريـة المتمركـزين على الحدود السعودية الكويتية، وكان موقفهم كالآتى «إننا ذاهبون إلى الحرب سيدى وذاهبون إلى الوطن، وطريق العودة للوطن يمر بالكويت».

لقد دفعنا فرقا كاملة إلى الأمام كثيرا، بحيث بـات الوصول إليها يتطلب وقتا طويلا حتى بالطائرة أو الهليكوبتر.ولدى تحليقى فوق خط التابلاين تعجبت لماأنجزه الجيش، فقد كنا نسبق الجدول الزمنى للنقل الذى وضعـه باجونيس.قبل أسبوعين، من الآن لم يكن هناك سوى الصحراء وأنبوب النفط وخيمة بدوية طارئة، أما الآن فهناك بحار من شبكـات التمـويه التى تغطـى مسافـة أميـال، وتخفى حسب علمى آلاف الأطنـان من الأطعمة وقطع الغيـار والوقـود والماء والذخائر الـلازمة للهجـوم، أما الطـريق نفسه فعبارة عن قافلة طويلة من الشاحنات وصهاريج الوقود وناقلات الدبابات والمدرعات العملاقـة..آلاف العربات الممتدة من الأفق.إن مـارأيته أزال ارتيابى فى قدرتنـا على بدء الهجوم فى منتصف فبراير.

لم يتحقق أى شىء من هـذا بسحـر سـاحـر، فقـد تـوقـف الكثير على العقليـة الأمريكيـة.لقد حل «يـوسك» و«باجـونيس» والأناس العـاملون معهم سـائر أصناف القضاياالتى لم تدرس فى وست بوينت.. خذ الأزمة الكبرى فى الشاحنات:لقد اعتمدناعلى شاحنـات استأجرنـاهامن مقـاولين مدنيين يسوقهـا باكستـانيون وبنجـلاديشيون وفلبينيون لنقل ذخائرنا وتجهيزاتنا، وقد أعددنا للسائقين أماكن مبيت إلاأنهم اعتادوا النوم فى منازلهم، لذلك عندما كانواينتهون من نقل حمولة قذائف هاوتزر إلى الجبهة – وهو عمل مـاكانـوا يستطيعونه بـالمرة – كانوا فى أغلب الأحيـان يقودون شـاحناتهم عائديـن إلى جراج الشركة ثـم يتوجهون إلى بيـوتهم، وعندمـا نطلب من رب عملهم أن يرسلهم ثانية – وهو أمر يستغرق أيامـا فى ضوء بعد المسافات والطرق الملتوية. وذات

يوم لاحظ أحد عسكرييننا أن السائقين مفتونين بأشرطة فيديو ومباريات المصارعة الحرة الأمريكية. هالك هوجان ضد ماتشومان راندى المتوحش، واندريه العملاق ضد جاك الثعبان.. وما إلى ذلك. لذا نصب ضباط النقل من جماعة باجونيس خيمة كبيرة فى قاعدة التموين الرئيسية فى الظهران، وزودوها بشاشة عرض تلفزيونى، وكلما انطلق السائقون فى الصباح، أبلغهم الضباط عن البرنامج التلفزيونى لمساء اليوم.. فى نهاية النهار، يسرع السائقون عائدون لمشاهدة البرنامج، فنبقيهم تحت اليد لوجبات النقل لليوم التالى.

وكانت هناك قضايا لم يستطع حتى «جاس باجونيس» حلها، فقد كان قادة الفيالق والفرق عازمين بحق على إيصال قواتهم إلى الموقع فى وضع جاهز للهجوم تبعا للأوامر، ولكن إذا لم يحصل جنرال ما على عدد الشاحنات الذى يعتقد مثلا أنه يحتاجه، فإنه يعمد إلى رفع شكوى إلى مقر قيادة الجيش الثالث، أو يزجر باجونيس. حصل ذلك كثيرا إلى حد أننى اضطررت أخيرا إلى أن استطلع من جاس جلية القضية فأجاب " سيدى، هؤلاء الناس يظنون أن لدينا منظومة لوجستية تشبه ماهو متوفر في أوروبا، وهم يطلبون مايزيد على حصتهم العادلة من الشحنات والتجهيزات عوضا عن الفصل فى النزاع. اخترت حلا أفضل، كما كنا قد اتفقنا- وأنا- على أن باجونيس ينوء بقدر كبير من المسؤلية لايقل عما ينوء به أى قائد فى مسرح العمليات، وأنه لابد من ترقيته، لذلك طلبت من باول أن يعجل بترشيحه لرتبة جنرال بثلاث نجوم. صادق الرئيس بوش على الطلب فى ٢٨ يناير، وكانت تلك الترقية الوحيدة أثناء المعركة فى عملية عاصفة الصحراء، وبات باجونيس الآن برتبة مكافئة أو أعلى من بقية قادة الميدان، وكان بوسعه الآن أن يلقمهم حجرا إذا ادعت الحاجة، وتحسن سلوكهم معه تحسنا دراماتيكيا.

****

ظلت الجبهة هادئة طوال الأيام العشرة الأولى من الحرب، عدا تبادل مدفعى متفرق. ولكن فى ليل الثلاثاء ٢٩ يناير شنت الفرقة الآلية الخامسة العراقية هجوما بالدبابات عند ثلاث نقاط على الحدود السعودية الكويتية، واصطدم أحد طوابير الدبابات بكتيبة مشاة للبحرية الأمريكية فردته على أعقابه بسرعة، إلا أن الطابورين الآخرين لم يصادفا إلا مقاومة مشتتة من وحدات استطلاع متقدمة، وشقا طريقهما نحو بلدة

الخافجي وهي مركز تكرير للنفط على الساحل السعودى على مبعدة ٨ أميال جنوب الكويت.

كانت الخافجي- وهى المستوطنة السعودية الوحيدة التى تقع ضمن مدى المدفعية العراقية- مدينة أشباح، فسكانها البالغون ٢٠ ألفا تركوا البلدة بعد أن تعرضت للنيران فى اليوم الأول من الحرب، ولم تكن هناك حامية عسكرية فى الخفجى، لأننى أشرت على خالد منذ الأيام الأولى لدرع الصحراء بأن الدفاع عن الخفجى متعذر؛ فالعدو يستطيع أن يقصفكم من جانبه الحدودى أى وقت يشاء.

وجاء نائبه الجنرال عبد العزيز الشيخ وأبلغنى بأن الجنرال خالد سيقود هجوما مضادا لاستعادة الخفجي فى اليوم التالى. قلت:هذا رائع، هذا بالضبط عين مانبغى أن تقوم قواتكم، وسنقدم لكم كل الدعم اللازم والجنود .

وفى الصباح حمى وطيس المعركة إلى حد كبير.دفع السعوديون كتيبة دبابات من حول شمال المدينة لقطع خطوط القوة الغازية، إلا أنها اصطدمت بدروع للعدو أكثر بكثير مما كان متوقعا، ولدهشتنا كانت الفرقة الآلية الخامسة العراقية بأسرها، وتضم نحو أربعمائة دبابة ومدرعة تحاول التقدم على الطريق العام الساحلى إلى الخفجى، وأرسلنا طائرات القوة الجوية وطائرات سلاح مشاة البحرية.صبت طائراتنا وهليكوبتراتنا حمما من الجحيم على أرتال الدبابات طوال النهار، حتى أخذ الطيارون يشتكون من عدم القدرة على إيجاد أهداف بسبب الدخان المنبعث من الأهداف التى ضربوها .

استبدت بنا الحيرة أنا وأركان مقرى، وحاول أحد المحللين أن يستخلص أى مغزى لهذه النقلة فسماها " هجوم تشويش " ، أى أنها اندفاعة يقوم بها مدافعون لتشويش هجوم متوقع يعد له خصومهم.. ولكننا توصلنا أخيرا إلى أن ذلك كله محض لعبة دعائية، فقد أراد صدام أن يظهر للعالم أن العراق لا يرضخ رغم قصف التحالف، ولكن هذه حماقة فاضحة أخرى، ففرقته واقعة فى مصيدة، فاذا انسحبت واجهت المزيد من الضربات الجوية وإذا تقدمت واجهت فى جنوب المدينة قوات مشاة البحرية مع وحدات قطرية تسد عليها الطرق .

أعد خالد وأركانه هجوما مضادا أكبر بكثير لصباح اليوم التالى إلا أن الوقت كان يعمل لصالحنا، فعند طلوع النهار شن السعوديون هجوما مضادا بلواء مدرع وعناصر من حرسهم الوطنى ووحدة من قطر. عند الظهر اتصل خالد متوهجا بالظفر وقال إنهم دمروا ١٥ دبابة وأسروا مائة عراقي، مع أدنى حد من الأصابات فى قواته. أما عن الجانب العراقى فقد كانت معركة الخافجى هزيمة نكراء للفرقة الآلية الخامسة التى تعد من أفضل الوحدات المدرعة وادنى فقط بدرجة من الحرس الجمهورى.. لقد دمرت تماما على وجه التقريب، وقد رصدنا الاتصالات العراقية اللاحقة التى أشارت إلى أن ٢٠٪ من الفرقة استطاعت العودة. وخلال هذه المعركة أثبتت المدفعية العراقية المتبجحة كثيرا أنها عديمة الفعالية، فلقد أطلقت مئات القذائف إلا أنها لم تنجح فى اسقاط قذيفة واحدة على قواتنا. ولقد أعلنت الصحافة السعودية ووكالات الأنباء –فيما بعد– أن الخفجى كانت فشلا عراقيا، وأنه قد تم تطهيرها تماما من القوات المدرعة العراقية التى اعتدت على حرمتها .

الباب الثامن

الحرب هى العلاج

كانت الحرب الجوية مستمرة، وكان عدد المفقودين بين قواتنا يتزايد، ففى يوم ٣١/١/١٩٩١ وفى تمام الساعة ١٨٣٠- ق.ع أبلغ رئيس الأركان بأن لدينا جنديين مفقودين فى القتال من سرية النقل فى الفيلق ١٨ المحمول (ذكر واحد وأنثى واحدة). من الواضح أن ناقلتى معدات ثقيلة ضلتا عند الاستدارة على طريق التابلابن، وتوجهتا شمالاً إلى الحدود الكويتية، ولما أدركت الناقلتان أنهما تقتربان من منطقة العراق دارت إحداهما على أعقابها لتعود إلى نقطة حراسة لمشاة البحرية طلباً للنجدة، لأن الناقلة الأخرى انغرست فى الرمل. وهناك قوات عراقية فى المنطقة. ق.ع أبلغ رئيس الأركان بأن البحث جار، وأن هذه حقاً أول أنثى مفتودة فى القتال (دأب راديو بغداد على الزعم بأنهم أسروا العديد من الإناث خلال تغلغلهن الحدودى عند الخفجى).

١ فبراير (شباط) ٩١ يوم الهجوم + ١٥

الساعة ٢٥٠ – عقب غارة من ب – ٥٢ على «الغابة الوطنية» الكويتية فى جنوب غرب الكويت، فر العديد من عربات العراق من الغابة. أبلغتنا طائرات أ – ١٠ عن تدمير الآتى. ٢٠ دبابة، ١١ ناقلة جنود مدرعة ،٢٠ عربة ذات عجلات، وثلاث راجمات صواريخ. أبلغنا الطيارون بأن ميدان المعركة يشبه" إشعال النور فى غرفة مليئة بالصراصير».

استنسخت مقتبساً من مذكرات الجنرال وليام ت. شيرمان، ولصقته على مكتبى: «الحرب هى العلاج الذى اختاره العراقيون»، وأقول دعنا نعطيهم مايريدون. وفيما راحت طائراتنا تتحول إلى أشرس مرحلة فى الحملة الجوية، كنت أعرف أن جنود صدام لم يعودوا ينالون قسطاً من النوم فى مخابئهم وخنادقهم ،والسبب أن طائرات ب – ٥٢ والقاذفات المقاتلة ونفاثات الهجوم كانت تدك مواقعهم على طول الجبهة، وكانت

الأسبقية الأولى بنظرنا هى تدمير الأسلحة الثقيلة، وبخاصة المدفعية التى يمكن أن تستخدم لإطلاق القذائف الكيماوية، ولكننا كنا نريد أيضاً تفتيت معنويات العراقيين فكنا نغتنم فترات الراحة الفاصلة بين الغارات الجوية، لنسقط ملايين المنشورات التى صغناها بالتعاون مع السعوديين. والمنشور النموذجى يحمل على الوجه الأول رسماً لسعوديين مبتسمين متحلقين حول النار فى الصحراء وهم يقدمون القهوة لضيف، أما على الوجه الآخر فصورة صدام وهو يستل خنجراً غادرا ليطعن شقيقاً عربياً فى الظهر، وكان فحوى المنشور بالعربية ينص على ما يلى «انظر مافعله صدام، لقد قمتم باحتلال أرض جار لكم . إذا جئتم إلينا فسنعاملكم كأخوة عرب».

بعد أسبوعين من الحرب حدست بغريزتى وخبرتى: إننا قصفنا معظم الأهداف الاستراتيجية بما يكفى لإنجاز غايات الحملة، وقد آن الأوان – حسب اعتقادى– لتحويل أغلب قواتنا الجوية على الجيش الذى كنا نوشك أن نلاقيه فى المعركة، إلا أن خبراءنا – وهم يؤلفون « فريق تقدير الأضرار» المتخصص من وكالات الاستخبارات فى واشنطن، والذى نسب إلى القيادة المركزية– خالفوا هذا الرأى. كانت مهمتهم هى تحليل نتائج القصف وتحديد الأهداف التى يجب ضربها من جديد ، وقد دفعونا منذ اليوم الأول لعاصفة الصحراء إلى الدوران فى حلقة مفرغة ، فكانوا يقولون أشياء من قبيل «لم تفلحوا فى تدمير محطة توليد الكهرباء فى بغداد» ، ومع ذلك كنا نعرف أن الأنوار فى بغداد مطفأة. وفى المرحلة المبكرة من صيد صواريخ سكود أخبرونا بأن منصات إطلاق الصواريخ الثابتة فى غرب العراق لم تتضرر إلا بنسبة ٢٥ فى المائة، ومع أن هذه المنصات لم تطلق صاروخاً واحداً بعد، فإننا لم نستطع تقبل المجازفة، ولذلك أرسلنا عشرات الطائرات لضربها ثانية.

إن تقدير أضرار العراق فى المعركة هو فن قائم بذاته. يجمع المحللون تقارير الطيارين وصور الموقع المضروب وتقارير متابعة الاستطلاع الجوى ونتفقد المعلومات المتسربة من وراء خطوط العراقيين، إلا أن جماعة الاستخبارات كانوا– ومازالوا– منذ سنوات يسعون إلى تحويل ذلك إلى علم قائم بذاته، وذلك بالدرجة الأساسية عن طريق إنفاق المليارات من الدولارات على تكنولوجيا المراقبة، وعليه جرى إعداد المحللين للركون إلى حد كبير على الدليل « الملموس» الذى تقدمه طائرات الاستطلاع والأقمار

الصناعية، ولذلك إذا عاد طيار وقال. «انفجر المخبأ أمام أنظارى» فإنهم لايمنحون هذا القول الثقة، فتقارير الطيارين- حسب رأيهم - تنحو إلى المغالاة، إلا أن معدات التكنولوجية لم تكن كاملة القدرة على الرؤية كما كانوا يظنون، ولم يتركوا لأنفسهم مخرجاً لممارسة التقدير العسكرى . لقد كانت تحليلاتهم بديعة فى بعض الأحيان، إلا أنها كانت عديمة المعنى فى أحيان أخرى كثيرة من ناحية المعايير التى حددتها أنا لتقدير الأضرار المحيقة بمنشآت العراق ووحداته ومعداته، ولم يكن بمقدورنا أن نتحمل نتائج تقديرات مشوهة، فالمغالاة فى التفاؤل قد تدفعنا إلى البدء بالحرب البرية فى وقت أبكر مما ينبغى، ودفع الثمن بخسائر فادحة فى الأرواح. والمغالاة فى التشاؤم قد تدفعنا إلى الجلوس ضاربين كفاً بكف نادبين أن العراق مايزال قوياً للغاية.

أفصحت لهم عن مشاعري. إن الكولونيل توماس مستشارنا الرئيسى حول الوضع المخابراتى الراهن، كان كبير ضباط الاستخبارات فى فرقة المشاة الآلية ٢٤ لما تسلمت قيادتها، ،كنت أعرفه ضابطاً لامعاً متفانياً، وقديراً من الناحية المهنية، وكان يأتى كل ليلة ليطلعنى على آخر تقدير للأضرار الناجمة عن القصف مما توصلت إليه جماعة الاستخبارات ، وليستمع إلى وأنا أدلى بملاحظات طريفة من مثل: لو دمرنا شبراً من جسر طوله أربعة أشبار، بحيث إن أى شىء يحاول العبور سيسقط فى نهر الفرات، فإن جماعتك فى الاستخبارات يقولون لنا إن أضرار الجسر لاتزيد على ٢٥ فى المائة.

وإذا حولنا القصف من الأهداف الاستراتيجية إلى القوات العراقية، ازدادت أوجاع الرأس هذه. فإن القول بأننا دمرنا مصنعاً للذخائر أو منشأة أسلحة بيولوجية لأسهل بكثير من القول بأننا دمرنا كتيبة من ٤٠ دبابة متمركزة فى استحكاماتها فى الصحراء. كان الحرس الجمهورى قد اختبأ تحت الأرض بالمعنى الحرفى للتعبير ،فلقد بنوا مخابىء لرجالهم ولدباباتهم على حد سواء، وذلك رغم أننا كنا نوجه لهم الضربات بثلاثين طلعة جوية لطائرات ب- ٥٢، فقد كان من الصعب تحديد النتائج كمياً. وابتغاء حل هذه المعضلة ابتكرنا تكتيكياً أسميناه شفط الدبابات. كنا نرسل طائرات منفردة لتحديد مواقع مخابىء منفردة وتدميرها بقنابل موجهة بالليزر، ويعود الطيارون مبلغين عن اصابات مباشرة. ومع أن الأضرار لاتطفو على السطح أمام النظر فى مثل هذه

الحالات، فإن المحللين يؤكدون بعناد أن وحدات الحرس الجمهورى ماتزال تحافظ على قوتها قريباً من معدل مائة فى المائة.

ولم يطل الوقت حتى أصبحت هذه الخلافات محور مانشيتات الأخبار، وبرز تقرير صحفى فى« نيويورك تايمز» (الطبعة الصادرة فى واشنطن) يحمل العنوان الرئيسى التالى « نخبة القوات العراقية لم تصب بأذى كبير من جراء القصف حسب أقوال رسميين فى البنتاجون» وظهر تقرير آخر (فى صحيفة تصدر فى الظهران) يؤكد: «نخبة القوات العراقية تتضرر بالقصف حسب تأكيد المساعدين الحلفاء»

كان توماس يشعر بنفس القدر من الإحباط الذى انتابنى.أخيراً قلت له علينا أن نبتكر طريقة منهجية معقولة..تقهقر إلى مكتبه يومين وعاد بما يسرنى، حاملاً طريقة منهجية تجمع الفن القديم بالعلم الجديد على نحو بدا معقولا للجميع، فقد كان يتناول كل صنف من الأهداف على حده-ولنقل مثلاً مطارات العراق- ويضع ورقة مستقلة يضع عليها الصورة الفوتوغرافية للتقدير «الموضوعى» للإصابة كما أورده المحللون ، إلى جوار التقييم «الذاتى» الذى وضعه قسم الاستخبارات عندنا لقدرة العراق، على أساس المعيار الكلى الذى قمت بتحديده «بسط التفوق الجوي». فى هذه الحالة تعطى الصورة الفوتوغرافية للمحللين تقديراً يقول إن أضرار المطار معتدلة حسب المعطيات المتطورة، فالمدارج لم تدمر إلا بنسبة ٢٠ فى المائة وأرض المطار لاتزال صالحة للعمل. إلا أننا كنا نعرف أيضاً أن طائرات القوة الجوية العراقية لم تعد تحلق، فالطائرات التى تحلق تتعرض للإسقاط أو أن طياريها يفرون بها إلى إيران، لذلك قام ضباط استخباراتنا بتقدير معيار السيطرة الجوية بنسبة ٩٥ فى المائة. إن دمج القرائن الثبوتية على هذا النحو ساعدنا على التوصل إلى النتيجة البديهية: لقد قصفنا المطارات بما فيه الكفاية، وبوسعنا الانتقال إلى أهداف أخرى.

إن الابتكار الفذ الذى حققه توماس أنقذ حياة الكثيرين: وفر على الطيارين المجازفة بتنفيذ ضربات لالزوم لها، وخفف عنا ضغط مختلف أجهزة المخابرات فى واشنطن. أخيراً أوعزت له بأن يشرح هذا التكتيك الجديد إلى تشينى وباول، اللذين راحا يمطرانا بوابل من الأسئلة المدققة عنه، ثم وافقا على أن القيادة المركزية كانت تعرف ماتفعل. وكانت وكالة المخابرات المركزية (سى. أى. أيه) هى الجهة الوحيدة التى ظلت تعارض،

فحتى عشية الحرب البرية راحت تقول للرئيس إننا نغـالى مغالاة تامة بالاصابات التى أوقعناها بـالعراقيين، ولوكان لزاماً علينـا أن نقنع وكالة المخابرات المركـزية بذلك قبل شن الهجوم، لكنا مانزال فى المملكة العربية السعودية حتى يومنا هذا.

٤ فبراير ٩١ – يوم الهجوم + ١٨

الساعـة ١٨,٤٥ أوضـح ق.ع إلى رئيس الأركان أن الصحـافـة منـزعجة وتـزداد عدائيـة،وأن مشكلة الصحافيين أن هناك ١٠٠٠ واحـد منهم، ومع ذلك فإن حوالى ٧٥ منهم يحضرون إلى المجمع الإعـلامى فى أى وقت معين، أمـا البقيـة «٩٢٥ صحـافيـا» فيجلسـون هنا أو هنـاك وهم يجأرون بالشكـوى لاغير. ومما يثير الفضـول أن أغلب رجال الصحافة منزعجون من محطـة (سى.أن.أن) لأنها تقدم تقارير غير دقيقة لمجرد أن تحقق سبقا صحافيا.

٨ فبراير ٩١ – يوم الهجوم + ٢٢

الساعة ٩,٠٠ فى ختام جلسة الإطلاع الصباحيـة، ضابط العلاقات العامة أخبر ق.ع أن اثنين من الصحافيين عبرا الحدود والتقيا ببعض المسلحين العراقيين، فأخذهم هؤلاء إلى نقطـة تفتيـش الحدود وسلمـوهما إلى المصريين كأسرى حـرب.. كـل ذلك من أجل الحصول على مقـابلة صحافيـة.. تعليق ق.ع هو أن بعض الصحـافيين قد يقتل، فحين ترى قواتنا عراقيين كاملى التسليح فإنها ستفتح النار قبل أن توجه أسئلة.

فى الثامن من فبرايـر جاء تشينى وبـاول مبعوثين عن الرئيس بـوش لتقديـر ما إذا كـانت الولايـات المتحـدة متهيئة لشـن الهجوم البرى. حسب رأيى كنـا متهيئين، فعلى الطرف الشرقى من الحدود السعودية الكويتية كانت وحدات مشاة البحرية والوحدات السعوديـة بانتظـار الأوامر بالتحـرك، للانقضـاض على نقاط الهجـوم، وعلى الطرف الغربى، الفيلق العـربى – الذى يشكل المصريون رأس الحربـة فيه – جاهز فى مـواقعة تماما. والفيلق السابع بإمرة فريد فـرانكس على وشك إكمال نقلته الشاسعة من ألمانيا إلى مناطق التجمع التكتيكى قرب الجبهة، وسيكـون قادرا فى ظرف أيام على الانتقال إلى مواقع هجوميـة. أما على الجناح الغربى البعيد فقد حرك جـارى لاك فيلقه الثامن عشر المحمول إلى مواقع الهجوم.

وضعنا خطة لإطلاع تشينى وباول على مدى ٨ ساعات كاملة، وقبل وصولهما جاء جون يوسوك ليقدم لى موجزا عاما عن أوضاع الجيش الثالث.. كان همى الأكبر - بعد اصغائى إلى الموجز الذى قدمه - هو وضع الفيلق السابع. لم يكن عندى ريب فى أن هذا الفيلق سيتدبر أمر الوصول إلى خط البداية، وخطة مناورة هذا الفيلق ستنفذ المهمة التى أسندتها إليه، إلا أن الخطة بدت لى متثاقلة الخطى وبالغة الاحتراس، فالفيلق السابع يزمع التقدم ثم الوقوف، فإعادة التجمع والتقدم من جديد وهكذا.. كما كان قائد الفيلق الجنرال فرانكس يصر على أنه بحاجة إلى فرقة احتياطية لكى يؤمن النجاح، وصرت كلما أمعنت التفكير يزداد القلق الذى يلفنى، فحين يأتى أوان اتخاذ القرارات فى ميدان المعركة لن أكون هناك معهم، فقد كنت أعتمد اعتمادا مطلقا على المهارة والحساسية وملكة الحكم الفردية لدى كل جنرال. ولكن كان بوسعى أن أحدد الإطار الواضح للعمل، وأن أنقل نواياى الروحية التى أريد أن تنفذ بها الحملة. ذكرت يوسوك بأن الفيلق السابع لن يقاتل الجيش السوفييتى الجيد التدريب والتسليح الذى يفترض منه أن يجابهه فى أوروبا.. لا أريد سيادة ذهنية بطيئة غليظة ثقيلة.. لا أريد هجوما مترويا.. أريد من الفيلق السابع أن يضرب بعنف الحرس الجمهورى.. إن الجيش العراقى لا يساوى سوى نقير.. لاحقهم بجرأة وانزل عليهم كالصدمة.. خذهم على حين غرة.

ولما أوضح يوسوك أن فرانج قلق من أن الفيلق السابع لا يتمتع بالعدد أو القوة القتالية الكافية للنجاح فى الهجوم، ذكرته أن حملتنا الجوية تدك قوات العراق البرية وتفتت إرادة القتال لدى العراقيين. أكدت له من جديد: «دعنى أوضح الأمر يا جون.. لا أريد عملية طحن آلية بطيئة.. يجب أن نكون مرنين بما فيه الكفاية لاستثمار الفرص لحظة نشوئها. فالقضية ليست قضية تحقيق أهداف وسطية ثم التوقف لإعادة التزود بالسلاح والذخيرة، فإذا أبقيت الفرق واقفة فإنك ستقدم هدفا كبيرا للأسلحة الكيماوية وستخسر.. لا ينبغى أن يتوقف الفيلق السابع لأى سبب».

أجاب يوسوك أنه يفهم ذلك ويوافقنى الرأى.

توجهت للقاء تشينى وباول لحظة هبطت طائرتهما فى القاعدة الجوية فى الرياض مساء يوم الجمعة، وبدأنا جلسات الإطلاع فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى. بدأت

الجلسة بعرض تقديرات قيادات كل من هورنر ويوسوك، ووالت بومر، ونائب الأدميرال البحرى ستان أرثر الذى خلف هانك ماوتس فى منصب قائد قواتنا البحرية. أكد كل واحد منهم أن قواته جاهزة للهجوم، ثم أوضح بيرت مور ضابط عملياتى أن الجيش سوف يحتاج إلى ١٢ يوما من العد التنازلى لنقل بقية قواته إلى مواقع الهجوم، والقيام بعمليات الاستطلاع داخل العراق، وفحص ثغرات المرور فى حقول الألغام والموانع. وقال موجها كلامه إلى تشينى: «معنى ذلك يا سيدى أنكم إذا أعطيتمونا أوامر التحرك اليوم، فإن أقرب موعد نستطيع أن نهاجم فيه هو يوم الحادى والعشرين». سدد إلى باول نظرة مرحة، لقد تجاوزنا فسحة الهجوم التى أعطيتها له فى ديسمبر «كانون الأول» بيوم واحد.

وبينما كان النهار يمضى، كان تشينى يجلس مفتونا، وقدم باجونيس عرضا يبين أننا أنجزنا مهمة النقل العملاق لقواتنا إلى الغرب خلال الأسابيع الثلاثة المقررة، وامتلأ تشينى بالثناء. بعد ذلك قدم فرانكس وجريفيث آمر الفرقة المدرعة الأولى، وما كفرى آمر فرقة المشاة الالية الرابعة والعشرين عرضا مسهبا للطريقة التى سينفذون بها مهماتهم، ورأيت أنها مثيرة لإعجاب الجميع باستثناء خطة فرانج التى كانت متأنية أكثر مما ينبغى، وقد أصر فرانج على أن يقول أمام الوزير ورئيس هيئة الأركان المشتركة إنه سيكون بحاجة إلى احتياطى.

والتمس تشينى المعذرة فى أن يتحدث مع باول ومعى على انفراد. ذهبنا إلى المكتب الصغير: « نورم، لقد استمعت إلى ما قاله رجالك، والان قل لى ما هى توصيتك».

«أرى أن نمضى فى الهجوم البرى الان، لن نكون أكثر استعدادا مما نحن عليه الان، فشبابنا مشحوذون شحذا رائعا، وإذا انتظرنا أكثر فستتدنى جاهزيتهم، علاوة على هذا إذا أخذنا فى الاعتبار معدل ما نستهلكه من ذخائر فلا أدرى كم سيكون بوسعنا أن نواصل الهجوم الجوي. وبافتراض أن قصفنا قد أضعف الجيش العراقى إلى الحد الذى نريد، فإن الوقت الأمثل هو على الدوام الحد الأوسط من فبراير.

جلس تشينى هادئا يدون ملاحظاته على قصاصات ورق لاصق، بعد ذلك نظر إلىّ متسائلاً «متى ينبغى أن نتحرك برأيك»؟

«يوم الحادى والعشرين، ولكنى أحتاج إلى فسحة حرة من ثلاثة إلى أربعة أيام لأننا نحتاج إلى طقس صاف لبدء الحملة». وكررت نقطة أثارها بومر: «الطقس الحسن ضرورى بوجه عام لمشاة البحرية الذين يمتلكون مقدارا محدودا من قطع المدفعية الثقيلة، ويعتمدون بالتالى اعتمادا كبيرا على الاسناد الجوى».

قال تشينى بهدوء «ابدأ تحضيراتك، سأنقل هذه المواعيد إلى الرئيس».

عدنا إلى قاعة الاجتماعات، حيث كان القادة العسكريون فى الانتظار. قال الوزير: «لم يسبق فى تاريخ أمتنا من قبل أن قامت القوات المسلحة الأمريكية بعملية أكثر نجاحا وكفاءة من عمليتكم هذه». باول ردد صدى الفكرة ذاتها وأضاف: «لا استطيع أن أصدق علو المنزلة التى أسبغتها هذه الأزمة ورد فعلها على بلادنا. هذه هى الطريقة التى ينبغى أن تتصرف بها القوة العظمى الوحيدة الباقية فى العالم».

انصرف الاثنان.. فى يوم الخميس اتصل باول من البنتاجون ليقول إن الرئيس بوش وافق على المواعيد، وقال إنه إذا قررت الولايات المتحدة وحلفاؤها شن الهجوم البرى فإن الموعد المحدد للهجوم متروك لنا: «تستطيع أن تتحرك فى أى وقت تشاء بعد الحادى والعشرين من فبراير. الدور عليك الان».

١٣ فبراير ٩١ – يوم الهجوم + ٢٧

الساعة ٠٩٠٠ جلسة الإطلاع الصباحية... الأولوية الجوية تعطى لضرب الدروع والمدفعية فى مسرح العمليات الكويتى، وفرقة حمورابى للحرس الجمهورى ومواقع سكود وطلعات صيد للدبابات وأهداف فى بغداد. الطلعات الجوية لضرب الدبابات أبلغت ليلة أمس عن تحطيم ٨٥ عربة مدرعة، وفى الليلة نفسها عبر تسعة من أسرى حرب العراق خط الجبهة.. دخلت أيضا مجموعة من البدو مع ألف رأس غنم قاطع عمليات الفيلق ١٨ المحمول.

الساعة ١٨٠٠ رئيس الأركان أبلغ ق.ع أن هناك اهتماما إعلاميا مكثفا بقصفنا ليلة أمس لملجأ القيادة والسيطرة فى بغداد، وعلى حين أن هذه المنشأة كانت على قائمة أهدافنا منذ فترة طويلة وأكدتها مرارا تقارير وكالة المخابرات المركزية والاستخبارات العسكرية، فقد كانت على ما يبدو مزدحمة بالمدنيين حين ضربناها بقذيفتين عند الساعة

«٠٠٤٠». أكد ق.ع لرئيس الأركان أننا ضربنا هدفا صحيحا وأننا سنبين تفاصيل هذه الأحداث للصحافة فى جلسة الإعلام هذا المساء «البريجادير جنرال نيل قام بإطلاع الصحافة على ذلك، ورغم أن ذلك لم يخفف من استفساراتهم فقد بدا كما لو أن ذلك فى الواقع هدف عسكرى مشروع».

أخذ بومر يعيد النظر فى خطته وما آله.. فقد حفر العراقيون على طول معظم الحدود الكويتية موانع محكمة تمتد الاف الياردات، بحيث يتوجب على بومر أن يقوم بالاختراق وهو تحت نيرانهم، فأولا سيواجهون حقول ألغام. مزيجا قاتلا من ألغام الافراد وألغام الدبابات، تأتى من بعد ذلك صفوف ضخمة من الأسلاك الشائكة: لفائف مركومة فوق لفائف من هذه الأسلاك، ومتداخلة تداخلا يتعذر معه فكها عن بعض، ومزروعة بألغام وقنابل مفخخة.. بعد ذلك تأتى حقول ألغام أخرى ثم تعقبها مصايد دبابات «وهى خنادق عميقة تحتاج الدبابات إلى جسور مؤقتة لعبورها» لتليها سواتر «مانع رملى يصعب تسلقة بارتفاع ٢١ قدما» وأخيرا ما يسمى بالاستحكامات النارية «خنادق طويلة مملؤة بالنفط لاستقبال المهاجم بحائط من اللهب». وتنتشر فى أرجاء ذلك كله قلاع من الدبابات المختبئة فى الموانع، والمتاريس التى يمكن للمشاة العراقيين إطلاق النار منها. ولعل مجمع الموانع هذا يصل إلى عمق ميل، وكان هناك مجمع موانع ثان بعد هذا المجمع الأول فى معظم نقاط القاطع الذى يعمل فيه بومر. وكان غرض العراقيين من ذلك إبطاء وتيرة هجومنا ودفع مشاة البحرية إلى التجمع بكثافة، مما يسمح للمدفعية العراقية فى المؤخرة بقصفهم أثناء محاولتهم إكمال الاختراق، وكان الحل الذى تقدم به بومر هو الإصرار على مضاعفة ضرباتنا الجوية للمدفعية والمواقع الأمامية العراقية.

وظل يراجع خطة معركته من أجل أن يستثمر نقاط الضعف والثغرات التى اكتشفتها دوريات الاستطلاع المتسللة وراء خطوط الجيش العراقى. ومع حلول يوم الخميس ١٤ فبراير قرر تغيير نقطة الهجوم الرئيسية إلى موضع جديد يقع على مبعدة ٢٠ ميلا إلى الغرب. لقد اختار قاطعا أرجع فيه العراقيون خطهم الأمامى إلى الوراء قبل بدء الحملة الجوية، ولذلك كان مجمع الموانع الأقرب للحدود مهجورا إلى حد كبير، فى حين لم يكتمل مجمع الموانع الثانى الذى يقع خلف المجمع الأول بمسافة ١٠ أميال.

راجعت خـرائطـه ووافقته على أن التغيير التكتيكى الـذى أجـراه معقـول، رغم أن ذلك سيكلفنـا بضعة أيـام، إذ يجب أن نغير مـواقع قواعـد الإسنـاد ونعيد تنظيم خطـوط الإمدادا، وعـدلت موعـد الهجوم البرى بصـورة مؤقتـة إلى يوم الـرابع والعشرين من الشـهر.

لما اتصلت بـ «بـاول» كى أعلمـه بالتعـديل خـاب أملـه: «لا أحب أن انتظـر كثيرا، فالرئيس يريدنا أن ننتهى من ذلك» وأوضح أن المبعوث السوفييتى يفجينى بريماكوف عـاد لتوه من بغـداد حيث كان يحاول التفـاوض على انسحاب عـراقى فى اخر دقيقـة، ونحن لا نريد أن نعطى صـدام وقتا إضافيا للف والـدوران، ولحسن الحظ لم يعد ثمة داع لقلق باول، ففى اليـوم التالى قدم العراق عـرضا بالانسحاب لا يـزيد على ابتهالات المطالب القديمة ذاتها، ورفض التحالف العـرض جملة وتفصيلا، واستمرت المحادثات السوفييتية العراقية لكن الرئيس وافق على منح مشاة البحرية الوقت الذى يحتاجونه.

١٤ فبراير ٩١ – يوم الهجوم + ٢٨

السـاعة ١٥٢٠ مكالمة هاتفيـة من رئيس الأركان.. شىء واحـد حاولنا إيصـاله إلى العراقيين من خـلال إسقاط المنشـورات والبث بالراديـو، وهو إرشـادهم لمسار بترك وحداتهم، فأغلب الأسرى لا يعرفون أين خطوط الجبهة، ولكن ما إن بدأنا نعلن «سيروا باتجاه مكة» حتى ساعدهم ذلك.

١٥ فبراير ٩١ – يوم الهجوم + ٢٩

السـاعـة ٩،٠٠ جلسـة الاطلاع الصبـاحية. الاستخبـارات اطلعتنا أن الميـول وسط أسرى العدو كالاتى: أغلبهم من قـدامى المقاتلين فى الحرب الإيرانية العـراقية ومتعبون من الحرب. إنهم يقدمون معلومات عن حجم الـوحدة، مواقع حقول الألغام والمخابىء، ومعطيات تقدير الإصابات.. وهم جميعا يقولون إن عدد الفارين عبر الخطوط سيكون أكبر لـولا حقول الألغـام والحرس الجمهـورى والخشية مـن الانتقام من عـائلاتهم، ويقولـون جميعا إنه حـالما تبدأ الحرب البرية فـإن أقرانهم سوف يستسلمـون بأعداد غفيرة.

إنهم يفضلون الاستسلام للعرب، لكنهم سوف يستسلمون أيضا للولايات المتحدة.

فى هذه الأثناء كان ستان ارثر – وهـو أكثر الادميرالات الذين عرفتهم جموحا – قد دفع بثـلاث حـاملات طـائرات إلى الميـاه الضحلـة الضيقـة من الخليج، حيث رفضت البحرية على الدوام أن تسمح حتى بمجىء حاملة واحدة. وكان أرثر يريد الان أن يشن هجوما برمائيا على جزيرة فيلكـا الكويتية كنوع من التمهيد للحرب البرية. أطلعنى على اقتراحه مبينـا أن البحرية ستكون بحـاجة إلى عشرة أيام لتجهيز السفن الـلازمة، وفى حين أن مثل هـذا الهجوم من شأنـه أن يفشل لأن الجزيرة محميـة حماية جيـدة. وأن الإصابات فى رجاله قد تكون بالغة، لذلك أبلغته أن يقوم بالاستعدادات وينتظر أوامرى اللاحقة بعد أسبوع من زيارة تشينى وباول. مـر على طاولة مكتبى أمر من أرثر موجه إلى سفنـه لاتخاذ وضع الهجوم.. كـان من شأن هـذا العمل المكتبى الورقى أن يكـون حسنا لـولا أنه كان مختومـا بعبارة أمر للتنفيـذ وهذا يعنى بلغته العسكريـة «سوف نهاجم» اتصلت تليفـونيا بستـان على عجل وقلت له: لا أنـا أعطيتك ولا البيت الابيض اعطاك الاذن بالهجوم ما الذى يجعلك تعتقد أن باستطاعتك تجاوز الأوامر؟.

اعترض قائلا «الواقع إنه مجرد أمر حركة».

كان عليك أن تختم الأمر بهذه العبارة اذن وقلت لـه: إن الفوضـى قد تؤدى إلى مقتل البعض» إنك تستطيع أن تحرك سفنك إلى الموضع المطلـوب ولكنك لا تستطيع أن تشن هجوما بر مائيا بدون إذن منى».

فى هـذه الأثنـاء كشف الفحص الطبى أن يـوسـوك مصـاب بـذاء الـرئة.. ذهب إلى المستشفى فى الساعات المبكرة ليـوم الرابع عشر، ولكن بعد ثلاثة أيام جـاءنى إلى غرفة الحرب الطبيب روبرت بليهار، رئيس الجراحين فى القيادة المركزية وقال «اخبار سيئة.. عدا الـرئة فإن الجنرال مصاب بتقرحـات فى المثانة». وكـان الاطباء يوصون بجـراحة فورية.

وجهت إليه بضعة أسئلة.. قال الدكتـور بليهار: إن يوسوك يحتاج إلى البقاء ٣ إلى ٤ أيام فى المستشفى على الأقل واقترحت اجلاء جـون إلى ألمانيا لأنى كنت اعرف أن زوجته بيتا هناك باقية مع ابنتها، وهذه الابنة متزوجة من كابتن فى الفرقة المدرعة الثالثة وهو الان فى الخليج.. فكرت لحظة ثم التفت إلى «والر» الذى كان يضغى إلى الحوار قلت.. كال

اريدك أن تتولى قيادة الجيش الثالث اعتبارا من اليوم ستكون أمرا بالوكالة حتى إشعار اخر. وإذا تماثل جون للشفاء وسمحت له الظروف فسيعود إلى القيادة.

قال ببساطة «نعم سيدى» وغادر غرفة الحرب كنت اعرف «كال» ولذلك كنت موقنا أنه قبل انقضاء النهار سيكون فى الميدان متلقيا تقارير الاطلاع من ضباط فيلقه، مغيرا كل ما لا يعجبه، مضيفا على الاشياء كلها – عموما – قوة التوثب. وكنت واثقا من أن هذا التبديل فى القيادة لن يؤخر خطط الهجوم.

بعدها ذهبت لرؤية «يوسوك» كان مطروحا على ظهره فى غرفة خاصة، فى مستشفى وزارة الدفاع والطيران السعودية وهى منشأة فائقة الحداثة أضيف الطاقم الطبى الأمريكى إلى طاقمها الأصلى لمعالجة إصابات القتال بدأت بالقول «الاطباء يقولون إنه يجب اجراء جراحة ياجون». وتحدثنا عن حالته الصحية وواقع أنه سيكون خارج القيادة لفترة من الوقت.. ثم رحت أزف النبأ «وضعت «كالوالر» فى مكانك هناك سيكون قائد الجيش الثالث حتى عودتك». لم ينبس يوسوك بكلمة، سالت الدموع على خديه.. كنت أدرك ما يعانية فى تلك اللحظة. لقد كان هنا منذ أغسطس «اب» وكنا على وشك البدء بأكبر حملة عسكرية وكان يفترض أن يقود ذلك كله، وبغته لم يعد بمقدوره أن يكون هناك، وأضفت باكبر قدر من الرقة «اريدك أن تدرس مسألة ذهابك إلى المانيا للجراحة أنت مدين لزوجتك بيتا بذلك سنعيدك باسرع ما نستطيع».وافق يوسوك على مضض وجرى إجلاؤه طبيا فى طائرتى النفاثة عصر ذلك اليوم.

فى الفواصل الواقعة بين أزمة وأخرى كنت باستمرار ادرس الخرائط وعروض شاشات الكمبيوتر فى غرفة الحرب متصورا بعين الخيال كيف ستسير الحملة.. اخيرا وصلتنا مؤشرات تنبيء أن قوات الخط الأمامى العراقية توشك على الانهيار فاعداد الجنود المتسللين – بهدف الاستسلام – يرتفع كل يوم حتى الضباط بدأوا يسلمون انفسهم وكانت طائرات تحلق ليل نهار لتقصف وتدك المواقع العراقية بمعدل يفوق ٨٠٠ طلعة كل ٢٤ ساعة وهناك لوحة حسابات معلقة على الجدار فى غرفة الحرب تبين اننا قد دمرنا ٣٥ فى المائة من الدبابات العراقية، و٣١ فى المائة من عرباته المدرعة الاخرى، و٤٤ فى المائة من قطع مدفعيته بالتمام. وهناك لوحة أخرى عن مواقع العدو معلقة بجوار لوحة الحسابات تحمل لصائق صغيرة تمثل الوحدات العراقية على طول

خطـوط الجبهـة وقـد تحولت من اللـون الاحمر إلى اللـون الاخضر، ممـا يشير إلى أن الوحدات قد استنزفت بالقصف إلى ٥٠ فى المائة، أى أقل من قواها الاصلية أما الوحدات الواقعة على خط الدفاع الثانى فاللصـائق عليها كلها تقريبا من اللون الاصفر الضارب للحمرة، معنى ذلك أنها تتمتع بـ ٧٥ فى المائة من قواها أو أقل.

كنت أعرف أننـا قد هـزمناهم، ولكنى مـا كنت أعرف إلى أى مـدى ستكون الحرب البرية دامية فكنت استدعى فى مخيلتى عشرات السيناريوهات التى يمكن للعراقيين فيها أن يجعلوا نصرنا باهظ الثمن وكنت كثيرا ما أحذر ضباط أركانى: «حتى لو اخذنا أكثر الجيوش تضعضعا بالقصف فى العالم فإنه إذا اختار الصمود والقتال فإنه سيوقع بكم الخسائر، وإذا اختـارا اغراقكم بالاسلحـة الكيماوية فقد يـربحون الحرب» فى الماضى استخدم صدام غاز الاعصاب وغاز الخردل ومواد مسممة للدم فى المعارك ورغم أنه لم يطلق قذائف كيماوية على الخافجى إلا أننى كنت مـاأزال اتوقع أن يفعل العراقيون ذلك حينما نبدأ الهجوم. وكان الكابوس الـذى يلاحقنى هو أن وحداتنا التى تضرب الموانع فى ساعـات الهجوم الأولى قد تعجـز عن اختراق هذه الموانع وتتعرض عنـدئذ لوابل من القصف الكيماوى.. لقد زودنا الجنود بمعدات وقائية ودربناهم على القتال ضد هجوم كيماوى ولكن هنـاك دائما خطرا أن يـدوروا حـول انفسهم فى حـالة من الفـوضى أو الانكى من ذلك أنهم قد يفزعون، فالولايات المتحدة لم تخض معركة غازات منذ الحرب العالمية الأولى واحتمال وقـوع اصابات واسعة من جـراء السلاح الكيماوى هو السبب الـرئيسى لإقامـة ٦٣ مستشفى ميـدانيا، ومستشفيين عـائمين «على سفن» و١٨ ألف سرير فى منطقة الحرب.

وخشيت أيضا من منطقة الفراغ الكبير جنـوب العراق حيث سيشن الجيش هجومه ورحت أسـائل نفسـى ما الذى يعرفه صدام عن ذلك الجناح ولا اعرفه أنا؟ لماذا لم يضع أى قوات هناك؟ الح ضباط الاستخبارات – ارتجالا: لعلـه يخطط لضربه نووية هناك، ثم اطلقوا على ذلك القاطع لقب «كيس القتل الكيماوى»، وكنت أجفل كلما سمعته وكنت اتخيل كابوسـا اخر ارى فيه فريد فـرانكس وجارى لاك وهما يدخلان هـذه الرقعة لا لشـىء إلا ليـدعا العـراقيين يغرقونهم بكميـات هائلـة من المواد الكيماويـة بينما يقوم الحرس الجمهورى بـالهجوم المضـاد ويضعنا فى مـأزق قتال لا حـراك فيه وازدادت

سرعة اهتياجي.

وحتى يكتمل تعقيد الأمور كان علينا الان أن نرضى بوجود أكثر من ١٣٠٠ مراسل صحافى فى منطقة الحرب وهنالك على الدوام ١٨٠ منهم فى المجمعات الاعلامية الخاصة بالخطوط الأمامية. وذات ليلة من ليالى مطلع فبراير فتحنا التليفزيون على محطة سى.إن.إن لمشاهدة مؤتمر صحافى فى البيت الأبيض، وقبل أن يبدأ المؤتمر جرى عرض ريبورتاج حى من مجمع معلومات المراسلين مع القوات وقالت المراسلة بأنفاس مقطوعة: لقد جرى على التو تبادل كبير للقصف المدفعى فى مكانى بين الفرقة المحمولة ٨٢ والعراقيين.

صرخت «يا ابنة العاهرة» إن الفرقة المحمولة ٨٢ هى الفرقة الأمريكية المتغلغة فى أقصى الغرب وأى ضابط استخبارات عراقى متوسط الكفاءة يستطيع بسهولة - بعد مشاهدة محطة سى.إن.إن - أن يدون الوقت وأن يطوف بقواته ليكتشف بدقة أن الفرقة المحمولة ٨٢ تتمركز لهجوم على الجناح - وهى حقيقة تجشمنا عناء كبيرا لاخفائها طوال الاسابيع الثلاثة الماضية - وقام الكابتن رون ويلدرموث، رئيس قسم العلاقات العامة فى القيادة المركزية بالاتصال بضباط العلاقات العامة فى الفرقة وقال لهم «أنتم ايها الرجال يفترض أنكم تفرضون رقابتكم على هذه التقارير».

«كان هناك ضابط مرافق يقف إلى جوار المراسلة، وقد صدم شأنه شأن غيره.. ولكن حين نطقت المراسلة بالخبر، انتشر فورا عبر الاقمار الصناعية، وليس فى مقدور احد أن يعيده».

بعد بضعة أيام صدر عدد من مجلة نيوزويك يحمل خارطة تصور - بالدقة التامة على وجه التقريب - خطة الهجوم على الجناح.. اتصلت بباول: هذه نتانة - لقد نشرت نيوزويك تـوا كامل خطة المعركة والان بوسع العراقيين أن ينقلوا سلاحا كيماويا إلى تلك المنطقة ويغيروا وجهة دفاعاتهم بالكامل».

حذرنى باول «لا تنفعل أكثر من اللزوم فهذه المجلة فى الاكشاك منذ اسبوع وهناك مجلات أخرى مليئة بالخرائط التى تصور خططنا للمعركة أنهم يقدمون تخمينات لا أكثر». كان محقا فتقارير استخباراتنا فى الايام التالية لم تحمل أى اشارة على تغير فى

مواضع القوات العراقية.

١٨ فبراير ٩١ يوم الهجوم + ٣١

الساعة ٩٠٠ جلسة الإطلاع الصباحية.. وقعت الحوادث التالية خلال الاربع وعشرين ساعة الماضية.

ـ احد افراد مشاة البحرية فى وضع صحى خطير بسبب جرح نارى فى الرأس مسافة اطلاق النار – خطأ – هى ٥٠٠ متر.

ـ سقوط طائرة هليكوبتر «تحطمت الطائرة».

ـ حادث اطلاق نار بالخطأ من بندقية م – ١٦ جرح اثنان.

ـ تحطم شاحنة للجيش وفاة واحد.

ـ تحطم شاحنة للجيش حمولة ٥ أطنان وفاة واحد.

ـ تحطم شاحنة صغيرة للجيش وفاة اثنين.

ـ جرح نارى فى الرأس أدى إلى وفاة «وصف هذا الحادث على أنه إثر قيام ملازم بتبيان قوة آلية الامان فى مسدس عيار ٤٥ للمجتمعين من حوله ووضع المسدس على صدغه وضغط على الزناد فقتل نفسه».

ـ رافعة شوكية للبحرية سقطت من فوق دعامة جسر، غرق واحد.

الساعة ١٧٢٠ مكالمة هاتفية مع رئيس الاركان ق.ع قال: إن يوم أمس كان فظيعا من ناحية الحوادث – ابتداء بضباط من الفيلق الطبى يفقد السيطرة على شاحنة حمولة ١٥ طناً ويتسبب فى وفاة اثنين، وانتهاء بملازم من البوليس الحربى يضع مسدسه عيار ١٥ على صدغة ليظهر الية الامان ويقتل نفسه وكان كل الآمرين هنا قد جنوا.

بدأ التوتر يتنامى فعلا أواخر يوم الاثنين ١٨ فبراير.. فأولا اتصل باول قائلا «يقول مجلس الأمن القومى إننا قد نحتاج إلى الهجوم فى موعد اقرب، هل لك أن تعلمنى غدا إذا كنت تستطيع أن تدبر ذلك؟» كان يتحدث بتلك النبرة المحكمة الوجيزة التى تنبىء أنه واقع تحت ضغط الصقور بعد ذلك شاهدنا – اركانى وأنا – التقارير

الاخبارية عن أخر مبادرة سلام سوفييتية.. وزير الخارجية العراقى طارق عزيز قابل ميخائيل جورباتشوف فى موسكو وعاد بمشروع سلام إلى بغداد.

كنت أشعر باختمار مواجهة اخرى مع واشنطن واردت أن اقدم اكبر دعم ممكن إلى باول. لذا رحت فى الصباح التالى اسأل ضباطى إن كنا نستطيع تقريب موعد الهجوم يومين.. فى غضون ذلك كانت فصائل استطلاع بومر تجوب الاراضى الخالية مستكشفة الممرات من خلال الموانع.. اجابنى بومر نستطيع إذا كنت تريدنا أن نفعل ذلك إلا أننا سنتعرض لجحيم خسائر أكبر». لم يكن للخسائر الاكبر من معنى وقال الضباط الكبار الاخرون أنهم بحاجة إلى الوقت الذى وعدناهم به لذا قررت أن اقول لباول «متأسف.. الثانى والعشرون خارج المدى وهو أصل التخطيط للرابع والعشرين».

ولكن حين اتصل بالتليفون بدأ أنه يحمل فى ذهنه فكرة أخرى مغايرة تماما قال «إن مبادرة السلام قد تتحقق فى الواقع» ووصف المناورات الجارية وراء الكواليس، حمل طارق عزيز إلى بغداد اقتراحا بأن ينسحب العراق من الكويت فورا وبدون قيد أو شرط ويبدأ الانسحاب فى اليوم التالى بعد وقف إطلاق النار بحيث يضمن للمنسحبين العراقيين ألا نطلق النار عليهم ويستكمل الانسحاب فى فترة زمنية محددة ينبغى التفاوض عليها. وقال باول: إن واشنطن ابلغت السوفييت أن الخطة بناءة إلا أنها لا تلبى عددا من بنود قرارات الأمم المتحدة، مثل إلغاء قرار ضم الكويت للعراق وأن عاصفة الصحراء ستظل مستمرة الان. وفى غضون ذلك - حسب قول باول - كانت وزارة الخارجية تدفع باتجاه خط أكثر تشددا.. إنهم يطالبون باستسلام غير مشروط.

قلت له «أنتم بحاجة إلى مستعرب كى يدرس المسألة يبدو أن رجال وزارة الخارجية الأمريكية يفكرون مثل الامريكان فهذا النوع من الإنذار النهائى لا ينسجم مع العرب سيفضلون الموت أولا».

وتحدثنا عن المضامين العسكرية للانسحاب وعبرت عن مشاعر متضاربة. كنت

أعرف أن أيـة تسوية تترك قـوات صدام المسلحة بـدون مساس ستكون غير مـرضية لحلفائنا العرب. مع ذلك إذا استطعنا أن نفـرض على صدام القبول بانسحاب مهين فقد نتمكن من اقناعهم بتقبل خطتنـا وقلت لباول إن المسألـة فى النهاية مسألـة خسائر فى الأرواح ولعلنا فعـلاً قد انزلنا بـالعراقيين خسائر بـالأرواح تصل إلى ١٠٠ ألف بكلفة ١٠٠ قتيل من طرفنا، فلماذا نغامر بانزال خسائر أخرى بالارواح قوامها ١٥٠ ألفاً على الجانب العراقى مقـابل خسارتنا ٥ الاف قتيل؟! قد نخسر هـذا العدد فى أول يومين من الهجوم وذكرته بأننـا قد انزلنا اضرارا فادحة بماكنة الحرب العـراقية وإذا ما سمحنا لصدام بـالانسحاب سريعـا، فإننا سنـرغمه على أن يترك الكثير مـن دروعه ومعـداته الاخرى.

وافقنى الـرأى قائلا «إذا انسحبـوا من الكـويت فهـذا نصر لنا» ثـم غير موضـوع الحديث فجأة وسألنى عن إمكانية شن الهجوم فى موعد أقرب.

بدأت بالقول. اعرف أنك لا تبحث عن هذا الأمر واخبرته اننا نواصل خطة الهجوم فى اليوم الرابع والعشرين، زد على هذا قلت له أننا قلقون من الطقس، فالتنبوء الجوى بعيد المدى يتكهن بعواصف فى ذلك اليوم. لذا فإن الموعد قد يصبح ابعد قليلاً.

خاب أمل باول «سأنقل فحوى الرسالة لكننا قد نؤمر بالهجوم على أية حال».

لما علقت سماعة التليفون كنت أغلى من الغيظ ودعوت كامل أركانى للاجتماع وقلت «أريدكم جميعا أن تعلموا ما يجرى ثم رحت ألخص فحوى المبادرة السوفييتية. لو كان الأمر بيد هؤلاء العسكريين المخضرمين الموجودين فى غرفة الحرب لاهتزوا طربا لرؤية صدام يوافق على وقف إطلاق النار ومغادرة أرض المعركة، لا لأن احدا منهم يصدق أنه سيفعل ذلك وجفل الجميع لما وصفت رد واشنطن.. فبوب جونستون - الذى كان ابنه على الخطوط الامامية للجبهـة - هز رأسه قائلا «إن السوفييت يتحدثـون عن توفير ما نطلبه بالضبط أما نحن فنرفض عرضهم دون كلام».

حملت الاربع والعشرون ساعة اللاحقة أربع مكالمات أخرى من «باول» طلبا للمزيد

من التفاصيل عن سبب عدم قدرتنا على شن كل الهجوم أو جزء منه فى الحال. وفى نقطة معينة عقدنا – هو وأنا وتشينى – ما يشبه المؤتمر التليفونى جادلت فيه من جديد «إننا لن نكسب شيئا من الوجهة العسكرية. إن جيش صدام يتفكك وأن الوقت يعمل لصالحنا». لقد كان تشينى واحدا من اشرس مقاتلى الحرب الباردة أيام عمله فى الكونجرس وكنت أحس أن تدخل موسكو يثير انزعاجه وقال متذمرا: «لا أفهم لماذا يجب أن يتدخل السوفييت أصلا».

اجبته لاجل ما يستحقه الأمر. إن صداما مضطر للتحرك من خلال وسيط لأن هذه هى الطريقة التى يعقد بها العرب الصفقات. إنه لن يفاوض مباشرة، وبالتحرك عن طريق الوسطاء ينقذ ماء وجهه وبعد ذلك يستطيع – مهما كان مضمون ما قبل به – أن يزعم أى زعم يشاء لأنه يتحدث مع عدوه».

٢٠ فبراير ٩١ – يوم الهجوم – ٣٤

الساعة ١٩٠٠ – جلسة الاطلاع المسائية حين أبلغ عميد الشرطة الحربية أن العديد من معسكرات أسرى الحرب لا تتوفر فيها الشروط بسبب عدم توفر مرفق صحى واحد لكل ٢١ شخصاً طبقاً لمعاهدة جنيف، رد ق. ع – مع بغضه لهذا القول – فإن علينا دعوة الصليب الأحمر الدولى إلى مقر قيادتنا أيضاً لأن مقر القيادة لا يستوفى هذه الشروط أيضاً.

كان الضغط المتزايد علينا لشن الحرب البرية مبكراً يسوقنى إلى الجنون كنت أستطيع أن أخمن مايجرى وأحدس أن تشينى وباول واقعان بين كفى رحى لابد أن هناك فصيلا من الصقور فى واشنطن لاتريد وقف الحرب حتى معاقبة صدام.. لقد دأبنا على قصف العراق أكثر من شهر، لكن ذلك لا يكفيهم، هؤلاء الناس شاهدوا فيلم «جون وان» البيريهات الخضراء وشاهدوا فيلم «رامبوا» وشاهدوا فيلم «باتون» لذا كان من اليسير عليهم أن يضربوا طاولاتهم بجمع اليد ويقولوا «قسماً بالله يجب أن ندخل عليهم ونركلهم فى القفا.. يجب أن نعاقب هذا ابن العاهرة» وبالطبع فإن أحدا منهم لن يتعرض لاطلاق خرطوشة ولن يتوجب على أحد منهم أن يجيب أمهات وأباء الجنود ومشاة البحرية القتلى.

تلقينا أواتهر يوم الأربعاء تنبؤا جويا أتهر، طقس سيىء يوم الرابع والعشرين وسيىء يوم الخامس والعشرين مع فترة من طقس حسن ابتداء من يوم السادس والعشرين. وجادل قادة الوحدات قائلين إن علينا إرجاء الهجوم. لم يصدر ذلك عن بومر وحده بل عن «بيى» أيضاً الذى كانت فرقته فرقة الهجوم الجوى ١٠١ بحاجة إلى طقس حسن للتحرك بالهليكوبترات وكان لزاماً على أن اقنع باول فى محادثة فضلت أن أجريها بعيداً عن أنظار أركانى. فلم يكن من الإنصاف ولا من المناسب أن أميط اللثام أمامهم عن الخلاف الحقيقى الذى كنت موقناً أنه سينشب بين اثنين من قادتهم لذا تركت موقع القيادة واتصلت من غرفتى الصغيرة أتهر الممشى وما إن قلت لباول هناك مشاكل طقس حتى استبد به القلق.

«لقد سبق أن أبلغت الرئيس بوش بموعد الرابع والعشرين فكيف أستطيع أن أعود إليه وأقول له أن الموعد هو يوم السادس والعشرين؟ أنك لاتقدر مدى مااتعرض له من ضغوط.. لدى هنا حشد كامل من الناس ينظرون جميعاً إلى الاقتراح الروسى والاضطراب يساورهم.. رئيسى يريد الانتهاء من ذلك، ووزيرى يريد الانتهاء من ذلك.. ونحن بحاجة إلى الانتهاء من ذلك أيضا.

استبد بى القلق أنا الآتهر لا أحاول بذلك أن أكون حماراً حكيما، ولكن ماذا لو هاجمنا يوم الرابع والعشرين وشن العراقيون هجوماً مضادا تعرضنا لخسائر كبيرة لأننا نفتقر إلى الاسناد الجوى الكافى؟ أما أنت فإنك لا تريد – لأسباب سياسية – أن تدتهل على الرئيس وتقول له إن عليه إن يمتنع عن القيام بشىء لأنه غير حصيف عسكرياً؟ حبا بالمسيح يا كولن ألا تفهم؟ لقد جاءنى قائد قوات مشاة البحرية وقال إننا بحاجة إلى أن ننتظر، أننا نتحدث عن حياة جنود مشاة البحرية.

صاح قائلاً: لا تزايد علىّ بالحديث عن الحياة البشرية. كانت تلك أول مرة أسمع باول وهو يفقد أعصابه، كان باول مزرقا من الغضب.. وماذا تفعل أنت الآن؟ تجلس هناك أمام كل ضباطك مستعرضاً نفسك بمباهاة وأنت تتحدث إلىّ بهذه الطريقة.

شبت نيران غضبى أنا الآتهر، لأننى تركت مكتبى حتى أضمن إجراء المحادثة على انفراد: إننى لا أقوم بذلك ولست غادرا بك.. ما أحاول قوله هو إننى أتعرض للضغط

مثلك أيضاً فكبار ضباطى يقولون لى أن أنتظر وكان الوزير تشينى جالسا هنا بالضبط حين قال الجنرال بومر أنه يحتاج إلى أربعة أيام من الاسناد الجوى، لكى ينجح فى هجومه ولكنك تضغط على حتى أضع جانبا اعتباراتى العسكرية اكراماً للمغانم السياسية لقد كان هذا هو شعورى منذ وقت طويل. كنت أحاول أن أحافظ على نبرة صوتى مستقرة بلا تهدجات، ولكن الحظ لم يحالفنى كثيراً.. أحياناً أشعر بأننى بين فكى كماشة ــ كأن رأسى ينضغط بين فكى كماشة لعلنى فقدت رشدى لعلنى فقدت موضوعيتى لكنى لا أعتقد ذلك.

فى غضون ذلك كان باول قد هدأ تماماً فقال لى «لا، لا، لم تفقد رشدك لم تفقد شيئاً ثقتى بك كبيرة».

قلت أننى أعرف من أين تنطلق أنت، ولكنى أريدك أن تعرف من أين أنطلق أنا سأواصل مراقبة الوضع هنا عن كثب وسأواصل اطلاعك عليه واتفقنا على ضرورة أن نواصل العمل معاً، ثم أضفت بنبرة رسمية· وبالطبع فإننى على أهبة الاستعداد لتنفيذ ماهو ضرورى.

أجاب: «سأنقل توصيتك إلى الوزير».

«شكراً سيدى هذا كل ماأرجوه، فى الواقع هذا أكثر مما أستطيع أن أرجوه».

بعد نصف ساعة من ذلك غير المتنبئون الجويون – وهذا أمر طبيعى – رأيهم، وأن الطقس فى يومى الرابع والعشرين والخامس والعشرين لن يكون سيئا.. بعد كل شىء اتصلت بـ (بومر) الذى تسلم التنبؤ الجوى بنفسه قال لى: أود التحرك أيضا يوم الرابع والعشرين استوضحت الأمر من «والر» الذى قال ببساطة نحن جاهزون.. عدت إلى الاتصال بـ «باول» قائلا: «لدى أنباء حسنة الطقس تغير.. بلغ الجميع أن يوم الرابع والعشرين هو يوم التحرك».

لم يكن أمام مبادرة السلام أى نصيب من النجاح فصيغة المشروع السوفييتى الذى قبله صدام تدعو إلى وقف اطلاق نار فورى ورفع عقوبات الأمم المتحدة حال سحب العراق ثلثى قواته من الكويت ــ وأعطى المشروع فسحة ستة أسابيع كاملة للانسحاب أرسل إلينا باول نسخة من المشروع بالفاكس فى الثانية من فجر يوم الجمعة.

وسألني - وهو يعرف تماما ماسيكون عليه ردى - «مارأيك».

«هذا هراء أن نعطيه ستة أسابيع للانسحاب حتى يحزم كل سلاحه ويعود أدراجه قائلاً للجميع. إنه تحدى الولايات المتحدة ويظل مع ذلك يحوز مايكفى من القوة لتهديد جيرانه أنه كابوس للعرب».

كان مجلس الأمن القومى على وشك الانعقاد وضعنا - باول وأنا - توصية للمجلس اقترحنا أن تعرض الولايات المتحدة وقف اطلاق نار لمدة أسبوع، وهذا وقت كاف لصدام كى يسحب جنوده لا تجهيزاته ولا معظم معداته المتمترسة فى تحصينات أو معطوبة. واقترحنا أيضا أن تدتهل قواتنا إلى الكويت فيما العراقيون ينسحبون بحيث نظل فى أعقابهم لنستولى على الترسانة وندمرها قلت لباول «سينفع ذلك ولكن لا أظن أن العراق سيقبل الصفقة».

لم يكن باول يريد ولا كنت أنا أريد من قرار أعماقنا، هذه الحرب البرية واتفقنا أنه لو استطاعت الولايات المتحدة أن تحصل على انسحاب سريع، فإننا سنحث قادة بلادنا على القبول، ورغم أننا لن نكون بذلك قد هزمنا صداما فى ساحة المعركة، فإن انسحابا سريعا فى ظل الظروف القائمة سيكون هزيمة للعراق فى نظر العالم، بما فى ذلك العالم العربى وسنكون عندئذ قد انجزنا ذلك دون أية تهسائر إضافية فى الأرواح من جانبنا.

٢٢ فبراير ٩١ - يوم الهجوم + ٣٦

الساعة ١٩٠٠ ـــ جلسة الاطلاع المسائية - قادة العراق يبلغون جنودهم الاستعداد لحرب كيماوية لأن الأمريكان سيستخدمون السلاح الكيماوى ضدهم أنه نفس الأسلوب الذى استخدموه فى الحرب مع ايران حين لجأوا إلى الكيماوى.

لدى سماع (ق. غ) أن آتهر لواء مدفعية قد التحق بالفيلق السابع قال إن العدو فقد السيطرة وأننا فى وضع مؤهل للهجوم عليه وتدميره، فلقد التففنا حول موقعه بجلاء، وينبغى لكل من فى هذه الغرفة أن يفتخر بذلك - إن مائة بالمائة من قواتنا ليس فقط فى مسرح العمليات، بل فى الموضع المطلوب تماما.

مساء الجمعة ٢٢ فبراير أدرنا مفتاح التليفزيون فى غرفة الحرب لمشاهدة الرئيس بوش يعلن إنذاره النهائى، إما أن ينسحب العراق انسحابا شاملا غير مشروط بموعد

أقصاه ظهر السبت أو يواجه حربا برية.

عندئذ، كنا نعرف بالضبط ماهية هذه الحرب البرية وعلى حين أنى أعطيت التوجيهات إلى قادة الوحدات كى أتأكد من أنهم سيتوقفون فورا إذا دعت الضرورة (قلت لهورنر لا يمكن أن نتحمل أن تضربهم طائرات ب ــ ٥٢ إذا كانوا ينسحبون)، فقد كنا نسير باتجاه الهجوم صباح الأحد.

كان مقعد بوب جونستون شاغرا فقد أذنت له بالتحليق إلى تهطوط الجبهة لقضاء الليل مع ابنه، ولكن جون يوسوك كان يجلس بجانبى حيث جاء لدهشة الجميع إلى غرفة الحرب فى الليلة السابقة، وقال: «إننى حاضر لأداء الواجب سيدى وأصر على أنه مهيىء لمواصلة قيادة الجيش الثالث».. ارتبت فى أن يستطيع انسان ماأن يقف على قدميه ثانية بعد ثلاثة أيام من إجرائه عملية جراحية كبرى، أمعنت النظر فيه فوجدت الشحوب باديا عليه قلت أجلس هنا تماماً أريد أن أتابع وضعك الصحى ليومين، وهكذا كان يوسوك الآن فى موضع والر القديم بوصفه نائب القائد العام بالوكالة، وأتهذ يلح على طوال ساعة لكى يعود إلى قيادة فيلقه.. هراء ياريس إننى بخير متى تسمح لى بالعودة.

وأروح أنظر إليه من زاوية عينى وهو يقف.. أترى أيها المكثر من الألم مازلت تتلوى من الأوجاع؟

– كلا ليست بى أوجاع أستطيع أن أقوم بواجبى.

فى صباح يوم السبت وأمامنا أقل من أربع وعشرين ساعة للانتقال إلى الهجوم، قررت أن «يوسوك» على حق. رد على ذلك أنه كان يثير أعصابى بإلحاحه. كان جون فى أفضل أحواله انسانا كئيب المظهر، أما الآن فقد كان يبدو كمن فقد آتهر الأصدقاء.. قلت طيب، طيب كفاك الحاحا. عد وتسلم مهام القيادة.

اتصلت بـ «كال والر» وأتهبرته، وكان «كال» يعرف أن إعادة يوسوك إلى مكانه قرار صائب فهذه قيادته وهذا أركانه فى كل حال، إلا أن كال نفسه كان يتقد حماسة لقيادة كل الثلاثمائة ألف جندى فى الهجوم، ولذلك أصيب بخيبة أمل شديدة. ولما عاد إلى مقر القيادة رأيت أننى قد غيرت وجهاً عبوساً بآتهر أشد عبوساً.

فى هذه الأثناء ألغيت الهجوم البرمائى للبحرية على جزيرة فيلكا؛ نظراً لأن يوم الهجوم البرى يحوم حولنا.. فالخطط تقضى أن يأتى هذا الهجوم قبل الحرب البرية بيومين إلا أن حاملة طائرات الهليكوبتر الأمريكية «تريبولى» والبارحة الأمريكية «برنستون» الحاملة لصواريخ (ايجس) الموجهة اصدمتا بألغام.. فكاسحات الألغام الأمريكية والبريطانية لم تتمكن من تطهير المنطقة والنتيجة أن قطع البحرية لم تتموضع فى مواقعها المطلوبة لشن الهجوم فى الوقت المحدد.

٢٣ فبراير ٩١ – يوم الهجوم + ٣٧

الساعة ١١٠٠ – اجتماع مع الجنرال أبو شناف رئيس أركان القوات المسلحة المصرية أبوشناف أتهبر (ق. ع) أن المصريين مستعدون للهجوم، ويجب أن نمحض الثقة الكاملة لقدرتهم على الهجوم. ق. ع أكد لأبى شناف أنهم إذا واجهوا مصاعب فإن تحت تصرفه كلا من فرقة الفرسان الأولى والفرقة المدرعة الأولى البريطانية.

حشدت الآن آلاف الدبابات والعربات المدرعة ــ أمريكية وعربية وبريطانية وفرنسية ــ على الحدود فى تشكيلات قتالية، فيما راح الجنود يتلقفون أية فرصة للنوم فى عرباتهم أو على الرمل فى العراء، ويتناولون الوجبات الجاهزة إن كان لديهم بعض شهية، أما المواضع التى كنا نزمع اتهتراق الموانع فيها فقد تقدم جنود الهندسة إلى الطليعة بحفاراتهم المدرعة ودبابات البلدوزر. ووقفت قوافل شاحنات الوقود والذتهائر تهلف التشكيلات القتالية مستعدة للسير فى أعقاب الأرتال إلى المعركة، وتقدمت مدفعيتنا إلى الأمام آلاف من الهاوتز والمدافع الأتهرى مع ملايين الارطال من أكداس الذتهائر جاهزة لقصف تمهيدى شامل يدك المواقع العراقية طوال الليل. أما على الجهة الغربية البعيدة فإن فرقة الهجوم الجوى ١٠١ ترسل دوريات الهليكوبتر فى عمق العراق لاستكشاف مناطق الهبوط للهجوم.. وإلى الشرق شقت البارجة «ميسورى» طريقها إلى الساحل الكويتى مسددة مدافعها العملاقة من عيار ٦ بوصات إلى الوحدات العراقية استباقاً لهجوم السعوديين ومشاة البحرية، وبلغت الضربات الجوية للتحالف

على امتـداد الخطوط العراقية ذروة الجموح. فقد نظم تشـاك هورنر ٩٠٠ طلعة عشية الهجـوم. كـان الطقس فى منطقة الحرب صـافيـاً بـاستثناء شرق الكـويت، حيث بـدأ العـراقيون ينهبـون المدينة ويضرمـون النار فى حقـول النفط وتصاعـدت هناك غيمـة جهنمية سوداء جللت السماء بالسواد وحجبت الهلال الطالع، كما لو كان صدام يغذى لهيب الحرب.

وجاء موعد الإنذار النهائى الذى أطلقه بـوش، وساد احساس لدينا جميعا فى غرفة الحرب أن المهمة على وشك الانتهاء.

الباب التاسع

الحرب البرية ووقائعها السرية

كانت الحرب البرية ضد القوات العراقية، ذكية وسريعة وفعالة، وكانت وقائعها مثيرة وهامة، ويمكن إيجازها فيما يلى:

٢٤ فبراير (شباط) ١٩٩١ ــ الهجوم البرى/ الهجوم الجوى + ١٣٨٥:

الساعة ٤٠٠ ــ فى يوم الهجوم البرى فى الساعة صفر، حضر كبار الضباط التالية أسماؤهم إلى غرفة الحرب ق. ع، نائب ق. ع، رئيس الأركان الميجور جنرال مورو البريجادير جنرال ليد، ميجور جنرال ستارلنج، البريجادير جنرال نيل والسيد جوردون براون كانت غرفة الحرب هادئة للغاية وطغى احساس بأن كل مايمكن عمله قد تم تنفيذه، وكان الجنرال ليد يتنقل فى أرجاء الغرفة متحدثا مع (ق. ع) ومع ضباط الأركان الآخرين ومطلعا على تقارير الاستخبارات، وذكر تقرير ورد من الكويت أن العراقيين شرعوا فى تدمير مدينة الكويت، وهناك انفجارات فى أرجاء المدينة وفى المبانى الحكومية الرئيسية.

وعبرت الوحدات الأولى من مشاة البحرية الحدود إلى الكويت فيما كان المطر البارد والظلام يلفها - ومدافع الهاوتزر عيار ١٥٥ مم تطلق نيران التغطية ــ وانطلقت فى المقدمة دبابات م ــ ٦٠ وهليكوبترات كوبرا، واندفع فى أعقابها الآف الجنود فى ناقلات مدرعة وعجلات. وابتغاء الوقاية من الأسلحة الكيماوية ارتدى الجنود بدلات واقية مزعجة ذات خطوط سوداء وحملوا أقنعة الغاز التى كانت تتدلى من أحزمتهم، ولما ظهر الرئيس بوش على شاشة التليفزيون عند الساعة السابعة بالتوقيت المحلى السعودى ليعلن أن عملية تحرير الكويت قد دخلت مرحلتها النهائية كان رجال مشاة البحرية قد اخترقوا أول خط من دفاعات الحدود وعندما واصل مشاة البحرية التقدم انطلق لواءان سعوديان مدرعان مع لواء عربى مشترك من دول الخليج الأخرى وهى نفس الألوية

التى طـردت العـراقيين من الخفجي، ومضت هـذه الألـويـة فى طـريقهـا عبر الحدود وتوجهت شمالا على الطريق العام الساحلى نحو مدينة الكويت.

وفى الغرب على بعد ٣٠٠ ميـل تقريباً كانت مصحفـات الفرقة الفرنسيـة السادسة المدرعة الخفيفة تندفع فى العمق العـراقى لمسافة ٣٠ ميلا عبر صحراء صخـرية، وكان الهدف المحدد لهذه الفرقة وللواء المظلات من الفرقـة المحمولة، هو السيطرة على قاعدة السلمان الجوية والمنطقة المجاورة لها. فصواريخ سكـود كانت تنطلق من هذه القاعدة الجوية على الريـاض وكانت تمثل هدف هـجومنـا الجارى فى أقصى الغرب ولقد أسهم المطـر والضباب فى تأتهير الفـرقة المحمـولة (١٠١) التى كانت على وشك القيـام بأكبر هجوم بالهليكوبترات عرفـة التاريخ. كانت هذه الفرقـة تربض على بعد ٣٠ ميلاً من مجال تقدم الوحدات الفرنسية والفرقة المحمولة ٨٢ وكانت هناك أكثر من ٣٠٠ طائرة هليكوبتر من طـراز أباتشى، كـوبرا، بـلاك هوك، وهوى وتشينـوك يقودهـا طيارون وطيارات وتقوم بنقل لواء كامل بما فيه من عجلات ومدافع هاوتزر واطنان من الوقود والذتهيرة لمسافة ٥٠ ميـلاد إلى داتهل العراق، وكان على هذا اللواء أن يقيم قـاعدة نارية ضخمة تستطيع منها هليكوبترات الهجوم أن تضرب وادى نهر الفرات.

وهناك فى غرفة الحرب فى الرياض كنـا بعيدين جداً عن مواضع القتال إلى حد أن كل ماكنا نعرفه هو أن قواتنا تشق طريقها آتهر المطاف عبر الحدود، وقد يتطلب جمع أجزاء الصورة الـدقيقة عن التقدم المحـرز فى الهجوم يومـاً بأسره. كنت أود بفارغ الصبر أن أفعل شيىء ما، أى شيئا تهيرا من الانتظار. مع ذلك، فإن تهير مـاكان بوسعى أن أفعله هو ألا أقف عثرة فى طريق الآتهرين. فلو أزعجت جنـرالاتى لشتت تركيزهم فأنا أعرف جيداً – كما يعـرف الآتهرون– أن قـادة الميدان يواجهـون أموراً مهمـة أكثر من مجرد إطلاع المقـرات العليا على مـايدور ولكنى كنت مستعداً لأن أضحـى بأى شـىء لقاء أن أكون مع بارى ماكفرى ووحدتى القديمة فرقة المشاة الآلية (٢٤) التى كانت على وشك الاندفاع بالدبابات داتهل العراق.

كان واجبى يقضى بـالبقاء فى القبو مع أجهزة اللاسلكـى والتليفون لتقييم الهجوم أثناء تطوره وإبقاء قادة الوحدات الكبار مطلعين على مايحرزه كل واحد منهم من تقدم والتأكـد من إنجـاز الأهداف الاسـتراتيجيـة المحـددة بطرد العـراق من الكـويت ودعم

حلفائنـا العرب فى تحريـر مدينـة الكويت وتـدمير القوات العراقيـة، بحيث لا يستطيع صدام استخدامها أبدا.

ولما بدأت التقارير تصل -على شحتها- كانت الأتهبار التى تحملها تهيرا مما تجرأنا على الحلم به. فمشاة البحرية لم يواجهوا - وهم يشقون طريقهم عبر تهط الموانع الأول - ظأية حقول ألغام عصية ولا جدرانا من اللهب ولا وابلا من الغاز الفاتك، أما المقاومة فقد كانت طفيفة.

لقد اتهتار بومر نقطة هجوم مواتية واندفعت وحداته شمالا نحو تهط الموانع الثانى، ولم تبلغ إلا عن اشتباكات نارية طفيفة، ووقع اصابات قليلة. وعند الضحى كانت هذه الوحدات تحتجز مئات الأسرى، فقد كان العراقيون يخرجون من تهنادق الاستحكامات ويسلمـون أنفسهم بمجـرد اطلاق بعض الـرصـاصـات عليهم، وكان السعـوديـون يحرزون تقدمـا رائعا على الطريق السـاحلى فلقد اندفعـوا مارين بأميـال من المخابىء والخنادق المهجورة قبل أن يجابهوا أية مقاومة اطلاقـا وبعثوا تقارير عن وجود المئات من العراقيين وهم يلـوحون بالأعلام البيضاء.. فى غضـون ذلك، وفى -أقصى الغرب- كانت القوات الفـرنسية والأمريكية تواصل تقدمها، كما هـو متوقع دون أن يعترضها أحد.

وتهطر لى أن أعجل بتنفيـذ الجدول الزمنى للهجوم فقد كـانت قوتنا الـرئيسية من الدبابات الثقيلـة وعددها ٦٠٠ ـــ ترابط على الحدود السعودية بانتظـار شدة الهجوم الرئيسى ويتوتهى هذا الهجوم ثلاثة أهداف أساسية.

الأول: تحريـر مدينـة الكـويت (وهـذه مهمة الفيلق العـربى -المصرى السـورى السعودى الكويتى- وغيرهم من العرب).

والثانية: الالتفاف حول الحرس الجمهورى وتدميره (هذه مهمة الفيلق السابع).

والثالثة: سد منافذ تقهقر العراقيين عند وادى نهر الفرات، وهذه كانت مهمة فرقة ماكفرى من الفيلق المحمول (١٨).. وكانت تهطتى بالأصل تنص على إرجاء هذا الهجوم حتى فجـر اليوم التـالى بغيـة إعطاء بـومر فسحـة أمدهـا ٢٤ سـاعـة لاتهتراق الموانع والاشتباك مع المدافعين على طـول الحدود لكن بدا أن مقـاومة العراقيين أتهـذت تنهار،

ولم أكن أريد إيقاف مشاة البحرية إلا أن القلق ساورني من أنهم اندفعوا متوغلين أكثر من بقية الفرق المهاجمة، فإنهم سيتعرضون لخطر هجوم مضاد هائل على جناحهم الغربى المكشوف.

وقبيل الظهر جاءت مجموعة من الأتهبار الحاسمة إذ بثت المقاومة الكويتية باللاسلكى أن العراقيين قد دمروا مصانع تكرير المياه المالحة، ولما كانت مدينة الكويت تفتقر إلى أى مصدر آتهر لمياه الشرب، فإن ذلك لايعنى سوى أن العراقيين على وشك المغادرة، وإذا كانوا ينوون الانسحاب من مدينة الكويت فهذا يعنى حسب تفسيرى أنهم ينوون الانسحاب من الكويت.

عند هذه النقطة أدركت أن علىّ أن أتحرك، إن التوقيت هو كل شيء فى المعركة، ومالم نكيف الخطة فإننا سنخسر زتهم المكاسب الأولية.. لقد تهضت هذه الحملة فى ذهنى آلاف المرات متصوراً كل السبل المؤدية إليها، واستطعت من تهلال التقارير الجزئية الواردة إلى غرفة الحرب أن أدرك أن العراقيين ينقلبون على أعقابهم ولو تحركنا بسرعة فإننا نستطيع إجبارهم على القتال فى وضع غير موات لهم تماماً، أما إذا التزمنا بالجدول الزمنى الأصلى فقد يفرون دون تهدش تقريباً.

لقد أتهطرت كلا من يوسوك وتهالد قبل ساعات قلائل أننى قد أقرر تسريع الهجوم الرئيسى.. اتصلت بيوسوك ثانية، فأتهبرنى أنه وقادة فيلقه يريدون شن الهجوم الآن – بناء على تقديراتهم لظروف المعركة. ورغم سوء الأحوال الجوية اتصلت بخالد فاكد لى أن القادة المصريين والسعوديين والعرب الآتهرين يوافقون على ذلك، بعد قليل من الجدال حول سوء الطقس. لذا أعطيت الأمر لقواتى بالتحرك، وأعطى تهالد أمره لقواته أيضا، وعند الساعة الثالثة من عصر ذلك اليوم أطلقنا عقال الهجوم الرئيسى لعاصفة الصحراء.

أفاد جنودنا فى الساعات القليلة المتبقية من ضوء النهار إفادة حسنة وأظهرت الخارطة الهائلة للمعركة التى هيمنت على غرفة الحرب أن الفيلق المحمول (١٨) قد حقق جميع أهدافه لليوم الأول، وفى أول المساء أطبقت الوحدات الفرنسية والقوة المحمولة (٨٢) على قاعدة السلمان أما الفرقة (١٠١) فقد أرست قواعدها النارية

وراحت هليكوبترات اباتشى تعمل على تدمير الشاحنات العراقية على الطريق الرئيسى الموصل إلى وادى نهر الفرات، وكانت فرقة المشاة الآلية (٢٤) بإمرة ماكفرى تناور عبر التلال والوديان الوعرة التى تتحول إلى أرض طينية غادرة فى الجو الممطر.. ولدهشتنا توغل الآن على عمق ٣٥ميلا داتهل العراق.

وعلى الجهة الشرقية من تهط تقدم ماكفرى –حيث ينبسط مشهد الأرض إلى صحراء مجدبة- حرك الفيلق السابع تشكيلاً قتالياً ضخماً مؤلفا من الفرقتين المدرعتين الاولى والثانية مسافة ١٥ ميلا داتهل العراق وقد سبقهم فى المقدمة فوج الفرسان المدرع الثانى بطائراته الاستطلاعية المحومة فوق الصحراء، وعرباته الاستطلاعية المستكشفة. وعلى شرق هذه القوة –حيث تبدأ التحصينات الحدودية للعدو– قامت فرقة المشاة الأولى من الفيلق السابع بأكثر من عشرة اتهتراقات بدباباتها ودبابات الفرقة البريطانية المدرعة الأولى وراحت تتدفق عبر هذه الثغرات، وأبلغنا الجنرال مور أن الفيلق السابع والرابع والعشرين يتوقعان إحراز تقدم ملحوظ تهلال الليل.

وتقدم الفيلق عبر حفر الباطن وهو قاع نهرى جاف يؤشر الحدود الغربية للكويت نحو تهط الموانع، وكان فى طليعته لواءان سعوديان بدءا عملية الاتهتراق وتحركت إلى جوارهما بشكل مدروس قوة مصرية كبيرة لم تتوقع أن تبدأ عملية الاتهتراق قبل طلوع الصباح.

ولقد واجه مشاة البحرية شيئا من مقاومة صلبة أثناء النهار مشتبكين فى معركة دبابات فى تهط الموانع الثانى استغرقت ساعة إلا أنهم استولوا بحلول الظلام على كامل قاعدة الجابر الجوية وهى المقر المهجور للفيلق العراقى الرابع الذى يقود عشرة فرق للعدو فى جنوب الكويت، وتقدم مشاة البحرية مغطين نصف المسافة الموصلة إلى مدينة الكويت تقريباً وكانت تهسائرنا طفيفة إلى حد ضئيل — لم يقتل سوى ١٤ أثناء العملية. فى غضون ذلك غصت وحدات بومر بأسرى الحرب، إن قواعد الحرب تقتضى منا الحفاظ على سلامة الأسرى بالإسراع ونقلهم إلى المؤتهرة وملأ مشاة البحرية جميع العربات المتاحة بهؤلاء الأسرى، إلا أنهم فى النهاية اقتصروا على نزع أسلحة العراقيين مؤشرين إلى الجنوب قائلين لهم «سيروا فى هذا الاتجاه». وأقمنا فى المناطق الخلفية نقاط

تفتيش لجمع العراقيين فيما هم يسيرون على غير هدى. كما غصت الوحدات السعودية بالأسرى بعد أن قطعت عشرة أميال على الطريق الساحلى، ولعل هذه المعضلة كانت نعمة من السماء، إذ لولاها لما استطعت أن أبطىء مشاة البحرية بما يكفى لجعل هجومنا متناغماً ومتوافقاً. واتصلت ببومر بعدئذ لأهنئه على إنجازه فى هذا اليوم العظيم، وأتهبرنى أن عدد الخسائر قد عدل من ١٤ قتيلاً إلى قتيل واحد فى الاشتباك.. ومع ذلك لم يشعر أى منا بنشوة طاغية فقد كنا نعرف نحن الاثنان أن اليوم التالى قد يأتينا بهجوم كيماوى أو هجوم مضاد من الدروع العراقية.

كنت أتحدث مع باول بانتظام تهلال ذلك اليوم وكانت ردود أفعاله محترسة تجاه التطورات شأنه شأنى. فقد كان كلانا يعلم أن من الأفضل عدم بناء افتراضات قائمة على تقارير أولية مفككة وغير منتظمة عن المعركة، واتصلت به فى الساعة العاشرة مساء لأطلعه على آتهر التطورات. كنت مرهقاً فى نهاية المحادثة وجدت نفسى أقول بلا وعى: كم أتمنى لو أنسف التمثال العملاق لصدام وقوس النصر فى قلب مدينة بغداد. إن قوس النصر نصب الحرب مع ايران، وهو نحت هائل. وقيل إن اليدين فى النصب هما يدا صدام وهما تحملان سيفين متقاطعين.. لقد تحاشينا قصف هذين الرمزين أثناء الحملة الجوية لأنهما ليس من الأهداف العسكرية، وكم كانت دهشتى عظيمة لما وجدت أن باول يوافقنى الرأى رغم أنه اقترح التشاور مع الرئيس بوش أولا. لكن محامى البنتاجون اعترضوا على الفكرة بعد يومين إلا أننى فى تلك الليلة وبعد مرور عشرين ساعة على الحرب البرية ذهبت إلى النوم راضياً.

قدمت إلى غرفة الحرب فى الصباح الباكر وأسرعت إلى الخارطة لأرى مدى ماأحرزناه من تقدم أثناء الليل، فانفجرت صائحا ماذا يحدث للفيلق السابع؟ لقد تراجعت تهطوطه إلى الوراء.

قال مور: «سيدى لم تكن معلوماتنا بالأمس صحيحة كليا وأوضح أنه بينما كانت عناصر من الفيلق السابع – وبالتحديد فصائل الاستطلاع من الفرسان ــ قد تغلغلت حقاً ١٥ ميلا داتهل العراق، فإن قوة الدبابات أبطأت بعد عبورها الحدود فى اليوم السابق، إلا أن هذا التحليل لم يكن يوضح ماكنت أراه على الخارطة. لقد جرى إبلاغى أن الجنرال فرانكس سيتحرك بفيلقه طوال الليل، ونظراً لعدم وجود قوات للعدو على

جبهته، فقد تـوقعت أن أجده مطبقا على الهدف (كولنز)، وهـذا الهدف عبارة عن رقعة صـحراوية بيضاوية الشكل منبسطـة يفترشها الحصى ولا تتعدى مساحتها ١٠أميال وهى تقع إلى الغرب من المواقع الرئيسية للحـرس الجمهورى، وهى منطقة تخدم نقطة وثوب هجوم الفيلق السـابع، وقد كان من المفترض بالجنرال فرانكس هنـاك أن يوجه تشكيلاته شرقا لضرب الحرس الجمهورى وتطلعت إلى الخارطة الثانية. إن ماجعل بطء تقدم الفيلق السابع عسيرا على الفهم هو التقـدم الدراماتيكى للفرقة الآلية ٢٤ بعيداً إلى الغرب.. من الواضح أن ماكفرى قد شق طريقه طوال الليل فى أرض بالغة الوعورة وهو الآن متوغل مسافة ٦٠ ميلا داتهل العراق. اتصلت بيوسوك وسألته: هل توقف الفيلق السابق أثنـاء الليل؟ اسمع.. لاأريد منهم القيام بأى عمل، فهم لم يتعـرضوا حتى الآن لطلقة واحدة من العدو على حد علمى لكنهم يبـدون لى وكأنهم جالسون هناك ببساطة ماذا يجرى؟ اكتفى يوسوك بالقول أنه سيعود للاتصال بى ثانية.

– لم أقفلت الخط؟ هـززت رأسى ونظـرت إلى «كال وولـر» اعتقـد أنهم فى منتصف الطريق باتجاه نقطة كولنز الان.

«يا للجحيم سيدى كنت أظن أنهم فى نقطة كولنز».

بعد بضع دقائق اتصل «جارى لاك» ليقدم تقـريراً أفضل.. سيدى لقد حققنا جميع أهدافنا أمس وأكملنا الآن جميع أهدافنا لهذا اليوم وأبلغنى عن مواقع وحداته وأضاف لقد أسرنا ٣٢٠٠ جندى الليلة الماضية ومازلنا نحصى بقية الأسرى.

هذا رائع يا جارى توقفت قليلا ثم قلت «الآن اعطنى بقيـة التقرير» كانت أتهر فقرة فى التقرير هو إحصاء الإصابات.

لحد الآن سيدى وقعت إصابة واحدة، وهى جريح واحد.

كنت أعرف منـذ اليوم السـابق أننا نحرز نجـاحات تفوق التـوقعات أمـا الآن فقد غمرنـى الارتياح لأننا لم نفقـد أعداداً كبيرة من الجنـود، بل غمـرتنى سعادة طـاغية. شكرت «لاك» وأقفلت الخط بسرعـة.. وأتهذت بضعـة أنفاس عميقـة لأستجمع شتات نفسـى، لقد أظهـرت جلسة الاطلاع أن حظنـا الحسن شمل مسرح العمليات كلـه، فبعد مضـى يـوم كامل على الحرب البرية لم نخسر سوى ٨ قتلى و٢٧ جريحا، ولم يكن هناك

فى سبيل إلى تقدير عدد الخسائر العراقية إلا أننا أسرنا ١٢ ألف جندى.

ولما تحدثت ثانية مع يوسوك عند الظهر كنت عازماً على التحدث بالتفاصيل وبصراحة لقد انعطفت الحملة من حملة متأنية ومرسومة بعناية إلى مايطلق عليه التكتيكيون مرحلة استثمار الفرص التي يتعقب فيها الجيش جيشاً آتهر متداعيا، ويرغمه على القتال بأمل التعجيل بانهياره الكامل، ولم نضيع الوقت - يوسوك وأنا- فى مناقشة تراتهى الفيلق السابع فى الليلة الفائتة لقد أكد لى ببساطة أن فرانكس قد اتهتار بحذر التمسك بخطته الأصلية رغم أنها كانت تقوم على افتراض أن العراقيين سيحاربون بضراوة أكبر. لقد أصر فرانكس على دفع جميع فرقه لاجتياز الموانع، ثم التوقف على الجانب الآتهر من أجل إعادة التجميع، وقال يوسوك إن هذه العملية قد استكملت تقريبا الآن، وأن الفيلق السابع سرعان ماسيتحرك شمالا وإذا سارت الأمور على مايرام فسيكون الفيلق فى وضع جاهز للهجوم على الحرس الجمهورى فى اليوم التالى، ورغم أن إيقاع هذا التحرك لا يتماشى مع السرعة التى كنت أريدها فقد كان مقبولا على أية حال.. وأكدت استخباراتنا أن الحرس الجمهورى كان ولايزال متمسكاً بمواقعه على طول الحدود الشمالية للكويت ومادام الفيلق السابع قد اندفع بهمة فى ذلك اليوم، فإنه مايزال بوسعه إنجاز مهمته. أما إذا تأتهر فإن معنى ذلك أن عليه ابطاء تقدم ماكفرى الذى تقترب ألويتة المدرعة من وادى نهر الفرات، ولم أكن أريد لهم أن يواجهوا الهجوم المضاد للحرس الجمهورى بأنفسهم.. وبدأت أشعر كما لو أنى أدفع عربة تجرها من ناحية تهيول سباق ومن ناحية أتهرى تجرها بغال. كان مشاة البحرية والسعوديون منهمكين على الساحل يوم الاثنين فى أشد المعارك، وبدا أن القوتين كلتيهما مصممتان على تحرير الكويت بنفس السرعة التى استولى بها العراقيون عليها تقريبا، وصد مشاة البحرية ثلاث هجمات عراقية مضادة فى سلسلة من المعارك استغرقت معظم اليوم، ومحقوا عشرات الدبابات العراقية وأسروا أعدادا غفيرة. فيما تعرضوا لخسائر قليلة هى قتيل واحد وعشرون جريحا. وعلى الطريق الساحلى أطبق السعوديون والخليجيون العرب على جميع الأهداف المرسومة لهم فى تهطة المعركة الأصلية وأتهذوا يتقدمون تقدما حثيثا، بحيث رفعنا- تهالد وأنا- أى قيد على تقدمهم سامحين لهم بالمضى قدما نحو الشمال باتجاه مدينة الكويت ولما اصطدموا أتهيرا

بمقاومة شديدة عند الظهر أبلوا بلاء حسنا وأسروا أعدادا كبيرة.

وبينما كان مشاة البحرية والسعوديون يطبقون على مدينة الكويت كان الفيلق العربى -القوة التي يفترض أن تستولى على مدينة الكويت حسب الخطة - مايزال عند الحدود فقد استهلك المصريون معظم يوم الاثنين فى اختراق المانع الأول، ويعود ذلك جزئيا إلى أسلوبهم العسكرى فهم محاربون نظاميون أشداء مثل قوات فرانكس، وقد فضلوا الالتزام بالخطة المقررة سلفا، ولكن ساورتنى الشكوك فى أن القادة الميدانيين ربما تلقوا أوامر من القاهرة بالحفاظ على الخسائر عند الحد الأدنى المطلق، ورحت - من تهلال تهالد والجنرال شوارتز وهيئة مركز التنسيق - الحّ على الجنرال عبد الرحمن الكامى القائد السعودى المسئول عن ذلك القاطع والميجور جنرال صلاح محمد عطية حلبى قائد القوات المصرية بضرورة التحرك إلى الأمام.

٢٥ فبراير (شباط) ٩١ - الهجوم البرى + ١/ الهجوم الجوى + ٣٩

- الساعة ١٥١٠ - مكالمة مع رئيس الأركان: منح ق. ع صلاحية تدمير التمثال وقوس النصر.

- الساعة ١٨١٥ - اتصل رئيس الأركان بـ (ق. ع) وأخبره الامتناع عن ضرب التمثال وقوس النصر.

تنامى التوتر فى غرفة الحرب.. ماإن وصل التقرير المسائى عن الأحوال الجوية حيث كنا نعتمد على أن تكون سماء الثلاثاء صحواً، وإذ بنا نجد أنفسنا بمواجهة ٣٦ ساعة من الأمطار الغزيرة بالإضافة إلى الرياح والعواصف الرملية وغيمة شاسعة وكثيفة تحجب كامل ميدان المعركة عن كاميراتنا المحلقة، شعرت بإحباط مريع فقد كنا بحاجة ماسة إلى مراقبة تحركات الحرس الجمهورى، فحتى الآن لم تتحرك الفرق المدرعة الثلاث من الحرس الجمهورى التى كنا نريد مهاجمتها وهى: فرقة توكلنا، وفرقة المدينة وفرقة حمورابى فهى لاتزال رابضة فى مخابئها على طول الحدود الشمالية للكويت لكن فصائل استطلاع الفيلق السابع كانت تتبادل النيران مع عناصر متقدمة من فرقة «توكلنا» لذلك فإن بعض العراقيين يعرفون إننا نطوق جناحهم وإذا ما ادركوا أن فصائل الاستطلاع هذه هى طلائع هجومنا الرئيسى فقد يحاولون

الافلات قلت لباول: «إذا قضوا الليل فى جحورهم فسنقضى عليهم وأن لم يقضوا الليل فسيهرعون سريعا عائدين إلى الفرات. ولم يكن بالوسع أن نواجه توقيتا أسوأ من ذلك.

اتصل بنا الرئيس «بوش» قبيل الثامنة مساء، هذه أول مرة يتحدث معنا منذ عشية عيد الميلاد أصغى بعناية إلى حديثى الموجز عن الحملة ذلك الحديث الذى استغرق خمس دقائق بعد ذلك امطرنى بالاسئلة عدة دقائق اتهرى، حول أسلوب تعاملنا مع أسرى الحرب وتقارير الانتهاكات العراقية فى مدينة الكويت «كنا قد استلمنا عدة تقارير إلا أنه لم يتم التوثق من صحتها بعد»، ومدى انسجامنا مع الحلفاء فى الحملة.

وقلت متكهنا غدا أو بعد غد ستقع المعركة الكبرى مع الحرس الجمهورى وفى النهاية شكرته على قيادته لنا. ولما اقفلت الخط انتابتنى الدهشة· لمَ احجم الرئيس عن قوله؟ فلا أصدر لى أمرا ولا عدل من القرارات التى اتخذتها، أما الأسئلة التفصيلية التى طرحها فلم تتوخ شيئا تهلاف الاستيضاح، إن ثقته فى قدرة الجهاز العسكرى على القيام بواجبه تناقض تماما ما شهدناه أيام فيتنام بحيث إنها كانت عندى تساوى العالم كله.

بعد ساعة بعث «يوسوك» تقارير تفيد أنه بينما ندفع ارتال الفيلق السابع دون مقاومة، فإن المطر والعواصف الرملية تبطىء وتيرة التقدم.. مع ذلك فأرتال الفيلق السابع الان على مبعدة ٢٠ ميلا من نقطة كولنز. ولما اقفلت الخط قلت لولر متهكما: «كم أنا سعيد لأنى أتهبرت الرئيس أن المعركة الكبرى ستقع غدا أو بعد. عندئذ تهرج كال عن طوره فعلا فتلقف منى السماعة قائلا: «اللعنة سيدى يجب أن نجعلهم يغذون التحرك».

قلت بحدة «كال لا تتدتهل أنت لست القائد».

لكن يا سيدى يجب أن نجعلهم يقومون بذلك، إنه العمل الصحيح.

إن يوسوك يعرف أن الضغط قائم وأن الجيش الثالث تحت امرته وعليك أن تدعه يوجهه بالطريقة التى يرتأيها.

كان والر محبطا تماما حتى أنه نهض من مكانة وغادر غرفة الحرب.

فى وقت متأخر من الليل صعدت إلى الطابق الذى يعلونا ابتغاء رؤية تهالد. كان مبتهجا بالتقدم العام للحرب البرية ومسرورا من الانتصارات التى حققتها ألويته على الساحل الكويتى.. انتقلنا بعدئذ إلى موضوع الفيلق العربى، فقلت محذرا: ما لم يتحركوا بسرعة أكبر فإن المعركة ستفوتهم، لأن مشاة البحرية الان يطلبون الإذن بتحرير مدينة الكويت ولا استطيع منعهم طويلا.

كان تهالد يعرف أنى أحاول أن أبلف فكلانا يعرف أن على التحالف الاستيلاء على الكويت ولكنه كان يعلم أيضا أننى على صواب من الوجهة العسكرية، ووعدنى قائلا «لا تقلق سأجعلهم يتحركون بالإسراع فى وضع نهاية للحرب أفضل».

بعد نحو ساعة استلمنا تقريرا يفيد: إن صاروتها سكود سقط فى الظهران وأصاب ثكنات الأمريكيين موديا بحياة ٢٨ جنديا من جنودنا ومصيبا أكثر من ذلك بجروح. كانت مأساة مروعة، فسلاح الرعب هذا انطلق فى الجو ليسقط بمحض الصدفة على مركز تحشيد لقواتنا فاعاد إلى وطننا ذكرى قذارة الحرب، شعرت بالغثيان فى أعماقى.

عند الساعة ٢,١٥ من فجر ذلك اليوم جاءنى لكزنس بوتش نيل -تهفير غرفة العمليات- ليوقظنى: «سيدى، لقد التقطنا بثا عاديا من راديو بغداد، انهم يأمرون قواتهم بالانسحاب من الكويت».

توجهت إلى غرفة الحرب وأنا أهز رأسى لكى يصفى ذهنى. لقد مضت على الحملة البرية ٤٦ ساعة، إلا أن النهارات والليالى بدأت تتداتهل بلا حدود، كان «والر» قد عاد إلى طاولة مكتبة وعلق قائلا «يبدو لى أن ذلك قد يكون صحيحا. لقد التقطنا برقيات لاسلكية من قيادة الفيلق العراقى الثالث - وهو القوة التى تحتل مدينة الكويت - تأمر الوحدات التابعة للفيلق بالانسحاب كما أن طائرة الرصد المتطورة جستار التى تراقب التحركات فى ميدان المعركة التقطت صور قافلة عسكرية عراقية مؤلفة من ١٥٠ عربة تتحرك بسرعة شمال المدينة.

فى نفس اللحظة اتصل «باول»، وأبلغته أننا نرصد الطرق وسنقطف أى هدف عسكرى ينكشف لنا. فأكد أن علينا مواصلة الهجوم - فالعراق لم يقدم أية بادرة

تنبىء عن استعداده لـلامتثال لقرارات الأمم المتحدة، إلا أنـه تكهن «إن ذلك قد يفضى سريعا إلى وقف إطلاق النار».

قلت «إذا حصل ذلك فى ظـرف يوم أو يومين، فقـد نحابـه مشكلة كبيرة مع الحرس الجمهـورى. وما دامت مـواقعـة داتهل العراق لا داتهل الكـويت، فإن أى وقف فـورى لإطلاق النار يعنى إمكان أن يفلتوا . بعد هذه الملاحظة المقلقة، عدت إلى غرفتى الخاصة كى أنام بضع ساعات أتهر.

ولما عـدت إلى غـرفـة الحرب بعـد طلـوع الشمس بقليل سـألت «أين الحرس الجمهورى».

قال «ليـد» إن العواصف لاتزال تعرقل فصـائل الاستطلاع «لسنا متأكـدين، لكننا نعتقد أن الحرس الجمهـورى لم يتحرك من مكـانه» إذا كـان هذا الخبر صحيحـا، فهو بادرة مشجعة. لكن «برت مور»، رئيس قسم العمليات، أتهبرنى بعدئذ أن فيلقنا السابع لم يتحرك هـو الاتهر – وهناك عناصر قليلـة من طلائعه فقط وصلت إلى نقطة كـولنز، فأمرته «اتصل لى بيوسوك»

أكـد لى يوسـوك مضمـون التقريـر الـذى استلمته على التليفـون عن وضع الفيلق السـابع، فقلت بهدوء «لا أريد مـزيـدا من الأعـذار، حرك قـواتك في الحال. إن الجيش العراقى بأكمله، يفلت هاربا. اشعل النار تحت اقدام فيلقك السابع كى يتحرك. اريد أن تكتشف نوايا العراقيين وتبلغنى. وقبل إنهاء المكالمة أثرت موضوع الفيلق الثامن عشر، لأننى كنت قد قيدت حركـة الفرقة الالية ٢٤ منذ ظهر اليـوم السابق، وأبلغت يوسوك «نريـد إحكام غلـق وادى نهر الفرت الان، هل تعتقـد أن باستطاعـة ماكفـرى أن يشق طريقه إلى النهر؟».

– «مؤكد أنه يستطيع».

– «حسنا، افلتوا زمامهم الان. لا نستطيع انتظـار الفيلق السابع أكثر من ذلك. لكن احـرص على تـوفير حمايـة جـويـة كبيرة للفرقـة الاليـة ٢٤، إضـافـة إلى اسنـادهـا بهليكوبترات الفرقة ١٠١، إذن إن الفرقة ٢٤ ستكون هنا بمفردها»

اتصل بى بعد قليل «جـارى لاك»، قائد الفيلق المحمول «١٨»، وكـررت له تعليماتى

التى قدمتها حول ما كفرى والفرقة الالية (٢٤)، «ايها الرجال انتم تقومون بعمل عظيم»، ثم اضفت «اريد أن اتأكد الان أنك تفهم مهمتك من الان حتى وصولك إلى الهدف، وهى تتلخص فى إنزال أقصى دمار، أقصى دمار ممكن بالماكنة العسكرية العراقية. يتوجب عليكم تدمير جميع معدات الحرب الشاملة. لا نريد أن يطلع العراقيون علينا ثانية بعد مضى ٥ سنوات أتهرى».

وبينما كنت انتظر تقريرا من يوسوك، اتصلت ببومر في مركز قيادته المتحرك- وهو عبارة عن مجموعة من عربات الاتصال البرمائية المدرعة يستخدمها لمتابعة وحداته القتالية فى مجرى تقدمها الذى استغرق يومين- قال بومر «لقد مررنا بميدان كامل من الدبابات العراقية المحترقة هذا الصباح، وهو منظر يشيع السرور فى قلب قائد دبابات قديم».

فى ذلك الصباح كانت فرقة مشاة البحرية الأولى تهاجم التحصينات العراقية فى مطار الكويت الدولى الذى يقع عند الحافة الجنوبية للمدينة، بينما كانت فرقة مشاة البحرية الثانية، باسناد من لواء النمور، تشق طريقها إلى الغرب باتجاه مفترق الطريق العام فى منطقة الجهرة، الذى يربط مدينة الكويت بالطريق المتوجه إلى العراق. وسيكون هذا المفترق بمثابة عنق الزجاجة الذى سيحاول العراقيون الموجودون فى العاصمة النفاذ منه.. وحسب الخطة الأصلية للمعركة كان يتعين على الفيلق العربى الاستيلاء على هذا المفترق، إلا أن بومر الان يطلب الاذن بأن تقوم قواته بالاستيلاء عليه. قلت له «إذا كنت تستطيع الاستيلاء عليه دون مجازفات غير ضرورية، فلك أن تتحرك».

بدأ القلق يساورنى من أن يؤدى سوء الطقس إلى عرقلة تقدم الفيلق السابع أكثر من ذلك. كان المطر يهطل مدرارا فى ذلك الجزء من مسرح العمليات، واتهذت الوديان وقيعان الانهر تمتلىء بسيول الامطار. فى غضون ذلك بدا واضحا أن الحرس الجمهورى لم يعد رابضا بلا حراك. فقد استثمر قادته العسكريون العاصفة واتخذوها بمثابة غطاء، وراحوا ينظمون تراجعا كلاسيكيا من ميدان المعركة. وأشارت برقيات اللاسلكى العراقية التى تم التقاطها أن فرقة «توكلنا» ستبقي فى موضعها وتقوم بعمليات تأتهير، فيما تنسحب فرقتا «المدينة» و«حمورابى» على مراحل باتجاه البصرة. أتهيرا اتصل يوسوك ليخبرنى أن وحدات فرانكس وصلت إلى نقطة كونز، وأن فرانكس الان فى طور

دفع فرق دباباته إلي الأمام. وقال يـوسوك «سيهاجم بمجرد أن توضع قواته فى الخط الصحيح».

– «متى؟»

– «فجر الغد فى أقصى الاحوال».

تنفست الصعداء. فمن الصعب علينا أن نتحمل ضياع يو م في التأتهير. لم أحبذ ذلك. ولكن لم يكن لـدى تهيـار اتهر، فحسب مـواقع الـوحدات. لا سبيل أمـامى لتحـريكهم بسرعة أكبر. قلت «حسنـا. سنترك الأمر يتم حسب طـريقته. ولكن لا جـدال فى أن يبدأ الهجوم صباح الغد» وابتغاء تعجيل وتيرة الأمـور، أبلغت يوسوك أن يعطى لفرانكس فرقـة الفرسـان الأولى، أى القوة الاحتياطيـة التى ظل يلح بالطلب مـن أجل الحصول عليها منذ نوفمبر. فلـم يعد هناك أى سبب يدعو إلى عدم تنسيب هـذه الفرقة إليه، إذ لم أكن بحـاجـة إليها فى أى مكـان اتهـر فى مسرح العمليـات، كما أن النجاح البعيـد المدى لعاصفة الصحـراء يتوقف بأسره على الفيلق السابع. كنت واثقا أن بـإمكان هذا الفيلق تدمير الحرس الجمهورى – فقط لو وصل إلى النقطة المطلوبة قبل انتهاء الحرب.

عند الظهر تناهى إلينا تهبر أن موسكـو – التى لاتزال تؤدى دور الوسيط مع بغداد – دعت إلى عقد جلسة لمجلس الأمن بهدف مناقشة مشروع وقف اطلاق النار، مما دفع باول إلى الاتصال بى تليفـونيا؛ وبعد أن أصغى للعرض الذى أدليت بـه عن تقدمنا على الجبهة، تساءل «ألا تستطيع دفع الفيلق السابع ليزيـد من سرعة تحركة؟ وعرضت له الجدول الزمنى الذى اتفقنا– يوسوك وأنا– عليه لمهاجمة الحرس الجمهورى، ثم ألمحت له أنه إذا كان وقف إطلاق النار وشيكا «فعليك أن تماطل كى نكسب بعض الوقت».

سـاد سكـون مديد على الطرف الاتهـر من تهط التليفون. بعد ذلك قال بـاول فى ترو «اتصل بالجنـرال يوسُوك، واتهبره أن رئيس الاركان محشور فى زاويـة ضيقة بسبب وضع الفيلق السـابع بأكمله. اريـد أن أعرف لماذا لا يتحـركون، ولماذا لا يستطيعـون مهاجمة عدو يواجه القصف دون انقطاع طـوال ٣٠ يوما، إن الفيلق السابع يناور منذ يومين ولايـزال إلى الان بعيدا عن الاشتباك مـع العدو.. يصعب تماما تبرير تصرفات الفيلق السـابع لأى انسان هنـا في واشنطن. اعرف أنـه لا يجوز لى طرح تعـديلات على

قرارات متخذة فى الميدان، ولكن يتوجب أن نكون الان فى قتال مع العدو».

نقلت فحوى رسالته عن طواعية – فقد آملت أن تشجع الفيلق السابع على التحرك – غير أن ضغط المقرات قد أثار أعصاب فرانكس أصلا. بعد نصف ساعة أرسل يوسوك تقريرا يفيد أن فوج الفرسان المدرع الثانى قد شن هجوما فى أقصى الغرب على عناصر من فرقة توكلنا. وأشار أيضا إلى أن فرقة المشاة الأولى، بدباباتها الثقيلة ستتولى الهجوم فى اتهر النهار. سألت «هل يعنى ذلك أننا إذا استطعنا الهجوم الليلة فسنفعل؟».

قال يوسوك «أحرز».

بعد فترة وجيزة – أى فى اواتهر العصر – اتصل فرانكس بنفسه وبدأ القول بجفاف: «اتهبرنى الجنرال يوسوك أن هناك تقريرا قيد الإعداد سيرفع إليك» وكان أول نقطة يثيرها فى حديثه هو قلقه من أن بعض الوحدات العراقية التى مر وتركها قد تعود وتضربه على الجناح. وهو يريد تدميرها قبل أن تتفرغ قواته للحرس الجمهورى، ولذلك فإنه على وشك إصدار أمر بالهجوم نحو الجنوب.

قاطعته قائلا «فريد، لا تلتفت جنوبا اتجه شرقا. تعقب أثرهم» كان «والر» جالسا بقربى والتقط أواتهر المحادثة، فشد على قبضتيه وهو يحدق ذاهلا فى طاولة مكتبه. وذكرت فرانكس أن الفرقة المدرعة الأولى البريطانية الجبارة ترابض على يمينه، ويمكن له أن يستخدمها لحماية جناحه الجنوبى. وافق في الحال. لم أكن فى حاجة إلى إرهاب الرجل كى يوافق. فقد ادركت أنه كان تحت وطأة توتر عصبى مألوف يلازم الدقيقة الاتهيرة التى تسبق أية معركة حاسمة.

وابلغنى بعدئذ بما كنت اتلهف لسماعة: إنه ينوى الهجوم على الحرس الجمهورى طوال الليل. قلت «عظيم. سيكون لديكم ضرب النار رائعاً هذه الليلة. واصل الضغط لا تدعهم يتملصون من الاشتباك. واصل مطاردتهم. إذا حالفنا الحظ مع الطقس، فسنرسل القوة الجوية لتدكهم دكا فيما هم ينسحبون أمام انظارك».

وأتهيرا هيأنا المسرح لاكبر معركة دبابات في التاريخ العسكرى. لقد تجمعت بإمرة فرانكس قوة هائلة – الفرقة المدرعة الأولى، والفرقة المدرعة الثالثة، وفرقة المشاة الأولى، والفرقة المدرعة الأولى البريطانية، وستواجه بأجمعها نخبة القوات المدرعة

العراقية التى كانت رأس الرمح في عملية غزو الكويت. حانت ساعة الحساب مع الحرس الجمهورى بعد سبعة أشهر من الغزو.

فى الجزء الشرقى من ميدان المعركة، أتهذ الانسحاب العراقى يتفكك وضربت الفوضي أطنابها فى صفوفة. كانت وحدات كبيرة كاملة من الفيالق العراقية، الفيلق الأول والفيلق الثانى والفيلق الثالث والفيلق الرابع، تحاول الوصول إلى البصرة لتجد الجسور على نهر الفرات مدمرة، وكما توقعنا، كانت القوافل العسكرية تتضخم متجمهرة فى أقصى زاوية في الجنوب الشرقى، فيما كانت طائرة الاستطلاع ترصدهم براداراتها مصورة عشرات الطوابير كى تتولى قاذفاتنا أمرها.

قضيت بقية النهار أنسق عملية تحرير مدينة الكويت. لقد قام مشاة البحرية بتطويق العاصمة تماماً، ورغم الاشتباكات فى ضواحى العاصمة، فإن الكثير من التقارير الواردة أشارت إلى أن العراقيين أتهلوا مواقعهم فى مركز المدينة، وهربوا.. وأكد لى تهالد أن قواته ستكون مستعدة لدتهول المدينة فى الصباح، وأن الفيلق العربى الذى يتقدم الان بسرعة سيلحق بمشاة البحرية في غرب المدينة عند غروب الشمس، أما الالوية العربية على الطريق الساحلى فستتأهب لاحتلال المدينة من جهة الشرق، اتصلت ببومر لانبهه إلى أن الوحدات العربية ستلتقى بمشاة البحرية، وعلى قواته الحذر من فتح النار عليها عن طريق الخطأ، لقد قمنا بإعداد الحملة البرية بطريقة تفصل الوحدات التى تتحدث بلغات مختلفة، لكن هناك تهطرا متزايدا لحصول ما يسمى حالات ضرب الازرق للأزرق – أى التعرض لنيران صديقة – طالما أن هذه القطعات تقترب من بعضها.

كانت تهطتنا تقضى بأن يظل مشاة البحرية في مواقعهم بينما تقوم طلائع القوات الكويتية والسعودية والمصرية، والعربية الاتهرى، بأول عملية دتهول للعاصمة، راجعت التفاصيل مع الكولونيل جيسى جونسون، آمر القوات الخاصة فى القيادة المركزية، لقد تم تنسيب مستشارية إلى الوحدات العربية تهلال فترة الحملة وسيظلون برفقتها عند دتهول المدينة. ومن بين المسئوليات المسندة إلى هؤلاء المستشارين هو أن يذكروا حلفاءنا – وبالاتهص الكويتيين منهم – بالامتناع عن ايذاء الاسرى العراقيين انتقاما منهم على التجاوزات التى اقترفوها اثناء الاحتلال. لم نكن نريد السماح باقتراف أى

جرائم حرب على ايدينا، ونظم جونسون أيضا فريق قوات تهاصة لإعادة السيطرة على سفارتنا، كما نظم الوحدات البريطانية والفرنسية لكى تستعيد سفارتيهما. وحذرته قائلا: «أريد إعادة السيطرة على جميع السفارات الثلاث فى وقت واحد لا أريد اندفاعات طائشة ولا تسابقا على المغانم».

كان جونسون واحدا من ابطال عاصفة الصحراء المجهولين. فمنذ وصوله إلى الخليج قبل ستة شهور وهو يعمل على مقربة وثيقة من تهطوط الجبهة، مسهما فى تمتين عرى التحالف مع الاطراف الاتهرى. اثنيت على آداء قواته التى قامت بعمليات استطلاع وغارات تهلف تهطوط العدو، ودربت السعوديين، وإعادة تنظيم وتسليح الكويتيين، وقدمت أثناء القتال مستشارين عسكريين للوحدات العربية، واتهبرته قائلا: «إنهم رجال جيدون، ويتمتعون بقائد همام. والان هناك شىء واحد أتهر».

– «سيدى؟».

– «أعرف أنك قد تكون متلهفا للنجاح فى العملية. لكن عندما يستعيد رجالك السفارة صباح غد، فإننى اعتمد عليك لكى تتصرف كقائد لا كخفير».

ضحك جونسون «لا تقلق.. لدى ثلاثة أو سمة أرجوانية، ولا أريد واحدا اتهر».

كانت لدينا مئات الأمور التى تملأ الصدور بهجة، إلا أن الجو فى غرفة الحرب ظل متوترا للغاية، فنحن لم نكمل بعد ما انطلقنا لتنفيذه – أى تصفية القدرة العراقية على تهديد العالم العربى. وحتى بعد تدمير الحرس الجمهورى، سيكون عملنا نصف منجز، وشعرنا جميعا بأن نافذة الفرصة تنغلق سريعا.

٢٦ فبراير «شباط» ٩١ – الهجوم البرى + ٢ .. الهجوم الجوى + ٤٠

الساعة ٢٠٣٠ – اجتماع مع الليوتانت جنرال تهالد، الذى اتهبر ق.ع أن أمير الكويت أعلن فى غير ابطاء أن ولى العهد عين حاكما عسكريا على الكويت، وهو الان قائد جميع القوات الصديقة العاملة فى بلاده. بإزاء ذلك سيقوم تهالد، بتحريك القوات السعودية باتجاه مدينة الكويت فى الساعة ٢٤٠٠، واقترح (ق.ع) أن تلتقى الوحدات من جميع القوات العربية فى المدينة وافق تهالد على ذلك. بعد هذا أوعز (ق.ع) إلى الميجور جنرال شوارتز لمساعدة السعوديين فى تنسيق العملية.

قام الفيلق السابق بمهاجمة الحرس الجمهورى طوال الليل. ولا غرابة فى أن يقاتل الحرس الجمهورى بضراوة وهو متمسك بمواقعه. إلا أننا سحقنا وحداته، وجاءت التقارير فى الفجر لتؤكد أن فرقة «توكلنا» قد دمرت تماما بينما لم نخسر نحن دبابة واحدة، وحاولت فرقتا «المدينة» و«حمورابى» اللتان أصابهما التشوش لما اكتشفت أن قوات التحالف تطبق عليها من الغرب- أن تسرعا فى التراجع نحو البصرة. فى غضون ذلك استطاع الفيلق المحمول ١٨ تدمير قافلة عراقية كبيرة من ناقلات المعدات الثقيلة على الطريق العام رقم (٨) فيما هى تحاول نقل الدبابات إلى تهارج منطقة الحرب.

ولما تفحصت الخطوط على تهارطة المعركة، شعرت بالثقة فى أن هذه الحرب ستصل إلى نهايتها سريعا. ففيلق الجيش التابع للقيادة المركزية يمضى الان شرقا بعناد، مثل مكبس معصرة عملاقة. كنا ندفع العدو إلى داتهل جيب بين البصرة والفرات، والواقع أن قوتنا الجوية صارت تسمية «صندوق الابادة». لقد قصفنا أية قافلة عثرنا عليها قصفا جهنميا، ولكن تهلال الفترات الفاصلة بين الضربات الجوية، كنا نرسل طائرات هليكوبتر من طراز بلاك هوك مزودة بمكبرات صوت، لتحلق فوق ميدان المعركة، مطلقة النداء للعراقيين باللغة العربية «اتهرجوا من عرباتكم وابتعدوا عنها ولن يصيبكم الموت. سنترككم تعودون إلى بيوتكم». الواقع أن كثيرين منهم اكتشفوا ذلك قبل أن نقوله لهم، وقال أحد قادة كتائب الدبابات لضباط استخباراتنا بعد أن استسلم: «فى الواقع، أثناء الحرب العراقية – الايرانية، أحببت دبابتى لأنها كانت تحمينى. أما في هذه الحرب فقد كرهت دباباتى لأن باستطاعتها قتلى. لأنها كانت تجتذب اطلاق النار على.. لذلك رحت اقضى أغلب وقتى تهارج الدبابة وأتهذت أنام فى ابعد مكان ممكن عنها».

فى مدينة الكويت، تهرجت الحشود المبتهجة إلى الشوارع فيما كانت القوات الكويتية والسعودية والمصرية تتدفق بعيد الفجر. وبرغم أننا كنا نعرف، ونحن فى الرياض، أن امامنا قتالاً عنيداً، فقد كان من الصعب ألا نشارك فى الفرحة. واتخذت جلسة الاطلاع الصباحية طابع احتفال فيما كان اركانى فى المقر يراجعون أحداث الساعات الاربع والعشرين الماضية ففى بدء الحرب كانت هناك ٤٢ فرقة عراقية فى مسرح العمليات، أما الان فإن تقريرات الاستخبارات تفيد أن ٢٧ فرقة منها قد محقت أو دمرت، وهناك ٦ فرق أتهرى تعتبر بلا «قدرة قتالية» أو غير قادرة على ابداء مقاومة فعليه. أما الفيلق

العراقى الثانى، شمال مدينة الكويت، فهو فى حالة تراجع كامل، وأما الفيلق الثالث الذى احتل مدينة الكويت فقد دمر عن بكرة أبيه. فيما انهارت جميع فرق المشاة التابعة للفيلق السابع فى الغرب، ولم يعد هناك أى اتصال بين بغداد والبصرة. وكان على الفرق المتبقية فى الميدان الاعتماد على النفس. ولقد أسرنا ٣٨ ألف جندى ومن بين ما يربو على ٤٠٠ ألف جندى أرسلناهم عبر الحدود فى هذه الحملة البرية، لم تذكر تقارير الخسائر فى القتال سوى مقتل ٢٨ وجرح ٨٩ وفقدان ٥. وأتهيرا أبلغنا رون ويلدوموث، رئيس قسم العلاقات العامة، أنه جرى حل المجمعات الاعلامية التى اقمناها لتغطية اتهبار الحرب، وأن جميع الصحافيين يتجهون إلى مدينة الكويت لأنها الرمز الذى يحتاجونه لتسطير قصصهم، وهو الان تهارج نطاق السيطرة حاليا «وعندما انتهت جلسة الاطلاع أوعزت إلى اركاتى بأن يضعوا تهطط لـلاسراع بارجاع القوات إلى الوطن حال إعلان وقف اطلاق النار (اتهبرت دين ستارلينج «الوحدات القتالية تعود أولا»).

استرتهيت فى مقعدى لاشاهد بشائر النصر. وحسب التقارير الصحافية الواردة، غدا الرئيس بوش الان بطلا، وتشينى بطلا وباول بطلا، أما الخبراء السياسيون والخبراء العسكريون الذى حذروا من مغبة عواقب جسيمة إذ ما دتهلنا الحرب، فقد ازدردوا حكمهم وصمتوا. وشعرنا جميعا –في المقرات– بفخر كبير. أما أنا فكنت سعيدا سعادة غامرة.

قضيت بقية اليوم أراقب التقارير الواردة عن القتال على امتداد الحدود الشمالية للكويت حيث كان يوسوك وجنرالاته يشددون الخناق على بقايا جيش صدام، ورغم سوء الأحوال الجوية (مطر مدرار) اسميتة أنا طقس المشاة لان الجنود الراجلين يعتبرون الخوض فى الطين مسألة مفروغا منها – كان الفيلق السابق يحرز تقدما مطردا. واتصل يوسوك فى منتصف الظهيرة ليبلغنى أن الفرقة المدرعة الأولى قد اتهترقت مواقع فرقة «المدينة» وأنه تم تدمير كتيبتين كاملتين على الاقل. وقال إن فرقة «حمورابى» الان فى وضع هروبي وهى مختفية داتهل ووراء حقل للنفط، وأن فرقتنا المدرعة الأولى تتعقبها. وسألته: كم من الوقت تحتاج للقضاء على الحرس الجمهورى؟

أجاب فى الحال: «يوم اتهر فقط. سنسحقهم عند مساء الغد».

كان التطور الوحيد المزعج هو حادث التعرض لنيران صديقة فى الفيلق السابع. فقد هاجمت إحدى طائراتنا بطريق الخطأ عربتين بـريطانيتين، موقعة اصابات عديدة بهما طلبت من هورنر و يوسوك اتخاذ احتياطات فائقة لمنع تكرار مثل هذه الحوادث التى قد تنشب بشكل متزايد عند تجمع قواتنا فى جيب البصرة.

٢٧ فبراير «شباط» ٩١ – الهجوم البرى + ٣/ الهجوم الجوى + ٤١

السـاعة ١٥٤٥ مكالمة هـاتفية مـن الليوتانـنـت جنرال هـورنر. قـال ق.ع للجنرال هورنر: إن مكالمتى هذه ليست لتغطية مؤتهرتك القبيحة، رغم ان المكالمة قد تبدو كذلك. وإذا ازداد «صندوق الإبادة» تقلصا، فإننا لا نستطيع أن نرتكب حادثا بنيران صديقة. «إننى لا أطلب أن تفعل أى شىء بخـلاف ما دأبت على القيام بـه حتى الآن» لكنى قلت: بـالمنـاسبـة احفظ لى قنبلـة لتمثـال صـدام حسين. إننى أنـوى تقـديم طلب شخصـى للرئيس».

وسرعان ما اتصل بـاول، وكان في مزاج مريح وسعيـد، قائلا «يجب أن نتحدث عن وقف إطلاق النار. فالعراقيون بدأوا يجأرون بالشكوى من الدمار الذى تصنعه».

قلت «مـاذا تعنى؟»» إن مـا حـدث بالطبـع أن الصحافيين يقـومـون الان بإجـراء مقابلات مع طيارى القوة الجوية الذين قصفوا ويقصفون القوافل الهاربة من الكويت. وحالما حـررنا المنطقـة المحيطة بمـدينة الكـويت، حتى راح الصحافيـون الذين كـانوا يداومون فى المجمعات الاعلامية، يلتقطـون الصور للطريق العام رقم «٦» حيث قصفنا قافلة عـراقية ليلة الاثنين، كان المكـان عبارة عن دمار شامل، إلى حـد أنهم اطلقوا عليه اسم «طريق الموت» وهـو طريق ذو أربعـة تهطوط مرور، تتنـاثر عليه اشـلاء وحطام محترق لاكثر من ألف عربة عسكرية، وشاحنات، وباصات، وسيارات مدنية مسروقة. وذلك بالضبط هو مـا راه الناس على شاشات التليفزيـون مساء الاثنين واتهبرنى باول أن اعصاب البيت الابيض آتهذه بالتوتر «فالتقارير تصور الأمر وكأنه قتل وحشى».

كلانا كـان يعرف أن الأمر ليس كذلك. ورغم أن الأمر ليس كـذلك. ورغم أن العديد من العـراقيين فى القـافلة لقى حتفـه، إلا أن معظمهم قفـز من العـربـات ونجا بجلـده. وشعرت بـالسخط – فواشنطن مستعـدة للمغالاة فى رد الفعل، كالعـادة، تجاه اصغر

نأمة من الـرأى العام وفكـرت فى نفسى دون أن اتفوه بحرف مـن ذلك.. إن أفضل ما يستطيع البيت الأبيض عمله هـو إغلاق التليفـزيون اللعين فى غرفـة الازمات. ولم يكن باول –من جهته– قلقا، فلقد كان معتادا على المد والجزر السياسى.

قال «لذلك قل لى ماذا تريد أن أفعل» وصفت لـه تهرائط المعركة الحالية ونقلت إليه ما قال يوسوك وما هو بحاجـة إليه للإجهاز على الحرس الجمهورى. وفى نهاية اليوم، وبينما نحن قادرون على أن نعلن أن العـراق بات عاجـزا عن تهديد جيرانـه، فإن هناك معـدات عسكريـة كثيرة جدا تتحـرك فى جيب البصرة. قلت «اليك مـا اقترحه، اريـد أن تواصل القوة الجوية قصف القوافل المحصورة عند نهر الفرات حيث الجسور مدمرة اريد مواصلة الهجـوم البرى غدا، والتوجه نحو البحر وتـدمير كل ما يعترض طريقنا. فهذا هـو المسار المرسوم فى تهطـة عاصفـة الصحراء، وسنتم انجازه فى يـوم واحده». سكت لحظة تم قلت «هل تدرك أننا إذا توقفنا ليلة غد، فإن الحملة البرية ستكمل خمسة أيام؟ كيف ترن فى أذنيك هذه الكلمات· حرب الايام الخمسة؟».

ضحك بـاول. وقال «يبدو أن وقعهـا حسن. سأنقل هـذه التسمية» وأضـاف: إننا نحتاج إلى اطـلاع رحال الاعلام على اتهـر المستجدات. واقترحت أن من الافضل أن تتم عمليات الاطلاع هذه فى الرياض لا فى واشنطن، لأن المعلومات ستكون طازجة، فوافقنى «باول» الـرأى. ولما أغلقت التليفون، أوعـزت إلي اثنين من الرسـامين المجندين بـوضع سلسلة من التخطيطات التبسيطية عن الحملة البرية التى وضعت تهطوطها العامة.

واشغلت نفسى بقية العصر بمتابعة أوضاع المعـركة، جهزت التخطيطات فى الساعة السابعة مسـاء، واتهذتها معى إلي الطابق العلوى لمراجعتها على مدى سـاعة قبل عبور الشارع إلى فنـدق «حياة» لاطلاع رجال الإعـلام عليها. وجاء لقاء الاطـلاع أفضل مما تصورت فغادرت الفندق بمزاج رائق وعندما تطلعت إلى أضواء الشارع أدركت أن هذه هى المرة الثانية التي اتهرج فيها من وزارة الدفاع تهلال أكثر من أسبوع «فى المرة الأولى بهدف اطلاع الصحافيين أيضا»

اتصل باول ثانية فى الساعة العاشرة والنصف مساء: «أكلمك من البيت الأبيض، كنا نناقش بالتفصيل فكرتك حول إنهاء الحرب فى خمسـة أيام وأتهبرنى أن السجـال فى

واشنطن – حول ضراوة القتل – قد وصل إلى درجة مزعجة من التوتر.. حتى الفرنسيون والبريطانيون بدأوا يتساءلون إلى متى سنواصل هذه الحرب، وقال «الرئيس يفكر بالظهور على شاشة التليفزيون فى التاسعة مساء للإعلان عن ايقاف الحرب. هل لديك مشكلة بصدد ذلك؟».

التاسعة فى واشنطن تعنى الخامسة صباحا فى الرياض، أى بعد ست ساعات ونصف الساعة من الان. وانتظرنى «باول» فيما استغرقت أفكر دقيقة، كان رد فعلى الاتى يتمثل فى أن وقفا سريعا لإطلاق النار سيوفر حياة الكثيرين. أما إذا واصلنا الهجوم تهلال الخميس، فإن أفرادا من قواتنا سيلاقون حتفهم، قد لا يكون العدد كثيرا، ولكن البعض سيلقى حتفه. الاكثر من ذلك إننا قد انجزنا مهمتنا، وقد انتهيت لتوى من القول للجمهور الامريكى بأننا لم نترك للعراق قوة كافية من الجيش ليشكل تهطرا إقليميا. وبالطبع كان يوسوك قد طلب مهلة.. يوماً اتهر، وسأكون سعيدا لو واصلت تدمير الجيش العراقى على مدى الاشهر الستة المقبلة. مع ذلك فقد حطمنا اضلع صدام، ولم نترك ظلالاً من شك فى ذهن أى انسان اننا حققنا نصرا حاسما، وفعلنا ذلك بخسائر طفيفة جدا. فلماذا لا ننهيها إذن؟ لماذا نخسر قتيلا فى الغد؟ ذلك كان ما استقر عليه رأيى.

أجبت فى النهاية «ليست لدى أية مشكلة. كان هدفنا تدمير قوات العدو، وقد انجزنا هذا الهدف بالتمام والكمال، سأتشاور مع القادة هنا، وما لم تكن أمامهم أية عقبة، فإن باستطاعتنا أن نتوقف».

أوضح باول أن الرئيس سيجعل وقف إطلاق النار مرهونا بكف العراق عن القتال ووقفه الهجمات بصواريخ سكود، والاطلاق الفورى للأسرى العسكريين والرهائن من المدنيين الكويتيين، والرضوخ لقرارات الامم المتحدة، إضافة إلى شروط أتهري. وطلبت منه أن ينص الإعلان بوضوح على أن ذلك هو ايقاف للعمليات الهجومية وليس وقف اطلاق نار مطلق، وأن لقواتنا حرية ضرب أى عراقى يطلق النار علينا. وأتهبرنى «باول» بعدئذ أن الرئيس سيطلب عقد اجتماع بين جنرالات كل الطرفين فى غضون ٤٨ ساعة لصياغة التفاصيل العسكرية لوقف القتال. أتهذنى هذا القول على حين غرة – إذ لم يخطر ببالى أبدا أن علىّ الجلوس وجها لوجه مع جنرالات عراقيين – وقضينا بضع

دقائق نناقش الاسلوب المحتمل لترتيب عقد مثل هذا الاجتماع نظرت فجأة إلى ساعتى وقلت «كولن يجب أن ننهى هذه المكالمة كنا نتحدث عن ايقاف هذه الحرب تهلال ٦ ساعات و ٢٠ دقيقة من الان، ويجب أن أتحدث مع الرجال الذين يقاتلون».

أرجعت سماعة التليفون، واتصلت بهورنر رأسا، وأتهبرته بأن يواصل تحميل القاذفات على أن يتأكد من أننا سنتوقف عند الساعة الخامسة. وقلت «ليس هذا أمرا نهائيا، لأن على واشنطن ترتيب ذلك مع حلفائها. ولكن لا ترسل أية طائرة ليس فى استطاعتك استدعاؤها للعودة».

اتصلت بيوسوك وأبلغته بالأمر «دع الأمر يسير كالمعتاد حتى الساعة الخامسة، أحثك على أن تنزل أقصى دمار تقدر عليه طائرات الاباتشى حتى ذلك الوقت» ثم اتصلت بالادميرال أرثر والجنرال بومر والميجور جنرال واين داونيج، الذى يدبر العمليات الخاصة فى العمق، تهلف تهطوط العدو، لم يبد أن أحدا قد تفاجأ بقرب الإعلان عن وقف إطلاق النار.

بعد بضع ساعات اتصل باول ليؤكد «سنوقف العمليات الهجومية ولكن لا يوجد أى تغيير، سيقوم الرئيس بالإعلان عن ذلك فى الساعة التاسعة، لكننا لن نتوقف فعلا حتى منتصف الليل. وهذا سيجعلها حرب المائة ساعة «كان على أن أترك القيادة لهم، فهم يعرفون حقا كيف ينسقون لذلك الحدث التاريخى».

وجاء الرئيس بوش ثم وزير الدفاع تشينى على الخط نفسه تباعا ليقدما التهانى. ثم عاد «باول» أتهيرا وقال: «حسنا، هذا كل ما فى الأمر. وقف إطلاق النار فى الثامنة من صباح الغد بالتوقيت المحلى».

كنت اتلقى هذه المكالمة فى غرفتى الخاصة، وعدت الان إلى غرفة الحرب وأوضحت لاركان المقر شروط وقف العمليات، وأصدرت أمراً: «أريد تدمير جميع المعدات والتجهيزات العسكرية المهجورة في منطقة القوات».

وأبلغت الاركان أن البيت الابيض قد أضاف شرطا يقضى بأن يترك العراقيون الموجودون في منطقة الحرب جميع معداتهم ويسيروا نحو الشمال، وهو شرط أعجبنى لأنه يتيح لنا إنهاء عملنا بتدمير سلاحهم. إلا أن جونسون إعترض على ذلك بالقول: «إنه

من المستحيل تنفيذ ذلك تماماً.. سيدى. نستطيع سد العديد من الطرق، لكننا لا نستطيع ابدا منع العراقيين الموجودين الان عند النهر من إصلاح الجسور وأتهذ معداتهم معهم شمالا مالم نهاجمهم».

بالطبع كان محقا. فهناك أعداد هائلة من المعدات المدرعة – بما يعادل فرقتين – تشق طريقها على الجسور العائمة عند البصرة. تهليط من دبابات «ت–٥٥» القديمة منذ الخمسينات، وناقلات الجنود المدرعة من طُرز مختلفة، إلي العشرات من دبابات «ت – ٧٢» من الطراز الأول، والتى استطاعت الانسحاب عندما ابطأ الفيلق السابع فى ضرب الحرس الجمهورى. ولقد كنا نهاجم هذه المعدات طوال الليل، وفي نهاية اليوم التالى أتينا عليها جميعا، بقصف كل هذه الدروع المزدوجة. وأرسلنا هليكوبترات أباتشى على طول النهر لصيد أى دبابة تحاول العبور.

ورحنا نناقش تبعات هذا الأمر. كنا نبغض فكرة الإبقاء على أية معدات عراقية، وبخاصة دبابات «ت – ٧٢» التابعة للحرس الجمهورى: فعاجلا أو اجلا ستعود هذه الدبابات لتستخدم لأغراض دنيئة. ولكن لم نكن قلقين من وجهة النظر العسكرية البحتة، أو من وجهة نظر حلفائنا العرب. إن إعادة تجميع حتى فرقة واحدة فعالة من بين المخلفات المتروكة سيتطلب من العراق وقتا طويلا. فالمعدات فى حالة من الفوضى: الكثير منها سيىء الصيانة، ويفتقر إلى الادوات الاحتياطية «أوقف السوفيات تزويدهم بها» والبعض منها تحطم أو أصيب. علاوة على ذلك ليس بمقدور العراقيين أن يجمعوا ببساطة الرجال والدبابات معا ليقولوا «لدينا فرقتان». فهم يحتاجون الان إلى سنوات لجمع وتدريب وحدات صغيرة، ثم سرايا فكتائب، وهكذا دواليك – قد يتطلب ذلك من ٥ إلى ٦ سنوات، إذا اتهذنا فى الاعتبار الفوضى التى تواجههم.

كان القرار شأنا على القيادة المركزية: كان علينا أن نضعه أمام أنظار واشنطن. لذلك اتصلت «بباول» وكررت له رأى جونسون ثم حذرت قائلا: إذا سمينا الاعلان وقف إطلاق نار، فسنرى دبابات الحرس الجمهورى من طراز «ت – ٧٢» وهى تعبر فوق الجسور العائمة.

واستطلع قائلا «هل تستطيع ضربهم الليلة». فقلت له إنى أصدرت بالاصل أمرا إلى

يـوسـوك كى يضـاعف غارات الهليكـوبتر، وأن الاباتشى تحلق وهى مزودة بأوامـر لتدمير اية دبابة تعثر عليها.

قال بـاول «حسنا، سأعـود للاتصـال بك». واتصل بعد ٢٠ دقيقـة قائلا: إن البيت الأبيض يفهم الان أن بعض الـدبـابـات ستفلت، وأنـه قـرر القبـول بـذلك، إذا لم يكن باستطـاعتنا إرغام العراقيين على تـرك معداتهم دون أن نقوم بمزيـد من القصف، فقد أزيل هذا الشرط من إعلان الرئيس.

بقيت قضية حاسمة كان لايزال علينا -يـوسوك وأنا- أن نحلها: أين نوقف التقدم البرى. لقد سيطـر الفيلق المحمول «١٨» فى هـذا الوقت على جـزء كبير من العراق، بينما الفيلق السابع يطارد بقايا الحرس الجمهورى عبر الحدود الشمالية للكويت، ولما نظرت إلى الخارطة لم اتبين غير مشكلة واحدة فقط: مفترق الطـرق الرئيسى على بعد ٣ أميال شمال الحدود الكويتية حيث يلتقى الطريق العام رقم ٦ القادم من الكويت مع طريق أم قصر العـام من الساحل الكـويتى، ويلتحمان بـالطريق المؤدى إلى البصرة. ومـا لم نقم بسد ذلك المفترق، فإن معـدات عراقية كثيرة ستنفذ، كما أردت تأمين السيطـرة على تلة صفوان القريبة، لأن العراقيين شنوا عـدة هجمات منها بصواريخ سكود على الظهران. كانـت أقرب وحدة مـن وحدات الفيلق الســابع إلى هذا المكـان هى فرقـة المشاة الأولى، وترابض على بعد ١٥ ميلا. وارتأى يوسوك أن باستطاعة هذه الفرقة أن تصل بسهولة إلى ذلك المفترق قبل سريان وقف اطلاق النار. قلـت «عظيم. أستول على المنطقة طالما أنك لن تفتح معركة كبيرة لا تستطيع إنهاءها فى الوقت المحـدد، وسيكون ذلك مكانا مناسبا لاقامة معسكر».

قبل ذهابى إلي النوم - بعد الارهاق - تأكـدت أن جميع القادة يعلمون بموعد وقف إطلاق النـار، وعندما أعلن الـرئيس جورج بـوش وقف إطلاق النار من على شــاشات التليفزيون كنت نائما، أغط فى سبات عميق، لأننى كنت أعلم بكل شىء.

الباب العاشر
المفاوضات فى صفوان

فى يوم ٢٨ فبراير ١٩٩١ والحرب البرية توشك على الانتهاء الفعلى، ووقف إطلاق النار سارى المفعول، وقواتنا كانت متوغلة فى الشمال تهارج الكويت وداتهل العراق.. فى هذا الجو تمت مفاوضات إيقاف اطلاق النار وبعد موافقة الكونجرس وباول على قاعدة صفوان التى تبعد ٣٠٠ ميل عن نهر الفرات، وتحديدا فى يوم ٢٨ فبراير الساعة ١٩,٠٠، (جلسة الاطلاع المسائية) ق.ع أبلغ الليوتاننت جنرال هورنر أننا بحاجة إلى بقاء حضور واضح فى الاجواء فوق بغداد فيما الجنرال هورنر يقول مازحا: «لدينا تهياران: دون اتهتراق حاجز الصوت أو باتهتراق حاجز الصوت». ق.ع قال: «يجب التأكد من أن تستمر الدوريات ليل نهار». واتهتار ما فوق سرعة الصوت. قد لا يرون الطائرة.. لكن دوى اتهتراق حاجز الصوت وبذلك يعرفون أننا هنا.

ق.ع أبلغ الاركان أننا سنتعرض للضغط فى سبيل ارجاع القوات إلى الوطن. الوجبة الأولى العائدة ستكون رمزية، بعد ذلك ننتقل إلى إعادة تجميع ونقل القوات على نطاق واسع بحث ق.ع مسألة السلامة، وهو يريد من كل واحد أن يعمل بموجب شعار لا قتيل واحد بعد.. يجب إزالة معدل الحوادث الذى كان سائدا فى الفترة الأولى لوصولنا.. سنحاسب القادة أنفسهم باعتبارهم يتحملون المسئولية. اوصلوا هذا الأمر إلى أدنى المستويات.

رحت انتظر فى غرفة الحرب فيما الساعات تمضى، مدركا أن هناك – لا محالة– مشاكل جديدة لابد من حلها، إلا أنى شعرت بالثقة من أن الأمور كلها ستكون فى محلها اتهر المطاف. وحين رن جرس التليفون أتهيرا عند الساعة الثانية فجر الجمعة كان يوسوك على الخط يتصل من مقر قيادته: هناك مشكلة فى قاعدة جالبة الجوية، جارى

لاك يقول إنها بالغة الخطورة، فهناك قذائف غير متفجرة في كل أرجائها.

قلت: «آه...» عظيم تمنيت لو علمنا ذلك بالأمس». ونظرت إلى تهارطتي: حسنا لنرتب الأمر في مطار صفوان. وصفوان لسان هبوط عسكرى شمال الحدود الكويتية ولا يبعد سوى ميلين عن مفترق الطرق الذى أمرت الفيلق السابع بالاستيلاء عليه في الصباح الفائت.

بعد دقائق اتصل يوسوك ثانية: «ليست لدينا قوات هناك». حدقت مليا في الموقع على الخارطة. إن القطاع المحيط بمطار صفوان يحمل علامات تشير إلى أن فرقة المشاه الأولى تحتله، كما أنني تلقيت شخصيا تقارير تؤكد ذلك من برت مور حين جئت إلى غرفة الحرب ذلك الصباح. إذا لم تكن لدينا قوات في المطار نفسه فلابد أن لدينا وحدات قريبة منه. صحيح انقل بعض القوات إلى المنطقة لا أكثر. قال يوسوك إنه سيفعل ذلك. في هذه الاثناء أتهطرت باول أن علينا تغيير مكان الاجتماع في قاعدة جالبة، وأننا نفكر في مكان آتهر قريبا من صفوان. لم يبق سوى ٢٤ ساعة على الموعد المفترض لبدء محادثات وقف إطلاق النار.

استعدت في ذهن الحوار مع يوسوك فانتابنى الضيق أن مطار صفوان هو مجرد شريط من الأسفلت في الصحراء، ولكن القاطع عدل عن استخدامه كموقع للاجتماع حاسم بالنسبة إلى قدرتنا على سد منافذ هروب المعدات العراقية الثقيلة من الكويت واقتلاع أقبية تهزن صواريخ سكود المتبقية، وافترضت أن قواتنا قضت الوقت بعد وقف إطلاق النار لتفعل ذلك بالتحديد، إلا أنى لم أكن واثقا تماما من ذلك. من جهة أتهرى بدا لى أنه ليس هنالك ما يدعو إلى الخشية، فقد تسلمت تقارير عديدة مفادها أن قواتنا موجودة في المنطقة وأن تحريكا جزئيا للقوات سيصحح الوضع.

إلا أن يوسوك عاد واتصل بى قبل طلوع الفجر بقليل ليؤكد أسوأ مخاوفي: «ليس لدينا أحد في صفوان، لا في المطار ولا في التل القريب الذى تختبىء فيه صواريخ سكود حسب التقارير الواردة، ناهيك عن وجود أية قوات على مفترق الطرق الذى أمرت

الجيش أمرا صريحا وواضحا بالاستيلاء عليه»: وقال لى يوسوك: إن هليكوبترات قد حلقت فى الدوريات القتالية على طول الطريق العام، وأفادت أنه لا وجود هناك لقوات العدو، إلا أن قوات هذه الوحدة لم تطأ أرض هذا القاطع. نزلت على هذه الاتهبار نزول لكمة فى الأحشاء، فسألت مطالبا بتفسير «لماذا أذن بعثوا لنا تقارير تقول إنهم احتلوا القاطع»؟

- «لا اعرف.. تلقينا نفس التقارير سيدى»- قال ذلك كمن لا حول له ولا قوة، وأضاف: يجب أن أدقق فى الأمر مع الفيلق السابع.

طار صوابى كليا فصرتهت به: «لقد أمرتك أنت أن ترسل الفيلق السابع إلى مفترق الطرق ذاك.. أريد أن أعرف بتقرير تحريرى لماذا تهرقت أوامرى، ولماذا جاءنى تقرير بأن المهمة نفذت وهى لم تنفذ؟». كنت أدرك احتمال وجود اسباب مشروعة حالت دون الاستيلاء على القاطع، ولكن من غير المقبول قطعيا أن يجرى إرسال تقارير إنجاز تهاطئة إلى مقر قيادتى. الأسوأ من ذلك أنه قد مر يومان دون تصحيح هذا الوضع.. شعرت كمن انخدع بالكذب. إن إحباطى وغضبى المتراكم على الفيلق السابع تجمع وانفجر دفعة واحدة، فأمرت: «أريد أن يتم احتلال مطار صفوان وجبل صفوان واستكشافهما بدقة، وأريد أيضا تدمير كل ما فيهما من معدات للعدو. سأعتمد عليك لإقامة موقع للاجتماع مضمون أمنيا. لا تدتهل فى اشتباك نارى، إذا كانت هناك قوة كبيرة للعدو فعليك الاكتفاء.. هل تفهم أوامرى؟».

- «نعم سيدى».

- «هل تعتقد أنك قادر على تنفيذ هذه المهمة؟».

- «نعم سيدى».

ولم أفوت الفرصة. «إذا لم تنفذ فأعلمنى حتى أرسل فيلق مشاة البحرية إلى هناك.

فقال بايجاز محكم: نستطيع تدبيرها.

– «هذا حسن يا جون. احرص على تنفيذها بتعقـل. لا أريد المجازفة بالجنود لمجرد حماية مؤتهـرات ضباط فشلوا فى أداء المهمة فى المقام الأول». كنت بذلك شـديد القسوة مع يوسوك ولكننى كنت أعرف أنه يتفهم السبب. لقـد كان جون قائدا عسكريا عظيما وقد عمل معى بصفة مساعد نائب رئيس الأركان لشئون العمليات فى البنتاجون، وحين شعرت قيادة الجيش الثالث به، ثابرت لكى ينال ترقية ويتسلم هذا الموقع. كنت اعرف أنه على ما يكفى من المراس لكى يفصل انفعالاتى العاطفية عن نواياى وأوامرى ويقوم بتنفيذ المهمة.

ذهبت إلى الفراش. عدت إلى غرفة الحرب عند الظهر، فوجدت والر ومور بانتظارى، وقال والـر: «لسنا فقط لا نملـك صفوان، بل إن وحـدة عسكريـة عراقية تحتـل المطار ولدى العـراقيين دبابـات على مفترق الطرق الـرئيسـى». ووجدت فكـرة اتخاذ صفوان مكانا لمحادثات وقف إطلاق النار تتبدد، فإذا كان العراقيون يسيطرون على المطار فهذا يعنى أننا سنذهـب إليهم لا أن يأتوا هم إلينا. كما أن فكرة أن العـدو لايزال يسيطر على ذلك القاطع، لا تطاق من الوجهة العسكرية.

طلبت يوسوك فى الحال على الخط. قال لى إن فرقة المشاة الأولى من الفيلق السابع قد وصلت إلى مفترق الطرق عنـد الصباح ولكنهـا وجدت ١٥ دبـابة من دبـابات الحرس الجمهـورى مع قـائد لـواء. فقلت بنبرة معتدلـة: يجب أن تستـولى على مفترق الطـرق ياجون.

– «هناك وقف إطلاق النار».

– «ليس هناك وقف اطلاق نار، هناك وقف للعمليـات الهجومية حسب اشتراطاتنا. أريدك أن تبلغ العـراقيين بالانسحاب، فإذا هجموا رد على النار.. فى غضـون ذلك أوجد لنا مكانا لعقد الاجتماع. ابدأ بفحص قاعدة جالبة الجوية ثانية».

١ مارس «آذار» ٩١ – الهجوم البرى + ٥ / الهجوم + ٤٣

السـاعة ١٢,٥٥، مكالمة مع وزير الدفـاع المصرى أبو طالب. الوزيـر شكر ق.ع على

النصر العظيم. وأجاب ق.ع أنه تحقق بأسرع مما توقعنا بالمرة وكان جهدا جماعيا طيبا لكل الأطراف المشاركة.. قامت قواتكم بعمل جيد. إنها الآن في مدينة الكويت وهذا جيد جدا.. سنحرص على أن نحقق سلاما وطيدا.

كان الوقت الآن الفجر في واشنطن. تركت أمراً بطلب مكالمة عاجلة مع باول، فعاد ليتصل بنا على الفور من منزله، فسأل: ما الأمر؟

أوجزت له بسرعة المأزق في صفوان، وقلت: الخلاصة إنني أشك في أن نكون جاهزين لاجتماع الغد.

كان باول في مزاج رائق رغم أن الحديث يجرى في الخامسة صباحا. قال: لا داعى لأن تقلق بصدد ذلك، وبين لى أن بين العراق والولايات المتحدة والأمم المتحدة اتصالات عن طريق موسكو وهى بطيئة للغاية بحيث أن واشنطن تتوقع أصلا حصول تأتهير لمدة يوم واحد. وعاد إلى موضوع صفوان وطلب أن أسرد عليه التسلسل الكامل للأحداث. وبعد نقاش دام عشر دقائق صادق على القرارات التى أعطيتها إلى يوسوك وعلى الخطة التى اقترحتها.

اتصلت بيوسوك ثانية، فابلغنى مبتئسا: «القائد العراقى يقول إنه لن يغادر».

- «طيب، لقد بحثت هذه المسألة مع رئيس الأركان. إليك ما سنفعله: لديك فرقة المشاة الأولى بأسرها هناك.. أرسل قوة ساحقة وطوق الرجل كليا واحرص على أن يرى بنفسه ذلك.. وبعد ذلك قل له لا نحتمل وجود قوات عراقية على مقربة كبيرة من قواتنا، فإما أن تترك المنطقة أو نأتهذك أسيرا. إننا نفعل ذلك حماية لقواتنا، وإذا قاتلت فسندمرك».

وسأل يوسوك: وإذا لم يتحرك..؟

«إننا نناور. لا أريدك أن تهاجم. إذا رفض أتهبرنى وسنعود إلى لوحة الرسم، ولكن ليس لديه سوى سرية دبابات وأتهراجه سهل بدون اطلاق طلقة».

١ مارس ٩١ – الهجوم البرى + ٥ / الهجوم ٤٣٠

الساعة ١٤,٠٧، مكالمة مع السفير فريمان. أطلع ق.ع السفير على آخر تطورات اجتماع وقف إطلاق النار. لاحظ ق.ع أيضا أن ولى العهد الأمير عبد الله حذر من أن العراقيين سيحاولون اغتيال ق.ع فى الاجتماع. ق.ع أكد أننا سنفتش الجميع قبل دتهولهم منطقة المفاوضات.

الساعة ١٥,٤٠، مكالمة مع رئيس الأركان. ق.ع أبلغ رئيس الأركان أن هناك عدة أطراف من التحالف يطالبون بالمشاركة فى التوقيع على الوثيقة. ق.ع أكد لهم أنه لن تكون هناك وثائق. ق.ع أبلغ رئيس الأركان عن التهديد بالاغتيال، وأشار إلى أن السلام أصعب بما لا يقاس من الحرب.

أشرفت على تحركنا فى صفوان عن كثب بأمل تفادى وقوع حادث دولى، وأطلعت باول على التطورات أولا بأول. فى أواتهر عصر ذلك اليوم قام قائد لواء من فرقة المشاة الأولى بتطويق مفترق الطرق بخمسين دبابة، وبإجراء حاذق جلب معه ثلاث سرايا من الجنود فى عربات برادلى المصفحة، وأطلق هليكوبترات أباتشى لتغطى الأجواء. عند هذا الحد توجه إلى القائد العراقى وأبلغه بشروطنا. ثم أشار إلى الدبابات وأضاف الجنود متلهفون للقتال. وسرعان ما أمر القائد العراقى دباباته بالمغادرة.

ونقلنا أيضا بعض القوات لتحتل المدرج الجوي، وأوعزت إلى باجونيس تلك الليلة بأن يهيىء مكانا للاجتماع. بعدها اتصلت بتوم رهام قائد فرقة المشاة الأولى الذى ستلتقى قواته مع الوفد العراقى عند مفترق الطرق لتصطحبه إلى مطار صفوان. هنأته أولا على احتلال صفوان دون إراقة قطرة من الدماء، ثم وصفت له اجراءات وصول العراقيين. إننى أحرص على أن يأتونا بحالة ذهنية ملائمة، لذلك أريدك أن تضع قدرا كبيرا من معدات القتال على طول الطريق المؤدى إلى المطار. لا أريدك أن ترص المعدات فقط بل عليك أن تضعها فى وضع قتالى، واحرص على أن يكون ذلك ظاهرا للعيان. أريد أن يرى العراقيون دبابات ومدرعات أمريكية جديدة وسليمة من الطراز الأول.

قال «حاضر سيدى، نعرف بالضبط ما ينبغى عمله». كنت أكاد أسمعه يكشر مبتسما على الخط.

فى هذه الأثناء كانت بغداد عاجزة عن الاتصال ببقايا جيشها فى جيب البصرة، لذلك ظلت منطقة القتال موضعا تهطرا نظرا لأن بقايا الوحدات العراقية ظلت تحاول أن تمضى شمالا. وفى يوم السبت الثانى من مارس –أى بعد يومين من الوقت المفترض لإطلاق النار– جئت إلى غرفة الحرب لأكتشف أننا قد تهضنا لتونا معركة كبيرة فى وادى نهر الفرات. اتضح أن كتيبتين من الحرس الجمهورى تعبتا من الانتظار لعبور جسر عائم فى البصرة فى الليلة السابقة، وقررتا التوجه إلى الطريق رقم ٨، وواجهت هاتان الكتيبتان مرتين عربات برادلى التى تقوم بالاستطلاع للفرقة الآلية «٢٤»، وقد قامت الكتيبتان بإطلاق قذائف مضادة للدبابات فى كلتا المرتين. وعند الفجر اصطدمت الكتيبتان بموقع اعتراضى أمريكى ففتحتا النار من جديد. رد ماكفرى بهجوم مضاد شامل بالدبابات والهليكوبترات فدمر الأرتال العراقية وأتهذ ثلاثة آلاف أسير دون أن تقع إصابة واحدة فى صفوفه. لم تكن تلك بالأتهبار السيئة بالنسبة لى، فقد ابدى الحرس الجمهورى غطرسة متميزة فى التعامل مع ما بدا له أنه قوة أمريكية هزيلة. لذلك قرر دعنا نفنيهم، دون أن يرتاب فى وجود فرقة أمريكية كاملة فى الطرق. وسررت لأن بيان الرئيس حول وقف إطلاق النار احتفظ لقواتنا بحق الرد إذا ما هوجمت. مع ذلك فإن هذا الحادث أبرز ضرورة التعجيل بوضع شروط وقف إطلاق النار التى من شأنها أن تفصل فصلا واضحا بين الطرفين.

تقرر أن يصل الوفد العراقى إلى صفوان عند الساعة ١١ من صباح الأحد، ويتألف ممثلوهم الأساسيون من اثنين من الجنرالات من حملة الثلاث نجوم لم أسمع بهما من قبل، وهما اللليوتانت جنرال سلطان هاشم أحمد نائب رئيس الأركان فى وزارة الدفاع والليوتانت جنرال صلاح عبود محمود قائد الفيلق الثالث المهشم الآن. أما عن جانبنا فهناك تهالد وأنا، إضافة إلى مراقبين من عدد من بلدان التحالف التى اشتركت فى الحرب. واقتصر جدول العمل على القضايا العسكرية إلا أن الاجتماع اكتسب أهمية

رمزية قصوى، فهذه أول مرة يجلس فيها الطرفان وجها لوجه على مائدة التفاوض.

قبل يومين من ذلك كان باول قد طلب منى أن أضع مسودة الشروط العسكرية التى يتوجب على العراق الالتـزام بها كى يترسخ وقف إطـلاق النار بصـورة دائمة، وقد أرسلت هـذه الشروط إلى بغـداد فى مجرى التهيئـة لـلاجتماع، وقضيت سـاعـة أذرع الأرض الآجريـة لغرفة الحرب وأنـا أملى ما يسمى بـالشروط المرجعية. الشرط الأول: الاطلاق الفـورى لكل أسرى التحالف، إضـافة إلى تبـادل معلومـات كاملـة عن الجنود المفقودين فى القتال وإعادة جثمان القتلى منهم. ورغم أن عـدد جنودنا فى هذا الباب قليل جدا، فقد كان من الضرورى العناية بكل واحد منهم، ذلك أنى كنت احرص الحرص كله على عدم تكرار فجيعة أسرى الحرب والمفقودين فى حرب فيتنام.

بعد ذلك حددت الاجـراءات الضرورية لجعل منطقة القتال آمنـة، فمثلا يتوجب على الطرفين أن يخبرونا أين زرعـوا الألغام والفخاخ المتفجرة فى الكـويت، إضافة إلى تعيين مواقع تخزين الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنـووية، ذلك أن آتهر ما نريده هو ألاّ يتعثر جنودنا مصادفة فى أحد هذه المواقع غير دارين بما فيه.

وهناك أمر أتهر على قدر مماثل من الأهميـة، وهو أن نرسم تهطا فاصلا وأن نفصل ماديا بين الجيشين لنمنع الجنود الشغوفين بالضغط على الزناد واشعال حوادث أتهرى على غرار معـركة وادى نهر الفرات. كـان كاتب الاتهتـزال -رئيس ضباط الصف ريك ريجر- قد دون ذلك كله بصبر، وأرسلنـا نسخة منه مكتوبة على الآلـة الكاتبة من أربع صفحات إلى بـاول عن طريق الفـاكس. علق على مسودة المشروع بـالقول: «يبـدو هذا قريبا جدا مما نريد.. سأحمله إلى المراجع العليا».

لم نتلق بعـد أية تعليمات تحريـرية من واشنطن، ولما انصرم مسـاء السبت أطلقت مزحة مفادها أن من المسلى أن نرى من سيأتى قبل الاتهـر: التخويل باجراء المحادثات، أم المحادثـات ذاتها؟ ومما يدتهل فى صلب الموضوع أن الشروط المرجعيـة بدت وكأنها اتهتفت بلا أثـر يذكر، فكنت كلما سنحت فرصـة الحديث مع باول أسأله «هل الـوثيقة

ماشية؟ هل هناك شيء اتهر تودون أن نغطيه لكم؟».

فيجيب: إنها موضع تنسيق، واتضح أن وزارة الدفاع ووزارة الخارجية والبيت الابيض يريدون مراجعة المسودة، وأن مختلف أجهزتهم البيروقراطية تجد مشقة فى العمل بوتيرة متساوية مع سرعة الأحداث.

فيما نحن ننتظر رحت اتشاور مع تهالد، قال إن من دواعى سرور حكومتى أن أقود المباحثات كلها باستثناء بعض القضايا العربية التى يود أن يتولى إثارتها شخصيا. ويقف فى مقدمة قضاياه مصير المعتقلين المدنيين، فقد احتجز الجيش العراقى فى أثناء انسحابه نحو ثلاثة آلاف شاب كويتى بمثابة رهائن، ويريد السعوديون إدراجهم ضمن بند إطلاق أسرى الحرب. كما كان تهالد يزمع الإصرار على أن يؤكد العراق رسميا احترامه لسيادة المملكة العربية السعودية. يجب أن يتعهدوا ألا يعبر أفراد قواتهم المسلحة أبدا حدود المملكة.

٢ مارس ٩١ - الهجوم البرى + ٦ / الهجوم + ٤٤

الساعة ١٥١٠ فى مكالمة مع رئيس الأركان ق.ع أبلغ رئيس الأركان أننا تلقينا مؤتهرا تقريرا من وكالة المخابرات المركزية ينص على أن الوكالة تتفق مع تقديرنا لعدد الدبابات المدمرة فى الهجوم. ق.ع أتهبر رئيس الأركان أن الجنرال «لايد» والكولونيل توماس أتهذا التقرير وعلقاه مؤطرا بإطار.

لو اقتضى الأمر لذهبت إلى صفوان وأنهيت المسألة على جناح السرعة، فأولا: إن المحادثات ستقتصر على المسائل العسكرية، وكنت أعرف ما ينبغى عمله فى هذا الشأن، وثانيا: أن معسكرنا انتصر لذلك فنحن فى موقع من يملى الشروط. مع ذلك كنت سأشعر براحة أكبر لو أنى دتهلت تهيمة الاجتماع حاملا تفويضا كاملا بالحديث باسم الولايات المتحدة، وإذا كان على أن أتشدد فإننى سأكون مقنعا فى تشددى، لو استطعت أن أقول مثلا إن الولايات المتحدة تصر على ذلك بدلا من القول «إن شوارتزكوف يصر على ذلك».

وفي وقت متأخر من مساء السبت اتصل باول أتهيرا ليؤكد أن الشروط المرجعية قد تمت المصادقة عليها وأرسلت إلى بغداد عن طريق موسكو، وقبلت وزارة الخارجية مسودتنا مع تعديل واحد حيثما ترد عبارة «الحاضرون عن التحالف سوف يفاوضون..» التى صغتها. وضعت وزارة الخارجية بدلا منها عبارة «الحاضرون عن التحالف يبحثون..» وكان موقف وزارة الخارجية ينطلق من أنها هى وحدها المخولة بالتفاوض عن الولايات المتحدة الأمريكية، أما المعسكر فلا.

٣ مارس ٩١ – الهجوم البرى + ٧ / الهجوم + ٤٥

الساعة ٠٧٠٠، تلقى ق.ع تقارير الاطلاع عن آتهر التطورات من ضباط المقر قبل مغادرته إلى صفوان. أشارت التقارير إلى أن واشنطن أبلغت تهلال الليل أن العراقيين وافقوا على حضور الاجتماع، وأن هناك نقاشات واسعة بين الرسميين فى العاصمة حول ملاءمة مستوى التمثيل. وافقت واشنطن أتهيرا على أنه إذا ترأس الليوتائنت جنرال أحمد الوفد العراقى وكان مزودا بصلاحيات كافية من بغداد فذلك مقبول.

صعدت على متن طائرتى فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى لأقطع المرحلة الأولى من الرحلة إلى صفوان، مصحوبا بتشيل روكويجيوفر القائد الفرنسى ونصف دزينة من ضباط المقر. لم يتحدث أحد كثيرا، كنت أريد للاجتماع أن يكون بحثا عسكريا مباشرا بدون صيحات ظفر ولا نفخ أوداج ولا مهانة للعراقيين، ولكننى لم أكن أريد بالقدر نفسه أن يعتقدوا أننا قد غفرنا ونسينا. وقد قلت لخالد فى هذه الليلة: «رجاء لا داعى لممارسة عادات الأشقاء العرب لدى مجىء العراقيين.. لاعناق ولا تقبيل تهدود».

ألقى علىّ تهالد نظرة متوجسة «بل إننى لن أصافحهم».

– «جيد، لأنى لا أنوى ذلك أيضا».

ولما بدأت الطائرة تنزل بالتدريج إلى مدينة الكويت استذكرت نقاط البحث ثانية فى ذهنى، كل شىء بدا فى مكانه، مع ذلك شعرت بالضيق من أمر ولم أستطع أن أتبين ما هو.. هل هناك من تناقض فاتنى؟ ثغرة ما قد يستثمرها العراقيون؟.

كانت الطائرة تحلق وسط صباح باهر تثيره أشعة الشمس، وسماء زرقاء تحيط بنا على مد البصر. مع ذلك لا تجد أسفل الطـائرة سوى ظلام كلى غـريب، وأدركت بغتة أن ذلك هو الدتهان المنبعث من حقول النفط المشتعلة الذى سمعت عنه فى تقارير المعارك.

بدأ النـزول بالطائرة أولا عبر غيوم تهفيفـة بنية اللون، بعد ذلك صـار الهواء تهارج النوافذ أسود داكنا. نظرت الى روكويجيـوفر، وحدق فىّ بعينين جاحظتين من الصدمة. ولما انخفضت الطائرة لأدنى مستـوى رأيت كرات هائلة من اللهب وسط هـذا السواد، ومرت فى تهاطرى هذه الفكرة: لابد أن الجحيم يبدو هكذا. لم يكن للضيق الذى ينتابنى أية علاقة بالاجتماع.

حطت الطـائرة على المدرج، وجـرى سحبها ثم تـوقفت. كـانت السـاعـة التاسعـة والنصف صبـاحا إلا أن المشهـد فى الخارج يبـدو مثل الغسق فى الشتـاء، فالسيـارات تمضى وأنوارهـا مشتعلة، فهناك حقـول نفط تحيط بالمطار، ولما تهـرجت من الطائرة جملقت بدهشة فى الآبار الملتهبة تغطى الأفق كله.

عند حافة ارضية الهبوط فى المطار كان فريدى فرانكس بانتظارى مع بعض أركانه، وبما أن صفـوان تقع الآن ضمن دائرة الفيلق السـابع فقـد اتهتـار أن يـرافقنى لبقيـة الطريق، وكـانت طيارته الهليكوبتر من طـراز بلاك هوك المزودة بموقع قيـادة.. هناك طائرة تقف على أهبة الاستعداد.

ولما تبادلنـا التحية العسكريـة بدا لى متوتـرا، أظن أنه كـان يتساءل إن كنت سأثير موضوع الاستيلاء على صفوان، فهناك على طـاولة مكتبى فى الرياض تقرير من خمس صفحات يحمل التفسير الذى قـدمه «هو» إلى يوسوك. تهلاصـة التفسير هو الزعم بأن الفيلق السابع استولى على مفترق الطرق بواسطـة الهليكوبترات من الجو، وعن التقرير الخاطئ الذى قـال بأن الفيلق السـابع احتل مفترق الطـرق بقوات بريـة.. مما أدى إلى سوء تفـاهم. ورغم أن حجته واهية، فكل ضـابط يعرف أنه لا يستطيع أن يحتل هـدفا بمجرد التحليـق فوقعه، فقـد استخلصت منها أن لا أحـد عصى أوامرى عـن عمد ولا

تهدعنى عن قصـد، زد على هذا أن صفوان الآن بأيدينا ولم يصب أحـد بأذى من جراء أتهذها. وبعد أن طلعت باول على التفاصيل بدقة، قلت له إننى قررت التغاضى عنها.

إننى كنت شديد القسوة فى نقدى لبطء تقـدم الفيلق السابع تهلال المعركة البرية. إن من السـهل أن يغير المرء رأيه فى عـزلة غرفة الحرب التى تقع فى سرداب عميق لا تـواجه فيه المهمـة الهائلة لتحـريك قوات ضخمة فى أرض غـريبة وفى طقس سيىء ضـد عدو مـجهول. كنت أعرف أنه ليست هناك طريقة واحدة صـحيحة فقط لخوض المعركة. كان فرانكس قـائدا جيدا دأب على تنفيذ المهام الموكلـة اليه كما يراها، وهـو -شأنه شأنى- واجه تحدى إنجاز تلك المهمة بتوفير أكبر قدر ممكن من حياة الجنود، ومن الأرجح أننا لن نعرف على وجـه الدقة إن كـان الهجوم على الحرس الجمهورى قبل يـوم أو يومين سيغير من النتيجة كثيرا، وما أعـرفه بالضبط أننا أنـزلنا هزيمة ساحقـة بقوات صدام حسـين وأنجزنا كل هدف من أهدافنا العسكرية، وهذا القدر من حسن الأداء يكفينى.

انطلقنا بالهليكوبتر وحلقنـا شمالا على الشارع المسمى «طريق الموت»، وبدأت ادرك مدى شناعة الهزيمة التى ألحقناها بالجيش العراقى، فبوسع المرء أينما جال ببصره أن يرى حطـاما محروقـا من العربات المدنيـة والعسكرية التى استخـدمها العـراقيون فى سعيهم إلى الفـرار نجاة بغنـائمهم المسروقـة من مدينـة الكـويت. وبدأ جـزء من عقلى يستذكر أسماء مختلف قطـع المعدات السوفياتية التى تعلمـت تشخيصها قبل سنوات عديـدة: دبابات ت ـ ٥٢، دبـابات ت ـ ٦٢، ناقـلات مدرعة، وما إلى ذلك. كـانت جميعا هناك على الأرض محض حطام.

لما قطعنـا عشرة اميال شمال مـدينة الكـويت انجلى الدتهـان وبانت السماء زرقـاء صـافية، إلا أن حقول النفط المشتعلة ظلت تلوح للنظر فى الأفق. بغتة استبد بى الغضب، تلك كانت كارثـة بيئية أنزلها العراقيـون عن عمد لا بالكويت وحـده بل بعموم المنطقة، وهذا الدتهان سينتقل فى النهاية ليجوب العالم بأسره. لقد تركت الرياض وكلى عزم على إجراء محادثات وقف إطـلاق نار بأسلوب هادىء متـوازن، ولكن لما جلسنا إلى مائدة

المفاوضات فى صفوان كنت فى سعار من الغيظ.

رصفنا الهليكوبتر فى نهاية المدرج حيث قابلنى توم بروكاو وحفنة من الصحفيين الأتهرين وأنا أنزل من الطائرة، وسألنى بروكاو بعض الأسئلة من قبيل: جنرال شوارتزكوف.. ما الذى تعتزم التفاوض عليه مع العراقيين.

أجبت هذه ليست مفاوضات، لا أعزم أن أعطيهم أى شيء، وأنا هنا لأقول لهم بالضبط ما نريدهم أن يفعلوه.

ورافقنى كل من باجونيس -الذى كان مسئولا عن اقامة موقع التفاوض- والبريجادير جنرال بيلى كارتر -الذى كان مسئولا عن الأمن- ليطلعانى على المكان. يقع المطار فى وعاء طبيعى، تحفه التلال الرملية من كل الجوانب وأحصيت فى هذه التلال مالا يقل عن (٤٠) من عربات برادلى المقاتلة ومدافعها مشرعة باتجاهنا. لقد نفذت فرقة المشاة الاولى ايعازاتى بدقة. وسألت كارتر: كم عدد المعدات هناك؟

لدينا مواقع تمتد على طول الدرب وعمقاً الى مفترق الطرق، وكنا قد أعطينا توجيهات بأن على العراقيين أن يأتوا من البصرة إلى مفترق الطرق فى عربات ترفع الأعلام البيضاء، وهناك تستقبلهم قواتنا وتأتهذهم فى عجلات يقودها جنود أمريكان لتنقلهم مباشرة إلى المطار. وإذا ما وصل العراقيون إلى منطقة الاجتماع فإنهم سيمرون من أمام عشرات طائرات الهليكوبتر من طراز أباتشى المرصوصة على كلا جانبى المدرج ولمسافة ٢٠٠ ياردة، وهى مزودة بمدافع عيار ٣٠ ملم وصواريخ هيل فاير المضادة للدبابات.

وقبل يومين لا غير لم يكن مطار صفوان غير لسان من الأسفلت الخالى، أما الآن فهناك منطقة هبوط هليكوبترات وباقة رائعة التنظيم من تهيم الجنفاص.. واحدة لتفتيش مراقبى التحالف والمترجمين لدى وصولهم، وأتهرى لايوائهم أثناء انتظارهم للاجتماع، وثالثة حافلة بمعدات الاتصالات لتقوم مقام مقر قيادة لى، بل كانت هناك أيضا نقطة تجمع للصحافيين ومنصة تهارجية يحفها العلمان الأمريكى والسعودى

لعقد مؤتمر صحافى بعد الاجتماع. أتهيرا هناك فى وسط الموقع تهيمة الاجتماع نفسها، وهى تهيمة بارتفاع ١٢ قدما ذات لون زيتونى غامق.

رافقنى كارتر الى الداتهل. لقد عمل هو وباجونيس على تنظيم كل شىء فى مكانه الصحيح بالضبط، فهناك طاولة تهشبية بسيطة مستطيلة الشكل فى الوسط، مع ثلاثة كراسى على جهتنا -وهى مخصصة لخالد ولى وللمترجم- وثلاثة كراسى على الجانب العراقى للجنرال أحمد والجنرال محمود ومترجمهما، وهناك صف إضافى من الكراسى وراء هذه الأماكن لأعضاء الوفد العراقى ومنطقة جلوس وراء كراسينا للمراقبين من التحالف ولمترجميهم. لقد اتهتار باجونيس الطاولة بنفسه وأفصح لنا عن عزمه بعد انتهاء المحادثات على التبرع بها لمعهد سميشونيان فى حالة ما إذا تهطر لهم أن يمثلوا مشهد مفاوضات صفوان.

* كانت الساعة الحادية عشرة بالضبط، صخبت أجهزة اللاسلكى: «العراقيون عند مفترق الطرق». فجأة تلفت حولى: أين تهالد ؟ سألت.

قال أحدهم «إنه فى طائرته الهليكوبتر فى آتهر المطار».

- «ماذا»، التفت إلى باجونيس أتهبره بأنه إذا لم يأت فى الحال فسنضطر لتأتهير العراقيين.

- «سأناديه سيدى» وتوجه باجونيس نحو الطرف الأتهر من المطار فى اللحظة التى شاهدنا فيها طائرة هليكوبتر كبيرة بيضاء اللون تحمل تاجا على جانبها، تجرها سيارة قطر طائرات نحونا. لقد أعار الملك تهالدا الهليكوبتر الملكية. توقفت عند منطقة الخيمة فيما تهالد يطل من الباب ماسحا بنظره المشهد وهو يرتدى تهوذة كيفلر القتالية ويضع نظارة شمسية كبيرة الحجم. أسرعت إليه: لنعجل فقد أوشكوا على الوصول.

بلغنا تهيمة التفتيش قبل ثوان من مجيىء العراقيين. كانت القافلة المرافقة تسرع على ارض المطار: دبابتان من طراز م ١ أى ١، عربتان مقاتلتان من طراز برادلى، وثمانى عجلات يسوق كل واحدة منها جندى أمريكى يصاحبه عراقى فى المقعد المجاور، وتحلق فى مؤتهرة الموكب طائرتان هليكوبتر من طراز أباتشى على أرتفاع ١٠ أقدام عن الأرض

لا غير.

وقفت عند مـدخل خيمة التفتيش وراقبت العراقيين قـادمين إلينا كنت أرتدى بـدلة القتال المموهة وقبعة ميدان، أمـا هم فكانوا يـرتدون البـزة الرسميـة خضراء اللون ويعتمرون البيريهات السوداء. كان الجنرال احمد قائد الـوفد رجلا قصيرا قوى البنية ممتلىء الجسد، وله شارب كث من طراز شـارب صدام وعرفته من النظرة الأولى، فقد سبق أن رأيته فى منصة العرض العسكرى بمناسبة العيد الوطنى للامارات المتحدة قبل أكثر من عـام، فهو أحد العراقيين الذيـن تصرفوا معنا بازدراء، أما الآن فقـد كان يكبت توترا بليغا.

التفت إلى مترجم القيـادة المركزيـة الواقف إلى جـانبى، وقلت: أريدك أن تترجم مـا أقـول. أومأ بالإيجاب: «إن الاجـراء هو أن نـدخل هـذه الخيمة حيث سيجـرى تفتيش الجميع قبل أن ندخل مكان الاجتماع».

أثرت ذهن أحمد، فقال «لاحاجة للتفتيش فقد تركنا أسلحتنا فى سيارتنا». قال للجنرال: اننا لسنا فى مفاوضات كل من يدخل فى الخيمة سوف يفتش، أرفض أن أخضع مالم يجر تفتيش المشاركين الرئيسيين من الجانب الامريكى أيضا.

«أنا المشرف الرئيسى من الجانب الأمريكى»

تراجع خطوة إلي الوراء مدققاً النظر فىّ من أعلى إلى أسفل وهو غير مصدق «من أنت؟» أنا الجنرال شوارتزكوف.

فقال بجفاف «طيب».. دخلنا الخيمة ووقف وراح أفراد البوليس الحربى يفتشون تفتيشا دقيقا – وكانوا قد جمعوا أصلا طاولة كاملة مليئة بالأسلحة من مراقبى التحالف – بعد ذلك خضع أحمد للتفتيش. وأثناء تفتيشه لاحظت بعض مرؤوسية يكتمون ضحكتهم على هذا المشهد ويتمسخرون فيما بينهم وفكرت – مبتئسا – اننا لم نبدأ بداية حسنة.

دخلنا خيمة الاجتماع وأرشدت العراقيين إلى مكان جلوسهم وسمحنا للصحافة ان تبقى لحظات وجيزة لالتقاط الصور الفوتوغرافية لنا ونحن نواجه بعضنا علي الطاولة رسم أحمد ابتسامة صغيرة راعشة، لعله فكر أن هذه بداية محاكمة استعراضية أمام الجمهور إلا أننا أخرجنا المصورين والمراسلين قبل بدء الاجتماع.

افتتحت الاجتماع بتذكير العراقيين بأن عرضنا هو طرح الشروط العسكرية لموقف إطلاق النار، وأبلغتهم أننا سنسجل الحديث بحيث يحتفظ كل طرف بسجل ثابت.. أصغى أحمد إلى كلماتى المترجمة – هازا رأسه – مشيرا إلى أنه مستعد لتناول كل نقطة مثارة فى الشروط المرجعية.

وتوقعت أن يقوم العراقيون ابتداء من هذه النقطة بتسجيل الملاحظات فقد اعتقدنا أن أية اتفاقية لن تتم إلا بعد أن تسنح لهم فرصة التشاور مع صدام قلت: «إن أول شىء نود أن نبحثه هو موضوع أسرى الحرب» وطرحت طلبى الأول: السماح للصليب الأحمر بحرية زيارة أسرى الحرب الذين يحتجزهم العراق.

فقال أحمد فى الحال. سيتم ذلك.

كررت صدى كلماته مدهوشا: سيتم ذلك؟

- «نعم»

هذا حسن واضفت إننا بعد هذا نريد أن نبحث فى مسألة إطلاق سراح أسرى الحرب. فأكد على الفور: نحن مستعدون لإعادة جميع أسرى الحرب فى الحال بأية طريقة مناسبة للصليب الأحمر

من الواضح أن أحمد قد أُعطى صلاحية الموافقة الفورية ومضيت فى عملى متدرجا حتى أسفل قائمة الشروط: تحديد الأفراد المفقودين من التحالف، إعادة بقايا جثمانهم الكشف عن حقول الالغام ومخابىء الأسلحة غير التقليدية فى الكويت وما إلى ذلك وافق العراقيون على هذا الشروط كلها.

الجدل الوحيد نشب لما سأل خالد، أحمد عن الاف المدنيين الكويتيين الذين اقتيدوا خلافا لارادتهم فنحن نريد اعتبارهم اسرى حرب، ونطالب بإعادتهم

انكر أحمد بقوة اختطاف أى انسان وأصر قائلاً: منذ بداية الحرب اعتاد العديد من الكويتيين المنحدرين من أصل عراقى الذهاب إلى العراق.

أجاب خالد «لدينا أسماء الكويتيين الذين اقتيدوا عنوة وظل خالد يضغط حتى أجاب أحمد باستياء: «لم نأخذ أى انسان ضد إرادته ولكن إذا كانت هناك حالة مثل هذه ستعامل كأسير حرب».

أجاب خالد: «اذن يجب أن نعرف كل الكويتيين المقيمين فى العراق». لم يعترف أحمد قط بوجود معتقلين مدنيين ووافقنا على تأكيده بأن كل من جاء إلى العراق منذ غزو الكويت يتمتع بحرية التوجه إلى الصليب الأحمر ومغادرة العراق إذا شاء.

أخيرا أثرت قضية وضع خط فاصل لوقف إطلاق النار بدأت القول «وقع حادث مؤسف أمس دفع جنودنا إلى الدخول فى معركة إضافية لم نكن بحاجة اليها» اندفع أحمد فى ثورة غضب فطالب بمعرفة السبب الذى حدا بنا إلى تدمير الرتل العراقى المدرع فى وادى نهر الفرات وادعى لقد ضربتم أناسا ينسحبون.

قلت: إنهم لسوء الحظ هم الذين بدأوا الضرب. اعترض أحمد على قولى هذا فقاطعته

معارضا هذا أمر قد نظل نتجادل فيه حتى غروب الشمس دون أن نتوصل إلى اتفاق فى الرأى المهم أن نضمن عدم تكرار ذلك ثانية.

كنت أعرف مايجول فى ذهن أحمد، لقد تلقى أمراً بعدم التنازل عن أية بقعة أرض عراقية فى حين أن خطوط وقف إطلاق النار التى نقترحها تقع فى العمق العراقى. توتر الجو. ولما قلت إننا أعددنا خارطة، قاطعنى قائلا: لقد اتفقنا أن هذا الخط ليس دائميا؟

فأكدت له مطمئنا انه ليس خطا دائميا على الاطلاق

– «ولاعلاقة له بالحدود؟»

– «ولا علاقة له بالحدود. انه اجراء لضمان السلامة لاغير، فليست لدينا أية نية لأن تبقى قواتنا فى الاراضى العراقية بصورة دائمة وان يتم التوقيع على وقف اطلاق النار».

إلا أن أحمد لم ينه كلامه فقد كان يريد أن يعرف لماذا دفع التحالف القوات البرية فى بلاده – قبل كل شىء – بعد أن انسحبنا من الكويت واعلنا ذلك من التليفزيون والراديو.

وكنت عازما على عدم الغوص فى متاهات جانبية فقلت من جديد هذا يمكن لنا –الجنرال وأنا– أن نناقشه على مدى ساعات وأرى أن نترك ذلك للتاريخ.

رد على بالقول «لقد ذكرت ذلك من أجل التاريخ» والتزم الصمت لوهلة، أخيرا بدا مستعدا لمواصلة النقاش وقال: بصدد التدابير الخاصة بالحيلولة دون حصول اشتباك بين قوات الطرفين «سنتعاون فى هذه المسألة».

والان بعد أن غطينا النقاط الرئيسية التى يريدها التحالف، بحثنا مسألة أن ترفع العربات فى منطقة اطلاق النار أعلاما برتقالية اللون لتعلن عن نواياها السليمة ثم سألته هل هناك مسائل اخرى يود بحثها.

قال لدينا نقطة واحدة أنتم تعرفون وضع طرقنا وجسورنا ووسائل اتصالاتنا. أومأت بالإيجاب – متذكرا الأضرار الهائلة التى أنزلها القصف– «نود أن نرسل الهليكوبترات لنقل المسؤولين الحكوميين فى المناطق التى دمرت فيها الطرق والجسور..

لاعلاقة لهذا الأمر بخط الحبهة فهو محصور داخل العراق» بدا لى ذلك طلبا مشروعا وبما أن العراقيين قبلوا كل طلباتنا فلم أر فى الموافقة على مطلب واحد من مطالبهم أمرا خارجا عن العقول «طالما كانت الطائرات لاتحلق فوق الجزء الذى تتواجد فيه فلا أرى أى مانع فى ذلك إذن أن ندع الهليكوبترات تحلق هذه نقطة هامشية جدا واحرص على أن تسجل: إن باستطاعة الهليكوبترات العراقية التحليق، وهذا لايشمل المقاتلات ولا القاذفات

بعد ذلك قال أحمد شيئاً كان ينبغى أن يستوقفنى «إذن انت تعنى انه حتى الهليكوبترات المسلحة تستطيع التحليق فى الأجواء العراقية وليس المقاتلات لان الهليكوبترات واحدة وهى تنقل شخصا ما».

نعم سأوعز إلى القوة الجوية بعدم إسقاط أى هليكوبتر تحلق فوق الأرض العراقية حيث لاتوجد لنا قوات. فى الاسابيع التالية اكتشفنا ماكان يضمره بالنسبة لاستخدام الهليكوبترات القتالية كانت لقمع الانتفاضات فى البصرة والمدن الاخرى فى ذلك الوقت. ان الامر متروكا للبيت الأبيض كى يقرر إلى أى حد ترغب الولايات المتحدة فى التدخل فى الشئون السياسية الداخلية للعراق ولكن اذا حكمنا على الأمور استنادا إلى تقارير الاستخبارات التى تلقتها القيادة المركزية فإن اسقاط الهليكوبترات العراقية لم يكن ليغير من الأمور كثيرا، فدبابات ومدفعية ٢٤ فرقة عراقية لم تدخل منطقة الحرب الكويتية كان لها الأثر المدمر على الثائرين.

بعد ذلك جاءت لحظة واحدة حرر فيها أحمد زمام العاطفة، إذ قدم إحصاء بأسرى التحالف لدى العراق، قال لدينا ما مجموعه ٤١ أسيرا سجلت ملاحظات وقرأت:

١٧ أمريكيا

٢ من ايطاليا

١٢ بريطانيا

١ من الكويت

٩ سعوديين

ولكنه ترك عـدد الجنود الذين لم يدرجوا فى حســاب الاسرى.. واخرجت على الفور قائمة المفقودين إلا أنه استوقفنى نريد الحصول على عدد أسرانا بالمثل.

أجبت حتى ليلـة امـس ٦٠ ألفـا أو أكثـر من ٦٠ ألفـا لأن مـن الصعب احصـاءهم بالكامل.. شحب وجهـه شحوبا تاما، كأن لم يكن لديـه ادنى تصور عن حجم الهزيمة التي حاقت بهم.

ولما انفض الاجتماع كـان علينا ان ننتظـر بضع دقائق ريثما يـدقق الكولـونيل بيل مجموعـة كاملـة من أشرطة التسجيل تعطـى لكل طرف.. أعطينـا للعراقيين مجمـوعة أشرطتهم ورافقنـاهم إلى الخارج – حيث كـان الموكب بـالانتظـار – ورافقت أحمد إلي العجلة الأولى ورافق خالد محمودا إلى العجلة الثانية وكان رجال الصحافة منتشرين فى ارجاء المكان يلتقطون الصور إلا أنني لم أكن أبدى أى انتباه لهم كنت أركز على السبيل لاحراجهم من المكـان لقد انجزنـا ما جئنا والأفضل ان يغـادر الوفد بسرعـة سالما على الطريق خارج نطاق سيطرتنا.

لما وصل أحمد إلى العجلة استدار ثم استعد وأدى التحيـة العسكرية أديت له التحية بالمثل مـد يده صافحتـه متمنيا له سفـرة سالمة نظر إلى وأجـاب: «كعربى لا أحمل أى كـراهية فى قلبى» وركب العجلـة وانطلق الموكب مثيرا غيمة الغبـار، ترافقـه من جديـد دبابات (م١/١) وعربات برادلى وهليكوبترات اباتشى.

عقدنا خـالد وأنا مؤتمرا صحافيـا وجيزا ثم عدنا إلى منطقـة الاجتماع حيث تبادلنا التهانى مع جنـرالات التحالف أما الميجور جنـرال ماريو اربينو الايطالى، فقـد طار من الفرح لدى سماعة ان طياريه المفقودين مايزالان على قيد الحياة وكان الجنرال جابر – الذى حياني قبل الاجتماع – قد أخذنى بالاحضان مسرورا لمعرفته بأن الطيار الكويتى المفقـود سليم، وأبدى بيتر دى لابيلير مشـاعـر متضاربـة بين الغبطة لسماع اخبـار الاسرى البريطـانيين الاثنى عشر، والحزن لان المزيـد من أبنـاء جلـدتـه المفقـودين لم يظهروا فى قائمـة الاسرى وتنفسنا جميعا الصعداء لأن الاجتماع سـار سيرا حسنا إلا أننا لم نكن لنشعر بالرضا التام حتى يؤوب الأسرى بسلام ونعرف مصائر المفقودين. اتصلت بباول واعطيتـه صورة كاملة عما جرى واثنيت على التحضيرات الـرائعة التي

قام باجونيس وكارتر ثم ذهبت لأشكر الجنود، وأشد على ايديهم وأوقع أو توجرافات أو أقف معهم لالتقاط صور تذكارية فبعد كل شيء هؤلاء هم الرجال الذين حققوا وصولنا إلى هذا المكان.

اخيرا ركبنا فرانك وأنا على متن طائرة البلاك هوك.

قلت له: «قام رجالك بعمل رائع في تحضير ذلك كله».

شكرني متوهجا بالسرور

ولما حلقنا عائدين فوق مشهد الدمار ذلك، راح فرانكس يتحدث عن مستودعات الذخيرة الضخمة التي عثر عليها جنوده في جنوب العراق واشار إلى أن وحداته قد تستغرق اسابيع لتنفيذ الأمر الذي أعطيته بنسف كل ذخائر العدو.

والححت قائلا: إما أن ننسف الذخائر أو ننقلها كغنائم، إذا تركناها وراءنا فسيستعملونها ثانية أردت أن يدرك أن هذه المهمة لم تنفذ بعد كما اشرت أيضا إلى أن مسئولية مطار مدينة الكويت تقع على كاهله وقد يصبح نقطة لتبادل اسرى الحرب.. أو ما يرأسه موافقاً.

حال وصولنا الكويت، ركبت طائرتي على عجل واقلعت إلى الرياض كنت أعرف أن مقر قيادتي في الرياض على وشك أن يتحول إلى مفرمة لحم إدارية إذ يتوجب علينا البدء بتحريك القوات والمعدات كي تعود إلى الوطن وهي مهمة مغرمة إلا أنها عملاقة ومعقدة ويتوجب أيضا أن نعيد مدينة الكويت إلى الحياة وهذا يعني اصلاح وتشغيل شبكة المياه وشبكة الطاقة الكهربائية والتليفونات ومساعدة الشرطة في حفظ النظام والبحث عن الفخاخ الملغمة وإزالة ألغام الشاطيء وإعادة فتح الميناء وألف مهمة أخرى مماثلة.. وريثما تصادق الامم المتحدة على اتفاقية وقف اطلاق النار التي تسمح لنا بانهاء احتلالنا فإن علينا أن نقوم بمهام الحكومة للجزء الجنوبي من العراق: حفظ النظام، وتقديم الخدمات الضرورية ورعاية الاف اللاجئين الهاربين من الإنتفاضات في الشمال واخيرا يتوجب علينا مساعدة الصليب الأحمر في تسلم ما سيتضح أنه ٨٠ ألف أسير عراقي واخراجهم من السعودية بأسرع ما يمكن.

ولكن بوسع كل هذه الأمور أن تنتظر ريثما تحط الطائرة ولأول مرة غمرني

احساس لا بـالنصر ولا بالمجد، بل بـانزياح هم. نظـرت إلى السماء الكويتية فـوجدتها ماتزال معتمـة بظلمة الحرب وإلى السماء السعودية النظيفـة أمامي وقلت لنفسي المرة تلو المرة لقد انتهى ذلك حقا.

١٦ مارس ٩١ - الهجوم البرى + ٢٠ / الهجوم + ٥٨

- الساعة ٠٨٣٠ - مناقشات مع وفد الكـونجرس بقيادة عضو الكونجرس فورد.. من بين ذلك قضية النساء في السلك العسكرى كيف كان أداؤهن؟ (ق. ع) قال «عظيم».

- الساعة ١٠٠ - غادر (ق. ع) وزارة الدفاع لزيارة مزرعة خالد وهي مزرعة مائية صحراوية حيث قضى النهار.

١٧ مارس ٩١ - الهجوم البرى + ٢١ / الهجوم + ٥٩

- السـاعة ١٧٢٥ - مكـالمة مع رئيس الأركـان (ق. ع) راجع أقـوال آخر وفـد من الكونجرس، ملاحظاً أن الشيوخ الذين صوتوا ضد الحرب، أخذوا نصف الوقت ليبينوا للقائد العام أسباب تصويتهم.

انتظرت شـهرا ونصف الشهر قبل ان أطلب الإذن بـالعودة إلى الوطن. في هذه الأثناء كانت حكـومة الكويت قد عـادت تماما وعملية التطهير قد قطعت شـوطا كبيرا، رغم أن الخبراء قد روا أن الأمر قد يتطلب عدة أشهـر قبل أن يتم إطفاء كل حرائق حقول النفط لقد استرجعنا أسرانا وأعدنا آلاف العراقيين وقدمنا العون للسعوديين في إقامة معسكر ضخم لرعاية اللاجئين المدنيين العراقيين. أخيرا دبرنا رجوع أكثر من نصف القوات إلى الوطن ولما اتصلت بباول لاقول له ان الاوان لارجاع مقـر القيادة المركزية إلى الولايات المتحـدة أمطرني بعشرات الأسئلـة ليتأكد مـن اننا سنترك وراءنـا ما يكفي من القـادة العسكريين لإدارة القضايا الناشئة أخيرا ثم قال: «سأثير الموضوع مع الرئيس».

كنت أعرف انه ستقـام احتفالات بالنصر لدى وصولي لقد حظي جنـودنا باستقبال الأبطال في الولايات. وقد غمرني حلفاؤنـا العرب -أصلا- بالكثير من مراسيم التكريم والجوائز ولكن ما إن وضعت قدمي في طـائرة العودة للوطن حتى انصرف كل تفكيرى الى عائلتى ورغم أنى أقر بأن كل رجل وكل امرأة وكل المشـاركين في عاصفة الصحراء قد نأوا عن أحبائهم فإن ذلك البعاد كان أشق عليّ مما عداه. فلقد شعرت انى حرمت من

وقت ثمين أقضيه مع أطفالى وهو مالا قبل لى بخسرانه بعد، فابنتى جيسيكا تقارب سن الرشد وقد تركت البيت للالتحاق بالجامعة وولدى على شفا الانتقال من الصبا إلى الرجولة لقد نشبت الحرب فى اليوم الذى كان على أن أخرج من الباب الخلفى لأخبر «سندى» اننى لا أعرف ان كنت سأعود الى البيت فى عيد الميلاد ولن تنتهى الحرب قبل أن استرجعهم من جديد.

كان هناك حشد كبير فى انتظارى على أرض مطار قاعدة ماكديل الجوية فيما حطت الطائرة وراحوا يجرونها بعربة ولما خرجت من الطائرة بحثت عن علم أمريكى وأديت له التحية العسكرية. قبل بضعة أسابيع من ذلك فعل أسرانا الشىء نفسه لدى وصولهم الى الرياض، وكنت أكرر البادرة نفسها إكراما لهم بعدئذ أخذت أنزل درجات سلم الطائرة ورأيت عائلتى.. لقد أتوا جميعا بريندا، سيندى، جيسيكا، كريستيان، سالى.. وبير، وراحوا ينتظرون أمام الحشد – ولكن على مبعدة قليلة عنه – فتحت ذراعى فيما هم يهرعون لملاقاتى عند أسفل السلم كان العناق أشبه بمباراة مصارعة رائعة فأطفالى يعانقوننى من كل حدب وبريندا تحتضننى وسالى تعانقنى، أما الكلب بير فكان يثب علينا جميعا واختلط الحابل بالنابل والمراسلون يحملون الكاميرات.

كان هناك الالاف من المستقبلين فى المدرج أزواج مسنون يلوحون بالاعلام الأمريكية فتيات وفتيان مراهقون يرتدون فانيلات تحمل عبارات «رعى الله الولايات المتحدة» و«إذا لم تكن وطنيا فأنت صاروخ سكود»، وأولاد صغار يرتدون بدلات قتال صحراوية مموهة ورأيت بريق الشرائط الصفراء فى كل مكان لأن الجميع كان يحمل الشريط الأصفر علامة النصر وفيما رحنا – أركانى وأنا – نشق طريقنا إلى منصة الاحتفال صافح الناس أيادينا أوربتوا على ظهورنا، أو رفعوا أطفالهم الرضع، فيما ألف وميض لمصابيح الكاميرات اندس وبرز شخص وهو من مخضومى حرب فيتنام يرتدى بدلة قتال غابات وله شارب – من طراز فوامانشو– ولحية وشعره يتدلى إلى منتصف ظهرة، طوق عنقى بذراعيه مهنئا، صارخا: «شكرا، شكرا أخيرا صححتم الامور» كانت عاطفة الجمهور الجياشة دلالة مسبقة تنبىء بالفرح الوطنى الذى كنا سنراه في الأسابيع التالية: الترحيب بالعودة فى بلدية تامبا، عرضا للنصر فى واشنطن والاستعراض الذى ينثرون فيه الأوراق فى برودواى – بنيويورك. اعتليت المنصة

وأديت التحية العسكرية بينما راحت الفرقة الموسيقية التابعة لفرقة المشاه الالية ٢٤ تعزف النشيد الوطنى ووقفت هادئا إلى جانب بريندا فيما كان السفير الكويتى يشكرنا على تحرير بلاده، ويدلى بأقوال أخرى.

أخيرا عدنا إلى البيت حيث بدا وكأن كل شىء يحدث فى ان واحد فسيندى وجيسيكا وكريستيان يتحدثون جميعا ويطلعوننى على الرسائل والهدايا التى أرسلها الناس وكان الكلب بير ينبح وبريندا تسألنى عما أرغب فيه من طعام والكل يهتف بى أن أفتح هدايا عيد الميلاد التى حفظوها لى. رن جرس التليفون كانت روث على الخط ووعدت أن نلتقى قريبا وظلت سالى تقفز كل نصف ساعة لتدقق فى التلفزيون فلقد تسمرت أمامه طوال فترة الحرب ولم تتخلص من هذه العادة وما عرضته التقارير الاخبارية ونحن نتبادل العناق فى القاعدة الجوية، ضحكت وقلت هيا يا سالى لقد انتهت الحرب بوسعك إغلاق التلفزيون. هزت كتفيها وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة لقد كان شاقا عليها كما كان على أن أصدق ان الحرب قد انتهت.

امتلأت الأشهر اللاحقة بالاحتفالات ولكن كان ما يزال أمامى الكثير من العمل كى انجزه -بصفتى رئيسا للقيادة المركزية- فحين أحجم العراقيون عن الانصياع لقرار الأمم المتحدة بالتفتيش عن المعدات النووية وهددوا بالتدخل لمنع أعمال الاغاثة للأكراد كنت أضطر لوضع الخطط لشن عمليات عسكرية إذا دعت الحاجة، وأشرفت على إعداد تقرير رسمى طويل حول الحرب واستدعيت للشهادة أمام لجان الكونجرس.

الواقع قبل أن أغادر الرياض زارنى مايك ستون سكرتير الجيش وسألنى ما اعتزم عليه بعد وقال: قلبى يميل اليك كرئيس لأركان الجيش قلت له اننى عقدت العزم منذ أمد بعيد على التقاعد حال انتهاء الأزمة وأشرت إلى أن رئيس الأركان المقبل سوف يدعى لتقليص حجم الجيش وأفضل أن اتقاعد إثر نصر كبير من ان اتعرض لألف هزيمة على أيدى الكونجرس. ومما يسرنى حقا أن تشينى وباول اختارا جوهور، أول رئيس للأركان عندى فى القيادة المركزية خليفة لى وتشاغلت على مدى أسابيع بالتخطيط لمراسيم تغيير القيادة التى اتخذت أبعاد حدث رسمى للدولة، لأن العشرات من الأمراء والشخصيات الاجنبية البارزة طلبوا حضور مراسيم الاحتفال.

قمت برحلة أخيرة الى مصر والمملكة العربية السعودية والكويت لاشد «الأطراف الرخوة» وتوقفت في طريق عودتي في انجلترا حيث تركتني حرارة الاستقبال من لدن الحكومة محرجا؛ فلم يدعوا لي سانحة لكي أشكرهم بما فيه الكفاية على الدعم الذي قدموه لنا في الخليج واذكر في الرياض أن بيتر دي لا بيلير مازحني قائلا: انني رأيت ممالك الشرق الأوسط ولكني لا أعرف شيئا عن مملكته، لذلك أخذني بعد انقضاء الجزء الرسمي من الزيارة في جولة لبعض اطلال القلاع الجميلة في هيرفورد شاير.

كما توقفت أيضا في فرنسا حين استقبلني ميشيل «روكويجيوفر» لدى وصولي إلى «اباجن» موطن الفرقة الفرنسية الأجنبية واقيمت مراسيم حفلة رسمية سلمني خلالها الجنرال موريس شميث وسام جوقة الشرف، أما الجنرال رايموند لي كور، قائد هذه الفرقة فقد منحني رتبة نائب عريف شرف في الفرقة وهو ما يعادل رتبة جندي أول.

بعد الغداء الرسمي أخذنا الهليكوبترات إلى قصر في تلال بروفنس اشترته الفرقة بعد حرب الهند الصينية. انه نُزُل التقاعد، فالعديد من أفراد الفرقة قد انضموا اليها وفق قواعد تسمح لهم بالتطوع باسماء مستعارة وعدم الادلاء بأية معلومات عن ماضيهم وكانوا بلا أسر ولا وطن، يذهبون اليه كلما تعذرت عليهم سبل العودة للاندماج في المجتمع وكان للقصر حقل وكرمه الخاص ومسبك وورشة سيراميك وورش حفر على الخشب وتجليد كتب فقد كان الرجال يعيلون أنفسهم ولما دخلت الورش تباعا كان الرجال العاملون يناهزون السبعين أو الثمانين وقد وقفوا وقفة استعداد عسكرية فهم لايزالون فخورين كل الفخر كونهم جنودا.

وإلى جوار القصر وضع مضيفونا موائد خشبية طويلة تحت شبكة تمويه ولما مالت الشمس إلى الغروب وبدأ نسيم الجبال البارد يزيل حر النهار خرج شيوخ الفرقة يتقلقلون في مشيهم، شيوخ بشعور بيضاء من المشيب: الماني نمساويون سويسريون بلغاريون بولنديون فرنسيون ولبعضهم لحى بيضاء كاملة، واخرون بلا أسنان لقد ارتدوا سترات مدنية فوق قمصان وسراويل عتيقة وعلقوا ميدالياتهم على صدورهم.. بعد ذلك جلسنا لتناول عشاء قروي فرنسي مؤلف من فطائر اللحم والسمك والسجق والفواكه والخضار والخبز مما ذكرني بالوجبات التي تناولتها أيام صباي في المدرسة بسويسرا ولما فرغنا من الوجبة اخيرا راحوا يغنون أغاني المارشات القديمة بانغام

بطيئة جميلة ولحن حزين أقرب إلي الجنائزى وهى أغان عن الأسرة والحبيبات والأوطان المهجورة ولما جهرت أصوات المسنين بالغناء انضم اليهم شباب الفرقة وغمرنى ذلك بالعاطفة.

ثم عاد الخاطر يطرق.. ثلاثة أسابيع واترك الخدمة!! لم أفكر على الاطلاق بنفسى كرجل عسكرى مائة بالمائة كنت واثقا من قدرتى على شق طريقى كمدنى ولكنى أدركت فجأة اننى منذ لحظة مغادرتى برنستون لالتحق بأبى فى طهران قبل ٤٥ سنة لم أعش سوى حياة عسكرية وأدركت اننى سأفتقد الرفقة التى تنمو بين كل من يعانون محنة مشتركة انها رابطة تصل بين كل الجنود القدامى ليس فقط بين جنود جيشنا، بل أيضاً بين جنود الفرقة الأجنبية، وجنود فيلق البانزر الألمانى، وجنود الجيش الأحمر وأظن حتى بين جنود الفيتكونج. وفيما انا انظر إلى خيول الحرب العجائز هذه أدركت اننى سأفتقد جنودى.

فى يوم الجمعة ٣٠ أغسطس ارتديت بدلة القتال والحميلة وأعلنت عن حضورى.. فى مكتب الأفراد فى القيادة المركزية، سلمتنى جندية شابة استمارة الصرف من الخدمة. وقالت سيدى هذه أوراق الخدمة رقم ٢١٤٠ نوصيك بحفظ هذه القسيمة فى خزانة أمينة لأنها الدليل الحقيقى الوحيد على انك كنت فى الخدمة. ذيلت الأوراق بتوقيعى وتسلمت بطاقة التقاعد ثم بعد التقاط بضع صور تذكارية مع الجنود الشباب فى المكتب مشيت متوجها إلى السيارة. أما السرجنت الأول كريج «ماكس» ماكسوم، الذى كان مسؤولا عن فريق حمايتى الشخصية منذ بدء عاصفة الصحراء والذى ظل باستمرار يلازمنى أخذ يسألنى: هل انتهى كل شىء؟

- «ماكس انتهى الأمر».

- «سيدى ليس هذا منصفا.. خمسة وثلاثون عاما فى العسكرية ثم توقع على قطعة ورق وينتهى كل شىء؟! سيدى ليس هذا منصفا يجب ان نفعل شيئا».

«كفانا استعراضات.. ماك ارثر كان محقا.. فإن قدامى الجنود يطويهم النسيان ولكن ماكس كان مضطربا.. وفى مساء اليوم التالى أقيمت لنا مأدبة عشاء وعدت إلى البيت فى منتصف الليل وهكذا انتهت رحلة خدمتى فى بلادى.. أمريكا.

الخاتمة

تســـــاؤلات

بعـد أن تقاعـدت عام ١٩٩١، لاحقتنى أسئلـة عديـدة أينما حللت فى بلدان أوروبـا وأمريكا وهى أسئلـة تتصل بحرب الخليج وخط سيرها ونتائجهـا، وفيما يلى إجاباتى على أبرز هذه التساؤلات الملحة:

السؤال الأول هو بالطبع: لماذا لم نتوجه إلى بغداد وننهى المهمة؟

ينبغى أن يفهم بوضوح ان خيار قطع الطريق كله إلى بغداد لم يدرس قط. فبرغم كل الخبراء -الذين ينتقدون الان ذلك «القرار» بافكار ابتدعوا عشرين من عشرين منها بعد الحدث- لم يكن هنـاك رئيس دولة واحد، أو دبلـوماسى واحـد، أو خبير شرق أوسط واحد، أو قائد عسكرى واحد - بقدر ما اعرف- ناصر مواصلة الحرب واحتلال بغداد. فقرارات الأمم المتحدة التى توفر الاساس القانونى لعملياتنا العسكرية فى الخريج كلية كان أبرز مقـاصدها طرد القوة العسكـرية العراقية من الكـويت. لقد كنا مخولين بكل الأعمال الضرورية لانجـاز هذه المهمة، بما فى ذلـك شن هجمات داخل العراق، ولكن لم تكن لنا صلاحية غزو العراق بهدف الاستيلاء على البلد كله وعلى عاصمته.

ولو عدنا إلى الحرب الفيتنامية لتوجب علينـا أن نقر أن من بين أسباب فقداننا للدعم العالمى لاعمالنا هناك هو افتقارنـا إلى مشروعية دولية معترف بها للتدخل فى فيتنام. أما فى الخليج فقد كان الوضع عكس ذلك تماما، فقد كـان إلى جانبنا أكثر من تسعة قرارات صادرة عن الأمم المتحـدة تتيح أعمالنا، وكنا نحظى بـدعم العالم كله عمليـا، إلا أن هذا الدعم المقدم لنا ينحصر فى طرد العراق من الكويت لا احتلال بغداد.

ولو القينا نظرة على خرائط معركة الحرب البرية، لامكننا ان نرى انه ما من قوة من القوات العـربية دخلت العراق. فقد اقتصر القتـال داخل العراق على القوات البريطـانية

والفرنسية والأمريكية وحدها. وقد تناولت فى هذا الكتاب بشىء من التفصيل حساسية حلفائنا من مسألة هجوم دولة عربية على دولة عربية أخرى. وأنا موقن انه لو اننا اتخذنا قراراً بغزو العراق كله والاستيلاء على بغداد، فإن التحالف الذى ثابرنا بدأب على صونه كان من شأنه أن يتمزق. كما انى موقن بالقدر نفسه ان القوات الوحيدة التى كانت ستشارك فى مثل هذه الأعمال العسكرية هى القوات البريطانية والأمريكية وحدها. فقد كان من شأن الجميع حتى الفرنسيين – أن ينسحبوا من التحالف.

ولو ذهبت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وحيدتين للاستيلاء على بغداد لجرى اعتبارنا – طبقا لمواثيق جنيف ومواثيق هيج– قوى احتلال، ولكنا بذلك مسئولين عن كل تكاليف ادامة واستعادة النظام والتعليم، وغير ذلك من الخدمات لشعب العراق. وبناء على خبرة الفترة الوجيزة التى قضيناها فى احتلال جزء من الأراضى العراقية بعد الحرب، فإننى متأكد اننا لو استولينا على العراق كله، لكنا مثل ذلك الديناصور الغارق في حفرة قار. أى لكنا ما نزال هناك، ولكنا نحن– لا الأمم المتحدة– نتحمل تكاليف ذلك الاحتلال وهذا عبء ما أظن ان دافع الضرائب الأمريكى المعاصر سيكون سعيدا بتحمله.

أخيراً ينبغى ألا ننسى كيف سعى صدام إلى وصف الحرب بأسرها فقد سارع إلى الادعاء بأنها ليست حربا ضد العدوان العراقى على الكويت بل بالاحرى حملة أمم استعمارية غربية تستهدف – بوصفها عميلة للاسرائيليين – تدمير البلد العربى الوحيد العازم على تدمير دولة اسرائيل، ولو قامت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وحدهما بمهاجمة العراق واحتلال بغداد لبات كل مواطن فى العالم العربى لليوم على قناعة بأن دعوى صدام صحيحة، بدلا من ذلك يعرف هؤلاء المواطنون أن قوات مسلحة غربية وعربية قاتلت جنبا إلى جنب ضد العدوان العراقى، وإنه حين تم تحرير الكويت سحبت الدول العربية قواتها العسكرية وعادت إلى أوطانها، لقد كنا أذكياء استراتيجيا لمرة واحدة بما فيه الكفاية لكسب الحرب والسلام معا.

أما السؤال التالى –الذى كنت اتلقاه بصورة محتومة– فهو استكمال للأول: مادام صدام لايزال حيا وممسكا بـ ـمام السيطرة فى العراق، الا يعنى هذا أن الحرب قد

خيضت لأجل لا شىء؟

أعترف أننى أود من كل قلبى – شأن الكثيرين – لو ان صداما أحيل إلى العدالة لينال جزاءه بطريقة ما، ولعل هذه المحاكمة ما تزال مطلوبة. ولكن خير إجابة عن هذا السؤال تتطلب أن نفكر فيما كان سيحصل لو أننا سمحنا لصدام أن ينجح فى عدوانه، لو اننا لم نخض حرب الخليج.

أولا: سيكون صدام الان قد سيطر تماماً على كل نفط الكويت ولربما كل نفط الجزيرة العربية وينبغى ألا يغرب عن البال ان التهديدات التى وجهها صدام قبل الحرب كانت ضد كل من الكويت والامارات العربية المتحدة. والطريق الوحيد للوصول إلى الامارات العربية عبر الكويت يمر بالمنطقة النفطية السعودية وحتى لو افترضنا انه كان سيقصر عدوانه على الكويت، فإنه كان سيرسل اشارة منذرة، جبارة إلى إمارات دول الخليج مما لا يسعها اغفاله. وعليه كانت ستتعرض للترهيب فى كل قرار مقبل، ولكان صدام قد احرز هدفه المعلن برفع أسعار النفط رفعا دراماتيكيا فى السوق العالمى، مع ما ينجم عن ذلك من ضغط يكبح الاقتصاد العالمى المهزوز اصلا. ، والانكى من ذلك انه لو تابع الانماط القديمة فان عوائده البترولية المتعاظمة كانت ستفضى إلى تقوية جهازه العسكرى القوى (بالقياس إلى بلدان الشرق الأسط الأخرى) وتوسيع ترساناته النامية من المعدات النووية والبيولوجية والكيماوية القائمة اصلا. وليس من الصعب ان يتخيل المرء ما يعنيه ذلك بالنسبة إلى مستقبل اسرائيل وقضية السلام العالمى.

عوضا عن ذلك فان قلع مخالب صدام ارغمه على الانكفاء وراء حدوده وقد جرى تحطيم قدراته النووية والبيولوجية والكيماوية العسكرية وسيظل منزوع المخالب مادام بمقدورنا ان نعمل على منعه من الحصول على هذه القدرات بنفس الطريقة التى حصل عليها فى الماضى – من شركات غربية أو شرقية عديمة الضمير تعنى بالحصيلة المالية للشركة اكثر من عنايتها بالسلام العالمى. لقد تعرضت قوات صدام العسكرية إلى هزيمة ساحقة، بحيث لم تعد قادرة على تهديد أى بلد آخر.. ومما له أعظم الأهمية ان صداما ارتكب ما لا يخطر على البال إذ هاجم بلدا عربيا شقيقا وفقد من جراء ذلك ماء وجهه فى هزيمة عسكرية مهينة، ولذا فان دعواته اللاعقلانية المتشددة لن تعد تلقى آذانا صاغية فى الشئون السياسية العربية. ونتيجة لذلك بالدرجة الاساسية وأيضا

نتيجة انتصار التحالف في الخليج أخذت عملية السلام فى الشرق تمضى قدما، فالفلسطينيون وغيرهم من العرب والاسرائيليون يجسلون الان إلى طاولة المفاوضات كما ان رهائننا قد أخلى سبيلهم، هل تعتقدون أننى أرى ذلك يستحق؟ انتم متأكدون من ذلك.

أخيرا رغم ما نشاهده فى افلام رامبو فان القبض على شخص مثل صدام وإحالته إلي العدالة ليسا بالمهمة الهينة. ففى بنما - وهى بلد صغير تنتشر فيه الاف العيون الامريكية وترى ما يحصل حتى قبل بدء العمليات العسكرية - لم نستطع ان نعثر على شخص اسمه نورويجا لوقت طويل وأننى واثق اننا حتى لو قمنا بغزو كامل للعراق فاننا لم نكن لنعثر على صدام حسين فى ذلك المعسكر المسلح الكبير، المسمي العراق.

- ماذا بصدد كل حوادث الاصابة بالنيران الصديقة التى سمعنا بها منذ انتهاء الحرب؟

لكم ابغض هذا التعبير: «نار صديقة» فما ان تنطلق الرصاصات من الفوهة أو ينقذف الصاروخ من الطائرة عندئذ لا تعد النار «صديقة» لأى انسان. ولسوء الحظ فان قتل الاشقاء بيد الاشقاء ظل يحدث منذ بدء الحرب، فطابع الفوضى فى ميدان المعركة، حيث القرارات السريعة هي التى تحدد الفرق بين الحياة والموت وهذا يؤدى إلي وقوع العديد من حوادث مصرع الجنود بنيرانهم بالذات فى كل حرب خاضتها اية أمة. حتى فى مركز التدريب القومي الامريكي -حيث القتل يحاكى بالليزر والكمبيوتر- يلاحظ وجود حالات قتل أشقاء.. هذا لا يضفى عليها مشروعية القبول. ولا ينبغى ابداء عذر لمثل هذا الموت الذى يمكن تفاديه. أما فى هذه الحرب التى قدم جانبنا فيها خسائر قليلة للغاية فإن حجم المأساة يتعاظم حين تفقد أسرة ما ابنا أو بنتا بهذه الطريقة.

كانت مشكلتنا في حرب الخليج أن قدرتنا التكنولوجية على ضرب الأهداف تفوق قدرتنا على تشخيص موقع الأهداف بوضوح. فلقد دأبنا منذ سنوات على تطوير قدرتنا علي مهاجمة أهداف العدو من مديات بعيدة.. نظرا لأننا نحتاج، كى ننجح في مواجهة قوة دبابات سوفياتية هائلة، إلي تدمير أكبر عدد ممكن منها قبل أن تشتبك معها قواتنا. وقد وجدنا أن بيئة الصحراء تعزز هذه القدرة علي أخذ الأهداف وضربها من مسافات

شاسعة. وفي وقت مبكر توصلنا إلى إدراك الخطر الذى يتهدد قواتنا من هذه القدرة المتعاظمة، وواجهنا الأوساط المعنية بتطوير الأسلحة بالتحدى التالى، وهو: أن يبتكروا طريقة ما للتمييز بدقة بين الصديق والعدو. ولسوء الحظ لم يتم إيجاد حل تكنولوجى مرض يحول دون تزايد خطر تدمير قواتنا على يد العدو، ولو عبرنا عن ذلك بلغة بسيطة لقلنا: إن كل تدبير يجعل قواتنا مشخصة أكثر لنا، كان سيجعلها مشخصة أكثر للعدو. وعليه، كان علينا الاعتماد على اجراءات تشخيص أخرى، رحنا نؤكد ونشدد التأكيد عليها على كل المستويات. ومن أكثر هذه التدابير شيوعا، بالطبع هو النظر إلى المرضع فى ميدان المعركة. فإذا كنت تعلم أنه لا توجد قوات صديقة أمامك فإن كل ما تراه لابد أن يكون للعدو.

ومما يؤسف له أنه جرى ارتكاب أخطاء بريئة أثناء احتدام المعركة مما أدى إلى وقوع خسائر في الأرواح. ولابد من أن نجد طريقة آمنة لتنفيذ مهماتنا. وقد حفلت كل التقارير التقييمية لما بعد المعركة -التى رفعها العاملون فى مقر قيادتى السابق وقادة القوات المؤلفة لهذه القيادة- بهذه القضية، باعتبارها قضية تسترعى الانتباه العاجل والتصرف وتكرس كل فروع القوات المسلحة جهودا لايجاد حل تكنولوجى لهذه المحنة المديدة.

هناك سؤال آخر كثيرا ما يوجه لى. كيف كان أداء معداتنا التكنولوجية العالية التطور؟

جوابي هو نفسه دائما «بما يفوق أكثر التوقعات جموحا». فى الأيام الأولى من نشر القوات واجهنا فعلا مصاعب غير متوقعة نتيجة البيئة الصحراوية القاسية. فقد وجدنا أن الرمال السعودية الناعمة الشبيهة بمسحوق الغبار تسد الفلاتر فى بعض عرباتنا المدرعة. وقد جرى حل هذه المشكلة سريعا حين طلعت علينا التكنولوجيا الأمريكية بفلاتر جديدة. ووجدنا أن الرمال تحت أذرع مراوح الهليكوبتر، فجاء الخبراء بأشرطة تحمى الأذرع وتخفف الاحتكاك. إن البيئة الصحراوية -شأنها شأن البيئات القاسية فى المدار القطبى أو فى الغابات الكثيفة- تنطوى على تحديات خاصة يتعين أن نتكيف معها، إلا أن الأصالة الأمريكية المبدعة القديمة كانت تأتى لنجدتنا دوما. وتعلمنا كيف نتكيف، وواصلت معداتنا العمل رغم كل التوقعات المعاكسة، وبعد أربعة أيام من

المتحركة ارتفعت مستويات الصيانة عندنا فوق المستويات القائمة فى بعض الوحدات زمن السلم.

لقد جرى إفراد منظومات معينة وتوجيه النقد إليها من جانب أشخاص يرومون خدمة أغراضهم الخاصة، من بين ذلك منظومة صواريخ باترويت. الواقع أن النقاد لم يفلحوا فى الكشف عن شىء سوى افتقارهم إلى المعرفة عما صممت من أجله صواريخ باترويت. لقد صممت صواريخ باترويت أصلا للدفاع عن نقطة هدف معين مثل مطار، مستودع تجهيزات، مقر قيادة ضد طائرات وصواريخ العدو المنقضة. ولا أعرف حالة واحدة لم يعمل فيها صاروخ باترويت بنجاح تام (مائة فى المائة) فى الدفاع عن المنشأة التى نصب لحمايتها. وواقع الأمر أن الصاروخ قام بأداء رادع فى أحوال كثيرة كسلاح للدفاع عن منطقة، هو كسب إضافى، وقد وفر ذلك درجة من الحماية لمدن كاملة لم نكن نأمل فى توفيرها قط. وهناك نقد مماثل وجه إلي الذخائر الدقيقة للقوة الجوية، مفاده أن هذه الذخائر لم تصب الهدف دوما من أول ضربة وأن الأمر قد تطلب فى بعض الأحيان الضرب مرتين أو ثلاث مرات لتدمير الهدف. قد يكون الأمر كذلك، ولكن هل سبق لاحد من هؤلاء النقاد ان كان فى فيتنام؟ كنت مستعدا لبتر ذراعى اليسرى لو أن قوتنا الجوية كان لديها فى فيتنام نصف القدرة التى تمتعت بها فى حرب الخليج. حقا إن ذخائرنا ذات التكنولوجية العالية التطور لم تحقق الكمال بعينة مائة فى المائة، ولكن هذا ليس بالأمر الخارق للمألوف، لا سيما إذا كنا آخذين فى الاعتبار تعقيدات هذه الذخائر وأن الكثير منها اجرى تطويره فى عجالة بسبب الحرب. إلا أنها كانت بالغة التفوق بالقياس إلى كل ما كان لدينا من قبل وبالقياس إلى كل ما تلقاه العدو من قبل بحيث أن بوسع الشعب الأمريكى أن يفتخر بالتكنولوجيا الأمريكية التى انتجها.

أخيرا غالبا ما يطلب منى التعليق على طبيعة النزاعات المقبلة وحجم قواتنا المسلحة.

أرى أن على الجنرالات المتقاعدين الا يفوتوا أبدا فرصة التزام الصمت ازاء قضايا لم يعدوا فى موقع المسئولية بالنسبة لها. بعد هذا القول. اعتقد أن الادلاء ببعض التعليقات العامة – ولا أقصد هنا اللعب على الجناس أو الطباق– أمر فى محله. إننى على قناعة من أن النزاع المسلح فى المستقبل المنظور لن يأخذ شكل جيوش برية ضخمة تواجه بعضها البعض على رقعة خطوط قتال واسعة، كما حصل فى الحرب العالمية الأولى والحرب

العالمية الثانية، أو على غرار ما كان يحصل لو تواجه حلفا الاطلسى (الناتو) ووارسو فى ميدان المعركة. فالنزاع فى المستقبل سيكون مشابها لما شهدناه فى الماضى القريب. فكلتا العمليتين العسكريتين اللتين دخلنا فيهما فى الشرق الأوسط كانتا نتيجة لنزاعات اقليمية صارت تؤثر على بقية العالم.. إن «حرب الناقلات» كانت نتيجة الحرب الايرانية العراقية وبالطبع فإن حرب الخليج نشبت نتيجة خلاف بين العراق ودول أخرى منتجة للنفط. وكما قلت من قبل، لما تسلمت قيادة القيادة المركزية وكان هناك ١٣ نزاعا مسلحا جارية فى منطقة مسئوليتى وحدها، منذ ذلك الحين انطفأ أوار بعضها، لكن نزاعات أخرى أكثر إثارة للقلاقل قد حلت محلها.. حسب المرء أن ينظر إلى الأحداث التراجيدية الجارية فيما كنا نسميه يوغوسلافيا، أو الصدامات الاثنية والدينية والعرقية فى الاتحاد السوفيتى السابق، لكى يدرك أن مثل هذه النزاعات الاقليمية الخطرة ستظل تلازمنا لسنوات قادمة. ومن شأن أى واحد منها أن يفضى إلى نشوب حرب. ما الذى يوحيه لنا ذلك بصدد الحجم المستقبلى لقواتنا المسلحة؟

أولا: إن ذلك يعنى أن التقليصات ممكنة. ولكنه لا يعنى أن التقليصات يجب أن تتم عشوائيا فقط على أساس الاعتبارات السياسية والمالية. ومما يفزعنى، هو استماعى إلى شخص مايقترح تقليصا بمقدار ١٠٠ مليار دولار فى قواتنا المسلحة بدون أى تعليل عقلانى، سوى استخدام النقود فى مجال اخر. ان الغرض من قواتنا المسلحة هو حماية مصالحنا القومية والدفاع عن بلادنا. وقبل أن نسمح بحصول تخفيضات كبيرة فى قواتنا يجب أن نتأكد من اننا قمنا بتحليل جاد وعميق للطبيعة التى ستنتهجها مصالحنا القومية خلال العشرين سنة القادمة. وأين وكيف نضطر إلى زج قواتنا بعد ذلك.. يمكن لنا أن نقيم بنزاهة ماهو الحجم المطلوب لقواتنا المسلحة وبعد ذلك يمكن إجراء التخفيضات. وحسبما قيل لى، فإن مثل هذا التحليل قيد الدراسة حاليا فى وزارة الدفاع.

أخيرا يجب أن نضمن أن تظل قواتنا مرنة بما فيه الكفاية لمعالجة حالات الطوارئ غير المنظورة.. ليس من السهل التكهن برقم، معين، أو بسجلنا المتعلق بأين سنخوض حروب المستقبل، ولو سألنى شخص ما يوم تخرجت من كلية وست بوينت الحربية فى يونيو ١٩٥٦، أين ساقاتل فى سبيل بلادى طوال سنوات خدمتى العسكرية، آنذاك ما

كنت متأكداً مما كنت سأقوله. ولكننى متأكد تماما إننى لست متأكداً مما كنت سأقوله. ولكنى متأكد تماما انني لم أكن لاقول «فيتنام، جريناداء العراق».

يوم غادرت الرياض للعودة إلى الولايات المتحدة، أدلى الفريق الركن خالد بقول ورد فى خطاب ماه يتعين على كل أمريكى أن يفكر فيـه.. إذ قال «إذا كان العالم سيحظى بقوة عظمى واحدة، فحمداً لله انها الولايات المتحدة الأمريكية وعندما أفكر الان فى تلك الدول التى كانت ستقـود العالم خلال الخمسين عـاما الماضية نجـدها (روسيا – اليـابان – الصـين – المانيا) وهى دول كانت ستؤدى بقيادتها إلى ظلام العالم، على عكس أمريكا»... وهذا عبء إضافى علينا، وكلى ثقة فى شعبنا الذى سيقود هذا العالم.

وثائق وملاحق

ملحق وثائق رقم (١)

نص قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ (ابريل ١٩٩١)

فيما يلى نص قرار مجلس الأمن:

إن مجلس الأمن.. اذ يشير إلى قـــراراتـــه ٦٦٠ – ١٩٩٠، ٦٦١ – ١٩٩٠، ٦٦٢ – ١٩٩٠، ٦٦٤ – ١٩٩٠، ٦٦٥ – ١٩٩٠، ٦٦٦ – ١٩٩٠، ٦٦٧ – ١٩٩٠، ٦٦٩ – ١٩٩٠، ٦٧٠ – ١٩٩٠، ٦٧٤ – ١٩٩٠، ٦٧٧ – ١٩٩٠، ٦٧٨ – ١٩٩٠، ٦٨٦ – ١٩٩١.

وإذ يـرحب برجـوع السيادة والاستقـلال والســلامة الاقليميـة للكويت وبعـودة حكومتها الشرعية.

وإذ يـؤكـد التزام جميع الـدول الأعضـاء بسيـادة الكويت والعـراق وسـلامتهما الاقليمية واستقلالهما السيـاسى ويحيط علما بالنية التى أعربت عنهـا الدول الأعضاء المتعاونـة مع الكويت بموجـب الفقرة ٣ من القرار ٦٧٨ – ١٩٩٠، على إنهاء وجـودها العسكرى فى العراق فى أقرب وقت ممكن، تمشيا مع الفقرة ٨ من القرار ٦٨٦ – ١٩٩٠.

وإذ يؤكد من جديد ضرورة التأكد من النـوايا السلمية للعراق فى ضوء غزو الكويت واحتلاله لها بصورة غير مشروعة.

واذ يحيط علما بالـرسالة الموجهة مـن وزير خارجية العـراق فى ٢٧ فبراير ١٩٩١ والرسائل الموجهة، عملا بالقرار ٦٨٦ – ١٩٩١.

وإذا يحيط علما بأن العراق والكـويت بوصفهما دولتين مستقلتين ذاتى سيـادة قد وقعـا فى بغداد فى ٤ أكتـوبر ١٩٦٣ على محضر متفق عليـه بشأن استعـادة العلاقـات الوديـة والأعراف والأمـور ذات العلاقـة معترفين بذلـك رسميا بـالحدود بين العراق

والكويت وبتخصيص الجزر وقد سجل هذ المحضر لدى الأمم المتحدة وفقا للمادة ١٠٢ من الميثاق. واعترف فيه العراق باستقلال دولة الكويت وسيادتها التامة بحدودها المبينة بكتاب رئيس وزراء العراق بتاريخ ٣١ يوليو ٥٢ الذى وافق عليه حاكم الكويت بكتابه المؤرخ فى ١٠ أغسطس ١٩٣٢.

وادراكا منه لضرورة تعيين الحدود المذكورة وادراكا منه أيضا للبيانات الصادرة من العراق والتى يهدد فيها باستعمال أسلحة تنتهك التزاماته المقررة بموجب بروتوكول جنيف لحظر الاستعمال الحربى للغازات الخانقة أو السامة أو ماشابهما ولوسائل الحرب البكرتو يولوجية الموقع عليه فى جنيف فى ١٧يونيو ١٩٢٥ ولسابقة استخدامه للأسلحة الكيميائية، وإذ يؤكد أن أى استعمال آخر لهذه الأسلحة من جانب العراق سوف يترتب عليه عواقب وخيمة.

وإذ يشير إلى أن العراق كان قد وقع على الاعلان الصادر عن جميع الدول المشتركة فى مؤتمر الدول الأطراف فى بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ والدول المعنية الأخرى المنعقد فى باريس فى الفترة من ٧ إلى ١١ يناير ١٩٨٩، والذى حدد الهدف المتمثل فى ازالة الأسلحة الكيميائية والبيولوجية على الصعيد العالمى.

وإذ يشير كذلك إلى أن العراق قد وقع على حظر استحداث وانتاج وتخزين الأسلحة البكتريولوجية والتكسينية وتدمير تلك الأسلحة المؤرخة فى ١٠ أبريل ١٩٧٢.

وإذ يلاحظ أهمية تصديق العراق على هذه الاتفاقية.

وإذ يلاحظ علاوة على ذلك أهمية انضمام جميع الدول إلى هذه الاتفاقية ويشجع مؤتمر استعراض الاتفاقية المقبل على تعزيز قوة الاتفاقية وكفاءتها ونطاقها العالمى.

وإذ يؤكد أهمية قيام مؤتمر نزع السلاح بالتبكير بأختتام الأعمال المتعلقة بإعداد اتفاقية للحظر الشامل للأسلحة الكيميائية والانضمام إليها على الصعيد العالمى.

وإذ يعلم باستعمال العراق لقذائف تيارية فى هجمات لم يسبقها استفزاز.

ومن ثم بضرورة اتخاذ تدابير محددة فيما يتعلق بهذه القذائف الموجودة فى العراق.

وإذ يساوره القلق بسبب التقارير التى لدى الدول الأعضاء والتى تفيد بأن العراق

قد حاول الحصول على مواد لبرنامج لانتاج الأسلحة النووية بما يتناقى مع التزاماته بموجب معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية الصادرة فى ١ يولية ١٩٦٨.

وإذ يشير أيضا إلى الهدف المتمثل فى انشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط.

وإدراكاً منه للتهديد الذى تشكله جميع أسلحة التدمير الشامل على السلم والأمن فى المنطقة ولضرورة العمل على انشاء منطقة خالية من هذه الأسلحة فى الشرق الأوسط.

وإدراكا منه أيضاً للهدف المتمثل فى تحقيق تحديد متوازن وشامل للأسلحة فى المنطقة.

وإدراكاً منه كذلك لأهمية تحقيق الأهداف المشار إليها أعلاه باستخدام جميع الوسائل المتاحة ومنها اقامة حوار فيما بين دول المنطقة.

وإذ يلاحظ أن القرار ٦٨٦ - ١٩٩١ قد أذن برفع التدابير المفروضة بموجب القرار ٦٦١ - ١٩٩٠ من حيث انطباقها على الكويت.

وإذ يلاحظ أنه رغم التقدم الجارى احرازه بصدد الوفاء بالالتزامات المقررة بموجب القرار ٦٨٦ - ١٩٩١، فإن مصير الكثير من الرعايا الكويتيين ورعايا بلدان أخري مازال مجهولاً.. كما أن هناك ممتلكات لم ترد بعد.

وإذ يشير إلى الاتفاقية الدولية المناهضة أخذ الرهائن والتى فتح باب التوقيع عليها فى نيويورك فى ١٨ ديسمبر ١٩٧٩ والتى تصف جميع أعمال أخذ الرهائن على أنها مظاهر للارهاب الدولى.

وإذ يشجب التهديدات الصادرة عن العراق أثناء النزاع الأخير باستخدام الارهاب ضد أهداف خارج العراق وبقيام العراق بأخذ رهائن.

وإذ يحيط علما - مع شديد القلق - بتقريرى الأمين العام المؤرخين ٢٠ مارس ١٩٩١ و٢٨ مارس ١٩٩١ وإدراكاً منه بضرورة التلبية العاجلة للاحتياجات الانسانية فى الكويت والعراق.

وإذ يضع فى اعتباره هدفه المتمثل فى احلال السلم والأمن الدوليين فى المنطقة على

النحو المحدد فى قرارات صادرة مؤخراً عن المجلس.

وإدراكاً منه بضرورة اتخاذ التدابير التالية بموجب الفصل السابع من الميثاق.

١ ـــ يؤكد جميع القرارات الثلاثة عشرالمشار إليها أعلاه عدا مايجرى تغييره صراحة تحقيقاً لأهداف هذا القرار.. بما فى ذلك تحقيق وقف رسمى لاطلاق النار..

الحدود والجزر

٢ ــ يطالب بأن يحترم العراق والكويت حرمة الحدود الدولية وتخصيص الجزر على النحو المحدد فى المحضر المتفق عليه بين دولة الكويت والجمهورية العراقية بشأن استعادة العلاقات الودية والاعتراف والأمور ذات العلاقة التى وقعاها ممارسة منهما لسيادتهما فى بغداد فى ٤ أكتوبر ١٩٦٢ وسجل لدى الأمم المتحدة ونشرته الأمم المتحدة فى الوثيقة ٧٠٦٢ مجموعة معاهدات الأمم وسجل لدى الأمم المتحدة ونشرته الأمم المتحدة فى الوثيقة ٧٠٦٣ مجموعة معاهدات الأمم المتحدة ١٩٦٤.

٣ ــ يطلب إلى الأمين العام أن يساعد فى اتخاذ الترتيبات اللازمة مع العراق والكويت مستعيناً بالمواد المناسبة بما فيها الخريطة الواردة فى وثيقة مجلس الأمن، وأن يقدم إلى مجلس الأمن تقريراً عن ذلك فى غضون شهر واحد.

٤ ــ يقرر أن يضمن حرمة الحدود الدولية المذكورة أعلاه وأن يتخذ جميع التدابير اللازمة حسب الاقتضاء لتحقيق هذه الغاية وفقا للميثاق.

قوة المراقبة:

٥- يطلب من الأمين العام أن يقدم فى غضون ثلاثة أيام فى مجلس الأمن للموافقة

وبعد التشاور مع العراق والكويت خطة للتوزيع الفورى لوحدة مراقبة تابعة للأمم المتحدة لمراقبة خور عبد الله ومنطقة منزوعة السلاح تنشأ بموجب هذا وتمتد لمسافة ١٠ كيلو مترات داخل العراق و٥ كيلو مترات داخل الكويت من الحدود المشار إليها فى المحضر المتفق عليه بين دولة الكويت والجمهورية العراقية بشأن استعادة العلاقات الودية والاعتراف، والأمور ذات العلاقة الموقع فى ٤ أكتوبر ١٩٦٣.. وللحد من انتهاكات الحدود من خلال وجودها فى المنطقة المنزوعة السلاح ومراقبتها لها..

ولمراقبة أى أعمال عدوانية أو يحتمل أن تكون عدوانية تشن فى أراضى إحدى الدولتين على الأخرى.. وأن يقدم الأمين العام إلى المجلس تقارير بصفة منتظمة عن عمليات الوحدة (المراقبة الدولية) وبصفة فورية إذا وقعت انتهاكات خطيرة للمنطقة أو تعرض السلم لتهديدات محتملة.

٦ ـ يلاحظ أنه بمجرد أن يخطر الأمين العام المجلس بانجاز توزيع وحدة المراقبة التابعة للأمم المتحدة ستتهيأ الظروف اللازمة للدول الأعضاء المتعاونة مع الكويت لكى ينتهى وجودها العسكرى فى العراق تمشياً مع القرار ٦٨٦ ـ ١٩٩١.

تدمير أسلحة الدمار

٧- يدعو العراق إلى أن يؤكد من جديد - ودون أى شرط - التزاماته المقررة بموجب برتوكول جنيف - لحظر الاستعمال الحربى للغازات الخانقة أو السامة أوماشبهها ولوسائل الحرب البكترويولوجية - الموقع فى جنيف فى ١٧ يونيو ١٩٣٥ وأن يصدق على اتفاقيات حظر استحداث انتاج وتخزين الاسلحة البكترويولوجية والبيولوجية والتكسينية وتدمير تلك الاسلحة المؤرخة فى ١٠ ابريل ١٩٧٣.

٨- يقرر أن يقبل العراق دون أى شروط القيام تحت اشراف دولى بتدمير مايلى أو إزالته أو جعله عديم الضرر:

أ- جميع الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وجميع مخزونات العوامل الكيمائية وجميع مايتصل بها من منظومات فرعية ومكونات و جميع مرافق البحث والتطوير والدعم والتصنيع.

ب- جميع القذائف التيارية التى يزيد مداها على ١٥٠ كيلو متراً والقطع الرئيسية المتصلة بها ومرافق اصلاحها وانتاجها.

٩- يقرر - بعد تنفيذه للفقرة ٨ أعلاه - مايلى:-

أ- يقدم العراق إلى الأمين العام فى غضون خمسة عشر يوماً - من اعتماد هذا القرار - بيانات بمواقع وكميات وأنواع جميع المواد المحددة فى الفقرة (٨) على النحو المجدد أدناه.

ب- يقوم الأمين العام بالتشاور مع الحكومات المناسبة وعند الاقتضاء مع المدير العام لمنظمة الصحة العالمية وفى غضون ٤٥ يوماً من صدور هذا القرار، بوضع خطة وتقديمها إلى المجلس للموافقة عليها، تدعو إلى إنجاز الأعمال التالية فى غضون ٤٥ يوماً من هذه الموافقة.

أولاً: تشكيل لجنة خاصة تقوم على الفور بأعمال تفتيش فى الموقع على قدرات العراق البيولوجية والكيمائية استناداً إلى تصريحات العراق وماتعينه اللجنة الخاصة نفسها من المواقع الاضافية.

ثانياً: يتخلى العراق للجنة الخاصة عن حيازة جميع المواد المحددة بموجب الفقرة أعلاه وذلك لتدميرها أو ازالتها أوجعلها عديمة الضرر.. مع مراعاة مقتضيات السلامة العامة.. وقيام العراق - بإشراف اللجنة الخاصة- بتدمير جميع قدراته المتعلقة بالقذائف بما فى ذلك منصات اطلاقها بموجب الفقرة ٨ب أعلاه.

ثالثا. قيام اللجنة الخاصة بتقديم المساعدة إلى المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية والتعاون معه على النحو المطلوب فى الفقرتين ١٢، ١٣ أدناه.

١٠ - يقرر أن يتعهد العراق تعهداً غير مشروط بعدم استعمال أو استحداث أو حيازة أى من المواد المحددة فى الفقرتين ٨، ٩ أعلاه. ويطلب إلى الأمين العام أن يقوم بالتشاور مع اللجنة الخاصة بإعداد خطة لرصد امتثال العراق لهذه الفقرة والتحقق منه بشكل مستمر فى المستقبل على أن يقدمها إلى المجلس للموافقة عليها فى غضون ١٢٠ يوما من صدور القرار.

١١ - يدعو العراق إلى أن يؤكد من جديد دون أى شروط التزاماته المقررة بموجب معاهدة عدم انتشار الأسلحة النوويه المؤرخ فى ١ يوليو ١٩٦٨.

١٢ - يقرر أن يوافق العراق دون أى شرط على عدم حيازة أو انتاج أسلحة نووية أو مواد يمكن استعمالها للأسلحة النووية أو أى منظومات فرعية أو مكونات أو أى مرافق بحث أو تطوير أو دعم أو تصنيع تتصل بما ذكر أعلاه. وأن يقدم إلى الأمين العام من

المدير العام للوكـالة الدولية للطاقة الذرية– فى غضـون ١٥ يوما من اعتماد هذا القرار– اعلانا بمواقع وكميات وأنواع جميع المواد المحددة أعلاه وليضع جميع مالديه من مواد يمكن استعمالها فى الأسلحة النوويـة للرقابة الحصرية للـوكالة الدولية للطاقـة الذرية لكى تحتفظ بها لـديها وتزيلها، وذلك بمسـاعدة اللجنـة الخاصة، وتفـاوضها حسبما تنص عليـه خطـة الأمين العـام التى نـوقشت فى الفقـرة ٩ ب أعـلاه.. وأن يقبل وفقـا للترتيبات المنصوص عليهـا فى الفقرة ١٣ أدناه بتفتيش عـاجل فى الموقع وتدميره جميع المواد المحددة أعلاه من أجـل رصد امتثاله لهذه التعهدات والتحقق منـه بشكل مستمر مستقبلا.

١٣ – يطلب إلى المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية أن يجرى فورا– عن طريق الأمين العام وبمساعدة وتعاون اللجنة الخاصـة، كما جاء فى خذة الأمين العام فى الفقرة ب أعلاه – تفتيشاً فى الموقع على القدرات النـوويـة للعراق استنادا إلى تصريحات العراق وأى مواقع اضافية تعينها اللجنـة الخاصة، وأن يضع خطة لتقديمها إلى مجلس الأمن فى غضون ٤٥ يوما، تـدعو إلى تدمير جميع المواد المدرجة فى الفقرة ١٢ أعلاه أو ازالتها أو جعلها عـديمة الضرر حسب الاقتضـاء وأن ينفذ الخطة فى غضـون يومـا من تاريخ موافقـة مجلس الأمن عليها، وأن يضع خطـة تراعى فيهـا. حقوق العـراق والتزامـاته المقررة بموجب معـاهدة عدم انتشـار الأسلحة النوويـة والمؤرخة فى ١ يـوليو ١٩٦٨ لرصد امتثال العـراق لاحكام الفقرة ١٣ أعلاه والتحقق منـه باستمرار فى المستقبل بما فى ذلك القيـام بحصر جميع المواد النوويـة الموجودة فى العـراق على أن تقوم الـوكالـة بـالتحقيق وبعمليات تفتيش للتأكـد من أن ضمانـات الوكـالة تشكل جميع الأنشطـة النووية ذات الصلة فى العـراق لتقديمها للمجلس لاعتمادهـا فى غضون ١٢٠ يـوما من تاريخ مجلس الامن لحظة التصويت بالموافقة على القرار.

الفقـرات ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ من هذا القـرار تمثل خطـوات نحـو هدف انشـاء منطقة فى الشرق الأوسـط خالية مـن أسلحة التدمير الشـامل وجميع قـذائف ووسائل إطلاقها وبهدف فرض حظر عالمى على الأسلحة الكيميائية.

رد المسروقات:

١٥ - يطلب إلى الأمين العام أن يقدم إلى مجلس الأمن تقريرا عن الخطوات المتخذة لتيسير عودة جميع الممتلكات الكويتية التى استولى عليها العراق بما فى ذلك وضع قائمة بأى ممتلكات تدعى الكويت عدم اعادتها أو عدم اعادتها سليمة.

التعويضات والديون:

١٦ - يؤكد من جديد أن العراق - دون المساس بديون والتزامات العراق الناشئة قبل أغسطس ١٩٩٠، والتى سيجرى تناولها عن طريق الآليات العادية - مسئول بمقتضى القانون الدولى عن أى خسارة مباشرة أو ضرر مباشر، بما فى ذلك الضرر اللاحق بالبنية الاقتصادية واستنفاد الموارد الطبيعية أو أى ضرر وقع على الحكومات الأجنبية أو رعاياها أو شركاتها نتيجة لغزو العراق واحتلاله غير المشروعين للكويت.

١٧ - يقرر أن ماأدلى به العراق من تصريحات منذ ٢ أغسطس ١٩٩٠ بشأن إلغاء ديونه الأجنبية باطل ولاغ ويطالب بأن يتقيد العراق تقيدا صارما بجميع التزاماته بشأن خدمة وسداد ديونه الأجنبية.

١٨ - يقرر إنشاء صندوق لدفع التعويضات المتعلقة بالمطالبات التى تدخل في نطاق الفقرة ١٩ أعلاه وإنشاء لجنة لإدارة الصندوق.

١٩ - يوعز إلى الأمين العام بأن يضع ويقدم إلى المجلس فى غضون مدة لا تتجاوز الصندوق من الوفاء بمطلب دفع التعويضات التى يثبت استحقاقها وفقا لأحكام الفقرة ١٨ أعلاه ومن أجل برنامج لتنفيذ القرارات الواردة فى الفقرات ١٦، ١٧، ١٨ أعلاه بما فى ذلك إدارة الصندوق وآليات تحديد المستوى المناسب لمساهمة العراق فى الصندوق، بحيث لا تتجاوز رقما يقترحه الأمين العام. على المجلس أن يأخذ فى الاعتبار احتياجات شعب العراق وبصفة خاصة الاحتياجات الانسانية وقدرة العراق على الدفع، كما تقدر بالاقتران مع المؤسسات المالية الدولية مع مراعاة خدمة الدين الخارجى واحتياجات الاقتصاد العراقى واتخاذ ترتيبات لكافة أداء المدفوعات للصندوق والعملية التى

ستخصص الأموال وتدفع المطالبات بموجبها والاجراءات المناسبة لتقييم الخسائر وتقديم المطالبات والتحقق من صحتها وحل المطالبات المتنازع عليها فيما يتعلق بمسئولية العراق، كما هو منصوص عليه في الفقرة ١٦ أعلاه وتكوين اللجنة المشار إليها أعلاه.

الحصار الاقتصادى:

٢٠ – يقرر مع السريان الفورى ألاّ ينطبق حظر بيع أو توريد سلع أساسية أو منتجات غير الأدوية والامدادات الصحية للعراق وحظر المعاملات المالية المتصلة بذلك، والواردة في الفقرة ٦٦١ – ١٩٩٠ على المواد الغذائية التي تخطر بها اللجنة المنشأة بموجب القرار ٦٦١ – ١٩٩٠ وبموافقة تلك اللجنة بموجب اجراء عدم الاعتراض المبسط والمعجل على المواد والامدادات اللازمة لتلبية احتياجات مدنية أساسية، كما تحدد في تقرير الأمين العام المؤرخ في ٣٠ مارس ١٩٩١ وفي أية استنتاجات أخرى عن وجود حاجة انسانية تتوصل إليه اللجنة.

٢١ – يقرر أن يستعرض المجلس أحكام الفقرة ٢٠ أعلاه كل ستين يوما في ضوء سياسات وممارسات حكومة العراق، بما في ذلك تنفيذ جميع قرارات مجلس الأمن ذات الصلة وذلك لغرض تحديد ماإذا كان يخفض أو يرفع الحظر المشار إليه فيه.

٢٢– يقرر بعد أن يوافق مجلس الأمن على البرنامج الذى تدعو إليه الفقرة ١٩أعلاه وبعد أن يوافق المجلس على أن العراق أنجز جميع الاجراءات المتوخاه في الفقرات ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ أعلاه أن تصبح مقررات حظر استيراد السلع الأساسية والمنتجات التي يكون مصدرها العراق وحظر التعاملات المالية المتعلقة به الواردة في القرار ٦٦١– ١٩٩٠ غير ذات مفعول أو أثر بعد الآن.

٢٣ – يقرر ريثما يتخذ المجلس اجراء بموجب الفقرة ٢٢ أعلاه أن تخول اللجنة المنشأة بموجب القرار ٦٦١– ١٩٩٠ بالموافقة عندما يطلب التأكد من وجود مواد مالية كافية لدى العراق للاضطلاع بالأنشطة بموجب الفقرة ٢٠ أعلاه على استثناء لحظر

استيراد السلع الأساسية والمنتجات والتى يكون مصدرها العراق.

٢٤ – يقرر وفقاً للقرار ٦٦١ – ١٩٩٠ والقرارات ذات الصلة التبادلية له وإلى أن يتخذ المجلس قراراً آخر أن تواصل جميع الدول الحيلولة دون قيام رعاياها ببيع أو توريد مايلى إلى العراق، أو ترويج أو تيسير هذا البيع أو التوريد أو اتمامه من أراضيها أو استخدام السفن أو الطائرات التى ترفع علمها لهذا الغرض.

أ – الأسلحة والأعتدة ذات الصلة بجميع أنواعها بما فى ذلك على وجه التحديد البيع أو النقل عن طريق وسائل أخرى لجميع أشكال المعدات العسكرية وقطع الغيار والمكونات ووسائل انتاجها لهذه المعدات.

ب – المواد المحددة والمعرفة فى الفقرة ٥٨ والفقرة ١٣ أعلاه غير المشمولة بخلاف ذلك أعلاه.

جـ – التكنولوجيا. بموجب ترتيبات ترخيص أو غيرها من ترتيبات النقل المستخدمة فى انتاج أو استخدام أو تخزين المواد المحددة فى الفقرتين الفرعيتين أ، ب أعلاه.

د – الأفراد أو المواد للتدريب أو خدمات الدعم التقنى المتصلة بتصميم أو تطوير أو تصنيع أو استخدام أو صيانة أو دعم المواد المحددة فى الفقرتين الفرعيتين أ، ب أعلاه.

٢٥ – يطلب إلى جميع الدول والمنظمات الدولية أن تلتزم التزاما بالفقرة ٢٤ أعلاه بغض النظر عن وجود أية عقود أو اتفاقات أو تراخيص أو أية ترتيبات أخرى.

٢٦ – يطلب إلى الأمين العام أن يضع فى غضون ٦٠ يوماً بالتشاور مع الحكومات المناسبة مبادىء توجيهية كى يوافق عليها المجلس لتيسير التنفيذ الدولى التام للفقرتين ٢٤، ٢٥ أعلاه والفقرة ٢٧ أدناه واتاحتها لجميع الدول ووضع اجراء لتحديث هذه المبادىء التوجيهية دوريا.

٢٧ – يطلب إلى جميع الدول أن تواصل فرض مايلزم من الضوابط والاجراءات الوطنية واتخاذ مايلزم من الاجراءات الأخرى التى تنسق مع المبادىء التوجيهية التى

سيضعها مجلس الأمن بموجب الفقرة ٢٦ أعلاه، وذلك لكفالة الامتثال لأحكام الفقرة ٢٤ أعلاه ويطلب إلى المنظمات الدولية أن تتخذ جميع الخطوات المناسبة للمساعدة فى كفالة الامتثال التام لهذا.

٢٨ – يوافق على استعراض مقرراته الواردة فى الفقرة والفقرات ٢٢، ٢٤، ٢٥ أعلاه باستثناء الموارد المحددة والمعروفة فى الفقرتين ٢، ١٢ أعلاه على أساس منتظم وعلى أية حال بعد مرور ١٢٠ يوماً على صدور هذا القرار مع مراعاة امتثال العراق لهذا القرار والتقدم العام المحرز نحو تحديد الأسلحة فى المنطقة.

٢٩ – يقرر أن تتخذ جميع الدول– بما فيها العراق– التدابير اللازمة لكفالة ألا تقدم أية مطالب بناءً على طلب حكومة العراق أو أى شخص أو هيئة فى العراق أو أى شخص يقدم مطالبة عن طريق أو لصالح أى شخص أو هيئة من هذا القبيل فيما يتصل بأى عقد أو تعامل آخر تأثر أداؤه بسبب التدابير التى اتخذها مجلس الأمن فى القرار ٦٦١– ١٩٩٠ والقرارات المتصلة به.

الإفراج عن الأسرى:

٣٠ – يقرر من أجل تعزيز التزامه بتيسير إعادة جميع الرعايا الكويتيين ورعايا البلدان الأخرى إلى الوطن أن يقدم العراق كل مايلزم من تعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وذلك بتقديم قوائم بأسماء هؤلاء الأشخاص حيثما يوجدون أو يكونون محتجزين وتيسير بحث اللجنة الدولية للصليب عن الرعايا الكويتيين ورعايا البلدان الأخرى الذين مازالت مصائرهم مجهولة.

٣١ – تدعو اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى ابقاء الأمين العام على علم حسب الاقتضاء بجميع الأنشطة التى تضطلع بها فيما يتحصل بتيسير الاعادة إلى الوطن أو العودة لجميع الرعايا الكويتيين ورعايا البلدان الأخرى أو رفاتهم الموجودين فى العراق فى ٢ أغسطس ١٩٩٠ أو بعده.

وقف الارهاب:

٣٢ – يتطلب من العراق أن يبلغ المجلس بأنه لن يرتكب أو يدعم أى عمل من أعمال

الارهاب الـدولى أو يسمح لأى منطقة موجهـة نحو ارتكاب هـذه الأعمال بالعمل داخل أراضيه وأن يدين بلا لبس جميع أعمال وأساليب وممارسات الارهاب وينبذها.

أخطار رسمى بالقبول شرط لوقف النار:

٢٣ - يعلن أنه بعد تقديم العـراق إخطارا رسمياً إلى الأمين العام وإلى مجلس الأمن بقبوله الأحكـام الواردة أعلاه، يسرى وقف رسمى لاطلاق النـار بين العراق والكويت والدول الأعضاء المتعاونة مع الكويت وفقا للقرار ٦٧٨ - ١٩٩٠.

٣٤ - يقرر أن تبقى المسألة قيد النظر وأن يتخذ ماقد يلزم من خطوات أخرى لتنفيذ هذا القرار وضمان السلم والأمن فى المنطقة.

وثيقة رقم (٢) نص إعلان وزراء خارجية المجموعة الأوروبية بشأن أزمة الخليج فى لوكسمبرج فى ١٩٩١/٢/١٩

أولت دول المجموعة الأوروبية اهتماما بالغا لنـداء الرئيس جورباتشوف للسلطات العراقية، واستقبلت بارتياح نـداءه الخاص بالانسحاب الكامل والغير مشروط للقوات العـراقية من الكـويت واعادة السيـادة والحكومـة الشرعية لهذا البلـد. طبقا لقـرارات مجلس الأمن الخاصة بـالنزاع العراقـى الكويتى. والمجموعـة تجدد نداءها للحكـومة العـراقيـة، لتطبيق قرارات مجلس الأمـن دون قيد أو شرط وذلك لـوضع نهايـة لهذه الحرب، وحتى تجنب شعبى العراق والكويت المعاناة والعذاب.

كما تؤكد دول المجموعة التزامها، عقب عودة الشرعية الدولية للكويت، بالاسهام فى إرساء دعائم الأمن والاستقرار والتنمية لجميع دول المنطقـة فى إطار مناسب مع الأخذ فى الاعتبار ضرورة إيجاد حل شامل ومرن تدريجى لجميع قضايا المنطقة

وفى هذا الصدد، فإن دول المجموعة تؤكد وقـوفها بجانب سيادة ووحدة واستقلال

وسلامة أراضى جميع دول المنطقة. وستواصل دول المجموعة مشاوراتها مع الولايات المتحدة ومع الدول المعنية الاخرى وخاصة الاتحاد السوفيتى. وتلتزم المجموعة الاوروبية أنه يجب على دول المنطقة التوصل إلى اتفاق يضمن وضع آليات خاصة بأمن دول المنطقة فى المستقبل على المستوى الفردى والجماعى. وستكون دول المجموعة موائمة لها. وفى هذا الصدد، فان دول المجموعة تهنىء نفسها، على اتفاق وزراء خارجية مصر وسوريا ومجلس التعاون الخليجى على اطار تعاون مستقبلى مشترك. كان ذلك عقب اجتماعهم يومى ١٥، ١٦/٢/١٩٩١ وسوف تشرع المجموعة فى اجراء الاتصالات اللازمة مع هذه الدول.

كما ستقوم اللجنة الثلاثية الاوربية (الترويكا) بعقد اجتماع على مستوى وزراء الخارجية مع اسرائيل فى المستقبل القريب. وهناك دول أخرى وخاصة ايران تستطيع أن تلعب دورا هاما فيما يختص بالاستقرار المستقبلى للمنطقة كما تعقد دول المجموعة الاوربية أهمية خاصة على التعاون والحوار السياسى مع دول اتحاد المغرب العربى وسوف تشجع المجموعة الاوروبية اقامة حوار هام وبناء على المستوى السياسى فى وقت قريب وستقوم دول المجموعة بالاتصالات اللازمة بهذا الشأن.

وتعتبر دول المجموعة الاوروبية أن النزاع العربى الاسرائيلى والمشكلة الفلسطينية هما أساس عدم الاستقرار فى المنطقة.

كما ترى أنه يجب على المجتمع الدولى تنشيط جهوده للتوصل السريع لحل شامل وعادل ودائم وترى دول المجموعة أن تنظيم مؤتمر دولى فى وقت مناسب، سيعطى اطارا جيداً للمفاوضات وسوف يحتاج مثل هذا المؤتمر الى اعداد جيد. وستشجع دول المجموعة للبحث عن حل سلمى من خلال عقد حوار مع جميع الاطراف المعنية.

وتعرب دول المجموعة- فيما يختص بالوضع فى لبنان- عن مساندتها للعمل باتفاقية الطائف كوسيلة لتحقيق المصالحة الوطنية داخل لبنان لكى تصبح بلدا حرا مستقلا من أى تدخل أجنبى. وتؤيد دول المجموعة وجهات النظر التى أبداها اجتماع

القـاهرة بشـأن أن يبـذل العـرب جهودهم مـن أجل تحقيق حركـة تنميـة اقتصاديـة واجتماعية كبيرة، تقوم على احترام مبـدأ السيادة الدولية للمـوارد الاقتصادية. ودول المجموعة تشارك فى هذه الرؤية، وتعلن عـن استعدادها فى إطار احترام السيادة الدولية للموارد الاقتصـادية- للتعـاون مع دول المنطقة. وهى تولى أهميـة أولى وفوريـة لبدء العمل فى سياستها الجديدة الخاصة بمنطقة البحر المتوسط فى أقرب وقت ممكن، كذلك العمل على توزيع سريع لمساعداتها على الدول الثلاث الى تأثرت اقتصاديا نتيجة لحرب الخليج.

وتدرك دول المجمـوعة أن من الضرورى ايجاد حل شامل- قريبـا- لجميع مشاكل دول البحر المتوسط، والشرق الأوسط ومنطقة الخليج، كما تعرب عن استعدادها لبحث الطرق المختلفة لإيجاد تسـوية تقوم على إرساء عدد من القـواعد والمبادىء فى مجالات الأمن والتعاون الاقتصادى واحترام حقوق الانسان والتبادل الثقافى.

وثيقة رقم (٣) - نص بيان دول المجموعة الأوروبية حول حرب الخليج صدر فى كل من لوكسمبورج وبروكسل فى ١٩٩١/٢/٢٤

تعرب دول المجمـوعة الاوروبية عن آسفهـا الشديد لعـدم قبول العراق نـداء قوات التحـالف الـدولى بـالانسحاب الفـورى والغير مشروط من الكـويت واحترام قـرارات مجلس الأمن.

كما تعلن وقوفها بجانب قوات التحالف فى هذه الساعات الحرجة.

كما تعرب دول المجموعة عن أملها فى أن يتم تحرير الكويت سريعا وبأقل عدد ممكن من الخسـائر فى الأرواح فى كلا الجانبين.

وثيقة رقم (٤) بيان المجموعة الاوروبية بمناسبة

انتهاء العمليات العسكرية فى ١٩٩١/٣/٥

تهنىء دول المجموعة الاوروبية نفسها على وقف العمليات العسكرية فى الخليج. كما تعرب دول المجموعة عن سعادتها، لاستعادة الشعب الكويتى لحريته وعودة الشرعية الدولية للكويت.

كما تعرب عن عرفانها لجميع الدول التى جندت قواتها لتحقيق الاحترام لقرارات مجلس الأمن الاثنى عشر وتأمل فى موافقة الحكومة العراقية على الشروط المسبقة الى وضعتها قوات التحالف.

كما تشير دول المجموعة الى أن على مجلس الأمن من الآن إعلان الترتيبات اللازمة لوضع نهاية للنزاع فى الخليج.

وتكرر دول المجموعة- كما سبق وكررت يوم نشوب الحرب - تعهدها بضمان مستقبل يرفرف عليه السلام والاستقرار والتنمية فى إطار من العدالة الاجتماعية والتضامن الاقتصادى الاقليمى لجميع شعوب المنطقة، كذلك فى إطار من الكرامة والأمن.

****

وثيقة رقم (٥) إعلان دمشق للتنسيق والتعاون بين

الدول العربية فى ١٩٩١/٣/٦

نص إعلان دمشق للتنسيق والتعاون بين الدول العربية.

وفيما يلى نص الإعلان:-

ان الدول العربية الأعضاء فى مجلس التعاون لدول الخليج العربى وجمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية المشاركة فى اجتماع دمشق يومى ١٩/ ٢٠ شعبان ١٤١١هجرية الموافق ٥/٦ آذار (مارس) ١٩٩١م انطلاقا من مشاعر الاخوة

والتضامن التى تربط بينهـا والتى كفلها تراث عريق من التسانـد والتكاتف والنضال المشـترك والاحساس العميق بوحدة الامال والتحديات وتطابق الغايات ووحدة المصير. وتعزيـزا لقدرتها على الاضطـلاع بمسئولياتها القـومية فى إعـلاء شأن الامة العـربية وخدمة قضاياها وصيانة أمنها وتحقيق مصالحها المشتركة.

وادراكـا للتحولات العميقـة الجارية على المسرح الـدولى والتى طـرحت أمام الامـة العربية تحديـات جسيمة تتطلب لمواجهتها أعلى درجات التنسيـق والتعاون بين الدول العربية. واذ تؤكد من جديد موقفها الرافض للنهج العدوانى والانحياز له كالذى حصل خلال العـدوان واحتلال قـوات النظام العـراقى لدولـة الكويت، ذلك الفعل الـذى جاء خروجاً سافـراً على كل ما استقر من قواعد وأعراف دولية وعربيـة واسلامية واطاح بكثير من مفـاهيم ومنجـزات العمل العــربى المشترك فى وقت مضى، إلى جمع شملهـا وحشد طاقاتها لرد العديد من المخاطر التى لم يسبق لها مثيل..

كما تعلن ترحيبها بتحرير دولة الكويت وعودة الشرعية اليها وتعبر عن ألمها العميق وبالغ حـزنها لما تعرض له الشعب الكـويتى الشقيق من جراء عدوان النظـام العراقى عليه. كما تعبر عن أسفها الشديد لما يتعرض له الشعب العراقى من أبشـع صور المعاناة نتيجة عدم اكتراث القيـادة العراقية بمصالحه وتـؤكد فى هذا الصدد وقـوفها إلى جانب الشـعب العراقى فى محنتـه وحرصها الكامـل على وحدة الاراضـى العراقية وسـلامتها الاقليمية.

تـؤكد الاطـراف المشاركـة عزمهـا على السعى لإعطاء روح جـديدة للعمل العـربى المشترك وإرساء التعاون الأخـوى بين أعضاء الأسرة العربية على قواعد صلبـة ترتكز على المبادىء التالية:-

أولاً: مبادىء التنسيق والتعاون

يقوم التنسيق والتعاون على الأسس التالية:

١- العمل بمـوجب ميثاق جـامعة الـدول العربيـة وميثاق الأمم المتحـدة والمواثيق

العربيـة والدولية الاخـرى واحترام وتعزيز الـروابط التاريخيـة والأخوية وعـلاقات حسن الجوار والالتـزام باحترام وحـدة الاراضى والسـلامـة الاقليمية والمسـاواة فى السيادة وعدم جواز الاستيلاء على الاراضى بالقـوة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية والالترام بتسوية المنازعات بالطرق السلمية.

٢- العمل على بناء نظام عربى جديـد من أجل تعزيز العمل العربى المشـترك واعتبار الترتيبات التى يتم الاتفـاق عليها بين الاطـراف المشاركة بمثـابة الاسـاس الذى يمكن البنـاء عليه من أجل تحقيق ذلك وتـرك المجال مفتـوحا أمـام الدول العـربية الاخـرى للمشاركة فى هذا الاعلان فى ضوء اتفاق المصالح والأهداف.

٣- العمل على تمكين الامة العـربية من توجيه كـافة امكاناتها لمواجهـة التحديدات التى يتعـرض لها الاستقـرار والامن فى المنطقـة ولتحقيق حل عـادل وشـامل للنـزاع العـربى الاسرائيلى وقضية فلسطين على أسـاس ميثـاق الامم المتحدة وقـراراتها ذات الصلة.

٤- تعزيز التعاون الاقتصادى بين الاطـراف المشاركة وصولا الى تجمع اقتصادى فيما بينها بهدف تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

٥- احترام مبدأ سيادة كل دولة عربية على مواردها الطبيعية والاقتصادية.

ثانيا: أهداف التنسيق والتعاون:

١- فى المجالين السياسى والأمنى:

(أ) تعتبر الأطـراف المشاركـة أن المرحلـة الحالية التى أعقبـت تحرير الكـويت من احتلال قـوات النظام العـراقى توفر أفضـل الظروف لمواجهة التحـديات والتهـديدات الأخرى التى تتعرض لها المنطقة، وفى مقدمتها التحديات الناجمة عن استمرار الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية وتوطين اليهود فيهـا. وتعتقد الاطراف المشاركة بأن عقد مـؤتمر دولى للسـلام تحت رعايـة الامم المتحـدة هـو إطار منـاسب لانهاء الاحتـلال الإسرائيلى للاراضى العربية وضمان الحقـوق الوطنية للشعب الفلسطينى على أساس قرارات الامم المتحدة ذات الصلة.

(ب) تـؤكد الاطـراف المشاركـة احترامها لمبـادىء ميثاق جـامعة الـدول العربيـة والتزامهـا بمعاهدة الـدفاع المشترك والتعـاون الاقتصادى بين دول الجامعة العـربية

وعزمها على العدل المشترك لضمان أمن وسلامة الدول العربية، واذ تشير على وجه الخصوص الى المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية، تعتبر وجود القوات المصرية والسورية على أرض المملكة العربية السعودية ودول عربية أخرى فى منطقة الخليج- تلبية لرغبة حكوماتها بهدف الدفاع عن أراضيها - يمثل نواة لقوة سلام عربية تعد لضمان أمن وسلامة الدول العربية فى منطقة الخليج ونموذجا يحقق ضمان وفعالية النظام الامنى العربى، الدفاعى الشامل.

كما تؤكد الاطراف المشاركة على أن التنسيق والتعاون بينها لن يكون موجها ضد أى طرف بل يمكن أن يكون مقدمة لفتح حوار مع الاطراف الاسلامية والدولية التى تحترم المصالح العليا للامة العربية وتلتزم بمبادىء الشرعية الدولية المستقرة ،خاصة ما يتعلق منها باحترام سيادة الدول وعدم التدخل فى الشئون الداخلية وتسوية المنازعات بالطرق السلمية.

(ج) تسعى الأطراف المشاركة إلى جعل الشرق الأوسط منطقة خالية من جميع اسلحة الدمار الشامل خاصة الأسلحة النووية وتعمل على تحقيق ذلك من خلال الاجهزة الدولية المعنية.

٢- فى المجال الاقتصادى والثقافى:

انسجاما مع ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية وغيرها من اتفاقيات العمل العربى المشترك تسعي الاطراف المشاركة الى:

(أ) تعزيز قواعد التعاون الاقتصادى فيما بين الاطراف المؤسسة كخطوة أولى يمكن البناء عليها مع دول عربية اخرى بغية توسيع مجالات التعاون ونطاقه.

قائمة الصور المرفقة

(١) فى القاعدة الجوية فى الرياض عام ١٩٩١ عام حرب الخليج.

(٢) القوات الجوية فى الظهران بالسعودية.

(٣) مدن المخيمات.

(٤) امتلاء القواعد الجوية بالطائرات.

(٥) تفقد شوار تزكوف للقوات المدرعة فى سبتمبر ١٩٩٠.

(٦) بوش فى زيارة للسعودية.

(٧) الفيلات التى سكنها الجنود الامريكان وكانت مخصصة للبدو.

(٨) رئيس أركان حرب القوات المسلحة بالامارات يستقبل وزير الدفاع الفرنسى.

(٩) شوارتزكوف مع رئيس أركان الامارات (الشيخ محمد بن زايد آل نهيان).

(١٠) قادة التحالف الدولى مع أمراء آل سعود (١٠).

(١١) الملك فهد يتفقد قوات الولايات المتحدة الامريكية.

(١٢) ولى عهد البحرين ووالده كانا من أكبر المؤيدين للحرب.

(١٣) ائتلاف القواد الدوليين.

(١٤) قائد القوات الفرنسية.

(١٥) الليفتانت جنرال بيتردى لابيليار.

(١٦) الليفتنانت جنرال «والر» من الولايات المتحدة، والميجور جنرال حبيب (من سوريا) والميجور جنرال/ الشيخ من (السعودية).

(١٧) الليفتنانت جنرال يوسك.

(١٨) اللواء بحرى ستان ارثر.

(١٩) الميجور جنرال (ماكفرى).

(٢٠) الكولونيل جيس جونسون.

(٢١) الجنرال/ هورنر - الجنرال/ يوسك - الادميرال/ آرثر وغيرهم.

(٢٢) اللفتنانت جينرال تشوك هورنر- قائد سلاح الطيران الامريكى.

(٢٣) اللفتنانت جنرال / والت بومر- قائد مشاة البحرية الامريكية.

(٢٤) اللقاء مع العراقيين فى (صفوان).

(٢٥) شوارتزكوف وأسرته فى ابريل ١٩٩١.

(١٦) شوارتزكوف فى نيويورك بعد الحرب.

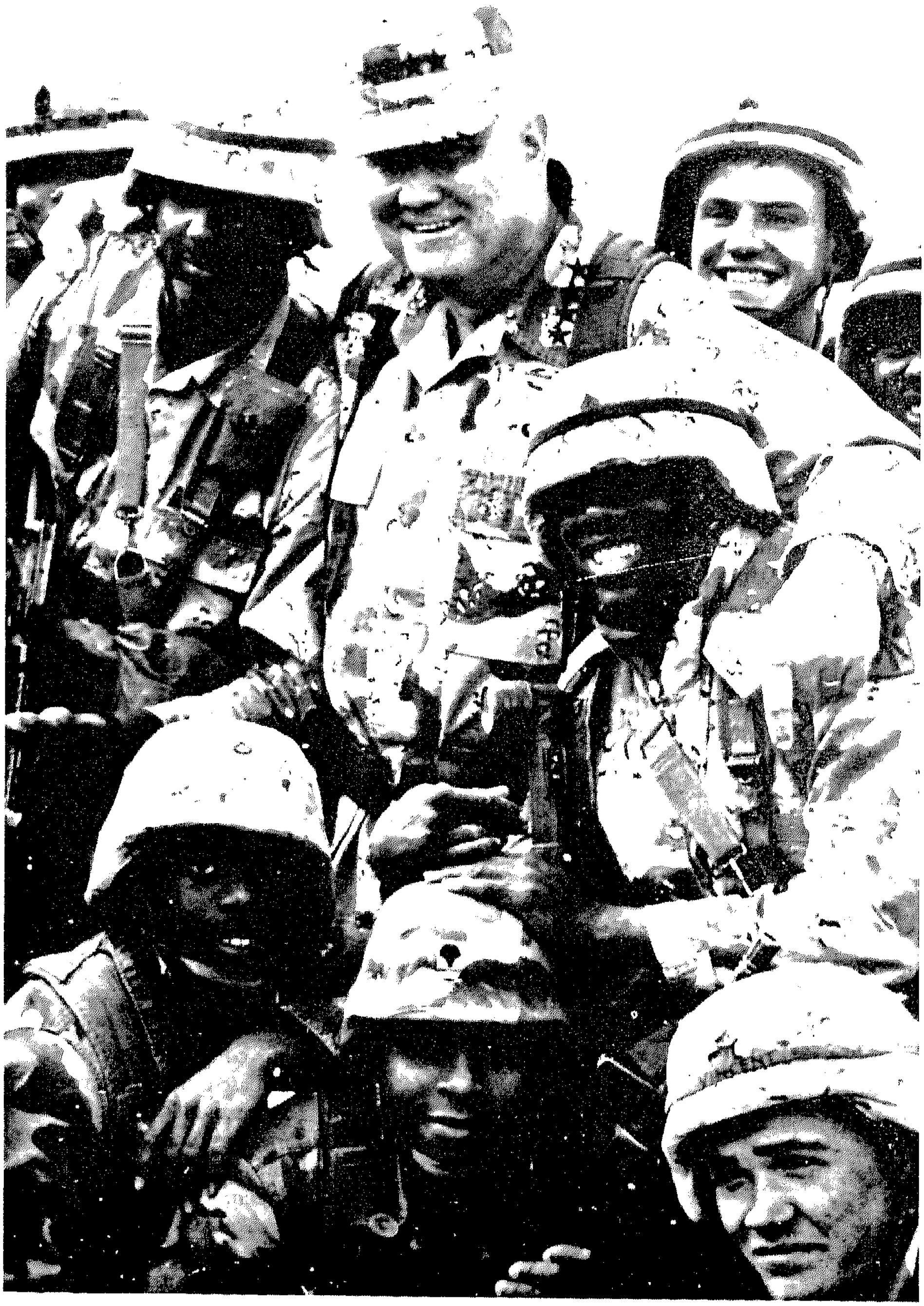
(٢٧) بعد التخلى عن قيادة عمليات القيادة المركزية وزير الدفاع الامريكى يقلد شوارتزكوف وساماً.

(٢٨) ملكة بريطانيا تخلع على شوارتزكوف وسام الفروسية.

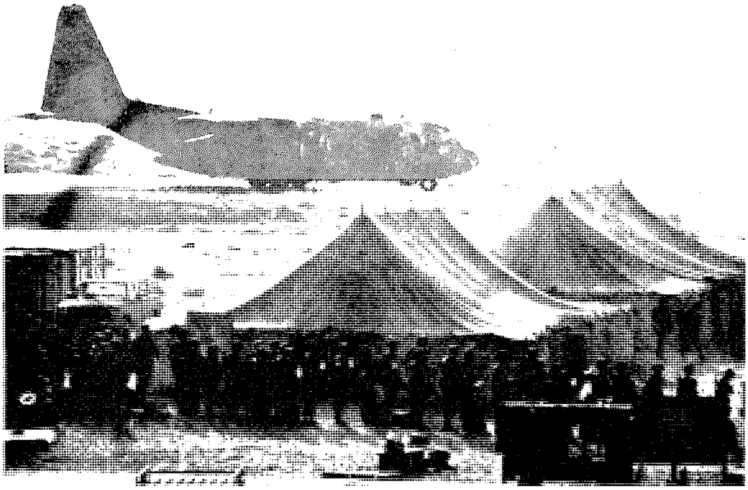
(٢٩) فى يوليو ١٩٩١- بوش يمنح شوارتزكوف ميدالية حربية.

(٣٠) طلبة الاكاديمية فى (ويست يونييت) يكرمون شوارتزكوف.

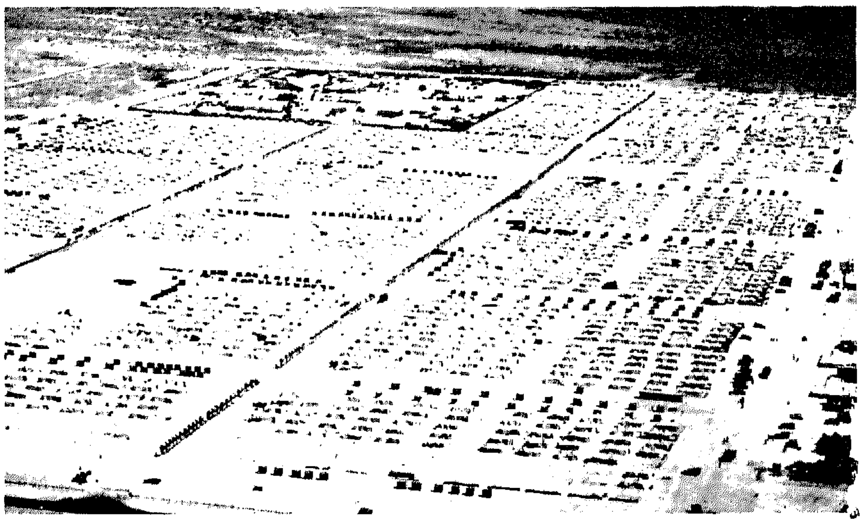
(٣١) الصورة الأخيرة «اللوب شهير» شوارتزكوف.



Riyadh air base, 1991, with a Patriot battery just after a Scud alert.
My visits with the troops in the gulf always raised my spirits.
(DAVID TURNLEY/DETROIT FREE PRESS)



When troops flew into Dhahran air base, they were taken into large tents, where they were sheltered from the burning sun while waiting for transportation to their units. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)



Enormous tent cities were set up as initial bases for arriving Army units. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)



The congestion at our air base caused me great concern. Had a single enemy aircraft broken through our air-defense screen, it could have wreaked havoc. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)



In September 1990 I was relieved to see the armored elements of the 24th Mechanized Infantry Division arrive in Saudi Arabia. Colonel Paul Kern briefed me at his command post in the desert.
(© 1990 HARRY BENSON)



President Bush visited Saudi Arabia at Thanksgiving, and I was able to brief him thoroughly on upcoming operations while flying in *Air Force One* from Jidda to Dhahran.
(DAVID VALDEZ/WHITE HOUSE PRESS OFFICE)



An announcement of the Bob Hope Christmas show. In the background is Escan Village—villas originally built for Bedouin tribesmen and used to house U.S. personnel in Riyadh.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)



Sheikh Mohammed Bin Zayed al-Nahyan, deputy chief of staff of the United Arab Emirates' armed forces and third son of President Sheikh Zayed Bin Sultan al-Nahyan, was host to French minister of defense Jean-Pierre Chevènement and me at lunch in the desert.

I enjoyed many hours with my friend Sheikh Mohammed, falconing in the deserts of the UAE.





Allied commanders sat with royal princes, sheltered from the hot sun by tents, while King Fahd addressed the assembled troops on December 27, 1990.
(OFFICIAL DEPT. OF DEFENSE PHOTOGRAPH)



King Fahd reviewed United States troops from the back of a jeep on December 27, 1990. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

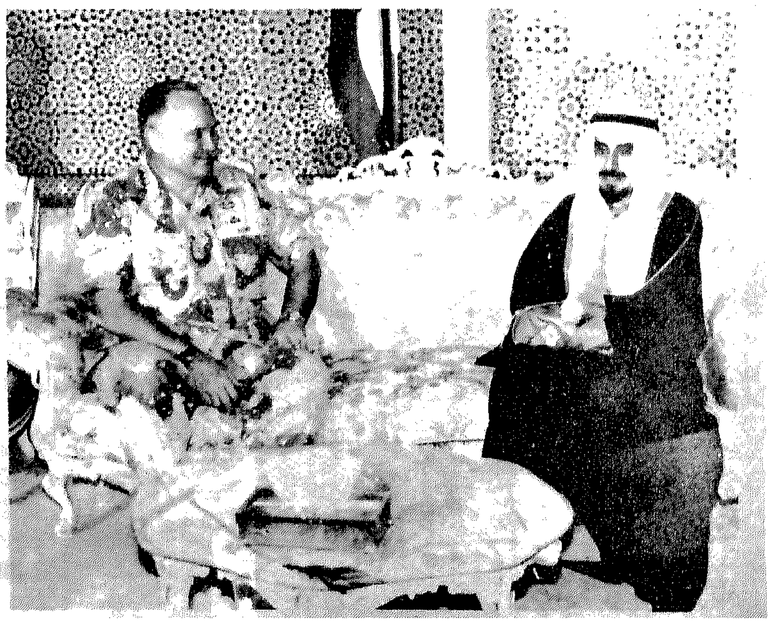
Lieutenant General Prince Khalid Bin Sultan al-Saud, commander of the Multinational Joint Combat Group. We worked side by side in the subbasement command center throughout the war.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

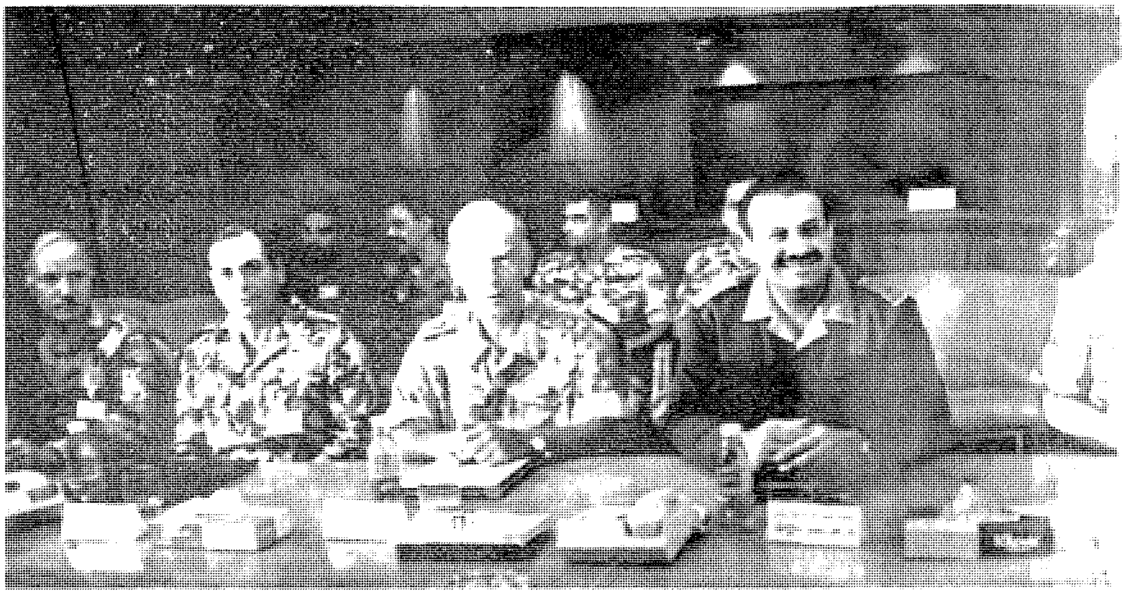




Crown Prince Hamad Bin Isa al-Khalifa of Bahrain. He and his father, Sheikh Isa Bin Sulman al-Khalifa, were among our strongest supporters during the war.

In April 1991, I was able to visit with the emir of Kuwait, Jaber al-Ahmed al-Sabah, after his return to his country.





The coalition commanders: *(seated, left to right)* Major General Modani, Saudi chief of plans; Major General Halaby, Egypt; Lieutenant General de la Billière, United Kingdom; Lieutenant General Khalid, Saudi Arabia; General Schwarzkopf, United States; Lieutenant General Roquejeoffre, France;

(Below, left) Lieutenant General Michel Roquejeoffre, commander of French forces and trusted friend. (E.C.P. ARMEES-FRANCE) *(Below, right)* Lieutenant General Sir Peter de la Billière. Peter was a superb soldier, advisor, confidant, and friend. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)







Lieutenant General Waller, deputy, United States; Major General Habib, Syria; and Major General al-Shaikh, deputy, Saudi Arabia. Behind Waller is Rear Admiral Sharp, U.S. chief of plans. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

(Below, left) Lieutenant General John Yeosock, commander of all U.S. Army forces in Desert Storm and Desert Shield. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)
(Below, right) Vice Admiral Stan Arthur, commander of U.S. naval forces in the gulf. He orchestrated an airtight blockade of ports supplying Iraq, and his forces dominated the sea and air over the gulf. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)







Major General Barry McCaffrey, commander of the 24th Mechanized Infantry Division. He was the most aggressive and successful ground commander of the war.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

Colonel Jesse Johnson, commander of all U.S. special forces in the gulf. A great soldier and an unsung hero.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)



General Waller, General Powell, Defense Secretary Cheney, General Schwarzkopf, and Undersecretary of Defense Wolfowitz in the war room. In the background are *(left to right)* General Horner, General Yeosock, Admiral Arthur, General Boomer, Colonel Johnson, and my chief of staff, General Bob Johnston.
(OFFICIAL DEPT. OF DEFENSE PHOTOGRAPH)



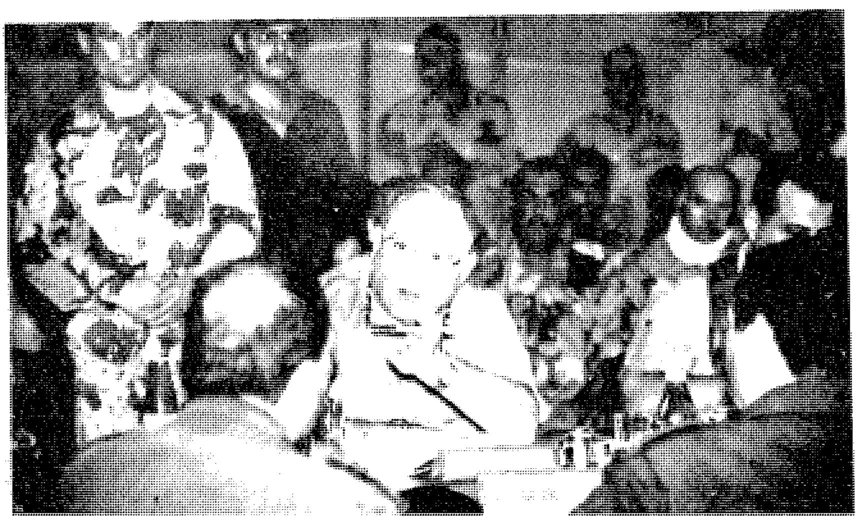
Lieutenant General Chuck Horner, commander of U.S. Air Force in the gulf, was the man who planned and executed our successful air campaign. (OFFICIAL DEPT. OF DEFENSE PHOTOGRAPH)





Lieutenant General Walt Boomer, commander of all U.S. Marines in Desert Storm and Desert Shield. He and his Marines conducted a daring attack into the toughest part of the enemy defenses. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

At Safwan I did not come to negotiate. I came to tell the Iraqis what was expected of them if we continued our cessation of offensive operations. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)





April 20, 1991—one of the happiest days of my life. I was reunited with my family after eight months in the gulf.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

(Opposite) It seemed as though the entire city of New York turned out to welcome us home in a ticker tape parade.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)





When I relinquished command of Central Command on August 9, 1991, Secretary Cheney presented me with the Defense Distinguished Service Medal, as well as the Distinguished Service Medals of the Army, Navy, Air Force, and Coast Guard. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)



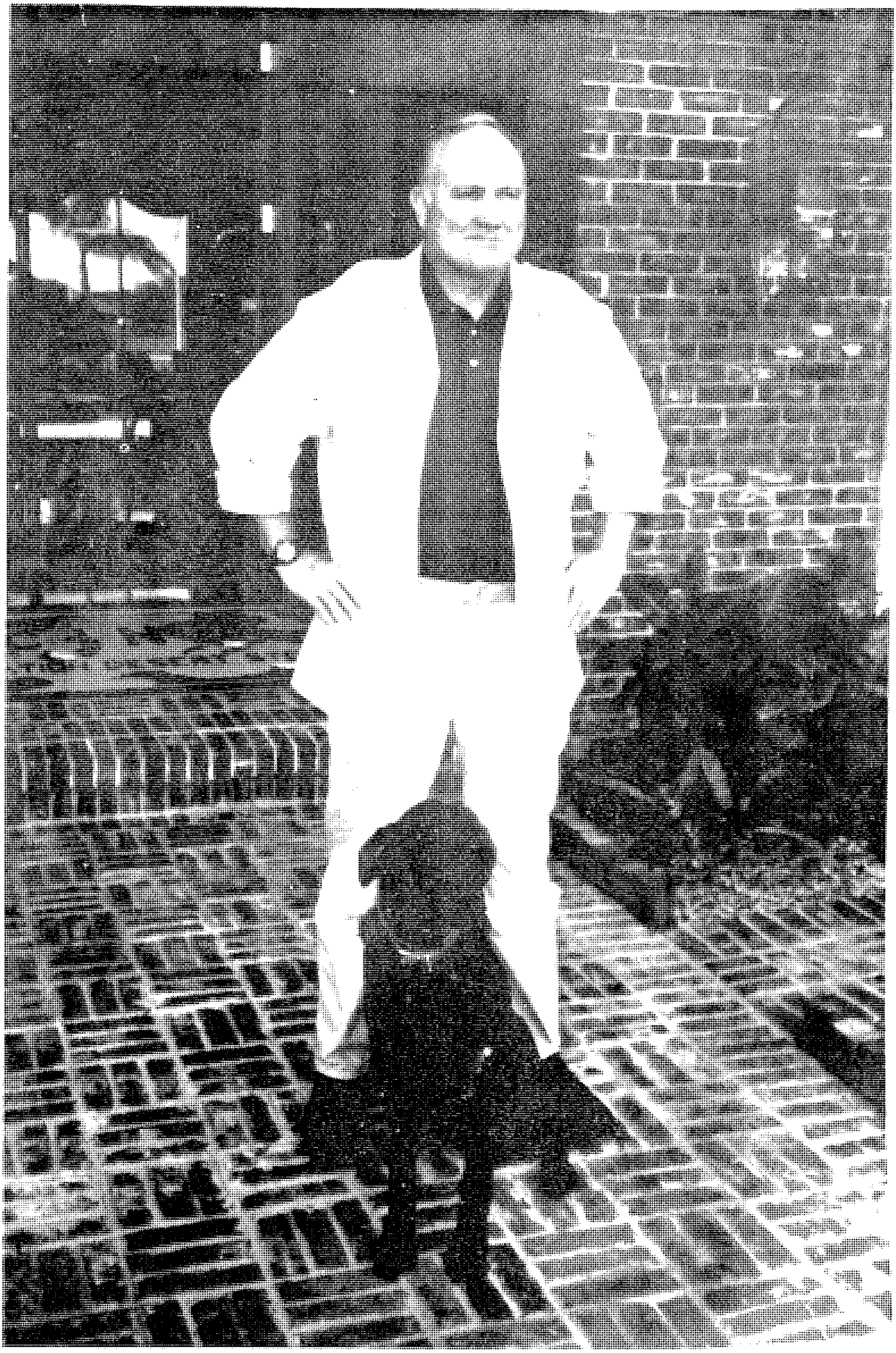
Queen Elizabeth II traveled to Tampa, Florida, to bestow on me an honorary knighthood: Knight Commander in the Military Division of the Most Honorable Order of the Bath. (JOCK FISTICK/ TAMPA TRIBUNE/SIPA)



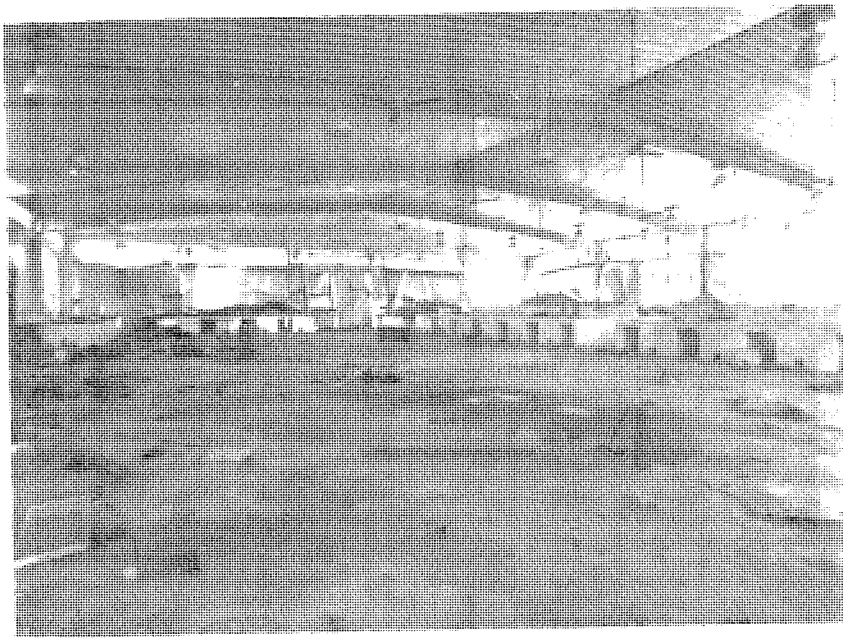
On July 3, 1991, President Bush, assisted by Mrs. Bush, awarded me the Presidential Medal of Freedom. Among my fellow recipients were Secretary Dick Cheney and General Colin Powell. (DAVID VALDEZ/ WHITE HOUSE PRESS OFFICE)

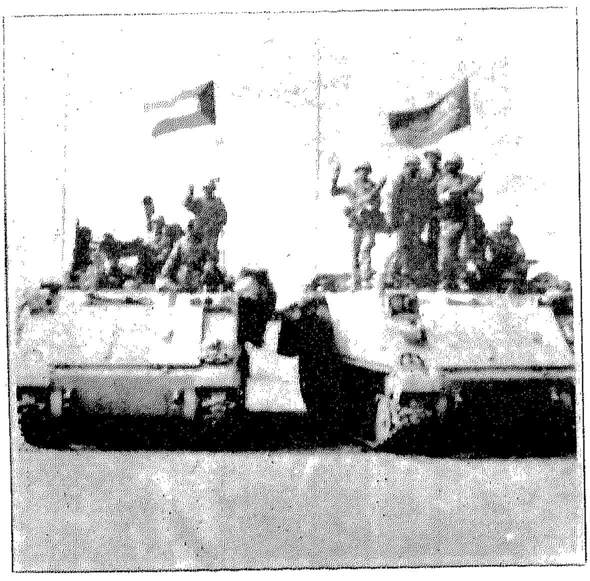
(Opposite) On May 15, 1991, I returned to West Point, where the Corps of Cadets honored me with a full dress review. (© 1991 C. RUSSELL, ACADEMY PHOTO, WEST POINT, N.Y.)

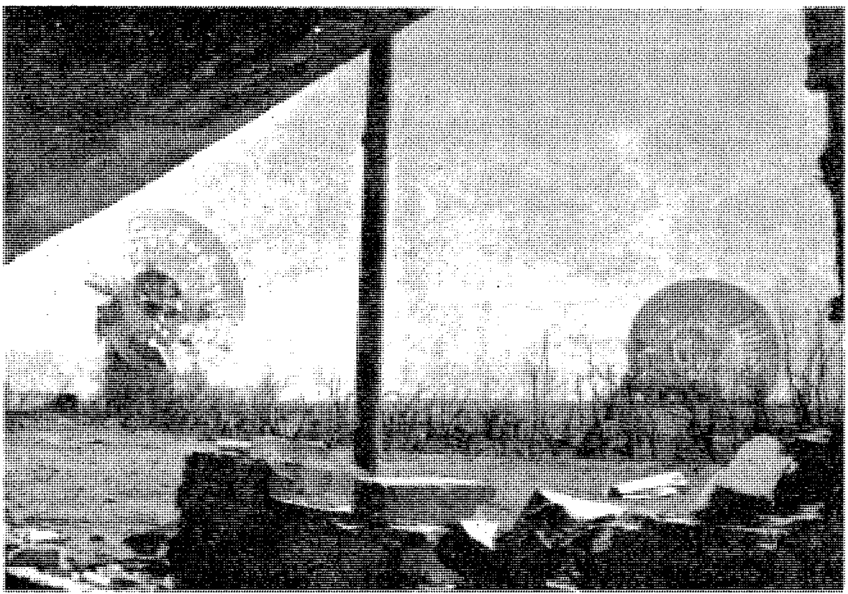


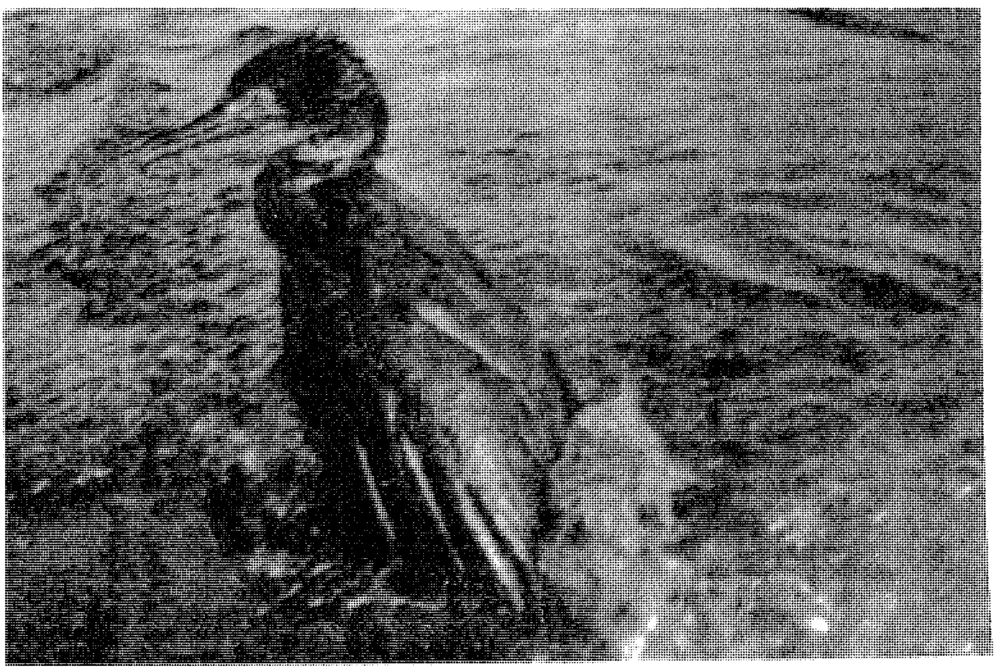


H. Norman Schwarzkopf, General U.S. Army, Retired, and Bear.
(MICHAEL A. GORENFLO)










NAVY

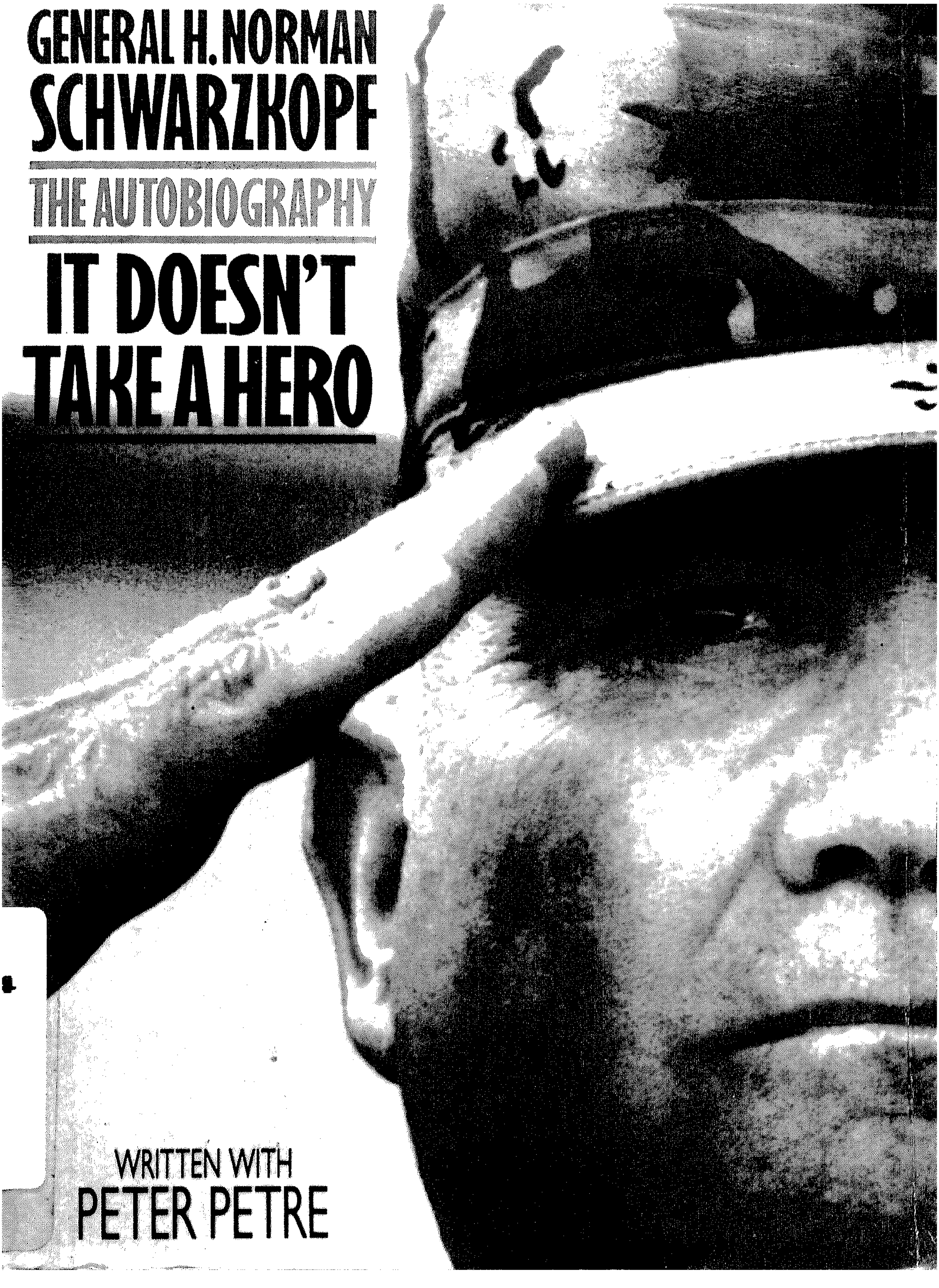
رقم الإيداع : ١٥٠٦ / ١٩٩٣

I. S. B. N. 977 - 208 - 101 - 6

GENERAL H. NORMAN SCHWARZKOPF

THE AUTOBIOGRAPHY

IT DOESN'T TAKE A HERO



WRITTEN WITH
PETER PETRE